



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية



الرقم التسلسلي : 205

رقم التسجيل : 01/PG/D/LMD/HIS/19

عنوان الأطروحة

واقع الريف في بايلك الشرق خلال العهد العثماني
(1519-1830م). دراسة اجتماعية اقتصادية

أطروحة نهاية الدراسة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في: التاريخ

تخصص: تاريخ بلاد المغرب الحديث

إشراف الأستاذ الدكتور:

- لخميسي فريح.

من إعداد الطالب:

- محمد صابري.

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
مسعود كربوع	أستاذ محاضر (أ)	بسكرة	رئيسا
لخميسي فريح	أستاذ	بسكرة	مشرفا ومقررا
الامير بوغدادة	أستاذ محاضر (أ)	بسكرة	عضوا مناقشا
رضا حوحو	أستاذ محاضر (أ)	بسكرة	عضوا مناقشا
محمد السعيد عقيب	أستاذ	الوادي	عضوا مناقشا
بن جلول هزرشي	أستاذ	الجلفة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2023-2024م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى روح والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.
إلى أمي الغالية التي طالما رافقتني بدعواتها في كل وقت، حفظها الله.
إلى إخوتي الذين طالما كانوا سنداً لي.
إلى الزوجة والأبناء الذين تحملوا معي التقصير والانشغال عنهم أثناء
البحث.

إلى كل من علمني حرفاً، ورفع عني الجهل ولو بكلمة، أساتذتي الكرام
من الابتدائي إلى الجامعة.
إلى كل من دعا لي، وساندني ودعمني من الأصدقاء والأحبة.

شكر و عرفان

في البداية، الحمد لله والشكر لله، على فضله ومنتته، أن سهل لنا السبيل ووفقنا لإنجاز هذا العمل.

قال الله تعالى " ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه " لقمان الآية: 12.

قال رسول الله ﷺ " من لا يشكر الناس لا يشكر الله ".

وعرفانا بالفضل، أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى أستاذي المشرف "لخميسي فريخ"، بداية بتفضله الإشراف على هذا العمل، ووقوفه معي في جميع مراحلها إلى غاية إخراجها في صورته النهائية، فكان لي بمثابة الأخ والمرافق، لم يدخر جهداً في توجيهي وإرشادي، وعمله المتواصل على تذليل الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث، والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة، لتفضلهم بقراءة هذه الأطروحة وتكبدهم عناء تنقيحها وتصويبها.

كما أتقدم بجزيل الشكر، للأستاذ هزرشي بن جلول لنصائحه وتوجيهاته القيمة، و الأستاذة معطالله عزيزة والأستاذ مالكي يوسف على ما قدماه لي من مساعدة، والشكر موصول إلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد.

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

أ- باللغة العربية:

تر: الترجمة.

ط: الطبعة.

مج: المجلد.

ج: الجزء.

[د.ط]: دون طبعة.

[د.م]: دون مكان النشر.

[د.ت]: دون تاريخ.

[د.ن]: دون ناشر.

= : تابع الهامش في الصفحة الموالية.

ص: الصفحة.

ع: العدد.

س: السنة.

م: التاريخ الميلادي.

هـ: التاريخ الهجري.

ت: توفي.

ق: القرن.

تح: تحقيق.

م.و.ج: المكتبة الوطنية الجزائرية.

أ.و.ق: أرشيف ولاية قسنطينة.

أ.و.ت: الأرشيف الوطني التونسي.

ب- باللغة الفرنسية:

Op.cit: المصدر أو المرجع السابق

Ibid: المصدر أو المرجع نفسه

P: page: الصفحة

P P: من الصفحة كذا... إلى الصفحة كذا

N°: Numéro: العدد

V: Volume: المجلد

T: Tome: الجزء

R.A: Revue Africaine.

Trad: Traduit ou Traduction.

مقدمة

ركزت أغلب الدراسات التي تناولت تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة على الجوانب السياسية والعسكرية، حيث لم تحظ الجوانب الاقتصادية والاجتماعية بنفس الاهتمام - حسب اطلاعي-، لاسيما بايلك الشرق بشكل عام وأرياف البايك بشكل خاص، فالجوانب الاقتصادية والاجتماعية في ريف البايك تبقى إلى حد كبير غير واضحة المعالم، فالتعمق في دراستها يعطي لنا تصورا عن طبيعة النظم الاجتماعية والاقتصادية السائدة، إضافة إلى التأثير والتأثر بين السلطة و أهالي الأرياف، باعتبار أن الأغلبية الساحقة من مساحة البايك عبارة عن أرياف تقطنها الكثير من القبائل، فالريف بكل تناقضاته، يشكل تعبيراً صادقا عن طبيعة الإنسان الذي عاش في هذه البيئة بأرضه، متأقلا مع كل الصعوبات، كما يشار إلى أن الفترة الأخيرة عرفت العديد من الدراسات التي تناولت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية خلال الفترة العثمانية ، الأمر الذي سيميط اللثام، عن طبيعة المجتمعات الريفية، لاسيما الريف القسنطيني موضوع الدراسة، وفق نظرة تتناول مكونات وانتماءات المجتمع الريفي، ومدى مساهمتها في الجوانب الاقتصادية، باعتبار الأخير الممون الأساسي للحواضر، والمحرك الرئيسي لاقتصاد البايك، -ولما لا- اقتصاد الإيالة، الأمر الذي انعكس على الجانب الاجتماعي، وأسس لفوارق اجتماعية، بين أصحاب الأملاك والنفوذ وأهالي الأرياف، بالمقابل جعل هذا الوضع من أرياف البايك نقطة استقطاب بين السلطة التي حاولت استغلال الأرياف وفق نظرة غلب عليها الجانب الضريبي من جهة، وأصحاب النفوذ والجاه الذين تحددت علاقتهم بالسلطة وفق مصلحة كل طرف، من جهة أخرى.

ولذلك ارتأينا أن نتطرق في موضوعنا إلى أوضاع الأرياف في بايلك الشرق من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، وفق الدراسة الموسومة بـ "الريف في بايلك الشرق خلال العهد العثماني(1519-1830)". دراسة اجتماعية اقتصادية".

- دواعي اختيار الموضوع:

باعتبار أن الريف في بايلك الشرق يشكل الثقل الاجتماعي والاقتصادي في البايك، ومع قلة الدراسات المتخصصة في الريف - حسب اطلاعي - وتركيزها بشكل أكبر على الحواضر، اخترنا التطرق لهذا الموضوع الذي يعتبر شيقاً رغم صعوبته، خاصة في التعامل مع المصادر الأوربية التي تناولت موضوع دراستنا، والتي تظهر في أحيان كثيرة بعيدة عن الموضوعية، تحركها النزعة العدائية، التي تهدف إلى إضفاء النظرة الأوربية لتاريخ الجزائر، والتي عملت على تشويه التواجد العثماني في الجزائر، ماعدا بعض الكتابات القليلة، كما أن تشعبات هذا الموضوع تعد حافزاً للبحث، فالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للريف لا ترتبط فقط بأهالي الريف، بل تتعداه إلى السلطة الحاكمة في علاقة متعدية يسعى فيها كل طرف إلى تحقيق أهدافه ومصالحه، على حساب الطبقات المغلوب على أمرها، هذه العلاقة تثير الكثير من التساؤلات، التي أردنا من خلال هذا العمل الإجابة عنها والوصول قدر المستطاع إلى استنتاجات تخص هذه الجوانب المهمة في أرياف البايك، كما أن الرغبة في توضيح الصورة وتسليط الضوء على أرياف البايك، وإظهار مدى تأثير السياسة العثمانية في الجزائر، التي اعتمدت على الجباية، على أهالي الأرياف، خاصة مع تناقص مداخل الجهاد البحري، الأمر الذي حتم عليها التوجه إلى الأرياف لسد العجز، ومن خلالها أردنا أن نوضح نقطة أساسية وهي طبيعة الحكم العثماني، والذي أصبح - إن صح القول - سوريا لقلعة أعداد العثمانيين في البايك، واعتماده على القبائل وأعيان البلاد لفرض سياسته، خاصة الجوانب الضريبية منها.

- حدود الدراسة:

• الإطار الجغرافي:

أما في ما يخص الإطار الجغرافي للدراسة، فحددنا ريف بايلك الشرق للعمل عليه، كمنطلق لدراستنا.

• الإطار الزمني:

تتخصر الدراسة ما بين 1519-1830م، وهي فترة التواجد العثماني في الجزائر، وقد ارتأينا توسيع مجال الدراسة ليشمل الفترة العثمانية بأكملها، باعتبار أن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، متشابهة ومترابطة إلى حد كبير خلال هذه الفترة، على عكس الجوانب السياسة التي هي أحداث تاريخية مستقلة، تتطلب الدقة في حصر مجالها الزمني والمكاني.

- إشكالية البحث:

إن الملاحظ للتطورات التي شهدتها الجزائر خلال العهد العثماني يدرك الأهمية والتميز التي مثلها بايلك الشرق لاسيما الجوانب الاقتصادية والاجتماعية منها، للكثير من الاعتبارات التي ساهمت مجتمعة في تنوعه الاقتصادي والاجتماعي، ومنه تتمحور الإشكالية عن مدى مساهمة الريف في بايلك الشرق في إثراء الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني، وعن أهم المقومات التي ميزت الريف في البايك وبوآته مكانة مرموقة اقتصاديا واجتماعيا كأهم بايلك في الجزائر خلال العهد العثماني.

وبدورها تتفرع عن الإشكالية تساؤلات جزئية نذكر منها:

- ما هي أهم مقومات الريف الاجتماعية والاقتصادية وتأثيرها على نمط معيشة السكان في بايلك الشرق خلال العهد العثماني؟

- كيف كانت طبيعة العلاقة بين مجتمع الريف والسلطة المركزية في الجانب الاجتماعي والاقتصادي في بايلك الشرق خلال العهد العثماني؟

- فيما تكمن الأهمية التي أولتها السلطة المركزية للريف في بايلك الشرق اجتماعيا واقتصاديا خلال هذه الفترة؟

- خطة الدراسة:

تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة، ومدخل، و أربعة فصول، ثم الخاتمة، مع إرفاقها بالملاحق و الفهارس.

تطرقنا في المقدمة إلى التعريف بالدراسة، وضبط مجالها الجغرافي والمكاني، إضافة إلى دواعي اختيار الموضوع وطرح الإشكالية، والمنهج المتبع، مع نماذج عن الدراسات السابقة، وخطة العمل، المصادر والمراجع، والصعوبات التي واجهتنا خلال الدراسة.

بالنسبة للمدخل تطرقنا فيه إلى الموقع الجغرافي للبايلك، وأعطينا تعريفا للريف، ثم أتبعناها بظروف تأسيس البايلك وأهم البايات الذين تداولوا على حكمه، كما أوضحنا أهم موظفي السلطة، والنظم الإدارية السائدة في الريف.

أما الفصل الأول فجاء تحت عنوان " المجتمع والسلطة في ريف بايلك الشرق "، شرحنا فيه مكونات المجتمع الريفي، وتقسيم القبائل في البايلك وعلاقتها بالسلطة، إضافة إلى أهم الأسر الحاكمة في البايلك، كما تطرقنا إلى الصراع بين السلطة والقبائل الريفية.

أما الفصل الثاني، فعنون بـ " الواقع الاجتماعي في ريف بايلك الشرق "، ذكرنا فيه عادات وتقاليد مجتمع الريف القسنطيني سواء في ما يخص المناسبات الاجتماعية أو الدينية، وكذا طبيعة العمران في أرياف البايلك، والأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية التي عرفها الريف في هذه الفترة .

وبخصوص الفصل الثالث فكان تحت عنوان " الزراعة ومقوماتها في ريف بايلك الشرق"، تناولنا فيه المظاهر الطبيعية لبايلك الشرق وعلاقتها بالنشاط الزراعي، وكذا ملكية الأرض وطرق استغلالها، كما تناولنا الأدوات والوسائل المستعملة في الإنتاج الزراعي مع ذكر أهم المحاصيل الزراعية، ثم الصعوبات التي واجهها القطاع الفلاحي، وأخيرا الضرائب المفروضة على الملكيات في الريف.

أما الفصل الرابع فجاء بعنوان " الصناعة والتجارة في ريف البايك"، ذكرنا فيه الإنتاج الصناعي والحرفي في ريف البايك، وأتبعناه بالنشاط التجاري في الريف بما فيه العملة والأسواق، ودور ريف البايك في الحركة التجارية سواء في الداخل أو الخارج .

- منهج البحث:

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي، لأنه الأقرب إلى توضيح الأحداث التاريخية التي عرفها ريف البايك، لا سيما الثورات و التمردات، والأحداث المرتبطة بعلاقة السلطة بسكان الريف، كما انتهجنا المنهج الوصفي عند تطرقنا للموقع الجغرافي للبايك، موضحين أهم المظاهر الجغرافية والتضاريسية، وصولاً إلى أهم النشاطات الحرفية، كما استعنا به كذلك في وصف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في البايك، لا سيما عادات وتقاليد سكان الريف القسنطيني، أما المنهج التحليلي، فاعتمدناه في دراسة الأحداث التي عرفتها أرياف البايك محاولين توخي النزاهة والموضوعية، بعيداً عن كل التجاذبات، كما استعنا بالمنهج الإحصائي في تقديم بعض المعطيات الإحصائية، كالجداول التي وردت خاصة في الجوانب الاقتصادية لريف البايك.

- الدراسات السابقة:

اهتمت العديد من الدراسات ببايك الشرق، إلا أنها تناولت عموماً بايك الشرق بشكل عام أي الريف والمدينة، مع التركيز غالباً على المناطق الحضرية، واهتمامها بشكل كبير بالجوانب الاقتصادية في البايك، ومن أهم الدراسات التي تناولت البايك، نذكر دراسة جميلة معاشي والتي تناولت الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق الجزائري، إضافة إلى دراسة فلة موساوي- القشاعي- الموسومة بالنظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م، كما ساهم ناصر الدين سعيدوني بالعديد من المؤلفات في إثراء الكتابات المتعلقة بالبايك، نذكر من بينها الشرق الجزائري ببايك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، أما محمد العربي الزبيري فتناولت دراسته التجارة الخارجية للشرق الجزائري، وكذا دراسة لعربي اسمهان، الموسومة بالحياة الاقتصادية في بايك الشرق خلال العهد العثماني(1792-1713م)، أما بالنسبة

للدراستات المتخصصة في ريف بايلك الشرق لا سيما الجوانب الاجتماعية منها فهي قليلة - على حسب اطلاعنا - ، من أهمها دبلوم الدراسات المعمقة، الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني (1792-1837) ، لفلة موساوي- القشاعي-، وهي دراسة قيمة تعود لبداية الثمانينات والتي تناولت فيها الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، الأمر الذي شجعنا على دراسة هذا الموضوع، ومحاولتنا خوض غمار البحث في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لأرياف البايك، لا سيما الاجتماعية منها والتي لم تحظ بالاهتمام الكبير، والتي حاولنا من خلالها المساهمة في إثراء هذا الجانب .

- المصادر المعتمد عليها:

- الوثائق الأرشيفية:

اعتمدنا في دراستنا على العديد من الوثائق الأرشيفية التي تنوعت بين وثائق الأرشيف الوطني التونسي، والمتمثلة في الدفاتر الإدارية والجبائية والسلاسل التاريخية ، خاصة الدفاتر رقم 100.269، الصندوق رقم 223، و التي أفادتنا كثيرا بحكم التداخل بين القبائل الحدودية للبلدين، و التي سنعمل على الاستشهاد ببعضها في الملاحق، كذلك استعنا بوثائق المكتبة الوطنية، لا سيما المجموعة رقم 1641،3190،1642، إضافة الى وثائق أرشيف ولاية قسنطينة.

- المصادر والمراجع العربية:

- المصادر بالعربية:

• حمدان بن عثمان خوجة، المرأة (لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر)، ساعدنا الكتاب في معرفة أصول السكان وطبايعهم وعوائدهم، وكذا ملكية الأرض ونظام الجباية في الإيالة، مع توضيح طبيعة الحكم العثماني في الجزائر، والأسباب التي أدت إلى ضعفه، وصولا إلى الاحتلال الفرنسي.

• أبو العباس الهلالي السجلماسي، التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، يذكر لنا صاحبه أهم النشاطات التي مارستها المرأة في الريف، لا سيما التجارة، و المواد المتبادلة بين سكان الأرياف والقوافل الحجازية.

• محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، يزخر هذا الكتاب بعديد العناصر التي أفادتنا في بحثنا، خاصة النظم الإدارية والسياسية في بايلك الشرق عموما والريف بشكل خاص، إضافة إلى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

• أحمد بن المبارك ابن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، يمكننا هذا الكتاب من فهم طبيعة العلاقة بين السلطة والقبائل في الأرياف، كما يذكر العادات والتقاليد في البايك.

• الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1168-1246هـ، يتناول الكتاب العلاقات الحدودية مع تونس، و الثورات و التمردات التي عرفها ريف البايك.

• عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، يذكر العياشي في رحلته العديد من المعلومات المهمة الخاصة بأرياف البايك، لاسيما المناطق الصحراوية التي مر عليها، فهو يصفها مشيرا إلى عاداتها وتقاليدها، الأسواق والعملية المتداولة بها، وكل ما مثل تحديا لهذه الرحلات كالأوبئة وقطاع الطرق.

• الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، يشير الورثيلاني في رحلته إلى تنوع المحاصيل الزراعية في البايك، و السياسة العثمانية المطبقة في الأرياف، و الأوبئة التي صادفها في رحلته.

• أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية 1709-1710م، يحتوي الكتاب على معلومات مهمة لبعض المناطق الصحراوية، كبسكرة التي نكر أهم منتوجاتها الزراعية.

المصادر المعربة:

- حسن الوزان، وصف إفريقيا، تناول المصدر جغرافيا المنطقة، و الأنشطة التي مارسها أهالي الأرياف ، كما يوضح مناطق نفوذ العائلات العريقة في البايلك.
 - مرمول كاربخال، إفريقيا. يقدم المصدر وصفا لجغرافية المنطقة، وأهم المحاصيل الزراعية المعروفة في ريف البايلك، أما في الجانب الاقتصادي فيزودنا بمعلومات تخص الأسواق في أرياف البايلك.
 - ويليام شالر، مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، يتناول المصدر الإمكانيات الصناعية التي يزخر بها البايلك، إضافة إلى النظم المالية في البايلك، كما يزودنا بمعلومات عن أصول السكان في الريف.
 - أوجان فايسات، تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية 1517-1837، يتناول الكتاب ظروف وصول العثمانيين إلى بايلك الشرق، كما يؤرخ لأهم بايات قسنطينة وعلاقتهم بقبائل أرياف البايلك، وكذا الأنظمة الإدارية في الريف.
 - إ. كاريت، أبحاث حول الجغرافيا والتجارة في الجزائر الجنوبية.
- الكتاب هو أحد أجزاء سلسلة الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840، 1841، 1842، يحتوي على معلومات مهمة أفادتنا في دراستنا لأرياف بايلك الشرق، خاصة الجوانب الاقتصادية مثل الصناعات الحرفية، الأسلحة، دباغة الجلود، الصابون، البارود، الألبسة، الأسواق، العملة والمكاييل.
- من المصادر التي اعتمدنا عليها في دراستنا، ما ترجمه الأستاذ لخضر بوطبة لشارل فيرو، هذه الأعمال المهمة التي ساعدتنا كثيرا في بحثنا، فبحكم أن هذا الأخير عمل مترجما ببجاية سنة 1848م، كما شارك في العديد من الحملات العسكرية على قسنطينة، خاصة مع تحكمه في اللغة العربية واهتمامه بتاريخ المنطقة، فقد زودتنا أعماله بالكثير من المعلومات في ما يخص التركيبة السكانية لريف البايلك، العادات والتقاليد، الأوضاع الصحية، الصراع على السلطة والنفوذ في ريف البايلك. ومن أهم أعماله نذكر:

- شارل فيرو، تاريخ سطيف.
- شارل فيرو، تاريخ المسيلة وبوسعادة.
- شارل فيرو، تاريخ برج بوعريرج..
- أ.هانوتو و لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية ج1وج2، أفادتنا هذه الدراسة في الإطلاع على العادات والتقاليد التي ميزت منطقة القبائل، والأمراض المنتشرة في المنطقة وطرق علاجها، كما توضح الدراسة المشاكل الأسرية المنتشرة في الأرياف.

- المراجع:

- المراجع بالعربية:

- جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ(16م) إلى 13هـ (19م)، وهو من المراجع التي ساعدتنا كثيرا في الإلمام بموضوع دراستنا، خاصة في طريقة عرضه للأسر المتنفة في البايك، ووضعها الاقتصادي والاجتماعي، وصولا إلى السياسة العثمانية وتأثيراتها على هذه الأسر.

كما أن أعمال ناصر الدين سعيدوني، عالجت عموما مختلف الجوانب الاقتصادية كملكية الأرض في الأرياف، الإنتاج الزراعي والصناعي، و الضرائب بتفرعاتها، عائدات البايك، النظام النقدي، و النظم الإدارية في الأرياف، أما من الناحية الاجتماعية فتطرقت إلى البنية الاجتماعية في الأرياف والحالة الصحية، ومن أهم أعماله نذكر:

- ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري بايليك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي

- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني .

- ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني.
- ناصر الدين سعيدوني، الملكية والحماية في الجزائر أثناء العهد العثماني.
- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1830).

- ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية.
- فلة موساوي -القشاعي-، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، يعتبر من الكتب المتخصصة في الريف القسنطيني من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، فهو يتناول في الجانب الاقتصادي الزراعة والجهاز الضريبي وملكية الأرض، أما من الناحية الاجتماعية فيعطينا صورة واضحة عن البنية الاجتماعية للريف، إضافة إلى الكوارث والآفات التي عرفها الريف القسنطيني خلال الفترة العثمانية.

- المصادر و المراجع الأجنبية:

- المصادر بالفرنسية:

- Thomas shaw. **Voyage dans la régence d'Alger.**

قدم لنا الكاتب معلومات مهمة في الجانب الاقتصادي، خاصة المبادلات التجارية مع الشركات الفرنسية في الجزائر.

- Peyssonnel et desfontaines, **Voyage dans les régences de Tunis et d'alger.**

تعتبر من أهم الرحلات لأنها تعطي لنا تصورا عن طبيعة النشاط الزراعي في البايك، الوسائل المستعملة في الزراعة، أماكن التخزين، الآفات والأمراض وغيرها، كما أنها تتناول صراع السلطة مع القبائل خاصة المناطق الحدودية مع تونس، وطرق السلطة لإخضاع هذه القبائل.

- Carette et Warnier, **Description et division de L'Algérie.**

جاءت هذه الدراسة بناء على تقرير من عضوي اللجنة العلمية بالجزائر كاريت ووارنيه، والمأخوذ عن جدول المؤسسات الفرنسية في الجزائر (1844-1845) الصادر عن وزارة الحربية الفرنسية، تبين لنا هذه الدراسة طبيعة الحياة الاجتماعية للسكان في الأرياف ومناطق توزعهم.

- Feraud charl, **Le Sahara de Constantine, Notes et Souvenirs.**

قدم لنا الكتاب معلومات مهمة في ما يخص الصراع بين السلطة الحاكمة والأسر المتنفذة في البايك، و أرخ للصراع بين الطرفين خاصة الحملات العسكرية التي قادها البايك لإخضاع توقرت وورقلة، كما تناول الكتاب الجانب الاقتصادي في المنطقة سواء المعاملات الاقتصادية أو العملات المتداولة.

- Ernest Mercier, **Histoire de Constantine.**

أمدنا الكتاب بمعلومات مهمة حول باييك الشرق، خاصة نظام الحكم في فترة صالح باي، حيث تطرق الكاتب إلى الصراعات والتمردات التي قادها المرابطون وشيوخ القبائل ضد حكم صالح باي، وطريقة تعامله مع هذه الاضطرابات التي هددت جهوده لبسط الإستقرار.

- المقالات العربية والأجنبية:

- المقالات بالعربية:

- ناصر الدين سعيدوني، مذكرة حول إقليم قسنطينة(Notice sur la province de Constantine)، تحت رقم: **A.M.G. H. 227** ، يحتوي هذا المقال الذي هو عبارة عن مذكرة من أرشيف وزارة الحربية الفرنسية، على عرض لموظفي البايك، وحدود الإقليم وأقسامه والضرائب المتوجبة على القبائل، و أصول السكان وعرقياتهم.

- ناصر الدين سعيدوني، ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية، يعالج هذا المقال أحد أخطر الثورات التي عرفها باييك الشرق، المعروفة بثورة ابن الأحرش، حيث يعرف صاحب المقال بابين الأحرش، والأسباب والظروف الداخلية والخارجية التي شجعتة للقيام بهذه الثورة، معرجا في النهاية على أسباب فشلها وتداعياتها على استقرار البايك.

• يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، يتناول المقال بايلك الشرق، مبينا مظاهره التضاريسية و الجغرافية، و موضحا العادات والتقاليد المعروفة في البايك.

• كشرود حسان، بايلك الشرق دراسة طبيعية وزراعية من خلال الرحالين بايسونال ودي فونتين وتوماس شو، يحتوي المقال على دراسة لأهم المظاهر التضاريسية بالبايك، كما يشير إلى أن هذا التنوع ساهم في ازدهار النشاط الاقتصادي في البايك، لا سيما الجوانب الزراعية منها.

المقالات الأجنبية:

اعتمدنا بالنسبة للمقالات الأجنبية عموما، على المقالات المنشورة في المجلة الإفريقية، والتي نذكر منها:

• E. Vayssettes. **Histoire des dernières Beys de Constantine-**

يوضح المقال الملكية العقارية في أرياف البايك وأنواعها والنظم الجبائية وأعوان الجباية.

• Feraud Charl. **Epoque de L'établissement des turcs a Constantine.**

يبين هذا المقال العديد من الجزئيات التي تهم دراستنا، لا سيما الجدل القائم بين المؤرخين حول التاريخ الحقيقي لدخول العثمانيين إلى قسنطينة، وكذا تناوله لأحداث ثورة ابن السخري.

• Feraud charl. **Les Ben djallab de Touggourt. Notes Historiques sur La province de Constantine.**

يتناول المقال إحدى أهم الأسر الحاكمة في بايلك الشرق، والظروف التي رافقت تأسيس الإمارة.

الأطاريح والرسائل الجامعية:

• بن عتو بليراوات، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، تتضمن الأطروحة الكثير من المعلومات باعتبارها من الدراسات المتخصصة، حيث وضحت الجوانب الجغرافية والعمرانية في الأرياف بما فيها بايلك الشرق، كذلك المجتمع الريفي وعاداته، كما تطرقت إلى الوظائف المختلفة بالريف.

• أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006. تناولت الدراسة التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري، مع توضيح التفاعل السياسي والاقتصادي لسكان الأرياف، في تسلسل تاريخي واضح يعطي لنا تصورا عن طبيعة المجتمع الريفي.

• جيلالي بن فرج حسين، الأسواق و الاقتصاد الريفي في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830 م)، أطروحة دكتوراه ل.م.د في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2022، تعتبر من الرسائل المتخصصة في دراسة الريف، و التي تناولت أرياف الجزائر خلال العهد العثماني، كما أنها تطرقت إلى الأنشطة الاقتصادية في ريف البايك كالزراعة، والصناعة التجارة، إضافة إلى تفصيله في ما يخص الأسواق الريفية.

صعوبات الدراسة:

- صعوبة الحصول على المادة العلمية التي تخدم موضوع بحثنا، بسبب الإغلاق الذي عرفته البلاد بسبب انتشار الوباء والإجراءات الاحترازية التي رافقته.
- تركيز أغلب الدراسات التي استطعنا الإطلاع عليها فيما يخص بايك الشرق على الجوانب السياسية والاقتصادية، وعدم الاهتمام بشكل كبير بالجوانب الاجتماعية في البايك، فما بالك بريف البايك، ماعدا بعض الدراسات التي تلت الوجود العثماني في الجزائر والتي تتطلب الحذر في التعامل مع ما ورد فيها، مما صعب علينا مهمة البحث واضطررنا أحيانا كثيرة إلى البحث في ثنايا بعض المصادر والمراجع والاطلاع عليها كاملة، بغية الحصول على ما يثري دراستنا، الأمر الذي كلفنا الكثير من الوقت والجهد.
- يحتاج موضوع دراستنا الى التنقل إلى خارج الوطن للحصول على المادة الأرشيفية، التي تساعدنا للتعلمق في موضوعنا، لا سيما الرغبة في زيارة أرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا، إلا أن الكثير من المشاق حالت دون تحقيقنا لذلك.

مدخل

باييك الشرق الموقع والتنظيم الإداري.

أولاً: الموقع الجغرافي.

ثانياً: دخول العثمانيين وتأسيس باييك الشرق.

ثالثاً: التنظيم الإداري في باييك الشرق.

نحاول في هذا الفصل التطرق إلى الموقع الجغرافي للبايلك ومن خلاله الامتداد الجغرافي الكبير باعتباره من أكبر البايلاكات، إضافة إلى بدايات الدخول العثماني والإشارة إلى التضارب في تاريخ تأسيسه، ومن ثم التطرق إلى حالة الاستقرار التي عرفها في ظل الحكم العثماني، وتوسع حكمهم في الأرياف، وفق تنظيم إداري محكم و تراتبية ساهمت في تحقيق الاستقرار وتنفيذ السياسة الجبائية للسلطة على الرغم من قلة العنصر التركي في البايلك.

أولاً: الموقع الجغرافي:

يمتد بايلك الشرق من البحر شمالاً إلى ما وراء بسكرة وواد سوف، في حوض ريغ، ويغزر جنوباً، ومن الحدود التونسية شرقاً إلى ما وراء إقليم ونوغة وبرج حمزة (البويرة)، وسفوح جبال جرجرة غرباً، يضم جبال البيبان وحوض وادي الصومام، وجبال البابور، وقسنطينة، وعنابة وسوق أهراس، و السهول العليا القسنطينية وكتلة جبال الأوراس، النمامشة، تبسة، وجبال الحضنة وحوضها، وجبال الزاب والزيبان، ووحدات سوف في حوض واد ريغ ووحدات الصحراء الشمالية الشرقية وعلى رأسها : بسكرة، وتقرت وورقلة، بل وحتى واحات ميزاب بواد الشبكة¹. كما يذكر بايسونال في رسالته² إلى الأب بينون labbe Bignon أن نفوذه يمتد من بوابات مدينة الجزائر حتى مملكة تونس، يتشكل من مقاطعتين رومانيتين هما مملكة بوجي ونوميديا والتي سميت بمملكة قسنطينة تمتد مسافة مئة فرسخ من الشرق إلى الغرب (400 كلم) وتمتد من البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء جنوباً³، أما ناصر الدين سعيدوني فيشير إلى أن إقليم قسنطينة يحده شمالاً البحر وغرباً وادي السمار (وادي بني منصور) والذي يصب بالقرب من بجاية كما يشمل

¹ محمد الصالح ابن العنزي، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، مر وتغ: يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2009، ص17.

² رسالة بايسونال إلى الأب بينون يصف له رحلته إلى نوميديا الجديدة أو مقاطعة قسنطينة.

³ جون اندري بايسونال، رحلة إلى إيالة الجزائر، تر و تغ: لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2022، ص 15.

هذا الإقليم برج حمزة¹، و من الجنوب فتحده الصحراء بما فيها ورقلة، أما من جهة الشرق فتحده إيالة تونس²، تضيف عائشة غطاس أن بايلك الشرق يحده من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب الصحراء الكبرى غير المأهولة ومن الشرق الحدود التونسية، انطلاقا من واد سوف مرورا بتبسة وصولا إلى طبرقة على ساحل البحر المتوسط ومن الغرب جبال البيبان وقرى بني منصور(وادي الصومام) ومن الجنوب الغربي القرى الصغيرة لسيدي هجرس و سيدي عيسي التي تفصله عن بايلك التيطري³.

1- الريف لغة واصطلاحا:

1-1. لغة :

يعرف ابن منظور الريف على أنه "الخصب والسعة في المآكل، والجمع أرياف فقط، والريف ما قارب الماء من ارض العرب وغيرها، والجمع أرياف وريوف. قال أبو المنصور الريف حيث يكون الخضرة والمياه. وتريف القوم وأريفوا وتريفنا واريونا: صرنا إلى الريف وحضروا القرى ومعين الماء"⁴. و تأتي في المعجم الوسيط بمعنى " ارض فيها زرع وخصب. ويطلق على ما عدا المدن من القرى والكفور⁵، كما تعني المناطق التي تتميز بالنشاط الزراعي وتقابلها في المعنى المناطق الحضرية⁶. أما في القاموس المحيط فتأتي

¹ و ذلك لكون القائد المتصرف فيه يعين من طرف باي قسنطينة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، مذكرة حول إقليم قسنطينة(Notice sur la province de Constantine)، تحت رقم: A.M.G. H. 227، مجلة الأصالة، ع 71/70، جوان-جويلية 1979، ص10.

² ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2014، ص147-148.

³ زهرة زكية، الدولة الجزائرية الحديثة -مؤسساتها-، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، تحت إشراف: عائشة غطاس،[د.ط.]، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر ، 2007، ص207.

⁴ ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج9، دار صادر، [د.ط.]، بيروت، ص128-129

⁵ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004، ص386

⁶ أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، [د.ط.]، بيروت، ص88.

بمعنى " ارض فيها زرع وخصب، والسعة في المأكل والمشرب، وما قارب الماء من ارض العرب، أو حيث الخضر والمياه والزرع، ويقال: وأريفت الأرض أي أخصبت"¹.

1-2. اصطلاحا:

يتوزع الريف في الجزائر، بين الريف في المناطق التلية و السهبية والريف في المناطق شبه الصحراوية، فالأول هو الغالب يمارس فيه السكان الصناعات الحرفية، والزراعة وتربية الماشية، يقطنون بالقرب من الخيام بالمناطق السهلية، أما بالنسبة للريف بالمناطق شبه الصحراوية، فهم قليلو العدد، يعتمدون في معيشتهم على الرعي وتربية الماشية، يقطنون القرى الطينية والقصور وغيرها، كما يتنوع تصنيف سكان الأرياف بين الاستقرار الدائم، وبين الاستقرار و الترحال وفق متطلبات معيشتهم².

أما ابن خلدون فمن خلال وصفه لسكان البدو يعطي لنا انطباعا عن معيشة سكان الأرياف بشكل عام، فهو يميزهم عن سكان الحضر من طريقة معيشتهم، وتركيزهم في ذلك على الضروريات بالقول " فمنهم من يستعمل الفلح من الغرسة والزراعة، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها، وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة، ولا بد، إلى البدو لأنه متسع..."³.

الأمر الذي ذكره ابن خلدون في ممارسة سكان الأرياف للفلاحة والرعي، ينطبق في العموم على ما استطعنا الاطلاع عليه من أحوال أرياف البايك، فلجوء الأهالي إلى خارج المناطق الحضرية، بهدف استغلالها سواء للزرع أو الرعي، فالمساحات المفتوحة التي تتميز بها المناطق الريفية تساعد الأهالي في رعي مواشيهم، وإقامة الحظائر

¹ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، [د.ط.]، دمشق، 1998، ص 815.

² بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008، ص 210.

³ عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - تاريخ ابن خلدون -، بيت الأفكار الدولية، [د.ط.]، الأردن، ص 64.

لحمايتها، إضافة أن المناطق الريفية سواء السهول، أو المناطق التلية والجبلية، يعطي الأهالي، مناعة جغرافية تساعدهم في حماية مواشيهم و محاصيلهم، من الأخطار الخارجية، وتسهل لهم عملية الرصد، لاسيما من اللصوص وقطاع الطرق، والحملات المختلفة التي يقودها البايك لجمع الضرائب، والتي تمكنهم من الاحتماء بالمناطق الجبلية المنيعه، وزراعة سفوح الجبال في نوع من الزراعة المعاشية التي تمكنهم من الصمود في وجه التضيق والحصار الذي تفرضه السلطة لإرغامهم على دفع الضرائب.

كما يذكر ابن خلدون في موضع آخر، أن المناطق غير الصالحة للزراعة كالمناطق الصحراوية، يعانون صعوبة العيش، و يفتقدون للحبوب والحنطة والفاكهة، ويعتمدون في معيشتهم، على ما تنتجه أشجار النخيل من تمر، وعلى ماشيتهم مستغلين ألبانها وحيواناتها، وهذا ما يشير إليه بالقول " فان هؤلاء يفقدون الحبوب والأدم جملة، وإنما أغذيتهم وأقواتهم الألبان واللحوم، ومثل العرب الجائلين في القفار، فإنهم وان كانوا يأخذون الحبوب والأدم من التلول..."¹.

نحاول من خلال تقرير وضع المؤسسات الفرنسية في الجزائر(1844-1845) الذي نشرته وزارة الحربية الفرنسية، تحري طبيعة توزع السكان في المناطق الريفية والأسباب المتحكمة في ذلك، حيث جاء في التقرير أن المقصود بالقبائل المستقرة، تلك القبائل الريفية التي تعيش وتزرع وتتجول في نفس المناطق القريبة من أماكن استقرارها في الشمال، تمثلها في أرياف بايلك الشرق قبائل سهل القل وجيجل وبجاية، يمتنون زراعة الأشجار، يستقرون في القرى البسيطة، بينما يستقر البعض منهم في المناطق العليا والوديان، باعتبارها قبائل مستقرة لا يتعدى مجال حركتها السكن، الزراعة والرعي، الأمر نفسه بالنسبة لقبائل منطقة الأوراس، فهم يزرعون الأشجار ويسكنون القرى، بينما يسكن البعض منهم الخيم ويزرعون الحبوب².

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص48-49.

² Carette et Warnier, **Description et division de L'Algérie**, Librairie de L.Hachette. Paris, 1847, P 21.

أما بالنسبة لقبائل منطقة الواحات، فهم شبه مستقرون في الغالب يسكنون القرى والقصور الصحراوية، مع وجود بعض القبائل التي تتخذ من القرب من هذه الواحات أماكن لنصب خيمهم والاستقرار، ففي منطقة الزيبان تنصب قبيلة أولاد الناصر بالقرب من قرية بوشقرون ومدينة طولقة، مع الإشارة إلى أن بعض هذه القبائل لا تشارك في الهجرة الدورية لهذه القبائل للمناطق التلية، للبحث عن الحبوب والماء والمراعي، حيث تنتقل هذه القبائل بين مواطنها الشتوية والصيفية.

تنقسم القبائل المستقرة في المنطقة إلى ثلاثة:

- قبائل مستقرة بشكل كامل يعيش سكانها في تجمعات سكانية صغيرة، تتكون في عمومها من أكواخ وأبنية بسيطة.
- قبائل يعيش أغلب سكانها في الخيم، ما يميزهم التنقل المستمر، فهم في حركة موسمية، تضطربهم ظروف الحياة للبحث عن مصادر أفضل للعيش لهم ولحيواناتهم.
- أما الفئة الثالثة فهم السكان الذين يتخذون من الخيم سكناً لهم، إلا أن حركتهم وهجرتهم لأراضيهم تبقى مرتبطة فقط بمنطقة الواحات¹.

أما بالنسبة للقبائل غير المستقرة، فنقترض عليها الظروف التي تعيشها في مناطقها، كالمناخ والتربة وقلة المياه، شحا في المحاصيل الزراعية فأراضيها جرداء لا تصلح إلا للقليل من الأنشطة الزراعية، بالمقابل فهي تعتمد في عيشها على تربية الماشية، الأمر الذي يحتم عليها تتبع مواقع الكلاء، وبالتالي الانتقال مع قطعانهم إلى سهول ومرتفعات المناطق الشمالية².

ثانياً: دخول العثمانيين وتأسيس بايلك الشرق:

عمل العثمانيون عبر مراحل إلى تقسيم الجزائر إلى أربعة مقاطعات إدارية، لبسط نفوذهم وتسهيل التواصل بين مقر السلطة وأحاء البلاد، لتستكمل العملية في فترة حكم

¹ Carette et Warnier, Description et ...Op.cit, P22.

² Ibid, P 23.

حسن بن خير الدين، حيث قسمت البلاد إلى قيادات ومدن، ومن ثم إلى بايلكات، يشار إلى أن جيبل أول منطلق اتخذه عروج وخير الدين للتمكين لحكمهم في المنطقة¹.

ومن هذه البايكات بايلك قسنطينة، الذي تختلف الروايات في تاريخ تأسيسه، ودخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة، نحاول أن نورد بعضها، فالأستاذ شويتام يؤكد أن الوجود العثماني لم يكن موجودا في قسنطينة قبل منتصف القرن السادس عشر²، أما الأستاذ حنفي فذكر أن تاريخ تأسيسه يرجع إلى السنة الأخيرة لحكم حسن باشا سنة 1567م، حيث استطاع العثمانيون بمساعدة الزعماء المحليين، بسط نفوذهم على جميع المناطق الجبلية والصحراوية³.

أما ابن العنتري فيذكر أن العثمانيين دخلوا قسنطينة سنة 1640-1641م، مشيرا إلى أنه التاريخ الحقيقي لدخولهم المدينة، الأمر الذي يعتبره الأستاذ يحي بوعزيز إهمالا لفترة طويلة من حكم العثمانيين للبايلك⁴. كما يفنده أيضا ما ذكره فيرو عن شهادة سي بركات الشريف مؤرخ عروج وخير الدين بأن النقش الموجود على باب الجامع الكبير، والذي كتب عليه، بأنه رمم من طرف جعفر باي سنة 1586م⁵، كما يشير إلى أحد العرائض التي طلب من سي بركات الشريف⁶ ترجمتها والمؤرخة سنة 1557م، وهي تعود للقاضي الحنفي لقسنطينة سي محمد بن حمزة، والتي تحمل ختم رمضان باي. وهو الأمر الذي يؤكد في رأيه وصول العثمانيين إلى المدينة مابين سنتي 1525-1526م، وأن مدينة قسنطينة دخلت تحت الحكم التركي مباشرة بعد السيطرة خير الدين باشا على الجزائر مقر السلطة،

¹ أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006، ص 33.

² المرجع نفسه، ص 39-40.

³ حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2008، ص146.

⁴ محمد الصالح ابن العنتري، المصدر السابق، ص 06.

⁵ Feraud Charl, *Epoque de L'établissement des turcs a Constantine*, in *R.V.N10*, 1866, P190.

⁶ عمل في الترجمة للعربية بمدينة قسنطينة لخمسة عشر سنة.

إلا أن إدارة المدينة بقيت في يد أعيانها أمثال شيخ العرب من أولاد صولة، وعائلي ابن الفكون وعبد المؤمن¹.

أما فايسات فيذكر أن الكتابات الأوربية، التي حاول التطرق إليها، لم تكشف الغموض في ما يخص تاريخ انضمام المدينة للحكم العثماني، إلا أنه استغرب أن تبقى مدينة بهذه الأهمية خارج مجال الأحداث خاصة مع وصول العثمانيين وتحريرهم جيلا من حكم الجنوبيين سنة 1514م، ليعطي تصورا في الأخير بعد سرده للعديد من الفرضيات على أن سنة 1517م هي تاريخ حكم العثمانيين للمدينة²، مشيرا إلى أن الإخوة بربروس لم يكونوا هم ممثلي السلطة العثمانية، مشيرا الى أن تاريخ 1535م هو التاريخ الفعلي لانضمام المنطقة الى السلطة المركزية بالعاصمة، وانفصالهم عن حكم سلاطين تونس الذي استمر ثلاثمائة سنة³.

إن عدم استقرار العثمانيين بسهولة في الشرق الجزائري، مع احتدام الصراع مع الأهالي، و خضوع الجهة الشرقية لحكم الدولة الحفصية، جعل من الصعب تحديد تاريخ معين لحكم العثمانيين للبايلك، إلى غاية تعيين شيخ العرب سنة 936هـ/1592م هذا اللقب الذي تولاه بوعكاز بن السخري خلفا للقب الأمير السائد خلال العهد الحفصي⁴.

إلا أن الثابت أن لعائلة ابن الفكون دور كبير في إقناع سكان المدينة، يذكر ابن العنتري أن قسنطينة تابعة لولاية تونس، وأن سكانها قاوموا الدخول التركي، وبعد القتال والحصار الطويل، ودخول السكان في حالة خلاف بين من يريد التسليم وبين من يريد مواصلة القتال، ليتدخل الشيخ ابن الفكون ويقنعهم بالقول "هؤلاء الترك قدموا من حضرة السلطان العثماني، وهم من أبناء جنسه وتحت حكمه...وربما تلحقنا الضرورة من السلطان المذكور من اجل مقاتلتنا لهم ومنعنا من دخولهم"، لتفتح أبواب المدينة للترك،

¹ Feraud Charl, Op.cit, P190-191.

² أوجان فايسات، تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية 1517-1837، تر: أحمد سيساوي، دار كنوز يوغرطا للنشر والتوزيع، ط1، قسنطينة، الجزائر، 2019، ص 43-50.

³ المصدر نفسه، ص 56.

⁴ عبد الرزاق قشوان، السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (936-1253هـ/1592-1837م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2010، ص 43.

وتأكيدهم حكم المدينة بالعدل ووفق الشرع، وترك لهم أمر اختيار حاكم منهم¹، و يذكر عبد الرحمان الجيلالي أن هذا الاتفاق عقد في 1642/1052هـ، ليتولى فرحات بن مراد منصب باي قسنطينة في 1647/1057م².

1- مراحل الحكم العثماني للبايلك ومميزاتها:

مر بايلك الشرق منذ تأسيسه بثلاث فترات تاريخية لكل منها خصوصيتها:

1522-1567م: ميزها الصراع مع الحفصيين(عائلة عبد المؤمن)، مع محاولة إيجاد دعم من الأسر المتنفذة كعائلة ابن الفكون.

1567-1771م: التأسيس للنظم الإدارية والعسكرية في البايك، وترسيخ الاستقرار في البايك، بالقضاء على التمردات والثورات.

1771-1837م : من تولي صالح باي الحكم إلى الاحتلال الفرنسي، عرف البايك خلال هذه الفترة ازدهارا في الجانب الاقتصادي والاجتماعي، لتنتهي هذه الفترة مع الاحتلال الفرنسي³.

2- بايات بايلك الشرق:

تعاقب على حكم بايلك الشرق أكثر من أربعين بايا حسب فيرو ، ذاكرا أن أول بايات قسنطينة هو رمضان باي سنة 1528م، ليأتي بعده جعفر باي سنة 975هـ/1567م، والذي دخل في صدام مع الأهالي، استطاع من خلال دعم الشيخ محمد عبد الكريم ابن الشيخ بن زكرياء يحي الفكون، أن يخرج منتصرا ويخضع المدينة، كما عرف البايك بعد ثورة ابن السخري ثورة عارمة⁴، الأمر الذي جعلهم يطلبون تدخل باشا الجزائر، الذي

¹ محمد الصالح ابن العنتري، المصدر السابق، ص ص 43-45.

² عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ج3، ط7، الجزائر، 1994، ص564.

³ فلة موساوي -القشاعي-، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، القافلة للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2016، ص33.

⁴ تم التطرق إلى ثورة ابن السخري في الفصل الأول، والتي من أسبابها سياسة مراد باي الذي خلفه فيما بعد فرحات باي.

أوعز إليهم باختيار واحد منهم، ليتسلم فرحات باي الحكم سنة 1057هـ / 1648م، والذي ينتمي إلى إحدى الأسر العريقة في البايك¹، يشار إلى أن أسماء البايات وتاريخ توليتهم نسبها فيرو إلى ابن العنتري، إلا أنه بالرجوع إلى ابن العنتري نجد أنه حدد فترة حكم رمضان تشولاق باي مابين 1547م إلى 1567م، أما فترة حكم جعفر باي في الفترة مابين 1574م إلى 1588م، بينما حدد فترة حكم فرحات باي ما بين 1588-1608م²، في اختلاف واضح على ما ذكره فيرو.

يبقى الاختلاف و الغموض قائما فيما يخص الجانب السياسي للبايلك سواء تاريخ دخول العثمانيين أو أسماء وفترات من تولى حكم البايك، فحتى الأسماء والتواريخ التي ذكرت تبقى غير مضبوطة تتخللها العديد من الفجوات الزمنية عند التأريخ للتسلسل الزمني لحكام البايك خاصة الفترات الأولى للحكم العثماني للبايلك.

يعتبر أحمد باي آخر بايات قسنطينة، حيث استمر في الحكم حتى بعد احتلال الجزائر، منح لقب الباشا من السلطان العثماني، قاد المقاومة ضد الاستعمار، انشأ دارا للسكة كما ضرب العملة النحاسية والفضية باسمه، وبقي يقاوم الاحتلال إلى سقوط قسنطينة في 13 رجب 1253هـ/ 13 أكتوبر 1837م، لينتقل إلى جبال الأوراس بداية بجبل حمر خدو وجبل أولاد سلطان، حيث حاصره الاحتلال سنة 1264هـ/ 1848م، ليهزم ويلقى عليه القبض، ويتم نقله إلى عاصمة الجزائر³، ليستقبله الحاكم العام للجزائر ماري مونج استقبال الأمراء، ويمنح راتبا سنويا قدر بـ 12 ألف فرنك، ومنزلا يليق به، ليتوفى في 30 اوت 1850م، دون تحقيق رغبته في الحج، تاركا عائلة مكونة من ثلاث نساء شرعيات وبننتين، ويدفن بمقبرة سيدي عبد الرحمان بباب الواد⁴.

¹ Feraud Charl, Op.cit, P191-192.

² محمد الصالح ابن العنتري، المصدر السابق، ص ص 30-32.

³ المرجع نفسه، ص ص 565-566.

⁴ بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم (1826-1848)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1991، ص ص 309-311.

تميزت الأوضاع السياسية في بايلك الشرق بعدم الاستقرار في أحيان كثيرة، ظهر ذلك جليا في النهايات المأساوية لبعض البايات إما بالقتل أو النفي، والتي ترجع في عمومها إلى الدسائس والمؤامرات والصراع على السلطة، الأمر الذي نلاحظه في قصر فترة الكثير من البايات، والتي وصلت في حالات إلى حكمهم لأيام فقط، نذكر منهم:

إبراهيم باي قتل بعد أن حكم ثلاثة أشهر.

حسين باي قتل بعد أن حكم أربع سنوات.

أوزن حاجي باي قتل بعد أن حكم ست سنوات.

عصمان باي ، قتل في إحدى حملاته على قبائل جيجل، بعد حكمه لسنة واحدة.

عبد الله باي، قتل بعد أن حكم ثلاث سنوات.

علي باي، حكم ثلاث سنوات.

مصطفى باي، حكم 15 يوما.

قارة مصطفى حكم شهرا واحدا.

أحمد باي مملوك حكم سنة و29 يوم.

الحاج أحمد باي حكم اثني عشر سنة و47 يوما¹.

3- التعريف بأهم بايات بايلك الشرق(الباي أحمد القلي وصالح باي -نموذجاً-):

عرف الحكم التركي في بايلك الشرق تعاقب الكثير من البايات، شهدت فترات حكمهم تقلبا بين الاستقرار حيناً وبين التمردات والثورات أحيانا أخرى، فهناك من استطاع أن يستميل شيوخ وأعيان القبائل ليكسبهم إلى صفه ويضمن بالتالي ولاءهم ويحافظ من خلال هذه السياسة على الاستقرار، بالمقابل لجأ بعض البايات إلى العنف واستعمال القوة العسكرية لبيسط نفوذ البايك، الأمر الذي أوجع في نفوس القبائل وشيوخها روح التمرد،

¹ ناصر الدين سعيدوني، مذكرة حول إقليم...، المرجع السابق، ص ص09-10.

واستغلال كل فرصة للثورة على السلطة، زادها تدمير الأهالي من الضرائب التي أثقلت كاهلهم، لاسيما في المراحل الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر. لمحاولة فهم طبيعة السياسة التي انتهجها البايات لحكم البايلك نتناول سيرتي الباي أحمد القلي وصالح باي.

3-1. الباي أحمد القلي:

حكم قسنطينة ستة عشر سنة بداية من سنة 1755م¹، هو جد الحاج أحمد آخر حكام قسنطينة، كان له دور كبير في الاستيلاء على مدينة الكاف بعد أن خلف زرق عينو، فبسبب تعزيراته التي كان لها الفضل في سقوط المدينة على أهميتها، يعرف بالقلي لأنه تولى منصب الآغا مدة طويلة بالقل، وكان وفيًا لهذه المدينة وأهلها، فبعد توليه الحكم، أمر ببناء مسجد بمدخل المدينة من جهة البحر، عرفانا لهذه المنطقة وردا للجميل².

اعتمد في طريقة حكمه للبايلك على سياسة المصاهرة مع العائلات الكبرى في البايلك، حيث استطاع خلال فترة حكمه تكوين شبكة من الروابط الدموية سواء مع العثمانيين أو العناصر المحلية، بداية بزواجه من ابنة الشيخ سليمان بن قانة قبل تولي منصب الباي، ليتزوج مرة أخرى بسبب عقم زوجته الأولى من الداخنة ابنة الحاج بوزيد المقراني، ليضمن بذلك ولاء أسرتين من كبار أسر البايلك، الأمر الذي انعكس إيجابا على استقرار البايلك³، كما قام بتزويج أخت زوجته مباركة بنت سليمان بن قانة من فرحات ابن أخ شيخ العرب علي بوعكاز، إضافة إلى تزويج ابنه محمد الشريف من رقية إحدى بنات شيخ العرب الحاج بن قانة وهي أم الحاج أحمد باي، كما شجع العديد من العثمانيين، أمثال إبراهيم بوصبع قائد الزمالة، محسن بن حنك وخر ناجي الجزائر، للزواج من بنات الشيخ بن قانة⁴.

¹ محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 1981، ص 06.

² أوجان فايسات، المصدر السابق، ص 143.

³ جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2019، ص 210.

⁴ المرجع نفسه، ص ص 211-212.

كما حدثت في عهده موقعة فليس، وخروجه بمحلته من قسنطينة قاصدا أهالي جبل فليسة وبني عباس لقتالهم، بعد قطعهم لطريق الجزائر وقتلهم لكل العثمانيين المارين من المنطقة، ليتقي بمحلة الجزائر بفليسة، ويهاجم من طرف أهالي زاوة، وينشب قتال شديد بين الطرفين، انتهى بهزيمة أحمد باي ومقتل الكثير من العثمانيين، أما عن وفاته فكانت سنة 1185هـ/1771م¹.

3-2. صالح باي:

ولد صالح باي بأزمير غرب الأناضول سنة 1137هـ/1725م، لأسرة متوسطة الحال اضطر إلى الانتقال إلى أوجاق الجزائر وهو في عمر السادس عشر، بعد أن كان سببا في مقتل أحد رفاقه وخوفا من الانتقام².

عمل في البداية في قيادة الحراكته(العواسي) لثلاث سنوات، استطاع خلالها أن يكتسب خبرة إدارية وعسكرية، ليشغل بعدها مهمة منصب الخليفة لستة سنوات(1765-1771م)، استطاع أن ينال ثقة الباشا محمد بعد أن تولى مهمة إيصال الدنوش إلى الداى، ليعينه بايا بعد موت صهره أحمد القلي سنة 1185هـ/1771م³.

تميزت فترة حكمه خلال 22 سنة قضاها في السلطة، بحسن التسيير وتوطيد أركان الدولة، كما جمع الأموال الكثيرة وأنفقها في الصالح العام، أما خارجيا فقد استطاع إخضاع حكام تونس لسلطته⁴، كما أن فترة حكمه لم تكن دائما مستقرة، على الرغم من جهوده لبسط الاستقرار في البايك، فقد تعرض للكثير من الثورات كما دخل في صراع مع المرابطين أمثال معارضة سيدي محمد الغراب لحكم صالح باي اعتمادا على نفوذه لدى الأهالي، ليحذره الباي عدة مرات و يأمر بإعدامه في ما بعد، إضافة إلى ثورة سي أحمد

¹ أحمد بن المبارك ابن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح وتعت وتق: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، [د.ط.]، قسنطينة، 2011، ص137-138.

² ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2014. ص ص 229-230.

³ المرجع نفسه، ص ص 230-231.

⁴ أحمد بن المبارك ابن العطار، المصدر السابق، ص138.

الزواوي، هذا الشيخ الذي اكتسب شهرة كبيرة، وأقام علاقات ودية مع أولاد عاشور بفرجيو، وبسط نفوذه على كامل المنطقة الواقعة غرب قسنطينة، ليأمر صالح باي بالقضاء على هذا التمرد، وتهاجم قواته زاوية المرابط إلا أنها لم تعثر عليه، لتقوم هذه القوات بنهب وحرق الزاوية¹. كما حارب أولاد نايل 1774م، وهاجم الداوودة في ناحية بسكرة، ثم عفا عنهم وعين أحد أعيانهم قائدا للجهة، كما دخل في صراع مع مشيخة فرجيو سنة 1781م، إضافة إلى قبيلة الحنانشة بعد مهاجمة القوات التونسية المساندة لها، وطالب حمودة باشا بدفع تعويضات عن الأضرار التي سببها جيشه في المنطقة الحدودية، كما هاجم أولاد عمور بعد تمردهم سنة 1785م، حيث شملت حملته مناطق زينة آفلو تاجموت و الأغواط وقتل من قبيلة النميلة مئة رجل². كما قاد حملات أخرى إلى المنطقة الجنوبية الشرقية، حيث فرض حصار على تقرت وقام بقصفها وقطع أشجار النخيل، مرغما الأمير عمر ابن جلاب على الإذعان لشروطه³.

وإن اعتمد في توطيد أركان حكمه على القوة العسكرية والإدارية، إلا أنه بالمقابل عمل على التقرب من شيوخ القبائل عن طريق المصاهرة، على غرار زواجه من ابنة أحمد القلي من زوجته الداخة ابنة المقراني، ليتزوج مرة أخرى من ابنة أحمد الزواوي ابن جلول، وهي من أعرق الأسر في البايك، كما هاجم الحنانشة وألقى القبض على شيخها إبراهيم بن بوعزيز وسجنه حتى وفاته سنة 1773/1186م، بسبب رفضه تزويجه إحدى بناته⁴.

أما من الناحية الاقتصادية، فكان له دور كبير في إرساء التنظيمات الاقتصادية والإدارية، التي ساهمت في ازدهار البايك، وجعلت الثاني تجاريا وصناعيا في الإيالة، كما أدخل منتجات جديدة، وطور في أنظمة الري بالحامة بقسنطينة، وقام باستصلاح

¹ Ernest Mercier, *Histoire de Constantine*, Imprimeurs-Editeurs 51, Constantine, 1908, P282-283.

² صالح عباد، *الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830*، دار هومة، [د.ط.]، الجزائر، 2012، ص 177.

³ المرجع نفسه، ص 178.

⁴ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 213.

سهول عين مليلة، إضافة إلى قيامه بإصلاح النظام الضريبي الذي أنهك الفلاح بالضرائب الجائرة، كما دعم الصناعة الحرفية وشجع المبادلات التجارية داخليا وخارجيا¹.

قتل صالح بأمر من داي الجزائر خنقا، بعد أن قضى اثنين وعشرين سنة في الحكم، خلف خلالها الكثير من الانجازات، نذكر منها أيضا، تشييده لمسجد أخذ اسمه، وأوقف عليه أحباسا لإقامة الشعائر الإسلامية وصيانة المسجد، إضافة إلى مشروعه الضخم لإيصال الماء لمدينة قسنطينة انطلاقا من عين العرب، وعمله على إعادة بناء جسر القنطرة لنقل الماء عبرها للمدينة، والذي اعتبره داي الجزائر محاولة للانفصال عن السلطة المركزية²، ليقوم الباشا بعزله بتحريض من خصومه الذين عملوا على نشر الإشاعات والدسائس بينه وبين باشا الجزائر، ليعين الأخير إبراهيم بك بو صبع قائد سيباو بايا لقسنطينة، إلا أن الباي لم يمكث طويلا في منصبه فقد تعرض لمؤامرة بعد ثلاثة أيام من حكمه انتهت بمقتله، ليرسل الباشا صهره علي وكيل الخرج، رفقة باي التيطري حسن بوحناك المعروف بالوزناجي إلى البايك، ويتم القبض على صالح باي وتنفيذ حكم الإعدام به في 16 محرم سنة 1207هـ/1792م، ويدفن بالمدرسة الكتانية³.

ثالثا: التنظيم الإداري في بايلك الشرق:

1- الوظائف السامية في الإدارة الإقليمية:

1-1.الباي:

يعين باشا الجزائر الباي على رأس الأقاليم التي تتكون منها الإيالة في إطار التنظيم الإداري للدولة على غرار إرسال باي إلي قسنطينة ومعسكر وهما الخاضعتان فيما سبق إلى حكم تونس واسبانيا على التوالي، كما أن رتبهم أعلى من رتبة الأغوات، الباي مطالب بتقديم حصيلة تسييره للبايلك كل ثلاث سنوات بعد طرحه النفقات المستحقة

¹ ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 239.

² ناصر الدين سعيدوني، مذكرة حول...، المرجع السابق، ص 08.

³ عبد الرحمان محمد الجيلالي، ج3، المرجع السابق، ص 279.

لتنظيم أمور حكمه بالبايلك المكلف بإدارته في إطار حدود إقليمه¹، وهذا ما يذكره شالر في قوله " والبايات مسؤولون عن تقديم تقارير مرة في كل ثلاث سنوات بالحساب القمري إلى الحكومة المركزية، ويسير إلى الجزائر في احتفال وبذخ عظيم. وعلى هذه المناسبة يتوقف استمرار عملهم وسلطانهم، بل وحياتهم أيضا"²، يختار من المقربين للحاكم و العشائر النافذة في البايكيات، أو الذين تولو منصب القايد على غرار قائد العواسي (الحراكثة) في بايلك الشرق³.

- المناطق الخاضعة لسلطة الباي:

كما قسم بايلك الشرق إلى أربعة أقسام تخضع كلها لسلطة الباي وهي :

القسم الشرقي : ويشمل مواطن الحنانشة، ووادي الزناتي، وعامر الشراقة، من أهم قاداته أحرار الحنانشة.

- **القسم الشمالي:** يمتد من عنابه إلى بجاية، من أهم قاداته أولاد بن عاشور في فرجيو، وأولاد بن عز الدين في الزواغة.

- **القسم الغربي :** يشمل المساحة الواقعة بين سطيف إلى غاية جبال البيبان وقرى بني منصور وونوغة، من أبرز قاداته أولاد مقران بني عباس و مجانة.

- **القسم الجنوبي:** أهم قاداته دواودة، وأولاد بن قانة⁴.

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة (لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر)، عربيه و قدم له وعلق عليه وفهرسه محمد بن عبد الكريم، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2017، ص ص 107-108.

² ويليام شالر، مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تع و تع وتق:، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 1982، ص 46.

³ ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، المرجع السابق، ص 177.

⁴ محمد الصالح ابن العنثري، المصدر السابق، ص 18.

1-2: الخليفة:

يتمد نفوذه إلى كافة أنحاء البايك، يشرف على الأوطان ويخضع القياد لسلطته، بما يضمن ولاء السكان ودفعهم للضرائب، يذهب في الخريف والصيف إلى مدينة الجزائر لتسليم الدنوش في حال تعذر على الباي ذلك¹، فهو ممثل الباي ومحل ثقته يكلفه بالمهام الكبرى على غرار ابن عيسى الفرقاني الخليفة الوحيد في عهد أحمد باي الذي واجه تمرد إبراهيم باي، فهو الخليفة في السلم والقائد العسكري في الحرب²، يشغل المنصب في الغالب أقارب الباي، شهدت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني ازدياد نفوذه على حساب هذا الأخير، خاصة مع تولي أحمد باي منصب الخليفة في فترة حكم إبراهيم باي الغربي³، كما يشترط الأهالي في بايلك الشرق التعيين في هذا المنصب من يعرف المنطقة وخصوصيتها، و مصاهرتة لأحد شيوخ العرب⁴.

1-3: قائد الدار (شيخ البلد):

يكلف بإدارة وشرطة المدينة، كما يتولى تجهيز الحملات العسكرية وتوفير الحاجيات الشهرية للجنود، تتنوع مهامه بين الاقتصادية كإدارته لغالبية أملاك البايك في الريف، والعقارات المصادرة، وتخزين الحبوب المستحقة من العشور، وجمع التبن والزيت والشحوم والحطب، إضافة إلى مهام دينية وقضائية كتوفير متطلبات أئمة المساجد والموظفين، وممارسته مهام القضاء خلفا للباي فيحكم في الجرح البسيطة بالضرب والمغارم، وتوكل للباي النظر في الجرائم التي تستوجب عقوبة الإعدام⁵.

¹ أوجان فايسات، المصدر السابق، ص 22.

² عبد الحميد زوزو، النظام الجبائي والإداري في بايلك الشرق خلال حكم أحمد باي، موفم للنشر، [د.ط]، الجزائر، 2017، ص 21.

³ زهرة زكية، المرجع السابق، ص 208.

⁴ ربيعة بهلول، النظام الإداري العثماني في الجزائر ومراحل تطوره 1519-1830م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2016، ص 155.

⁵ أوجان فايسات، المصدر السابق، ص 22.

1-4:النقاد (أمين الخزانة):

يشرف على كل النفقات والمصالح المالية في البايك، يتولى فرض وجمع الضرائب و الدنوش¹، يساعده في ذلك مجموعة من الموظفين نذكر منهم الباش كاتب مع كاتبين آخرين، فبالنسبة للباش كاتب فهو مكلف بالإشراف على سجلات المحاسبات للبايك بينما مهمة الكاتبين مهمتهم القيام بتحرير وصولات لكل مداخيل خزينة البايك².

1-5:آغا الدايرة أو قايد الدواير:

أحد قادة فرسان المخزن، يتولى قيادة هذه الفرق غير النظامية في كل ما يخصها، إضافة إلى تأديب القبائل الصغيرة المتمردة، كما يدير تسع وثلاثون قبيلة³، يعرف في بايلك الشرق بقائد مهر باشا، يتميز فرسانه بأعلام وشارات خاصة، يمارس نشاطه في أرياف بايلك الشرق بمساعدة القبائل الخاضعة له⁴.

1-6:الباش كاتب(الكاتب العام):

يعمل على كتابة الرسائل الرسمية للباي وتحرير رسائل تعيين الموظفين ومحاضر القضايا المعروضة على الباي ومختلف المراسلات مع الشيوخ والقياد، وكذا مراقبة وختم الرسائل المحررة من الكتاب الآخرين بختم الأمير، وأيضا مسكه لسجلات المداخيل بأنواعها، النقد، الخيول، البغال، الأبقار، الأغنام..، ومراقبة حركتها، يساعده في هذه المهام ثلاث كتاب⁵.

1-7:باش سراج: يعرف بكبير السياس، من مهامه الإشراف على الإسطبلات، كما أنه المكلف بتحضير حصان الباي إذا قرر الباي امتطاءه⁶.

¹ أوجان فايسات، المصدر السابق، ص23.

² ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري ...، المرجع السابق، ص 142-143.

³ أوجان فايسات، المصدر السابق، ص23.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 179.

⁵ أوجان فايسات، تاريخ قسنطينة ..، المصدر السابق، ص 23.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري ...، المرجع السابق، ص143.

1-8-8:باش الكاحلية: وهو المتصرف بفرقة مكاحلية الباي الخاصة، المزودة بالبنادق.

إضافة إلى هؤلاء الموظفين نجد أيضا بعض الوظائف التي تدخل في تركيبه التنظيم الإداري لبايك الشرق، كقايد العواسي(قايد الحراكتة)، وقايد الزمالة (قايد الزمول)، والباش حمية المأخوذة من النظام الإداري التونسي، أول من استحدثها الباي الحاج أحمد لصاحبه المقرب بن عيسى¹.

2-:الموظفون المساعدون:

زيادة على الموظفين السامين السابق ذكرهم ،هناك موظفون أقل درجة لا ينتمون إلى المجلس ولا يتصل بهم الباي مباشرة إلا للضرورة نذكر منهم:
1-2: آغا الصبايحية: يقود الصبايحية، يساعده في ذلك عدة شواش يقعون تحت سلطته المباشرة.

2-2: شواش محلة الشتاء: يزود القوات المكونة لمحلة الشتاء بالمؤن التي يستلمها من قايد الدار والمتكونة في عمومها من الخيم ، والحطب وغيرها.
2-3: الباش علام: قائد حملة ألوية الفرسان والمقدر عددهم بسبعة، يمشون مباشرة بعد الباي بعد خروجه إلى المحلة.

2-4: الباش طبال قايد الطبول: يرافقون الألوية ويمشون خلفهم.
الباش مكاحلي: المكلف بقياد حرس الباي وحمل أسلحته خلال المناسبات العامة، تخضع لسلطته سبع قبائل.

2-5:الباش خزناجي : يعمل على تأمين القوافل التي تنقل أموال الضرائب، وتهيئة البهائم نقل أمتعة الباي عند خروجه.

2-6:الباش مانقا: يكمن دوره في تحضير البهائم لنقل المدافع عند قرار الباي بالقيام بغزوة مفاجئة.

¹ أوجان فايسات، المصدر السابق، ص 24.

2-7-:قائد مهور الباشا(خوجة الخيل): يرافق الخليفة إلى مدينة الجزائر عند ذهابه لدفع دنوش الربيع، وكذا نقل أمتعة الحامية¹ المتوجهة من الجزائر إلى قسنطينة.

2-8:الباش سراج: المسؤول عن إسطبلات الباي، يمسك الركاب عند امتطاء الباي، كما تخضع لسلطته خمس قبائل².

ثالثا: التنظيم الإداري في الريف :

يشكل السكان خارج المدن أعراش وقبائل على رأس كل منها قائد أو شيخ كبير يعينه الباي، كما تقسم القبيلة في بايلك الشرق إلى فرق على رأس كل فرقة شيخ، وتتقسم الفرقة إلى دواوير، يتزعمها العضو الأكبر سنا والأكثر مالا، يأتى القائد بأوامر الباي، يمارس دور الشرطة فيخضع للصوص ويفصل في الخلافات، ويعمل على تأمين الطرقات وتوزيع الأراضي إن كانت عرشا، كما يجمع الضرائب ويتراأس فرسان القبيلة إذا طلبت السلطة ذلك³، كما قسم الباي إلى عدة أجزاء تعرف بالأوطان كل وطن يضم مجموعة من القبائل و الأعراش و الدواوير يعين على رأسها أو على عدد من الأوطان مجتمعة قائد و أن عدد الأوطان في بايلك الشرق بلغ أربعين وطنا⁴.

1-:الموظفون في الأرياف:

1-1. القيادة:

يتم تعيينه من الداى بتزكية من الباي، يرجع أصلة إلى العثمانيين أو الكراغلة أو الأعلاج، مع إمكانية أن يرجع إلى أصول عربية أحيانا، يقوم بالعديد من المهام بمساعدة الكاتب والباش مكاحلي وفرقة الزمالة، نذكر منها النظر في شؤون القبائل، التي تخضع لحكمه بواسطة شيوخ القبائل، يسهر على ضمان الأمن في الطرقات والأسواق، وتوزيع

¹ يرسل الباشا حامية من الجنود مرة كل سنة، إلى كل الأقاليم الثلاثة، تمكث في بايلك التيطري شهران لفقر الإقليم، بينما تبقى في بايلك الغرب لمدة أربعة أشهر، بينما تمكث في بايلك الشرق ستة أشهر لغناه بالموارد المختلفة. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص108-109.

² أوجان فايسات، المصدر السابق، ص ص 24-25.

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص 297

⁴ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص 39-40.

الأراضي والبذور، وقيادة فرسان القبائل إذا اقتضت الحاجة¹، ومن أهم القادة في بايلك الشرق نذكر:

- **قائد الحراكتة (قائد العواسي):** لأهميته يقطن قسنطينة، تحت سلطته 32 قبيلة صغيرة أغلبها من الشاوية.
قائد الحنانشة.

قائد الزمول: يدير الزمول حوالي 20 قبيلة.
قائد الأوراس: تخضع لسلطته 12 قبيلة.
قائد عامر الشراقة: يدير 6 قبائل.
هذا فيما يخص القبائل الموجودة في الجهة الجنوبية بينما تضم منطقة الساحل والجنوب الغربي القادة الآتي ذكرهم:
قائد أولاد براهيم: 11 قبيلة.
قائد سكيكدة: 9 قبائل.
قائد زردازة: يدير عدة قبائل بربرية.
قائد عبد النور: تخضع لسلطته 31 قبيلة.
قائد التلاغمة.
قائد عامر الغرابية: يدير 5 قبائل.
قائد أولاد دراج في الحضنة.

إضافة إلى أربع قياد يحكمون مدن تبسة وميلة وزمورة والمسيلة².

1-2. الحكام:

تربطهم علاقة بشؤون تسيير الأرياف بسبب عملهم في المدن والمناطق المحيطة بها، أما مهامهم فتشبه مهام القيادة، وأيضا إلى إشرافهم على النشاط التجاري، وتأطيرهم للنشاط التجاري بالمدن بتشكيل نقابات تختص بالحرف، يساعدهم في مهامهم العديد من

¹ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 40.

² أوجان فايسات، المصدر السابق، ص ص 35-36. ينظر أيضا: محمد الصالح ابن العنتري، المصدر السابق، ص ص 19-20.

الموظفين مثل الكاهية، أمين العيون، والمزوار¹، وكذا إشرافه على القبائل بمساعدة الشيوخ الموالين بما يضمن تسديد الضرائب المستحقة عليها سواء كانت عينية أو نقدية، كما أوكل إليهم إدارة بعض المدن المتوسطة مما مكنهم من الاتصال المباشر مع الداوي والمسؤولين الساميين دون الرجوع للباي أو آغا العرب²، عرفت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر تزايد نفوذهم واتساع صلاحياتهم لاسيما أنهم أصبحوا يعينون مباشرة من طرف الداوي، إضافة إلى سيطرتهم المباشرة على شؤون النقابات المهنية والطوائف المختلفة³.

1-3. الشيوخ:

يتم تنصيبهم في الغالب من القياد مع الرجوع إلى آغا العرب في ذلك أحيانا، وذلك بعد ترشيحهم من طرف أعيان القبائل تبعا لميزات يتصف بها الشيخ كحسن الأخلاق ورجاحة العقل ونسبه إلى العائلات النافذة، فهم يمارسون مهامهم تبعا لرضى أفراد القبيلة مما أكسبهم سلطة روحية تساعد في تنفيذ قرارات القايد، تسند لهم مهمة الإشراف على القبائل، ومراقبة مواسم الحرث والحصاد، وتقسيم الأراضي المشاعة و المراعي، وتوزيع مياه السقي⁴، إضافة إلى جمع الضرائب من قبائلهم فهم بمثابة الوسيط بين الأهالي والإدارة، وعلى الرغم من الدور الذي لعبه الشيوخ في فرض سلطة البايلك على مختلف القبائل و الأعراش و الدواوير إلا أنهم اصطدموا أحيانا برفض بعض القبائل القوية الخضوع لسلطة الشيخ الذي لا ينتمي إليهم⁵، ومن أهم الشيوخ في بايلك الشرق نذكر:

شيخ الحنانشة : يدير 12 قبيلة.

شيخ العرب: يخضع له كل زاب بسكرة إضافة إلى 11 قبيلة.

شيخ الدير أو شيخ أولاد يحي بن طالب بناحية تبسة.

شيخ بلزمة: يدير 13 قبيلة.

¹ فلة موساوي -القشاعي-، المرجع السابق، ص47.

² ناصر الدين سعيدوني، ورفقات...، المرجع السابق، ص172.

³ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، [د.ط]، 2014، ص114.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، ورفقات...، المرجع السابق، ص ص218-219.

⁵ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 41.

هذا فيما يخص الشيوخ في المنطقة الجنوبية من البايك، بينما تضم منطقة الساحل والجنوب الغربي الشيوخ الآتي ذكرهم:

شيخ زواغة: يدير 4 قبائل.

شيخ فرجيوه: تخضع لسلطته 4 قبائل.

شيخ قصر الطير، ريغة.

شيخ أولاد مقران يدير مجانة، تخضع لسلطته 13 قبيلة¹.

¹ أوجان فايسات، المصدر السابق، ص ص 35-36. ينظر أيضا: محمد الصالح ابن العنتري، المصدر السابق: ص ص 19-20.

الفصل الأول:

المجتمع والسلطة في ريف بايلك الشرق

أولاً: بنية المجتمع الريفي في البايك.

ثانياً: تقسيم القبائل في ريف البايك.

ثالثاً: الأسر الريفية الحاكمة في بايلك الشرق.

رابعاً: الصراع بين القبائل والسلطة في البايك.

خامساً: -الصراع داخل نظام الحكم في البايك وأثره على البايك.

يتناول هذا الفصل أهم مكونات الريف في بايلك الشرق، في محاولة لإعطاء تصور عن التركيبة السكانية في الريف، وتصنيف القبائل في ريف البايك، والذي يرجع في عمومها إلى طبيعة علاقتها مع السلطة، هذه العلاقة التي لم تكن ثابتة دائما بسبب تقلبها وفقا لمصالح كل طرف، كما حاولنا التطرق إلى الأسر النافذة في البايك، موضحين أصولها، والأسباب التي بوأتها هذه المكانة في الأرياف، و ثقلها السياسي والعسكري والاقتصادي، أما بالنسبة لعلاقة السكان في الريف مع السلطة، فحاولنا التعرّيج على أهم أسباب الصراع والوفاق، مبينين أهم مظاهر هذه العلاقة، والسياسة التي انتهجتها السلطة في التعامل مع أهالي ريف بايلك الشرق.

أولا: بنية المجتمع الريفي في البايك:

يشكل سكان الريف في الجزائر خلال العهد العثماني، ما بين 90 الى 95 بالمائة من السكان، يتوزعون بين المناطق الجبلية والصحراوية، يميزهم التنوع في الأنشطة الاقتصادية الممارسة¹، أما بالنسبة لعدد السكان البايك فتذكر الأستاذة القشاعي أن عددهم يساوي 5/2 من سكان الجزائر باعتباره أكبر بايلك في عدد السكان²، أي بتعداد قدر ب 1131000 نسمة حسب ما ذكره الأستاذ عميراوي نقلا عن ما جاء في أطروحة الأستاذ عبد الجليل التميمي³.

يمكن تقسيم السكان في البايك على حسب مناطق استقرارهم، فجغرافيا البايك تحكمت بشكل كبير في توزيع السكان وفقا لطبيعتهم وتبعوا لمصادر رزقهم ، حيث يعتبر تقسيم حمدان خوجة الأقرب إلى تحديد مكونات سكان الريف فهو يصنفهم إلى سكان المناطق المنخفضة أو السهول، مشيرا إلى انقسام سكان هذه المناطق إلى قسمين، ذكرهم

¹ أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م-1830م، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2011، ص 82.

² فلة القشاعي، الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني (1792-1837)، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، دائرة الدراسات التاريخية والآثار، الجزائر، 1983، ص 119.

³ حميدة عمراوي، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري (بداية الاحتلال)، دار البعث، [د.ط.]، قسنطينة، 1984، ص 21.

على النحو التالي " القسم الأول نسميه الصحراء، وهو يمثل أرضا رملية. أما القسم الثاني: الذي يمثل جبالا قليلة الارتفاع فنسميه التل وجميع هؤلاء السكان قد جاؤوا من أصل عربي"¹، بينما القسم الثاني فهم سكان المناطق الجبلية يعرفهم حمدان خوجة بالقول "وأما أولئك الذين يقطنون الجبال أو الأماكن الصعبة المنال، فهم البرابرة الحقيقيون، المعروفون بالقبائل الذين يتكلمون لسانا غير لسان العرب"².

ينقسم العرب إلى ثلاث فئات أرستقراطية، الفئة الأولى وهي الأرستقراطية العسكرية أو ما يسمى بالجواد يمثلها أحفاد العائلات التي تصدرت الفتوحات، أما الفئة الثانية فالأرستقراطية الدينية والتي يمثلها أحفاد المرابطين، بينما الفئة الثالثة يطلق عليها الأرستقراطية العرقية مثلتها الشرفة والذين ينسبون أنفسهم إلى النسب الشريف³، يشير الوزن الى أن العرب يحصلون على كميات كبيرة من زراعة أراضيهم، كما أنهم غير مستقرين بسبب امتلاكهم أعداد هائلة من الأغنام والأبقار، فهم في سعي دائم لإيجاد مراعي لمواشيهم، لهم صفاتهم الخاصة، كاللباس، وأسراج الخيول، والخيم الجميلة⁴، فهم بدو يسكنون الخيم، يمارسون في الأغلب الرعي، تعتبر ماشيتهم كل ثروتهم ومصدر رزقهم، لا يمارسون الفلاحة إلا بقدر حاجتهم إليها، علاقتهم بالأرض محدودة، متمسكون بعاداتهم منغلقتون على أي مفاهيم اجتماعية أخرى⁵، فالعرب بالمناطق الداخلية والصحراوية، ينقسمون بين الاستقرار و حياة البدو، فيعيش السكان المستقرون في القصور والواحات، وهي عبارة عن قرى محصنة، مبنية بالقرب وفي ثنايا الجبال، يقوم البدو بتخزين احتياطاتهم من المؤن داخلها، كما أن هذه القرى مبنية من التربة المجففة التي يتم تبييضها، تتميز شوارعها بالضيق والتعرج وسوء التهوية، يمتنون الزراعة داخل مساحات

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة...، المصدر السابق، ص 47.

² المصدر نفسه، ص 31.

³ Georges Robert, **Voyage à travers l'Algérie: notes et croquis**, Paris, 1891, P12.

⁴ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد الحجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ج 2، ط 2، بيروت، 1983، ص 62.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، مذكرة حول....، المرجع السابق، ص 14.

محاطة بأسوار ترابية، من أهم منتوجاتهم الخضروات و أشجار النخيل والفاكهة المختلفة، إضافة إلى تبادلهم التجاري مع البدو¹، بينما يتخذ البدو من الخيم المنتشرة حول القرى مسكنا لهم، يتحكم المناخ في تحركاتهم فعند ارتفاع درجة الحرارة، يقل الغطاء النباتي الذي يوفر الغذاء لماشيتهم ترتحل هذه القبائل إلى التل باحثه عن ظروف حياة أفضل، فيتم مقايضة سكان هذه المناطق بالصوف والماشية مقابل الحصول على الحبوب وبعض المنتجات الأخرى²، يعيشون حياة البدو والتنقل، فقطعانهم تتحكم في أماكن تواجدهم، يعيشون في مجموعات من الخيم تتراوح بين 50 إلى 100 خيمة يطلق عليها اسم الدوار، يخضعون لسلطة شيخ الدوار باعتباره المكلف بتدبير أمورهم، كما تشكل مجموع الدواوير ما يطلق عليه البلد يدار من قبل القائد المعين من السلطة³.

أما قبائل منطقة زاوة فيذكر شالر أن الاسم مشتق من الكلمة العربية القبيلة وأنهم يعيشون في جبال الأطلس الكبير وفي مختلف السلاسل الجبلية المتفرعة عليه كبنى سنوس وبنى زروال وبنى عباس، يقطنون قري يسمونها "دشرة" تتكون من أكواخ مبنية من الطوب والوحل، يشتغلون في الزراعة وتربية الماشية والنسيج و تحويل الحديد وصناعة البارود، في البداية كانوا في صراع دائم مع العثمانيين ومن أشد الناس كرها لهم، أما بعد عقد الصلح مع العثمانيين قصدوا الجزائر واشتغلوا في عدة وظائف⁴، يختلفون عن العرب في العادات وأسلوب المعيشة، قاوموا الفاتحين و العثمانيين و استطاعوا استرجاع الكثير من الأراضي بعد أن تخلى العرب عن استغلالها وكرائها لفلاحي القبائل لتعود في الأخير ملكيتها إليهم⁵، يقطنون المناطق الجبلية بالقرب من المدن الكبرى الجزائر تلمسان المدية البليدة قسنطينة، كما انتقلوا من مناطقهم بجرجرة "زاوة" إلى المدن الكبيرة كالجزائر بسبب

¹ Georges Robert, Voyage..., Op.cit, P 303.

² Ibid, P304.

³ فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، تر و تق: أبو العيد دودو، طبعة خاصة ، الجزائر، 2007، ص89.

⁴ ويليام شالر، المصدر السابق، ص ص 113-117.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري ...، المرجع السابق ، ص151.

قلة المعيشة وامتهنوا العمل في دكاكين بيع الزيت والحراسة الليلية وبناء السفن¹، كما عملوا بعدة نشاطات في أسواق قسنطينة من بينها صنع البلاط والطوب وصناعة الأواني الطينية، إضافة إلى حرفة البناء وصناعة الصابون، وبيع الدخان، كما اشتغلوا في تحضير الخبز²، يضيف بيليسي أنهم يسكنون الجبال و يتمتعون بالكثير من الاستقلالية، يتميزون بالعمل والكد والشجاعة، وخاصة السكان الذين يقطنون جبال بجاية أو سلسلة الأطلس، فهم أقرب لبعضهم وأكثر تماسكا³، كما أن تمركزهم بالجبال ساهم في الحفاظ على الكثير من عاداتهم، ومن المحتمل أن سبب انعزالهم يعود إلى رغبتهم في عدم إقامة أي علاقات إلا في ما بينهم، الأمر الذي ساهم في الحفاظ على عاداتهم إلى حد كبير⁴.

أما سكان منطقة الأوراس فترجع أصولهم إلى العرق البربري مع خليط عربي، يقطنون المناطق الجبلية الممتدة غربا من باتنة إلى بسكرة ومن الشمال على امتداد الخط الرابط بين باتنة وخنشلة، ومن الشرق وادي العرب بين خنشلة والخنقة، أما جنوبا فتمتد من بسكرة إلى الخنقة، تميزت حياتهم في البداية بالرعي والترحال ليتغير نمط حياتهم في ما بعد إلى الاستقرار⁵، وتقع المنطقة على مسافة ثلاثين فرسخا من بجاية وعلى مسافة خمسة وعشرين فرسخا من قسنطينة⁶، يذكر سعيدوني أن ما يميزهم عن العرب هو لغتهم لغتهم الخاصة، إضافة إلى استقرارهم بمنطقة جبل قريون ونيف النسر، أما عشائهم في بايلك الشرق فهي " الحراكتة، عبد النور، التلاغمة ، أولاد سلام، أولاد الأخضر، أولاد سلطان، السقينة، أولاد عزيز وأولاد معوش و عيساوة"⁷، معظم قبائل الأوراس تعيش في

¹ ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، [د.ط.]، 1984، ص 101.

² Charl Feraud, *Les corporations de métiers à Constantine avant la conquête française*, R V, N 96, 1872, Alger, P454.

³ أ.بيليسي، حوليات جزائرية، تر: دليلة حباني، دار الأصالة، ج1، [د.ط.]، الجزائر، 2013، ص5.

⁴ طوماس شو، رحلة إلى إيالة الجزائر، تر و تع: لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والإشهار، ط1، الجزائر 2022، ص 68.

⁵ Georges Robert, *Voyage...*, Op.cit, P173.

ينظر أيضا: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، ج2، المصدر السابق، ص 102.

⁶ مارمول كاريخال، افريقيا، تر: محمد ججي وآخرون، دار المعرفة، ج2، [د.ط.]، الرباط، 1989، ص390.

⁷ ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري...، المرجع السابق، ص ص152-153.

القرى، يمارسون زراعة الفاكهة، بينما يعيش آخرون في الخيم ويزرعون الحبوب¹. يمتنون تربية الغنم والبقر، يتحدث بعضهم اللغة العربية بحكم مخالطتهم العرب، دخلوا في صراعات كبيرة مع حكام تونس، واستطاعوا الانتصار عليهم، لتصبح المنطقة مأوى للعرب الفارين من تونس²، تميز وضع هذه المنطقة خلال العهد العثماني بالاستقلال الداخلي خاصة المناطق الجبلية الحصينة منها، بينما خضعت المناطق الجبلية الجنوبية والشمالية وما تبعها من سهول إلى سلطة البايك بمساعدة المرابطين والقياد المحليين، مع الإشارة إلى عمل السلطة على إخضاع هذه المناطق عن طريق إقرار الحاميات العسكرية كحامية تبسة لمراقبة تحركات النمامشة، وحامية بسكرة لمراقبة المنطقة الجبلية حول قرى منعة ومشونش والخنقة والقنطرة، و حامية مركز بايلك قسنطينة المكلفة بمراقبة الهضاب العليا الجنوبية والجهات الشمالية والشمالية الشرقية من الأوراس وشنها للحملات التأديبية(محلتي الربيع والخريف)³، إضافة إلى تنصيب عشائر المخزن كمخزن قبائل الزمول المكلف بحماية الممرات الجبلية بباتنة وضمان بقاء طريق بسكرة آمنة، كما عملت على دعم المشيخات والمحلية وشن الحملات المفاجئة ضد القبائل الممتعة كحملة شاكراي سنة 1817م على مناطق النمامشة، أما من الناحية الإدارية فقسمت المنطقة إلى ثلاث قيادات:

- قيادة الأوراس:

تخضع لها الجهات الجبلية الوسطى إلى الجنوب من بلاد الحراكتة والزمول، تتكون من إحدى عشر قبيلة كبيرة.

¹ Carette et Warnier, Description et ...Op.cit,P21.

² الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا، تر محمد الحجي ، محمد الأخضر ، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، [د.ط]، بيروت، 1983، ص 66.

³ ناصر الدين سعيدوني، ورفقات...، المرجع السابق، ص414.

- قيادة بلزمة:

تشمل المناطق الجبلية الغربية من تخوم الصحراء جنوبا حتى بلاد أولاد سلام شمالا، بالقرب من قبائل عبد النور والعلمة، و المنطقة المحصورة بين جبال الأوراس المركزية وبلاد أولاد سلطان .

- قياد النمامشة:

تشمل المناطق الشرقية من الأوراس¹.

4-: العثمانيون:

تركزوا في الغالب في مدن التل والهضاب قدر عددهم حسب بوتان² ب عشرة آلاف نسمة سنة 1808³، ينحدرون من أصول كريتلية و البانية أو من مناطق الأناضول، فأعدادهم كانت قليلة لم تتجاوز في أحسن الحالات اثني عشر ألف وهذا في الفترة الممتدة من نهاية القرن السادس عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر⁴ .

يتواجدون بأعداد قليلة في بايلك الشرق رغم مكانتهم المهمة في البايك، وهذا ما يورده سعيدوني بالقول " هم العنصر الحاكم للبلاد قبل الاحتلال الفرنسي، وعددهم قليل ببايلك قسنطينة، وقد كانوا يؤلفون فرق الجيش، ويقدمون خدمات مفيدة وهم الآن

¹ ناصر الدين سعيدوني، ورفقات...، المرجع السابق، صص414-419.

² بوتان: هو فانسون ايفيس بوتان vincent-ivis boutin ولد في 1يناير 1772م بقرية لورو-بوتور بلوار السفلي ضواحي مدينة نونت انهى تعليمه في 1791م وفي سنة 1793م دخل مدرسة مزيار العسكرية برتبة ملازم، وفي 1794 ترقى إلى رتبة ملازم أول ثم نقيب وأسندت له مهام عدة لمصلحة بلاده ولجدارته ترقى إلى رتبة رائد قائد كتيبة في 28 ديسمبر 1807م وفي 30أفريل 1808 وقع الاختيار عليه لانجاز مهمة تجسسية بالجزائر، توفي من قبل حشاشين في قرية بلاطا. ينظر: زهرة محجوبي، المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر(1741م1830م)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، ع01، المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري للجزائر، 2020، صص103.

³ بن عتو بلبراوات، المرجع السابق، صص113.

⁴ ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ...، المرجع السابق، ص ص 92-93.

الفصل الأول:..... المجتمع و السلطة في ريف بايلك الشرق

يعاضدون فرقنا المرابطة في المراكز المتقدمة"¹، توزعوا على الحاميات والسفارات المهمة في مناطق البايك مثل قسنطينة، عنابه، تبسة، بسكرة، بجاية².

ثانيا-: تقسيم القبائل في أرياف البايك:

يوجد بالجزائر مع بداية الاحتلال الفرنسي حوالي 516 مجموعة عرقية، شكلت خلال هذه الفترة عدة كيانات سياسية متميزة في تركيبها ونفوذها³، يقسمها Luiss Rinn على النحو التالي⁴:

قسنطينة	وهران	التيطري	دار السلطان	
25	36	09	19	المخزن -المقاتلون
22	10	05	..	-آخرون.
14	56	23	11	قبائل الرعية.
26	29	12	20	القبائل المتحالفة.
138	26	13	23	القبائل الممتنعة.
224	157	62	73	المجموع
516				المجموع الكلي

نلاحظ من خلال الجدول أن بايلك الشرق يضم أكثر من 224 قبيلة بعدد يعتبر الأكبر إذا ما قورن مع بقية البايكات، كما أن القبائل الممتنعة هي الغالبة على التركيبة القبلية بعدد قدره 138 قبيلة وهو ما يدل على طبيعة العلاقة بين السلطة

¹ ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري...، المرجع السابق، ص153.

² ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ ...، المرجع السابق، ص 92.

³ ينظر الملحق رقم: 01.

⁴ Luiss Rinn, *Le Royaume d'Alger sous le dernier dey*. Chapitre 5, Beylik Qsantina, **RV**.N 43, Alger, 1899, P122.

والقبائل في البايك، مع التأكيد على الأهمية والتنوع الذي عرفه البايك خلال هذه الفترة باعتباره أهم البايكات.

1- قبائل المخزن:

هي عبارة عن مجموعات سكانية تتخذ الصبغة الفلاحية والعسكرية والإدارية، تتعدد أصولها فهي مزيج من العبيد والكراغلة وعرب الصحراء وسكان الهضاب والجبال، تعتبر صلة الربط بين الأهالي في الريف والحكام، تتمركز في المناطق المهمة، وضواحي المدن والحاميات و مطامر الحبوب، تعمل على تسهيل حركة أتباع البايك، وتكف بحراسة الأبراج والحصون و الخوانق الجبلية والممرات الصعبة، وضمان أمن الأسواق و المطاحن المائية والهوائية¹، على غرار تأمينها للطريق السلطاني الرابط بين الجزائر و قسنطينة بمجموعات مخزنية نذكر من بينها : مخزن الزواتة، مخزن حرشاوة، مخزن الغريب، هاشم، العثمانية، والصحراوية بنواحي قسنطينة، ومساهماتها في الحملات المنطلقة كل فصل ربيع وخريف من مراكز البايكات مثل بايلك الشرق باتجاه الريف لاستغلال موارده الاقتصادية خاصة مع نقص المداخل والإتاوات².

كما حظيت قبائل المخزن بالكثير من الامتيازات نذكر من أهمها حالة الاستقرار والأمن الذي تمتعت به العائلات المنتمية لها خاصة مع تردي الأوضاع الأمنية في الفترة الأخيرة للوجود العثماني، والانتفاع بالعوائد المالية التي تدرها الأراضي الخصبة الخاضعة لسيطرتها، إضافة إلى الموارد المالية المتحصل عليها من قبائل الرعية، كما أعفيت من دفع الضرائب الإضافية المفروضة على القبائل الأخرى واكتفت فقط بدفع جباية الزكاة والعشور³، وصلت أعدادهم مع الحامية التركية إلى خمسة عشر ألف مقاتل موزعين على مختلف مناطق البلاد، يختلفون في تنظيمهم عن الانكشارية، يستغلون خاصة في جباية

¹ ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي، الجزائر في ...، المرجع السابق، ص ص 105-106.

² حنفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، ط1، [د.ط.]، الجزائر، 2007، ص ص 86-87.

³ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، ط2، [د.ط.]، الجزائر، 2014، ص ص 204-206.

الضرائب¹، كما تنتشر العديد من القبائل المخزنية في المراكز الحيوية بأرياف بايلك الشرق في المنطقة الممتدة من عاصمة البايك وصولاً إلى أهم مدنه كعنابة وباتنة، كقبائل الزمالة التي تقطن سهل عين مليلة بين منطقتي القريون ونيف الناصر، والدوائر المتركرة بسيرا بالقرب من عين مليلة ووادي بوالصالح بالقرب من فرجوة ووادي الزناتي²، أما بالنسبة للتنظيم الإداري لقبائل المخزن ببايلك قسنطينة فلم تسمح السلطة إلا لقبائل القوية باختيار قادتها بينما فرضت على القبائل الأخرى كالزومول والدوائر والعبيد من يديرها، وتعيين ضابط يسمى آغا الدائرة على رأس بعض الدوائر كوادي الزناتي و فرجوة مع التزامه بحق تقليد القندورة والمتمثل في مبلغ من المال يدفع إلى السلطة الحاكمة³.

1-1: الزمول:

علاقة هذه القبائل بالعثمانيين يحددها ولاء هذه القبائل واستغلالها في إخضاع القبائل المتمردة وذلك بانتشارها في الحاميات العسكرية و الأبراج كوسيلة ضغط دائمة يرصد من خلالها العثمانيون أي محاولة للتمرد وقمعها، مقابل حصول هذه القبائل على امتيازات منها إعفاءهم من دفع الضرائب، هذه السياسة التي اتبعها العثمانيون في مختلف المناطق في الإيالة، على غرار زمول عمراوة⁴ القاطنة بالقرب من برج سيباو⁵ وازدياد نفوذهم و حضوتهم لدى العثمانيين وحصولهم على مكافآت مالية كلما ساهموا بشكل كبير في دعم النشاط العسكري للسلطة⁶، أما في بجاية فلم يستطع العثمانيون تأسيس

¹ A. M. Perrot, *Alger: Esquisse topographique et historique du royaume et de la ville*, Librairie ladvocat, Paris, 1830, P55-56.

² محمد السعيد عقيب، عمر لمقدم، قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة العثمانية بالسكان (إيالة الجزائر)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج09، ع02، جامعة الوادي، 2018. ص107.

³ المرجع نفسه، ص111.

⁴ عمراوة: قبيلة تتكون من أفراد من عرقيات مختلفة، تعتبر من أهم قبائل المخزن تقطن بالقرب من وادي سيباو. ينظر: Berbrugger.A, *Les époques militaires de la grande kabylie*, Bastide libraire éditeur, Paris, 1857, P16.

⁵ سيباو: تطلق على منطقة ببلاد القبائل الكبرى تقع على ضفاف الوادي المسمى بهذا الاسم وهو ينبع، من جبال جرجرة ويصب بالجنوب الغربي من مدينة دلس، وكانت ولاية القبائل بالعهد التركي في برج سيباو القريب من ذراع بن خدة ودلس.: ينظر: أحمد بن المبارك ابن العطار، المصدر السابق، ص139.

⁶ Le Baron Henri Aucaptaine, *Etudes sur le passe et l'avenir des kabyles, Les kabyles et la colonisation de l'Algérie*, H. Bastide, 1864, P115-116.

حاميات الزمول ذات شأن، ومع ذلك فإن العبور السنوي للبعثات التركية بين قسنطينة وبجاية، اضطر القبائل في المنطقة على الاعتراف بسلطة العثمانيين ودفع ضرائب معينة، على الرغم من مغادرة حملة تتكون من حوالي ثلاثمائة إلى أربعمائة رجل من معسكر سيدي مبارك وصولاً إلى وادي الساحل بمساعدة بعض القبائل القوية في المنطقة، إلا أنها لم تستطع تحصيل إلا ضرائب قليلة¹، أما في جنوب قسنطينة في الطريق إلى باتنة، فيمكن اعتبار فقط الزمول كقبيلة مخزنية، باعتبار هؤلاء المقاتلين ذوو الأصول الصحراوية في خدمة السلطة، مقابل حصولهم على امتيازات و إعفائهم من دفع الضرائب²، يتشكل زمول قسنطينة من عناصر مختلفة اشتغلوا في البداية بالعبادة بخيول الباي ورعي قطعانه، ليزداد عددهم فيما بعد مشكلين قبيلة كبيرة تقطن سهل عين مليلة جنوب البايك اكتسبت خبرة عسكرية أهلتها لخدمة الباي³.

1-2:الدواير:

تشمل التسمية كل المقاتلين من القبائل الأخرى ما عدا الزمول، تمتعوا بامتيازات أقل إذا ما قورنوا مع قبائل الزمول، على غرار دفعهم لخمسي الضرائب وعدم إعفائهم نهائياً من دفعها، مقابل استعدادهم للقتال كلما دعت الضرورة، يخضعون فعلياً لسلطة شيوخ قبائل الدواير من الناحية الإدارية، على الرغم من تبعيتهم الرسمية العسكرية والإدارية لآغا الدائرة⁴ المقيم بقسنطينة⁵، يتم توزيعهم في مجموعات صغيرة في عدة أماكن مختلفة نذكر منها سيرا بالقرب من ميلة وفي واد بوصالح (فرجيوة) وواد الزناتي بالقرب من قسنطينة⁶، شكلت هذه القبائل خزانا بشريا ساهم في تثبيت سلطة البايك، فقد استطاعت

¹ Le Baron Henri Aucaptaine, *Etudes sur...* Op.cit,p 124.

² M. Emir, *Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIXe siècle*, *Annale Histoire. Sciences social*, 21 année, N 01, 1966, p55.

³ Mercier Ernest, *Histoire l'Afrique septentrionale(Berbère) depuis les temps les plus recules jusqu'a la conquête française(1830)*, Ernest Leroux éditeur, T3, Paris, 1891, p144.

⁴ آغا الدائرة: أحد قادة فرسان المخزن، وهو المكلف بقيادة هذه القوات غير النظامية خلال الحملات التي تشنها ضد القبائل المتمردة، تخضع لإدارته تسع وثلاثون قبيلة. ينظر: أوجان فايسات، المصدر السابق، ص23.

⁵ نفسه، ص40.

⁶ Mercier Ernest. *Histoire l'Afrique ...* Op. Cit. p144.

استطاعت دواير ميلة تجنيد أكثر من ألف فارس في حالة احتاجت السلطة إلى ذلك، وهو نفس الأمر بالنسبة لدواير جميلة ووادي الزناتي¹.

امتلكت هذه القبائل أراضي ومراعي واسعة بمواطن الحراكتة بالقرب من عين مليلة، يتخذها الباي مقرا مؤقتا خلال نشاطاته الإدارية بالمنطقة مما يسهل التواصل بينه وبين موظفي البايك، استطاعت تجنيد عدد كبير من المقاتلين يصل إلى ألف فارس يشرف عليهم ما بين 20 إلى 30شاوشا²، أما بالنسبة لأهم مناطق تمركزهم فبالإضافة إلى ما ذكرنا سابقا فهي تنتشر عموما في المناطق الآتي ذكرها:

- "في وادي بوسلة، بين عين الخشبة وجميلة : يحملون اسم دايرة الواد.
- في السرى، جنوب ميلة: يسمى هؤلاء الفرسان دايرة السراوية.
- في واد زناتي ، على أرض تنازلت لهم قرفة عنها.
- في قسنطينة نفسها ، حيث يجند حوالي خمسون فارسا".
- إضافة إلى دايرة المرازقية (الرماحين) ويقصد بها مجموعة الفرسان التي تتبع كل شيخ أو قايد كبير³.

2- قبائل الرعية:

تميزت هذه القبائل بالخضوع لسلطة البايك، كما أنها تعتبر قاعدة الهرم في الجزائر خلال الفترة العثمانية، فرضت عليها الضرائب المختلفة باعتبارها الرافد الأساسي لخزينة البايك، واستفادتها من خمس الإنتاج فقط على الرغم من كونها المحرك الرئيسي للنشاط الفلاحي خلال هذه الفترة، مما جعلها تعاني الاستغلال و التمييز الطبقي الكبير مقارنة بالفئات الأخرى⁴، عملت السلطة في بايلك الشرق على تأجير الأراضي الزراعية الواسعة لهذه القبائل مقابل دفع إتاوات وتسخيرهم للنشاط العسكري عند الحاجة، كل هذا بالتعاون

¹ ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية... ، المرجع السابق، ص 202.

² فلة القشاعي ، المرجع السابق، ص136.

³ أوجان فايسات، المصدر السابق، ص 40.

⁴ أحمد بحري، الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 171-1830 م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003، ص66.

مع العائلات النافذة بالمنطقة¹، كما فرضت عليهم الكثير من الضرائب فإلى جانب دفع الزكاة والعشور فرضت عليها ضرائب إضافية عرفت في بايلك الشرق باسم الحكور والجبري والغرامة و المؤونة مع اشتراط دفعها نقدا على عكس قبائل المخزن التي كانت تدفعها على حسب نوع المحصول²، إضافة إلى أنها تحت سلطة البايك وفرسان المخزن تفرض عليها العديد من القرارات المجحفة على غرار بيع محاصيلهم بأسعار زهيدة و منعهم من شراء البنادق والبارود، ولضمان ولائهم عين على هذه القبائل قياد من العثمانيين و الكراغلة وبعض الشيوخ الخاضعين لسلطة البايات، إلا أن حمدان خوجة يشير إلى أن هذه الضرائب لم تكن دائما مفروضة بالقوة من طرف السلطة، ففي أحيان كثيرة تقدمها طواعية ضمانا لمصالحها" ونظرا إلى مصلحته المرتبطة بالفلاحة، فإنه قد رضي أن يدفع ضريبة عن طيب نفس إلى حاكم إيالة الجزائر، كي تصبح غلاته في أمان وممتلكاته في ضمان"³، كما أن بعض البايات عاملوا هذه القبائل معاملة حسنة على غرار أحمد باي وهذا ما تذكره خديجة دوبالي نقلا عن عبد الجليل التميمي في رسالة أرسلها سكان قسنطينة إلى حسين باشا هذا نصها" منذ فترة حكم صالح باي، ونحن نعيش على الهامش، حتى ولي علينا أحمد باي، هذا الأخير وفر لنا الأمن والاستقرار في المنطقة، و أعطى الأمل لكل اليائسين، نتيجة لذلك انشغلنا ببناء المنازل وجلب المياه، كل هذا تمكن لنا بفضل الله، ثم بفضل عدله وإنصافه. نطلب من الله أن يجازيه"⁴، كما قام أحمد باي بتأديب بعض القبائل التي اعتدت على قبائل الرعية، ومن بينها الحملة التي شنها ضد فرقة من فرق قبيلة النمامشة وتكبيدها خسائر كبيرة وقيامه بإرسال جثثهم لقسنطينة ليكونوا عبرة لغيرهم، وتأكيد له فرح الرعية بهذه الحملة التي أزلت عنهم الرعب والخوف وخلصتهم من قطاع الطرق و معترضي القوافل، وناهي أموال و أرزاق الرعية⁵.

¹ M. Emirit, Les tribus ... Op. Cit, p55.

² ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية ، المرجع السابق، ص ص 204-205.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص47.

⁴ خديجة دوبالي، علاقة السلطة العثمانية بالقبائل من خلال ملفات الوثائق العثمانية رقم: 1642 (1241-1241)

1245هـ/1826-1830م) بايلك الشرق أنموذجا، دار ومضة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022، ص ص90-91.

⁵ المرجع نفسه، ص ص 91-92.

يشار إلى أن عدد القياد على قبائل الرعية في الشرق الجزائري بلغ 24 قائدا، وعدد الشيوخ 11 شيخا¹، كما أن أعداد قبائل الرعية بببايلك الشرق قليلة إذا تم مقارنتها بالببايلكات الأخرى بسبب وجود عائلات نافذة بالببايلك تتشارك ملكية الأراضي مع السلطة، تتوزع هذه القبائل بالمناطق الساحلية والمناطق السهلية الداخلية، فبالنسبة للمناطق الساحلية فتوزعت على ساحل عنابة، وايدوغ، وسكيكدة، أما المناطق الداخلية فتركزت بـ عين مليلة و ميللة، وسطيف، عين بسام، وواد الزناتي، والمسيلة، والعلمة، من أهم قبائلها نذكر قبائل عامر الشراقة و الغرابة والسقنية والدريد، مع الإشارة إلى انتشار نظام العزلية في الببايلك ويقصد به تأجير الأراضي لبعض القبائل مقابل الضرائب وتقديم الخدمات².

3-قبائل الأحلاف:

أخذت اسمها من ارتباطها بحلف عسكري أو اقتصادي مع السلطة العثمانية لدعمها بالفرسان والمواد الأولية، مقابل التزام السلطة بعدم التدخل في شؤونها الداخلية، تتنوع في أصولها بين القبائل المرابطية وقبائل الأشراف، وفي أحيان أخرى تنتمي إلى قبائل عريقة وقوية تسمى الأجواد³، وللتأكيد على مكانة المرابطين في تركيبة مجتمع الريف يذكر حمدان خوجة عند كلامه عن أصولهم "وأنهم يمتنعون أن يخضعوا لأي سلطان، ورغم اعتبار الوصف الذي وصفنا به طبائعهم سابقا فإنهم يخضعون للمرابطين ويطيعونهم طاعة عديمة النظر، في حين أن شيوخهم ليس لهم أي سلطة عليهم، بالنسبة إلى سلطة أولئك المرابطين ونفوذهم"⁴، عملت السلطة في بايلك الشرق على التقرب واسترضاء الشيوخ والمرابطين وذلك لمعرفةهم بتأثيرهم ونفوذهم لدى السكان، حيث تم إعفاؤهم من دفع المطالب المخزنية و منحهم الاقطاعات والهدايا، مقابل تقديمهم خدمات للسلطة على غرار العلاقة التي ميزتهم مع شيوخ وزوايا الأوراس وتمثيلهم لسلطة الببايلك في المنطقة، كما قام مرابطو زاوية بلعباس بالمنعة بتأمين الحامية التركية ببسكرة

¹ ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ ..، المرجع السابق، ص ص 107-108.

² أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 186.

³ بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص 260.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 34.

ومساعدتها لتبديل أفرادها على الرغم من حالة عدم الاستقرار في المنطقة¹، كما استطاعت المشيخات القبلية السيطرة على ثلثي بايلك الشرق الأمر الذي اضطر السلطة إلى التعامل معهم وفق مصالحهم، ففي منطقة الأوراس نجد العديد من المشيخات نذكر منها مشيخة أولاد بوعزيز ببلزمة، ومشيخة أولاد عبيد بالمنعة، ومشيخة أولاد بوضياف الأوسط والشمالى، و مشيخة أولاد بلقاسم بالشلية، كما تشكلت العديد من الأحلاف القبلية مثل حلف البرابر بنواحي مشونش والمدعوم من بيت بوعكاز بالزيبان، وحلف العشاش وأولاد خيار، يشار إلى تولي بعض كبار قادة البايك قيادة بعض الأحلاف كصالح باي الذي تولى قيادة حلف الحراكته قبل تعيينه حاكما لبايك قسنطينة²، فهذه القبائل ظلت وفيه لسلطة شيوخها الوراثيين المنتمين الى أسر شريفة كالأجواد والدواودة، كما أنها تتخذ فقط من المرابطين مرجعية تحتكم إليها³، ومن أهم القبائل الحليفة في بايلك الشرق نذكر قبائل مجانة الخاضعة لعائلة أولاد مقران، آيت عيسى، قبيلة بني مدور، قبائل ساحل البابور القبلي، مشيخة فرجيوة، قبيلة بن عاشور، مشيخة زواغة، قبيلة أولاد قاضي، مشيخة بلزمة، قبيلة زاوية طولقة، مشيخة الحنانشة، مشيخة المزولة بالقالة⁴، سعت السلطة إلى كسب ود زعماء هذه القبائل، على الرغم من التكاليف الباهظة والامتيازات المقدمة، متبعة في ذلك العديد من الطرق منها، مصاهرة بعض حكامها كحسن بن خير الدين و أحمد باي القلي لأهم الأسر النافذة كآل القاضي، آل مقران، بن قانة، إضافة إلى العمل على الحد من قوة الزعامات المحلية، بتشجيع مناوئين لها، ووقوفهم مع الطرف الضعيف، كدعمهم لأحمد بن عمر بن بوختوش للإطاحة بأبن القاضي زعيم إمارة كوكو، كما استغلت السلطة الصراع القائم بين نظامي الزوايا و الإمارة على العوائد المالية لتثبيت حكمها وتحويل معظم قبائل حوض يسر وسباو إلى قبائل المخزن والرعية⁵، وهو الأمر نفسه الذي انتهجته بالزيبان، بعزلهم لفرحات بن سعيد، وتعيين مكانه بوعزيز بن قانة

¹ ناصر الدين سعيديوني ، ورفقات جزائرية ..، المرجع السابق، ص 416.

² المرجع نفسه ، ص 415

³ شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، دار منشورات عويدات، [د.ط]، بيروت، 1982، ص13.

⁴ بن عتو بلبراوات، المرجع السابق، ص 262-263.

⁵ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 171-173.

شيخا للعرب، واستفادتهم من نفوذ المرابطين لتأمين تنقلاتهم لا سيما عبورهم لجبال البيبان وجرجرة، إلا أن العثمانيين في أواخر حكمهم لم يستطيعوا الحفاظ على نفوذهم في الريف وتوطيد علاقتهم برجال الدين بما يخدم مصالحهم، وهو الأمر الذي استغله الطرقية لإثارة الثورات ضدهم بسبب السياسة الضريبية للسلطة، وعلى الرغم من إخمادهم لهذه الثورات بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، إلا أن هذا الوضع كلفها الكثير من الجهد والمال وأثر على علاقتها سلبا بسكان الأرياف¹.

تذكر الأستاذة معاشي أن الأسر الحاكمة في بايلك الشرق تعاونت مع السلطة العثمانية طيلة ثلاث قرون، وذلك وفقا لعدة أسباب من أهمها تحقيق مصالحها والحفاظ على امتيازاتها التقليدية وتمتعها بالاستقلالية في تسيير مناطق نفوذها على غرار ما ميزها خلال الحكم الحفصي، كما أن للموقع الجغرافي لهذه الأسر و مدي قربها أو بعدها من قوات البايك تأثير في تحديد طبيعة العلاقة بين الطرفين خلال هذه الفترة².

4-: القبائل المتمردة:

تعتبر من أكبر التجمعات السكانية، حيث شكلت غالبية السكان، قدر عددهم عشية الاحتلال ب320000 نسمة من مجموع السكان المقدر ب 780000 نسمة، تقطن المناطق الجبلية المنيعه كالباور وجرجرة والونشريس وطرارة وشمال قسنطينة و الأوراس، عملت السلطة العثمانية على محاولة إخضاع هذه القبائل بإنشاء الحاميات والأبراج العسكرية ومراقبة الأسواق الموسمية والأسبوعية، إضافة إلى إقرار قبائل المخزن في المناطق المهمة، وتسيير الحملات العسكرية ضد القبائل المتمردة والتضييق عليها اقتصاديا لإخضاعها كما حدث لإمارتي بني عباس و كوكو³، فعلى الرغم من التنظيمات الإدارية التي عملت السلطة من خلالها على ترسيخ حكمها في البايلكات إلا أن هناك مناطق تكاد تكون مستقلة بالكامل لا تشرف عليها سوى بعض الحاميات⁴، كما أن

¹ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 174-175.

² جميلة معاشي، المرجع السابق، ص136.

³ ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ ...، المرجع السابق، ص 209.

⁴ شارل رويبر اجيرون، المرجع السابق، ص12.

السلطة وجدت صعوبة في إخضاعها و فرض الضرائب عليها بسبب موقعها وصعوبة تضاريسها وبعدها عن مقر السلطة، لذلك عملت على تحويل هذه القبائل إلى قبائل مخزنية وإلزامها بدفع ضرائب رمزية إثباتا لتبعيةها للسلطة، فهي تعطيها بعض الامتيازات كتعيين القبائل للقضاة الخاصين بهم، مقابل الحفاظ على الاستقرار ودفع الضرائب، حيث كونت كل قبيلة إمارة برئاسة شيخها، وفي حالة تمردا تشن عليها حملات عسكرية لتأديبها ومصادرة أملاكها والتكليف بقادتها¹، وهذا ما يؤكد المكناسي عند وصفه لمنطقة البيبان " ما رأيت أصعب ولا أمتع منها، فهي بيان حقيقية لأن الطريق التي تمر بين جبال في وسط نهر، وربما تدنو الجبال بعضها من بعض حتى لا يبقى إلا مجرى الوادي في أضيق ما يكون كأنه الباب فلو جعلت له دفة لسدته، وقع ذلك مرارا ومن أجل ذلك سمي هذا المكان بالبيبان"، كما ذكر أن سكان البلاد لا يخضعون للسلطة وعلى العكس من ذلك يدفع الحاكم عند المرور من مناطق نفوذهم، ولا يمكن للمسافر اجتياز مناطقهم إلا مع رفقة كثيرة أو مع العسكر كل ثلاثة أشهر عند نقلهم للخارج²، حيث لم يستطع العثمانيون فرض سيطرتهم الكاملة على بايلك الشرق، بسبب النفوذ القوي لأعيان ومشايخ القبائل في البايك، إضافة إلى محدودية قوة العثمانيين التي لم تمكنهم من الوصول والسيطرة على الملاذات الآمنة لهذه القبائل في الجبال والصحراء³، نذكر أيضا قبيلة زاووة المكونة من نحو 300 قرية، والتي ميزها الحروب والصراع الدائم مع غريماتها قبيلة فليسة، تمتنع هذه القبيلة عن دفع الضرائب والغرامات للبايلك، ساعدها في ذلك مواقعها الحصينة في الجبال بعيدا عن سلطة الحكام، استغل العثمانيون هذا الصراع لبث الفرقة بين الطرفين ودعم الضعيف منهم من أجل التفريق بينهم⁴، كما يشير فايسات إلى قوة قبائل أولاد مقران واستقلاليتها في قوله " فعندما يصل الموكب المكلف بإيصال الدنوش إلى

¹ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص190-191.

² محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي إحرار المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785، حققها وقدم لها محمد بوكبوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2003، ص ص 329-330.

³ Rinn Luiss, *Le Royaume d'Alger sous le Dernière Dey*, R.V. N41, Alger, 1897, p140.

⁴ فونتير دو بارادي، الجزائر خلال القرن الثامن عشر، تر و تع: لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2022، ص ص26-27.

الذراع الأحمر على أراضي أولاد مقران المتزعمة لبني عباس، كانت تؤخذ عنوة إتاوة من الثيران والغنم من أموال الدنوش لصالح الزعماء الجبليين لهذه المناطق، وذلك للتمكن من عبور ممر البيبان أو أبواب الحديد دون التعرض لأي خطر أو هجوم، طالما وضع الأتراك في المحك من ناحية المبدأ بسبب بسالة هؤلاء الجبليين الشرسين، ماداموا توصلوا إلى الرضوخ في صمت لهذا التصرف المهين¹، ومن أهم القبائل التي واجهت السلطة صعوبة في إخضاعها نذكر قبائل أولاد مقران، وبوعكاز، وابن قانة، وابن عاشور، وابن حبيلس، وابن جلاب، وكذا قبائل الحراكته، النمامشة، والحنانشة، والقبائل الجبلية الأوراسية، والبيبان، والبابور و التي تمتعت بنفوذ كبير في البايك، ساعدها في ذلك تنوع تضاريسها بين الجبلية في الشمال والصحراوية في الجنوب، ومما زاد في تعقيد الوضع حركة القبائل على حدود البايك مع تونس، يدفعهم في ذلك التهرب من دفع الضرائب، مما أخل بحالة الاستقرار في البلدين².

وأمام محدودية قوة العثمانيين التي لم تمكنهم من الوصول والسيطرة على الملاذات الآمنة لهذه القبائل في الجبال والصحراء، لجأت إلى الأساليب السياسية المعتمدة على الدسائس والمؤامرات، وصولاً إلى القمع ونزع ملكية أراضي القبائل التي يسيطرون عليها في السهول المحيطة بقسنطينة، ومن ثم منحها أو تأجيرها لكل من ساعدهم مما شكل إقطاعات واسعة من الأراضي أو ما يسمى بالعزل³ المستغلة من عدد من القبائل المتعددة الأصول و بعض سكان المدينة، كما تم إقطاع الكثير من الأراضي لضباط محكمة الباي وقادة قبائل المخزن كمكافأة لهم⁴، كما اضطر البايات الى تسيير حملات عسكرية مفاجئة على مناطق تتركز هذه القبائل في مواجهة تمرداتها والامتناع عن دفع الضرائب⁵، خاصة مع عرقلتها لطرق المواصلات ومناطق نفوذ قبائل المخزن، وهو الأمر الذي زاد

¹ أوجان فايسات، المصدر السابق، ص33.

² أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص192.

³ العزل: أملاك وأراضي تؤجر للخوادم، أو كإقطاعات تقدم كمكافآت لبعض الموظفين أو المرابطين ذوي النفوذ. ينظر: أوجان فايسات، المصدر السابق، ص40.

⁴ Rinn Luiss, Le Royaume d'Alger sous... Op. Cit, p140.

⁵ ينظر الملحق رقم: 02.

في تدهور العلاقة بين السلطة وزعماء القبائل، و أوجد حالة من العداء اتجاه حكام البايك¹.

ثالثا: أهم الأسر الحاكمة في ريف بايلك الشرق:

1- أسرة بوعكاز:

استقرت هذه الأسرة بالشرق الجزائري، ترجع أصولها إلى قبيلة الذواودة الهلالية، مكونة من العديد من القبائل المنتسبة إلى داود بن مرداس بن رياح استطاعوا السيطرة على منطقة الزاب منذ الحملة الهلالية في منتصف القرن الخامس الهجري، يقطنون مناطق بسكرة و طولقة وينتسب لهم أيضا الأرباع بالأغواط وبسكرة وبنو عساكر بن سلطان وأولاد مسعود بن سلطان وأولاد سباع بن يحي اتخذوا من بني عكاز مقرا لمشيختهم والمعروفين اليوم بأولاد بوزكري بمنطقة أولاد جلال².

تمتعت الأسرة بثقل سياسي وعسكري واقتصادي كبير، خاصة في عهد مسعود بن سلطان المعروف بالبلط³، نظرا لقوته وإقدامه وهذا ما يؤكد ابن خلدون في قوله "وكان رئيسهم لعهد الموحدين مسعود بن سلطان بن زمام بن وردريقي بن داود، وكان يلقب البلط لشدته وإقدامه"⁴، استطاع السيطرة على أهم الأراضي في قسنطينة بعد عودته من الجهاد مع الموحدين، وفي عهد ابنه محمد ومع تحالفه مع الثائر ابن غانية ضد الدولة الحفصية اتسعت مساحة سيطرته فأخذ كامل المنطقة المنحصرة بين قسنطينة (الجريد) بالجنوب التونسي و الزاب بالجنوب الشرقي الجزائري وبين القيروان بتونس والمسيلة بالجزائر، إلا

¹ فلة القشاعي، المرجع السابق، ص141.

² عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ج3، ط7، الجزائر، 1994، ص 558.

³ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص31.

⁴ عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج6، [د.ط]، لبنان، 2000، ص 44.

أن الحفصيين عملوا على إخراجهم من هذه المناطق بعد هزيمة ابن غانية ودحرهم وصولاً إلى قسنطينة، حيث تركزوا بالمنطقة ما بين قسنطينة و الزاب و ورقلة¹.

كما تذكر المصادر أن المستنصر أمام هذا التوسع والخطر الذي مثله الداوودة خاصة مع مبايعتهم لأخيه إبراهيم ابن إسحاق، قاد بنفسه حملة ضدهم انطلاقاً من تونس سنة 1265م استهدف بها مناطق الثورة و الفتنة بمساعدة جيش كبير، فبعد وصوله إلى مناطق الداوودة فر زعيمهم شبل بن موسى إلى القفار، مع سيطرة المستنصر على هذه المناطق ونزوله بمدينة المسيلة، واقتطاعة لمدينة مقرة و أوماش من مناطق الزاب الجزائري لصالح محمد بن عبد القوي أمير بني توجين بعد تجديد الولاء له².

استمر المستنصر في مطاردة زعماء الداوودة وصولاً إلى نقاوس³، حيث استطاع القبض عليهم وضرب أعناقهم وتم نقلهم إلى بسكرة " و قبض السلطان على رؤوس الفتنة فضربت أعناقهم ونقلت إلى بسكرة فنصبت بها ، وأما الأشلاء فتركت حيث قتلوا..."⁴ ، كما يذكر ابن القنفذ أهم زعماء الداوودة الذين قتلوا على يد المستنصر " ومنهم شبل بن موسى، وسباع بن يحيى ، وحداد بن مولاهم ، ودريد بن تازين..."⁵.

إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً حيث استطاع الداوودة العودة إلى المناطق التي خسروها، فاسترجعوا ورقلة وقصور ريغة الزاب و الأوراس وبلاد الحضنة واعترفوا بالدولة بسلطتهم على هذه المناطق " فتغلبوا على وراكلة وقصور ريغة و اقتطعوها من إيالة السلطان . ثم انصرفوا إلى الزاب فجمع لهم عامله ابن عتو وكان موطناً بمقرة، ولقيهم

¹ جميلة معاشي، المرجع السابق ، ص 32.

² عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ، دار مكتبة الحياة ، ج 2 ، ط2، بيروت ، 1956 ، ص17.

³ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق ، ص 423.

⁴ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق ، ج2، ص ص 17-18.

⁵ ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التريكي ، الدار التونسية للنشر، [د.ط]، تونس ، 1968، ص 129. ينظر أيضا : مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، الجزائر، ص 359.

على حدود أرض الزاب فهزموه واتبعوه إلى بطاوة فقتلوه عندها ، واستطالوا على الزاب وجبل أوراس وبلاد الحضنة إلى أن اقتطعتهم الدول إياها من بعد ذلك"¹.

وبالتالي استطاعت القبيلة السيطرة على أغلب الأراضي بشرق المغرب الأوسط، وتجنباً للصراع تم تقسيم الأراضي على مختلف فروع القبيلة، حيث توضحه الأستاذة معاشي بالقول "فأخذ أولاد أسباع بن شبل اقطاعات المسيلة و أولاد محمد بزعامة احمد بن عمر (أخ شبل) اقطاعات مقرة وبقيت انقاوس لأولاد عساكر ووصل نفوذ الذواودة حتى بجاية كما سيطروا على أرياف قسنطينة بما فيها من القبائل مثل سدويكش و عياض"².

يعتبر آل بوعكاز من أهم أسر الذواودة التي كان لها الأثر الكبير في حكم منطقة الزاب والصحراء ودخولها في صراعات كبيرة لتوطيد حكمها في المنطقة، استطاعوا تولي مشيخة الذواودة بأكثر من ثلاثة عشر شيخاً من آل بوعكاز طيلة فترة حكم المشيخة التي امتدت لأكثر من أربعة قرون من حكم علي ابن السخري سنة 1541م إلى فرحات بن سعيد سنة 1826م، تجدر الإشارة إلى تولي عائلة بن قانة الحكم سنة 1762م بوصول محمد بن سليمان بن قانة إلى حكم المشيخة³، لتدخل العائلتين في صراع مرير على السلطة .

أما بالنسبة لتواجد العثمانيين في المنطقة بقيادة خير الدين بربروس فيذكر أن دخولهم كان في عهد السخري سنة 1529م، وإصداره لمرسوم عام يحث فيه أئمة المساجد على الدعاء لخليفة المسلمين سليم العثماني يوم الجمعة، كما دعا القبائل العربية كرياض وبنو هلال إلى تقديم الطاعة والولاء للسلطان العثماني، وكان له ذلك مقابل الاستجابة لشرطين:

أولاً: عدم المساس بالحقوق والامتيازات التي أقرتها لهم الحكومات السابقة.

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 424.

² جميلة معاشي، المرجع السابق ، ص ص33-34.

³ عباس كحول، حمزة بوقادوم، مشيخة العرب بالزاب والصحراء الشرقية بين سلطة البايك العثماني والإدارة الاستعمارية الفرنسية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، مج 7، ع 4، جامعة الوادي، 2022، ص179.

ثانيا: اختيارهم بأنفسهم أمراءهم ورؤسائهم واحترام نظمهم القبلية وفق ما جرت عليه العادة، فقبل خير الدين شروطهم و أقرهم عليها.¹

كما أصدر أمرا بتعيين أمير الذواودة من طرف باشا الجزائر بعد اتفاق القبيلة عليه، مع استبدال تسمية (الأمير) في السابق إلى لقب (شيخ العرب)، وتوشحه لباسا شرفيا يدعى القفطان²، في احتفال رسمي تميزه الأعلام التركية والموسيقي العسكرية وقرع الطبول أمام الجماهير في محاكاة لمراسيم تنصيب البايات مما يدل على المكانة الكبيرة التي حظي بها الذواودة خلال العهد التركي، مؤسسة لمرحلة جديدة ميزها انتقال المنطقة من الحكم الحفصي إلى الحكم العثماني.³

كما أن لعائلة بوعكاز دور كبير في مساعدة الباشاوات للتصدي للغزو الصليبي ودحر الإسبان من تونس سنة 1529م، وتصديهم لأطماع بايات تونس، وهو الأمر الذي قابله خير الدين بتعيين السخري بن عيسي بن يعقوب شيخا للعرب على الزاب والصحراء.⁴

وفي سنة 1541م وتنفيذا للاتفاقية المبرمة بين العثمانيين و الذواودة تم استدعاء علي بوعكاز بن السخري⁵ إلى قسنطينة ، وتقليده منصب شيخ العرب وإلغاء لقب إمارة العرب الذي ظل قائما من دخول الهلاليين إفريقيا إلى العهد التركي.⁶

وفي العموم استطاعت قبيلة الذواودة ومن خلالها أسرة آل بوعكاز أن تلعب دورا بارزا في تاريخ المنطقة يمتد إلى فترة ما قبل التواجد العثماني في المنطقة، ووقوفها مع

¹ الشيخ محمد خير الدين، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، [د.ط.]، الجزائر، [د.ت.]، ص ص 41-42.

² كلمة تركية ، تطلق على نوع من الألبسة الرسمية، دلالة على التشريف والرضى من الباب العالي. ينظر: رشاد الإمام ، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814، أطروحة دكتوراه، دائرة التاريخ، الجامعة الأمريكية، بيروت، ص 46.

³ المرجع نفسه، ص 42.

⁴ عباس كحول ، حمزة بوقادوم ، المرجع السابق، ص 178.

⁵ أول من قلد منصب شيخ العرب من طرف باي قسنطينة سنة 1541م، بعد إلغاء إمارة العرب، توفي سنة 1581م ودفن بمقبرة سيدي مسعود(العلمة). ينظر: الشيخ محمد خير الدين، المرجع السابق، ج1، ص43.

⁶ المرجع نفسه، ص ص 42-43.

الفصل الأول:..... المجتمع و السلطة في ريف بايلك الشرق

الموحدين في الأندلس، ومنافستها للأمرء والدول، وانتزاعها السلطة على الزاب والصحراء سنة 1418م، وتوسع نفوذها إلى ورقلة بالجنوب القسنطيني في عهد الشيخ سخري بن يعقوب بن علي (بوعكاز)¹.

كما أن أسرة بوعكاز تعتبر من أكثر الأسر وفاء للسلطات العثمانية خاصة مع بداية تواجدهم في المنطقة مما ساهم في تعزيز نفوذهم وإقطاع العثمانيين لهم مناطق كانت خاضعة لأسرة المقراني 966هـ/1599م ووصولهم إلى منطقة مجانة عاصمة أولاد مقران².

تمتع آل بوعكاز بحالة من التقديس والتقدير لدي أتباعهم تصل أحيانا إلى حد الخرافة فيذكر فيرو أن فرحات بن سعيد وهو آخر من تولى منصب شيخ العرب من الذواودة الرياحيين، و على الرغم من تميزه بالشجاعة و الإقدام والورع ومقارنته بالأبطال المسلمين الأوائل، إلا أن أتباعه ونظرا لعدم إصابته في المعارك العديدة التي شارك فيها اعتبروه محصنا من البارود بسبب تعويذة لأحد شيوخ جرجرة وأن الرصاص يتساقط بين قدميه بعد فتح حزامه³.

إضافة إلى أن العلاقة بين العثمانيين و أسرة بوعكاز اتسمت بالودية، ميزتها المصلحة المشتركة حيث عملت الأسرة على تزويد الحامية التركية المتواجدة بقسنطينة وعنابة بمتطلباتها من المواد الغذائية مقابل حصولها على الأسلحة والذخيرة⁴.

امتلكت قبيلة الذواودة قوة عسكرية كبيرة كما يذكر فيرو أن بإمكان القبيلة جمع أكثر من 10000 فارس على الرغم من بساطة تسليحهم¹.

¹ عباس كحول ، حمزة بوقادوم، المرجع السابق، ص180.

² جميلة معاشي، المرجع السابق، ص160.

³ Commandant Seroka, *Le sud Constantinois de 1830 a 185*, in *R.A*, N 56, 1912, PP381-382.

⁴ العياشي رواجي، الإدارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837م -1871م، قسم دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، الجزائر، 2015، ص 28.

كما يذكر خير الدين مساهمة الذواودة بقيادة أحمد بن علي بوعكاز بن السخري في الدفاع عن مدينة الجزائر الغزو الاسباني الصليبي بجيشين كبيرين، أحدهما استقر شرقي مدينة الجزائر، حيث تستقر إلى يومنا قبيلة السخارة المنحدرة من أصول الذواودة محافظة على عاداتها وتقاليدها، بينما استقر الجيش الثاني في الجهة الغربية للمدينة، لم يبق منهم إلا فئة قليلة استقرت بقرية تحمل اسمهم الذواودة ، تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي عشرين ميلا إلى الغرب ².

تضيف الأستاذة جميلة معاشي أن أسرة بوعكاز الذواودة تعتبر من الجواد أي الفرسان، امتلكت جيشا كبيرا مجهزا قدر في نهاية الحكم ب5000 فارس، إضافة إلى القوات الحليفة لها، لعبت هذه القوات دورا كبيرا في إخضاع المنطقة ودخولها في صراع مع الدولة الحفصية ضمانا لمصالحها على غرار اشتراطها نصف الضرائب و المنتجات التي تزرع في المملكة، أطلق على هذه الأسر وصف الأرستقراطية الحربية أي أنها تكتسب مكانتها من قوتها العسكرية³.

غلب الطابع البدوي على حياة القبيلة نظرا لاعتمادها على الترحال، كما تميزت باتساع أراضيها وامتلاكها لعدد ضخم من المواشي مما مكنها من أن تصبح الممول الأساسي لقسنطينة وضواحيها باللحوم⁴، كما كان لأسرة بوعكاز دور كبير في الحفاظ على الأمن وجباية الضرائب وتأديب القبائل الثائرة، إضافة إلى تأمين القوافل التجارية، مما يساهم في تدعيم خزينة الدولة⁵.

باعتبار بايلك الشرق من أهم البايكات من ناحية العائدات الاقتصادية و ضمان استمرارية الجباية يكتسي أهمية كبيرة بالنسبة للسلطة جعلها تسعى لكسب ودهم، وتعيين ثلاثة عشر شيخا من الأسرة لتولي حكم المشيخة كما ذكرنا سابقا.

¹ Charl Féraud, Les Harar Seigneurs des Hanencha, Etude historique sur la province Constantine, In R_A, N18, 1874, p140.

² الشيخ محمد خير الدين، المرجع السابق، ج1، ص 44.

³ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 38-39.

⁴ عبد الرزاق قشوان، المرجع السابق، ص62.

⁵ العياشي رواجي، المرجع السابق، ص16.

2- أسرة بن قانة:

لم يتفق الباحثون على أصل ثابت لهذه للأسرة، نظرا لغياب أي كتابات تعني بتاريخ الأسرة في الفترة التي تسبق تولي الباي أحمد القلي (1169-1184هـ/1756-1771م)، إلا أن هناك آراء مختلفة فيما يخص نسبها نذكر منها.

النسب الشريف للأسرة وخاصة شيخهم عبد العزيز بن قانة، وهذا ما يؤكد صاحب كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، مدعما طرحه بشجرة لنسب الأسرة انطلاقا من كتاب الأنساب للشيخ أحمد بن محمد العشماوي، وتأكيد الشيخ بن قانة رجوع أصلهم إلى "القنوة"¹، مضيفا في جزء آخر من الكتاب أن بن عطاء، القنوات، ونوغة، أولاد مهد سكنوا جبل عرون بالقرب من بني سنوس².

بينما يذكر خير الدين استنادا إلى فيرو أن أصلهم يرجع إلى امرأة تسكن جرجرة بقرية كوكو تسمى قانة، أكبر أبنائها يسمى يحيى، تزوجت واستقرت بعرش العنافة، واستقرار أحد فرقتها بنواحي بجاية وتأسيسهم لقرية آيت قانة، واستقرار أحد أبنائها بقرية رجاس بالقرب من ميلة المسمى محمود والذي اشتهر بالحدادة، والتي كانت سببا في النقاء أحد أبنائه المدعو سليمان بن قانة بأحد الموظفين العثمانيين الذي قصده لإصلاح حذوة حصانه، لتتطور العلاقة إلى زواج أحمد القلي التركي من مباركة بنت ابن قانة³، كان لهذا الزواج الأثر البالغ على الأسرة خاصة مع تدرج أحمد القلي في السلطة من آغا القل إلى خليفة باي قسنطينة وصولا إلى باي قسنطينة، وسعيه إلى تبوء الأسرة مكانة هامة

¹ يذكر أن سبب تسميتهم بالكنوات يرجع إلى وقت إسلام البربر، ومراقبتهم لهم والتجول حول منازلهم خوف ردتهم ورجوعهم للكفر كونهم حديثي عهد بالإسلام، كما أنهم يجاوبون بعد السؤال بلفظ أنهم كانوا وكانوا، لذلك عرفوا بالكنوات، ومع مرور الوقت وتغير اللغة وتقلب الألسنة لقبوا بالقنوات باستبدال القاف كافا . ينظر :سيدي عبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول ، المطبعة التونسية، [د.ط]، تونس، 1929، ص 150.

² جميلة معاشي المرجع السابق، ص ص 80-81.

³ الشيخ محمد خير الدين، المرجع السابق، ج1، ص64. ينظر أيضا جميلة معاشي ، المرجع السابق، ص ص 83-84.

كأحد الأسر الحاكمة في البايك وهو ما كان له ومنافستها لأعرق الأسر الحاكمة في البايك أسرة بوعكاز حكام الصحراء¹.

شملت مناطق توسعها في الفترة العثمانية منطقة الزيبان بتفرعاتها، ومنطقة ورقلة وتقرت، كما حظيت هذه الأسرة باهتمام السلطة متوجة ذلك بتصيبها على رأس مشيخة العرب سنة 1762م وتجريد أسرة بوعكاز من اللقب خاصة مع نجاح محمد بن سليمان بن قانة في قيادة إمارة ركب الحج، وهو اللقب الذي حافظت عليه حتى نهاية الحكم العثماني، مع الإشارة إلا أن بوعزيز بن قانة كآخر حكام الأسرة².

إن من أهم الأسباب التي جعلت أسرة بن قانة تلقى كل هذه الحظوة من السلطة العثمانية، هو الحد من سلطة ونفوذ أسرة بوعكاز لما تشكله من تهديد حقيقي لحكمها في الصحراء، ولتثبيت حكمها في المنطقة عملت على نقل أبناء أسرة بن قانة من مناطقها برجاص إلى الصحراء حوالي سنة 1175هـ/1762م³، ودخولهم في صراع مع آل بوعكاز بعد بقاء الأخيرة على رأس السلطة لمدة 264 سنة، وذلك مع تعيين محاد بن علي بن سليمان المعروف باسم الحاج بن قانة على المشيخة سنة 1762م باقتراح من عرش أهل بن علي، وهو ما أدخل المنطقة في حالة من التوتر ميزها الصراع بين العائلتين⁴.

3- أسرة أولاد مقران:

تعتبر من أهم الأسر الحاكمة في بايلك الشرق استطاعت السيطرة على أجزاء واسعة من البايك، إلا أنه من خلال دراستنا نرى تعدد الروايات فيما يخص أصول الأسرة، والتي نحاول أن نورد أهمها .

¹ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص84.

² العياشي رواجي، المرجع السابق، ص17.

³ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 85.

⁴ محمد العربي حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830-1930)، دار السبيل، [د.ط]، الجزائر، 2009، ص143.

فابن خلدون يرجع أصلهم إلى قبائل عياض التي وصلت مع الهجرة الهلالية إلى المنطقة، واستقروا بجبل قلعة بني حماد، ودخلوا في صراع مع قبيلة عجيسة ذات الأصول البربرية انتهى بالسيطرة على أراضيها، يشار إلى أن أصل التسمية يعود إلى الكلمة البربرية عدس بتشديد الدال والتي تعني البطن، وبحكم اختلاطهم مع العرب حولت الدال جيما، استطاعوا في الأخير السيطرة على مناطق هذه القبيلة وهذا ما يؤكد في قوله "وأجلبوا على ملوكها بالأعياض منهم فاستلحمهم السيف، ثم هلكوا وهلكت القلعة من بعدهم وورثت مواطنهم بذلك الجبل عياض من أفريق العرب الهلاليين وسمي الجبل بهم"¹.

وهناك من يشير الى أن أصولهم ترجع إلى الأدارسة أشرف المغرب الأقصى بعد نزوحهم إلى المغرب الأوسط وتأسيسهم لعائلات مرابطية معروفة خلال القرنين 10/9هـ/16/15م، سيطرت الأسرة على مناطق واسعة من بايلك قسنطينة مع بداية العهد العثماني حيث امتد نفوذها من جبال البابور شمالا حتى الزاب جنوبا²، كما شارك شيوخ أسرة المقراني في ثورة ابن السخري سنة 1638م بسبب علاقاتها المتوترة مع السلطة العثمانية³.

يشير مارمول كاربخال إلى القلعة في قوله "...وفي المكان المنيع منه توجد قلعة يسكن بها رئيس هؤلاء القوم. وهم ينتسبون إلى زواوة الشرسين، وهم بربر اعتادوا العيش الطليق، لم يؤدوا منذ زمن بعيد ضريبة لسلطان أو أمير، وكان رئيسهم عام ألف وخمسمائة وخمسين هو عبد العزيز من بني عباس"⁴، كما يذكر صالح عباد أن قلعة بني عباس ما هي إلا قلعة ونوغة التي ذكرها المريني، وان اسمها أخذ من العباس ابن عبد العزيز، يرجعها البعض إلى الحماديين بعد انتقالهم من السهول العليا بسبب الضغوط التي

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون...، المصدر السابق، ص 192. ينظر أيضا: محمد بن مبارك الميللي، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 226-227.

² جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 52.

³ العياشي رواجي، الاحتلال الفرنسي لقسنطينة عاصمة بايلك الشرق الجزائري عام 1837م و ردود فعل أعيان أريافها، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 04، ع 02، جامعة قالمة، 2010، ص 365.

⁴ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج 2، ص 385.

تعرضوا لها من القبائل العربية خلال القرن 11م، إلا أن من المرجح أن بناءها كان من أميري بجاية اتخذها عاصمة لبني عباس لغاية القرن 17م حيث تم نقلها إلى مجانة¹.

أما الورتلاني فيرجع نسبهم إلى الأشراف "ومنهم الشيخ الولي الصالح والغيث السائح الشريف نسبا كما هو عند ابن فرحون في طبقات الشرفاء سيدي احمد بن عبد الرحمان نفعنا الله به..."، كما أشار إلى توسع نفوذها بأن وصلت إلى عمالة تونس ووادي ريغ بالصحراء، ومن الغرب ميزاب وبلد الأغواط².

انتقل الأمير عبد الرحمان خلال منتصف القرن 15م من جبل عياض بالمعاضيد إلى جهة البيبان، ومن ثم استقر بقرية موقة، وانتقل بعدها إلى قرية الشواريح، وانتهى به المطاف بقلعة بني عباس شمال غرب سهل مجانة بالمنطقة الجبلية الغربية على الضفة اليمنى لوادي الساحل، وبقي هناك حتى وفاته سنة 1500م، تولى ابنه أحمد السلطة بعده وتلقب بالسلطان على المنطقة الممتدة بين وادي الساحل والحضنة³.

عرف أمراء كوكو بممارسة الاستبداد والظلم المسلط ضد قبائل المنطقة، خاصة في ظل حكم أمراء آل قاضي، ومن بين هذه القبائل قبيلة بني عباس، حيث عمدوا إلى تسخير رجالها خلال السوق الأسبوعي يوم كل أربعاء في تقليد مارسه الزواوة مستغلين التوافد الكبير الذي تشهده المنطقة من كل القبائل، خاصة في تكليف أكثر من 400 شخص من قبيلة بني عباس في أعمال السخرة ومنها أن يقوم كل شخصين بحمل عمود من الخشب تعلق فيه الشاة بعد ذبحها وسلخها وعرضها للبيع في مشهد يحمل الكثير من المهانة والإذلال⁴.

¹ صالح عباد، المرجع السابق، ص 33-34.

² الحسين بن محمد الورتيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، [د.ط.]، الجزائر، 1908، ص 36.

³ يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد عام 1871، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2009، ص 44-46.

⁴ لخضر بوطبة، قيام إمارة أولاد مقران بقلعة بني عباس في مطلع القرن 16، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج 08، ع 01، جامعة سطيف، 2011، ص 58.

وهو ما أثار حفيظة الشيخ عبد الرحمان الذي سأل قائد السوق عن هذه المعاملة، فأجابه أن هذا ما درجت عليه العادة، وهو ما استغله الشيخ في تحريضهم على الثورة وتذليل خوفهم بالتعهد بحمايتهم مقابل الولاء والطاعة ودفع الضريبة له ولعائلته من بعده مدى الحياة¹، حيث عمل الأخير على إعداد خطة لتخليصهم من إذلال ابن القاضي لهم، تعتمد على إخفاء رجال بني عباس لأسلحتهم تحق ثيابهم والذهاب إلى السوق على هيئة متسوقين، واختباء قوة أخرى منهم خارج السوق، وهجومهم على رجال ابن القاضي مباشرة بعد قتل الشيخ عبد الرحمان لصاحب السوق ومقتل الكثير منهم وفرار عدد قليل منهم، كما تعتبر هذه الحادثة بداية العداء بين بني عباس وإمارة كوكو².

استلم السلطة من بعده ابنه أحمد ابن عبد الرحمان، الذي عرف بصفاته الفاضلة على غرار والده وهذا ما أعطى له مكانة كبيرة بين السكان، كما انعكست سياسته بتطور القلعة وازدهارها وتوسع نفوذها، مع استمرار الصراع مع أمراء كوكو، ولتأمين الإمارة قرر البحث عن مكان آمن يضمن شروط العيش، وهو ما كان له بعد مشورة أحد الرعاة، حيث أمر ببناء القلعة بمكان ضيق شديد الانحدار يصعب الوصول إليه³.

المضايقات التي تعرض لها أحمد خليفة الشيخ عبد الرحمان من طرف قبائل زاوية بزعامة الشيخ محمد القاضي أمير كوكو جعلته يلجأ إلى بناء زاوية جديدة بقلعة بني عباس باعتبارها منطقة آمنة محصنة طبيعياً من كل تحرشات إمارة كوكو، إلا أنها لم تسلم من الاعتداءات المتكررة التي قادها أمير كوكو والتي انتهت بالفشل لحصانة القلعة وشجاعة وحسن تسليح المدافعين عنها⁴.

توفي أحمد بعد عشر سنوات قضاها في حكم السلطنة، حيث دفن إلى جانب والده بالقرب، وورث الحكم من بعده ابنه عبد العزيز منتهجاً سياسة والده في ترسيخ سلطة

¹ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص55.

² لخضر بوطبة، أسرة أولاد مقران خلال العهد العثماني 1518-1837، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2021، ص59.

³ المرجع نفسه، ص63.

⁴ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 56.

أسرته كأقوى حكام المنطقة سنة 1510م، أي مع نهاية الحكم الحفصي وبداية التواجد العثماني¹، دخل هذا الأخير في صراع مع العثمانيين واصطدم معهم في معركة بالقرب من تالا مزيتة استعمل فيها العثمانيون المدافع ليقتل على يدهم في الأخير، لتتواصل المعركة بقيادة أخوه أحمد أمقران للمعركة لمدة أربعة أيام انتهت بعقده صلحا مع العثمانيين، تخلى بموجبه عن أطماعه في الإمارة وتعهده باحترام القبائل الخاضعة للسلطة التركية، يشار إلى أن القبيلة أخذت اسمها في ما بعد من أحمد أمقران ومنه جاء اسم المقراني².

توسع نفوذ السلطنة بشكل كبير خلال فترة حكم عبد العزيز ومن بعده أخوه أحمد أمقران، ووصول نفوذها إلى الهضاب العليا وتحكمها في الطريق الواصل بين الجزائر العاصمة وقسنطينة، واعتراف العثمانيين بزعامة أحمد أمقران منذ سنة 1561م، بعد فشل كل المحاولات لاستمالاته³.

شهدت الإمارة في عهد أحمد أمقران ازدهارا وتطورا كبيرين، حيث استطاع تحقيق العديد من الانجازات في مختلف المجالات غلى غرار الجانب العسكري وتكوينه لجيش قوي وصل قوامه إلى 30000 ألف جندي، وهو ما يدل على شساعة المنطقة التي استطاعوا إخضاعها، و صعوبة وجود هذه الأعداد الكبيرة من الجنود في منطقتي بني عباس ومجانة فقط، فقد استطاع أحمد أمقران الحفاظ على السلطنة، وتوسيع نفوذه بالصحراء ومنافسة النفوذ التركي بالمنطقة، كما تمكن من السيطرة على إمارة كوكو⁴.

توفي أحمد أمقران بعد صراع متجدد مع العثمانيين سنة 1595م، وخلفه بعده في الحكم ابنه الناصر⁵، كما يصفه الورتلاني سيدي ناصر وهو اللقب الذي اختاره لنفسه كما

¹ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 57

² صالح عباد، المرجع السابق، ص 86.

³ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 47. ينظر أيضا: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص ص 91-92.

⁴ لخضر بوطبة، أسرة أولاد مقران ...، المرجع السابق، ص ص 152-153.

⁵ صالح عباد، المرجع السابق، ص 108 .

يشير إلى سيرته انتهاء بمقتله في قوله "...كما سمعته من بعض الفضلاء من علماء القلعة وأخرهم في مملكة القلعة سيدي ناصر هو فاضل عالم زاهد وقد قيل انه من زهده يلبس الغرارة شعارا على لحمه وقد رتب طلبه العلم نحو الثمانين طالبا فحسده مناحيس بني عباس فقتلوه مكرًا وخديعة..."¹.

اختار حمل لقب سيدي الناصر، عرف عليه تدينه وطلبه للعلم، يذكر أن مرحلة حكمه تعتبر بداية تراجع السلطنة، وذلك بسبب ابتعاده عن شؤون الحكم والسياسة، وإثارته لحنق قواده العسكريين والتجار بسبب تسريحه لأعداد كبيرة من الجيش، ما أدى إلى ضعف الإمارة وتراجع نفوذها، الأمر الذي وصل في الأخير إلى اغتياله بمنطقة الحضنة، على الرغم من تعدد الروايات في ظروف مقتله².

يذكر صاحب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، أن سيدي الناصر هو آخر حكام القلعة، وأنه عالم فاضل وزاهد، قتل مكرًا وخديعة وذكر مرثية بعض علماء فاس في قولهم:

"فلعنة الله ثم الخلق قاطبة على المجوس بني العباس ما نكروا

إن عاهدوك فقد خانوا على ثقة أو حالفوك فأيقن أنهم فجروا

الخ وقد عدد أوصافهم من الخيانة والغدر ما يحمل السامع على الفرار منهم عفا الله عنا وعنهم"³.

يذكر أن اثنين من أبناء سيدي الناصر نجيا من المجزرة إلى أودت بحياته مع بداية السنوات الأولى للقرن 16م، الأول يسمى سيدي بتقة أخذته قبيلة سيدي هاشم وهم جزء من قبيلة هاشم بوهران، استطاع تقوية إمارته، وازداد نفوذه في المنطقة، الأمر الذي صعب على العثمانيين المرور إلى مناطق سيطرتهم إذا لم يكونوا على وفاق معه، كما انتقم من العباسيين، ورفض العودة إلى القلعة واستقر بمجانة ووسع نفوذه إلى الحضنة

¹ الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص 36.

² لخضر بوطبة، المرجع السابق، ص ص 164-165.

³ سيدي عبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي حشلاف، المصدر السابق، ص ص 115-116.

والمناطق الجنوبية الغربية، أما الابن الثاني لسيدى الناصر المسمى محمد، فقد استقر شمالا في الجبال المحيطة بجيجل، وأسس زاوية بقيت تابعة إلى أحد فروع أسرة المقراني إلى فترة طويلة.¹

كما أن وفاة سيدى الناصر أدت إلى ضعف المقرانيين وانقسامهم إلى عدة فروع متنافسة على السلطة نذكر أهمها فرع أولاد الحاج، وأولاد عبد السلام، وفرع أولاد بورنان، وفرع أولاد بلقندوز، مما جعل الإمارة عرضة للتشردم والتشتت، الأمر الذي استغله العثمانيون في إنكاء نار الفرقة والصراعات ليسهل عليهم السيطرة والقضاء عليها، وهو الوضع الذي استمر إلى غاية الحملة الفرنسية.²

عمل أولاد مقران على ربط علاقات متينة مع العثمانيين منذ قدومهم للجزائر، فقد استعانوا بالأخوين عروج وخير الدين ضد أولاد بلقاضي أمراء سلطنة قرية كوكو الواقعة في منابع واد سباو بالسفوح الشرقية لجبال جرجرة، بالمقابل وقف المقرانيون مع العثمانيين في صراعهم ضد الإسبان، حيث عمل أحمد مقران على تجنيد اثني عشر ألف رجل في محاولتهم تحرير وهران سنة 1563م بمساندة جيش حسن ابن خير الدين، إلا أن محاولتهم لتحرير المدينة باءت بالفشل، وتأخر تحرير وهران والمرسى لكبير إلى سنة 1791-1792م، فترة حكم الباى محمد لكبير.³

على الرغم من عقد تحالف بين خير الدين و السلطان عبد العزيز سنة 1527م، خاصة مع تمرد ابن القاضي، حيث أثمر هذا الاتفاق على استرجاع مدينة الجزائر والقضاء على ابن القاضي في موقعة ثنية بني عائشة، وقيام عبد العزيز بتأمين الطريق الذي مر عبره خير الدين انطلاقا من جيجل وصولا إلى مدينة الجزائر⁴، إلا أن حالة

¹ ERNEST MERCIER, *Histoire de L'Afrique Septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus recules jusqu'a la conquête française (1830)*, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1868. T3, pp 206-207.

² يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 47.

³ صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية و الاحتلال الفرنسي للجزائر، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 2013، ص 330.

⁴ لخضر بوطبة، أسرة أولاد مقران...، المرجع نفسه، ص ص 114-115.

الوفاق لم تستمر طويلا، ليدخل الطرفان في صراع انتهى بمقتل السلطان عبد العزيز على يد العثمانيين سنة 966هـ/1559م¹.

كما شاركت الأسرة في الحملة التي شنها القائد حسن باشا في شرق بسكرة ضد أولاد صولة المعارضين للحكم العثماني وذلك سنة 948هـ/1541م².

4- أسرة الحنانشة :

يرجع ابن خلدون أصولهم إلى قبيلة هواره البربرية، وأن مناطق تمركزهم بطرابلس و ما يليها من برقة"...وكانت مواطن الجمهور من هواره هؤلاء، ومن دخل في نسبهم من اخوانهم البرانس والصمغر لأول الفتح بنواحي طرابلس وما يليها من برقة" ، كما ذكر اكتسابهم لصفات بني سليم في قوله "ظواعن صاروا في عداد الناجعة عرب بني سليم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل، وكسب الإبل وممارسة الحروب ، وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلولهم. قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب، فلا يكاد يفرق بينهم"³.

كما يذكر الوزان في وصفه لمدينة تيفش المدينة الواقعة على بعد خمسين ميلا جنوبي عنابة ، وتأكيده على أن أصولهم ترجع إلى قبيلة هواره في قوله " وأخيرا بقيت في ملك إحدى القبائل الإفريقية، تدعى هواره لا تستعملها إلا كمستودع للحبوب. وأمير هواره في عهدنا هذا يسمى النسر"⁴ .

أما القول السائد لدى أسرة الحنانشة أن نسبهم يرجع إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا ما يؤكد العدواني في قوله "وانصرفوا بني حناش إلى سيدهم، عثمان

¹ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 57.

² عبد الرزاق قشوان، المرجع السابق، ص 83.

³ عبد الرحمان ابن خلدون، العبر ...، ج6، ص ص 185-186.

⁴ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص ص 62-63.

بن علي بن أبي بكر بن محمد بن سعد بن جابر بن إبراهيم بن عمر بن فارة بن محمد بن جابر بن نصر الأصغر بن عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه¹،

كما تذكر جميلة معاشي أن شيوخ الأسرة قدموا للباحث الفرنسي "فيرو" شجرة نسبهم سنة 1874م والتي ترجع أصولهم إلى القائد حنش بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، مع التأكيد على أن " قلعة سنان" مقرهم الرئيسي والتي لم تكن إلا " قلعة صنعان" نسبة إلى حنش الصنعاني اليمني².

يشير بعض المؤرخين إلى انتشار الدين اليهودي في صفوف أفراد القبيلة، على غرار فيرو الذي يشير إلى اعتناق القبيلة لها في الفترة التي تسبق الفتح الإسلامي، واستمرارها إلى فترات متأخرة، وأن سكان القبائل الأخرى إذا أرادوا إهانة رجل من قبيلة الحنانشة ذكروه بأصله اليهودي ورددوا في وجهه" حناش بن فناش بن حباش بن شالوم اليهودي"³.

كما أن فيرو وصل من خلال البحث الذي أجراه إلى أن قبيلة الحنانشة تتكون من ثلاث عناصر بشرية متميزة ذكرها وفق الترتيب التالي :

*الشاوية، العرق البربري بالأوراس والمناطق الريفية المحيطة.

*هواره وإخوانهم العداسة، وهم من فروع زناتة.

*عرب بني سليم وبني هلال⁴.

كما أن القبيلة تنقسم إلى الفئة المكونة لأصل الحنانشة والمعروفة بأحرار الحنانشة، والذين تولوا السلطة خلال العهدين الحفصي والعثماني، بينما اكتسب بقية الفروع وصف

¹ محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تق وتحت وتغ: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1996، ص 203.

² جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص44-45.

³ Charl Féraud, Les Harar..... Op.cit, p30.

⁴ Ipid, p29.

الفصل الأول:..... المجتمع و السلطة في ريف بايلك الشرق

الحنانشة بالحلف والموطن، وهو الفرق الواضح بين السكان الأصليين للقبيلة والقبائل المنتمية لها¹.

امتدت مواطن الحنانشة على طول الحدود التونسية الجزائرية، على بعد أربعة فراسخ غربي وادي سراط، كما أن للاتفاقيتين المبرتين بين الجزائر وتونس الأولى سنة 1023هـ/1614م والثانية 1037هـ/1628م دور كبير في تحديد المجال الجغرافي والبشري الذي خضع لسلطة الحنانشة، ميزها الامتداد الواسع على أراضي تحسب على إيالتي الجزائر وتونس، باعتبار واد سيرات² معلما للنفوذ فما كان غربه فهو امتداد للحنانشة في إيالة الجزائر أما ما كان شرقه فهو امتداد لها في إيالة تونس، فالقبيلة جزائرية الموقع³.

عرفت القبيلة خلال القرن 16م توسعا كبيرا، حيث استطاعت السيطرة على معظم أجزاء منطقة القالة، إضافة إلى الناظور ومهونة والنبائل من منطقة قالمة، كما ضمت سوق أهراس بكاملها، ومنطقة تبسة إلى الأوراس الشرقي وصولا إلى ما بعد الحدود التونسية، كما ضموا مناطق خمير و ورغة وشارن وأولاد بوغانم والفراشيش، لتمتد سيطرتهم في النهاية إلى كامل الجنوب من منطقة الزيبان إلى نفطة⁴، كما استطاعت إخضاع قبائل أخرى على غرار بني معمري وأولاد علي وبني زنداي وتوبسة وأولاد سلام وبني سقوال وبني منا الله⁵.

¹ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 46.

² يقع وادي سراط شمال ولاية الكاف التونسية، يبعد عنها بحوالي 2.5 كم. ينظر: عزيز سامح أتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1989، ص 591.

³ العربي الحناشي، الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس من 1640-1740، شهادة الكفاءة المهنية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس، 1988، ص 11. ينظر أيضا: توفيق بن زرعة، الكنفدراليات القبلية الحدودية ودورها في العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني - الحنانشة أمونجا-، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2014، ص 02.

⁴ Charl Feraud, Les Harar..... Op.cit, p22.

⁵ أميدة عميراي، علاقة بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، [د.ط.]، الجزائر، 2002، ص 26.

يشار إلى أن قبيلة الحنانشة منقسمة على نفسها إلى فرعين متنافسين شكلا في حد ذاتهما قبيلتين الأولى تسمى أولاد نصر بينما الثانية تسمى أولاد منصر، ميزهما التنافس والصراع المستمر، ويرجع هذا الانقسام إلى كبر ونفوذ الفصيلين المتناحرين وصعوبة التوفيق بينهما، وغياب من يقود الصلح بين الطرفين خاصة في الشرق الجزائري¹.

استطاعت القبيلة أن تشكل عامل إزعاج لحكام إيالة تونس والجزائر، وتوسيع نفوذها خاصة على المناطق الحدودية، حيث يشير بايسونال إلى امتلاكها قوة عسكرية كبيرة جعلتها في صراع دائم مع بايات قسنطينة وتونس، فقد استطاع شيخ قبيلة الحنانشة بوعزيز بناء قوة من الفرسان قوامها أكثر من ثمانية آلاف فارس، كما أطلق عليه لقب السلطان²، وهذا الرقم هو ضعف العدد الذي توفره القبائل المخزنية التونسية مجتمعة، ويتجاوز حتى تعداد الجيش الانكشاري الجزائري في حالة الحرب أحيانا، والذي يتراوح بين اثني عشر وخمسة عشر ألف مقاتل³.

كما دخل العثمانيون في صراع مع القبيلة وحلفائها انتهى بالصلح ودخول العثمانيين قسنطينة كما يذكر ابن المبارك" ثم وقع بينهم صلح بأن يكون الترك بقسنطينة ويكون تصريف الوطن بينهم أثلاثا ثلثه لابن علي شيخ العرب، وثلثه لشيخ نجع الحنانشة وثلثه لحاكم الترك وتعاهدوا على هذا واصطلحوا عليه.."⁴.

من مظاهر الأهمية والمساواة التي ميزت العلاقة بين السلطة والقبيلة، أن الباي عند توليه قفطان التولية يلبسه ومن ثم يرسله إلى شيخ العرب ومن بعد إلى شيخ الحنانشة⁵.

على الرغم من امتلاك الحنانشة لأراضي واسعة، إلا أن طابع البداوة هو السمة البارزة، وذلك نتيجة لعدم استقرارها واستغلالها أجزاء منها فقط كمراعي للمواشي لها

¹ العربي الحناشي، المرجع السابق، ص ص 26-27.

² Peyssonnel et Desfontaines, **Relation d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger**, Libraire de Gide, t1, Paris, 1838, pp 292- 293.

³ العربي الحناشي، المرجع السابق، ص 31.

⁴ أحمد بن المبارك ابن العطار، المصدر السابق، ص ص 123-124.

⁵ المصدر نفسه ص124. ينظر أيضا: Charl Feraud, Les Harar..... Op.cit, p 201

وللقبائل التابعة لها، واعتمادها بشكل رئيسي على الثروة الحيوانية كمصدر رئيسي للدخل، إضافة إلى الثروة التي جمعتها من الضرائب المفروضة على القبائل الحليفة لها¹، كما تميزت مناطق الحنانشة بغابات كثيفة امتدت على طول الحدود الجزائرية التونسية من القالة شمالا إلى تبسة جنوبا، عمل الانجليز إلى غاية سنة 1817م على شراء الأخشاب من مناطق القالة وبني صالح وسيبوس مقابل 200 ألف فرنك سنويا، إضافة إلى انتشار أنواع مختلفة من الأشجار نذكر منها الفلين، الصنوبر البحري، أشجار الزيتون البري، البلوط، الأخضر، الصنوبر، الدردار².

من الملاحظ أن قبيلة الحنانشة لعبت دورا كبيرا في تحديد طبيعة العلاقة بين إيالتي الجزائر وتونس، وذلك لعدة أسباب نذكر منها امتدادها على طول المناطق الحدود الجزائرية التونسية، إضافة إلى امتلاكها نفوذ وقوة عسكرية في المنطقة مما جعل البلدين يتحاشيان قدر المستطاع الدخول في صراعات مباشرة معها، والعمل على بث الفرقة والصراعات داخل القبيلة لتحجيم دورها وتسهيل السيطرة عليها والحد من نفوذها.

5- أسرة بني جلاب:

خضعت المنطقة عبر تاريخها للعديد من الحكام كما يشير الوزان في قوله " كانت تقرت أولا خاضعة لملوك مراكش، ثم لملوك تلمسان، وأخيرا لملك تونس الذي تؤدي له خمسين ألف مئقال في السنة، شريطة أن يأتي بنفسه لجبي الخراج، وقد ذهب إليها ملك تونس الحالي مرتين"³.

كما تشير معاشي إلى ظهور أسرة بني جلاب مع نهاية العهد الحفصي ومنافستها الأسر النافذة الأخرى كأسرة بوعكاز الذواودة، وازدياد نفوذها بتحالفها مع الذواودة ليشمل أغلب المناطق الصحراوية من تقرت وتماسين حتى واد سوف⁴.

¹ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 49.

² توفيق بن زردة، المرجع السابق، ص 08.

³ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص136.

⁴ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص65.

أجمعت أغلب المصادر المحلية أن أصل بنو جلاب يعود إلى المرينيين، فحسب فيرو أن أول من أسس إمارة بني جلاب هو الشيخ سليمان الجلابي المريني، خاصة مع انتشار الفوضى وعدم الاستقرار بتقرت¹، وتعطل الأنشطة الاقتصادية، حيث عمل على استعادة الهدوء ساعده في ذلك علمه بطبيعة الحكم واستمالاته لأعيان المنطقة².

كما يشير العدواني إلى قدوم رجل من بني مرين، اعتاد على الحج إلى بيت الله الحرام، والقدوم إلى وادي ريغ³ لممارسة التجارة، فطلب أهلها منه الاستقرار عندهم، ليبي طلبهم ويأتي بأهله وماله، وقد كان له زوجتان إحداهما بتقرت والأخرى بتماسين⁴ وضع في خدمة كل واحدة منها أربعون عبدا⁵، يضيف أيضا أن منطقة واد ريغ مرت سنة 735 هـ بحالة من القحط وضيق العيش اضطر معها الناس إلى بيع أبنائهم وبناتهم وأزواجهم وكل ممتلكاتهم إلى الرجل المريني، ومن ثم أمرهم بأن يبنوا له مسجدا قبل السفر بهم لبيعهم، ليعتقهم فيما بعد ويولوه حاكما عليهم إلى الأبد، وعاهدوه على الوفاء له ولأبنائه⁶.

¹ تقرت: عاصمة وادي ريغ بين ميزاب غربا ووادي سوف شرقا يختلط تاريخها بتاريخ قبيلة ريغة سنجة وبني أفرن و بالحروب بين ابن غنية والموحدين، وعرفت تقرت حكم بني مزني وحكم بني عبيد الله وبني جلاب وسطوة الأتراك منذ صالح رايس الى ان دخلها الفرنسيون في 5 ديسمبر 1844. ينظر: مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 1981، ص 90.

² Feraud charl, **Les Ben djallab de Touggourt. Notes Historiques sur La province de Constantine**, in R.A.N23.1879.P266.

³ وادي ريغ: يقع إقليم وادي ريغ في الشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية في منخفض مستطيل الشكل، طوله حوالي مائة وستين كلم، ويتراوح عرضه بين 30 و40 كلم، يمتد شمالا من عين الصفراء الى غاية قرية قوق جنوبا. ينظر: عبد الحميد إبراهيم قادري، التريف بوادي ريغ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، ط1، الآمال للطباعة، الوادي، الجزائر، 1998، ص01. ينظر أيضا: أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، المطبعة العربية، [د.ط.]، الجزائر، 1948، ص42.

⁴ تماسين: بلدة صغيرة مكونة من أربعة أو خمسمائة منزل، تقع على بعد سبع أو ثماني فراسخ جنوب تقرت محاطة بسور وخنق تملأه مياه الأمطار في التاء يجف صيفا بسبب الحارة، تحتوي على ستة مساجد يتعلم بهم الطلبة، تنافس جارتها توقرت على الرغم من فارق القوة بينهما، تشتهر بالحدائق وغابات النخيل والينابيع الكثيرة. ينظر:

De M. Le Lieutenant-colonel Dumas, **Le Sahara Algérienne Etudes Géographiques. Statistiques et Historiques sur La Région au Sud des Etablissements Français en Algérie**, Paris, 1845, P184.

⁵ محمد بن عمر العدواني، المصدر السابق، ص139.

⁶ المصدر نفسه، ص 140-141. ينظر أيضا: Feraud charl, **Les Ben djalla..... Op.cit**, pp166-167.

يؤكد العياشي أن أصول بني جلاب ترجع إلى المرينيين بقوله "وأمرأ هذه البلدة أولاد أحمد بن جلاب، وأسلافهم من بني مرين ووالدهم هذا كان من أمرأ العدل على ما يحكي عنه ، وأولاده على سيرته لا يقدمون على أمر إلا بعد سؤال متفقهم.." ¹.

كما يشير عمراني إلى رسالة بعثها سلمان بن علي آخر سلاطين تقرت إلى نابليون بونابرت، يذكر فيها انتسابهم للمرينيين في قوله "...أننا أولاد جلاب سليلي السلطنة المرينية سلطنة توقرت من عمالة قسنطينة..." ².

إلا أن هناك اختلافا في تحديد تاريخ نشأة الإمارة، فالعدواني يذكر تاريخ 735 هـ/1334م ، كبداية لتولي السلطان سليمان الجلابي المريني الحكم ³، بينما يؤكد فيرو أن سليمان المريني إلى غاية سنة 886هـ/1481م لم يكن مؤهلا لحمل لقب السلطان، ملقبا إياه بالمولى وهو وصف في المغرب يطلق على الرجل صاحب المال والنفوذ ⁴، أما العياشي فيشير إلى تاريخ 817هـ كتاريخ لبناء صومعة مسجد تماسين وهو ما ذكره بالقول " وفي مسجدهم صومعة وثيقة البناء طويلة جدا فيها نحو من مائة درجة، على بابها اسم صانعها، وهو المعلم أحمد بن محمد الفاسي، وتاريخ بنائها سنة سبع عشرة وثمانمائة" ⁵، وهو الأمر نفسه الذي ذكره فيرو بتأكيده أن صومعة تقرت معاصرة لصومعة تماسين، وأن تاريخ بناء صومعة تقرت سنة 817هـ/1414م وفق ما دون على بابها من طرف المعماري أحمد بن محمد المنحدر من مدينة فاس يتوافق مع فترة ظهور الحاج المريني في وادي ريغ ⁶، كما يذكر بلحميسي أنهم من بقايا بنو مرين وحكموا تقرت

¹ عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ج1، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص122.

² معاذ عمراني، منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي(1854-1962م) دراسة سياسية، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، ص 44.

³ محمد بن عمر العدواني، المصدر السابق، ص 140.

⁴ Feraud charl, Les Ben djallab Op.cit, p265.

⁵ عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 119-120.

⁶ Feraud charl, Le Sahara de Constantine. Notes et Souvenirs, Adolphe Jordan, Alger, 1887, p31.

تقرت من القرن 15 إلى القرن 19م، وأن مؤسس الإمارة الحاج سليمان المريني الجلابي حكم من 1414م إلى 1431م، ثم استخلفه على الحكم ابنه على ثم حفيده أحمد¹.

قام الرجل الصالح سيدي محمد بن يحيى بتسليم حكم الواحة لأحمد الجلابي على الأرجح سنة 937هـ/1531م خوفا من استغلال اليهود حاجة الناس والتوسيع عليهم بالربا للسيطرة على ممتلكاتهم، وقيام الأخير بتقسيم الحكم بين أبنائه، فجعل محمد حاكما على تقرت وإبراهيم على تماسين²، يضيف شافو أن سلطان وادي ريغ محمد بن يحيى تنازل عن الحكم لصالح سليمان المريني الجلابي مقابل الديون المستحقة على سكان وادي ريغ خلال هذه السنة وهو التاريخ المرجح لقيام الإمارة، تقلد شؤون الحكم في الإمارة أكثر من 36 سلطانا في فترة تجاوزت الثلاث قرون كان آخرهم سلمان بن علي الجلابي مابين 1852 و1854 تاريخ سقوط الإمارة³، استطاع الحاج المريني توحيد مدينتي تقرت وتماسين والقضاء على الصراع القائم بينهما، والتناوب في الإقامة بينهما، لضمان الاستقرار وبالتالي التفرغ لتأسيس إمارته، كما استعان بالذواودة حكام الصحراء لترسيخ حكمه، لإدراكه انه من الصعب بناء إمارة قوية دون مساعدتهم⁴، فمن أهم مظاهر التقارب التقارب بين الطرفين علاقة المصاهرة ، بزواج الشيخ السخري بن يعقوب شيخ الذواودة من ابنة سليمان الجلابي، وما نتج عنه من تزايد نفوذ الإمارة السياسي والعسكري لتضم جميع واحات وادي ريغ بما فيها تماسين، بالمقابل رأى الذواودة أن ارتباطهم بأسرة بني جلاب يقوي من مكانتهم الاجتماعية⁵.

يشير الوزان إلى الأهمية الكبيرة لمنطقة تقرت بقوله "وتوجد حول تقرت عدة قصور وقرى و أماكن مأهولة على طول مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة، وكلها خاضعة لأمير تقرت

¹ مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص85.

² معاذ عمراني، المرجع السابق، ص ص 45-46

³ رضوان شافو، العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصحراوية في الجزائر (إمارة بني جلاب بوادي ريغ نموذجا 1531-1854)، مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، مج3، ع01، جامعة تلمسان، 2015، ص149.

⁴ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص70.

⁵ المرجع نفسه، ص ص 70-71.

الذي أصبح يجبي منها مائة وثلاثين ألف متقال، ولهذا الأمير حرس قوي من الفرسان ورماة القذائف والبنادق الأتراك ..¹، يظهر من خلال هذا الوصف الاتساع والمساحة الذي شملته الإمارة، إضافة إلى حيوية ونشاط مراكزها السكانية، وهو الأمر الذي انعكس على قيمة مداخلها الجبائية، عرفت المنطقة بعض الأنشطة الاقتصادية، على غرار ممارسة اليهود لعدة مهن في مواسم معينة وعدم استقرارهم بالمنطقة، نذكر من أهمها الصياغة و الصوف والسمسرة، إضافة إلى اقتصار قاطني المنطقة على ممارسة المهن الضرورية لحياتهم مثل النجارة والحدادة والخياطة وصناعة السلاح²، كما تعتبر المنطقة نقطة عبور للقوافل التجارية، يصفها الزبيري بمدينة الثروة والرخاء، لا سيما طريق نفطة و غدامس في قوله "طريق نفطة و غدامس الذي ينطلق من توغرت ثم يتجه نحو الشمال ليمر بمحطة الفيض حيث لينضم تجار بسكرة إلى القافلة، وبعد ذلك يعود نحو الجنوب الشرقي ليصل إلى كوينين، ومنها يأخذ اتجاهين أساسيين أحدهما شمالا نحو مدينة نفطة مباشرة، وثانيها نحو الجنوب إلى سوق غدامس مرورا بمحلة البئر الجديد"³.

يجدر الذكر أن سوق تقرت هو ثالث أسواق المنطقة بعد الوادي و ورقلة، كما تصدر المنطقة إلى الجنوب التونسي أهم منتجاتها كالتمر والأقمشة الصوفية العادية مقابل تزويد تجار المنطقة السوق المحلي بالأقمشة القطنية والعمود الأوربية، في حركة تجارية يومية مع الجنوب التونسي⁴، أما العياشي فيشير إلى العملة المتداولة لدى إمارة بني جلاب بقوله "و أما دراهمهم فقراريط صغيرة اثنان وثلاثون منها في ربع ريالة"⁵، فمن خلال اتخاذهم لأنفسهم عملة خاصة بهم، وازدهار الأنشطة الاقتصادية والمبادلات التجارية، يظهر مدى الاستقلالية و التنظيم وحسن التسيير الذي تمتع به أمراء بني جلاب و هذا ما لاحظته العياشي في رحلته، كما تتمتع منطقتي ورقلة و بني جلاب

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص136

² De M. Le Lieutenant-colonel Daumas, *Le Sahara Algérienne...* Op.cit, p 186

³ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 و1830، دار الحكمة، ط3، 2014، ص 156.

⁴ المرجع نفسه، ص156.

⁵ عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ج1، ص122.

باستقلالية كبيرة، مع الحد الذي لا تخضعان فيه إلى السلطة المركزية وفق ما لاحظته العياشي، مع تأكيده على أن المدينتين تدفعان فقط إتاوة سنوية تقدر بأربعين عبدا أسودا¹. عملت الصراعات على الحكم التي شهدتها المشيخة على إضعاف سلطة بني جلاب، وتمرد القبائل الخاضعة لها، وتركز الحكم بداية من 1736م بين تقرت وسوف، إضافة إلى التدخلات التي عرفتها المشيخة من عائلة بن قانة وتراجع سلطة شيوخها، وصولا إلى سنة 1854م تاريخ سقوطها².

سيرت السلطة العثمانية في الجزائر أربعة حملات عسكرية تأديبية إلى المنطقة، بسبب تمرد الإمارة ورفضها دفع الضرائب التي تعودت على دفعها للسلطة المركزية، بعد أن كانت العلاقة بين الإمارة والسلطة علاقة العبد بسيده³، ومن الملاحظ أن هذه الحملات كانت بمعدل حملة كل مائة سنة بمجموع أربع حملات، وذلك نظرا لبعدها عن السلطة المركزية، وارتفاع تكاليف تسيير هذه الحملات لصعوبة موقعها⁴.

رابعا: الصراع بين القبائل والسلطة في ريف البايك:

1- أسباب الصراع:

تميزت العلاقة بين القبائل في البايك والسلطة العثمانية بالتوتر المستمر، الأمر الذي انعكس على حالة الاستقرار في البايك عموما، خاصة مع تنامي الشعور بالظلم لدى سكان الأرياف، وتحينهم الفرصة للثورة ضد سلطة البايك، ورفضهم دفع الضرائب المستحقة اتجاه السلطة، مستغلين في ذلك مواقعهم الحصينة في الأرياف خاصة المناطق

¹ Shaw Thomas, Voyage dans plusieurs provinces de la barbarie et du levant. Contenant des observations géographiques. philologiques et mêlées sur les royaumes d'Alger et de tunis. sur la Syrie, l'Egypte et l'Arabie pétrée, Avec des carte et figure traduits de langlais. la hâte , t1, Paris, 1830, P165.

² خديجة يعقوب، شيوخ القبائل و مؤسسة المشيخة في بايلك الشرق الجزائري والوسط الغربي التونسي من 1700 إلى 1860، أطروحة دكتوراه الطور الثالث في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر: تاريخ وحضارة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2018، ص 143.

³ رضوان شافو، المرجع السابق، ص 150.

⁴ محمد بن معمر، علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر، مجلة الحضارة الإسلامية، مج 09، ع 12، جامعة وهران، 2005، ص 18.

الجبيلة منها، وهو الأمر الذي لا ينفي انتشار حركات التمرد حتى في المناطق الصحراوية، هذا الوضع الذي أضعف السلطة المركزية بشكل عام وسلطة البايات بشكل خاص، وأنهاك القطاعات العسكرية التي أصبحت في حركة دائمة لقمع هذه التمردات، مع تكبدها الكثير من الخسائر البشرية والمادية، هذا الوضع الذي نحاول الوقوف على أهم مسبباته في العناصر التالي:

الحملة العسكرية المفاجئة التي يقودها فرسان المحلة على الأرياف، بغرض الجباية وتغريم القبائل المتمردة، والتي تنتهي في الغالب بالاستيلاء على ما تجده من محاصيل ومواشي، الأمر الذي يؤدي إلى حرمان سكان الأرياف من مصادر رزقهم¹، فالورثاني يذكر عند وصفه لمدينة بسكرة، أن العثمانيين بعد دخولهم المنطقة اضروا بالناس واهلكوا البلد ، وهذا ما يذكره بالقول "...غير أن القديمة قد خربت وصارت دكا وسبب ذلك فتنة بينهم فأدخلوا الترك فأهلكوها حتى بقي القليل منها حاصل هان الناس قد خرجوا إلى البساتين فبنوا هناك من ذلك العهد"²، كما جاء في وثائق المكتبة الوطنية ذكر العديد من الحملات العسكرية ضد القبائل المتمردة، نذكر منها الحملة التي قادها الباي بعد عودته من المنطقة الغربية، قاصدا قبائل الجبيلية ببلاد الحنانشة بعد عصيانهم وتمنعهم عن دفع الضرائب، حيث استطاعت هذه الحملة مصادرة 615 رأسا من البقر و63 مابين خيل وبغال، وألف شاة من الغنم³، وفي حملة أخرى ضد أولاد رشاش بمناطق النمامشة، هاجمت الحملة وطن المحمل وقتلت منهم 38 فردا، واستطاعت مصادرة أكثر من 21600 رأس من الغنم و585 رأسا من الإبل و33 من البقر⁴، وهو الأمر نفسه الذي تعرضت له فرقة العمامرة في جبل الأوراس بعد أن تم مهاجمتها والاستيلاء على أملاكها، حيث وصل ما تم مصادرته الى 15600 رأس من الغنم و 1600 من البقر، لتنتقل

¹ ج.او. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج. او. هابنسترايت. الى الجزائر وتونس وطرابلس، تق وتغ وتر: ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2014، ص ص 66-67.

² الحسين بن محمد الورثياني، المصدر السابق، ص87.

³ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1642، الوثيقة 15. ينظر الملحق رقم: 03.

⁴ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1642، الوثيقة 18. ينظر الملحق رقم: 04.

الحملة لإخضاع مناطق أخرى كأولاد الشيخ وأولاد مسعود¹، كما جاء أيضا بإحدى الوثائق بالمجموعة 3190، الحملة التي قادها آغا العرب يحي ضد قبيلة عرب مرداس بعنابة، والاستيلاء منهم على 3000 رأس من البقر و 4950 رأسا من البقر و100 من الإبل و87 من الخيل، سلمت جميعها إلى الباي².

لعبت المؤسسات التجارية الفرنسية في الشرق الجزائري دورا كبيرا في إثارة المشاكل بين القبائل والسلطة، خاصة مع حصول شيوخ القبائل على فوائد كبيرة من تعاملهم مع هذه المؤسسات، على غرار ما حدث لمراد باي (1622-1637م)، وتراجع نفوذه في البايك، وإدراكه لما يحاك له من شيوخ القبائل بتواطؤ من تجار ومسيري هذه المؤسسات التجارية³.

كان للصراعات الحدودية بين الجزائر وتونس، الأثر البالغ في تأجيج الصراعات بين القبائل و السلطة، خاصة مع التدخلات والحملة المستمرة للجزائر على تونس، والتي تهدف إلى تغليب كفة أحد الأطراف المتصارعة على السلطة على حساب الآخر بما يخدم مصالحها، هذا الأمر الذي دفع بايات تونس إلى تحريض القبائل على التمرد بهدف إشغال والهاء السلطة في البايك بقمع هذه التمردات لتفادي تدخل هذه الأخيرة في شؤونها الداخلية. ومن أمثلة هذا التدخل التونسي، استدعاء و تحريض حمودة باشا لابن الأحرش على الثورة ضد السلطة في البايك بالقول "إن رجلا مثلك شجاع أو كلام بهذا المعنى يجب أن يذهب إلى ملك الترك(بالجزائر) وينزعه من أيديهم ونحن نمذك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك"⁴.

¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1642، الوثيقة 19. ينظر الملحق رقم: 05.

² وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 3190، الوثيقة 180. ينظر الملحق رقم : 06.

³ محمد عطية، ثورة ابن الصخري في الشرق الجزائري، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة- الأغواط-، مج 07، ع 01، جامعة، 2022، ص 627.

⁴ الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1168-1246هـ/1754-1830م، تح وبق: احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،[د.ط]، الجزائر، 1974، ص 85.

وأمام تراجع مداخل البحرية الجزائرية، بسبب الأوضاع الخارجية والداخلية التي عرفتها البلاد، حاول العثمانيون تعويض هذا النقص بالتوجه نحو دواخل البلاد لاستحداث مصادر دخل جديدة، الأمر الذي أدى إلى تأزم العلاقة مع رجال الزوايا الذين وجدوا في أهالي الأرياف الدعم اللازم، ليصل الوضع في الأخير إلى الصدام بين الطرفين، لاسيما مع نهاية القرن الثامن عشر الذي شهد العديد الحملات التي قادها صالح باي ضد معارضيه¹.

2- مظاهر الصراع بين الطرفين:

2-1. الحملات العسكرية على ورقلة وتوقرت:

أ- الحملة الأولى سنة 1552:

قادها صالح راييس باي الجزائر ضد منطقة ورقلة في شهر أكتوبر سنة 1552م ، بجيش مكون من مدفعين وثلاثة آلاف من المشاة وألف من الفرسان، وتمكن خلالها من حصار توقرت لمدة ثلاثة أيام، وإرغامها على الاستسلام ودفع غرامة مالية لحاكم الجزائر². يشير هايدو أن حملة صالح راييس اتسمت بالسرية فلم يبلغ بوجهته لمباغثة أمير توقرت، الذي تحصن في مدينته على أمل تلقي المساعدة من رعاياه والعرب وحلفائه وهو ما لم يحدث³.

انتهت حملة صالح راييس على توقرت بتعهد أميرها الشاب وأتباعه بالولاء للأتراك وأن يدفعوا جزية سنوية قدرت بخمسة عشر عبدا⁴، كما يذكر خير الدين سفر بعثة من

¹ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص147.

² ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية...، المرجع السابق، ص465. ينظر أيضا: مارمول كاربخال، افريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، ج3، [د.ط.]، الرباط، 1989، ص166.

³ Fray Diego de Haedo, **Histoire des Rois D'Alger**, Traduite et Annotée Par H.D de Grammont, in R.A, N24, 1880, p272.

⁴ Ibid, p273.

العثمانيين إلى تقرت ورقلة سنة 1552م تحت حماية شيخ العرب على أبو عكاز بن السخري الذوادي¹.

لم يذكر خير الدين سبب إرسال هذه البعثة إلا أنه من المرجح أنها سبقت الحملة و أن صالح رايس طالب من خلالها سكان المنطقة بالعودة عن قرارهم بالامتناع عن دفع الضرائب والتمرد عن السلطة المركزية.

ب- الحملة الثانية سنة 1649:

وكانت بقيادة يوسف باشا موجهة ضد مدينتي ورقلة وتقرت، يذكر شافو أن أسباب هذه الحملة هو الامتناع عن دفع الضريبة السنوية للسلطة المركزية والمقدرة بستة عشر عبدا²، وعلى الرغم من قلة المعلومات المتعلقة بالحملة، إلا أن نتائجها واضحة وأكثر ثباتا، بالترسيم و الإقرار النهائي للضريبة التي اعتاد سكان المنطقة دفعها للسلطة المركزية³، وقد جاء ذكر هذه الضريبة في دفتر التشريفات والمؤرخة في 20 صفر 1205هـ الموافق ل1790م ، على النحو التالي: 16 عبدا من تقرت، 04 عبدا من تماسين، 25 عبدا من ورقلة ، أي بمجموع 45 عبدا⁴.

ج- الحملة الثالثة سنة 1788:

قاد صالح باي⁵ الحملة على توقرت، يذكر دوماس أن سبب هذه الحملة هو الصراع على السلطة داخل إمارة بنو جلاب، حيث قام أحمد ابن عم الشيخ عمر حاكم تقرت بتحريض صالح باي للقيام بهذه الحملة⁶، وقد اتفق مع صالح باي خلال الرحلة من

¹ الشيخ محمد خير الدين، المرجع السابق، ج1، ص43.

² رضوان شافو ، المرجع السابق، ص151.

³ ناصر الدين سعيدوني ، ورفقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص 466.

⁴ A. Devoux. Tachrifat, **Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger**. Alger, 1852, P45.

⁵ من أشهر من تولوا حكم بايلك قسنطينة، عرف بأخلاقه وحسن تسييره، خلف الكثير من الآثار العمرانية، لاسيما بنائه لعديد المدارس والجموع، انتهت فترة حكمه بإعدامه سنة 1207هـ/1792م ، ينظر: عبد الرحمان بن محمد الجبالي، المرجع السابق، ج3، صص278-279.

⁶ De M. Le Lieutenant-colonel Daumas, **Le Sahara Algérienne...**Op.cit, p133.

قسنطينة إلى تقرت أن يدفع له ألف بوجو¹، مقابل أن يدفع فيما بعد ضرائب تقدر بمليون بوجو، يشار إلى أن الحملة استمرت لفترة طويلة حيث بقي في حصارها لمدة ستة أشهر بسبب مقاومة السكان على الرغم من ضربها بالمدافع وقطع جميع أشجار النخيل المحيطة بها².

وهو ما جعل صالح باي يتخذ القرار باكتساح المدينة في هجوم حاسم، استطاع من خلاله الحصول على الأموال المتفق عليها مع الشيخ أحمد بعد أن يصبح سلطانا، إضافة إلى تعويضه عن كل الخسائر والتكاليف التي تكبدها خلال الحملة³.

من الملاحظ أن هناك اختلافا في تحديد الفترة التي قضاها صالح باي في حصار مدينة تقرت فدوماس حددها بستة أشهر، بينما ينفي فيرو كل الكتابات التي تشير إلى هذه المدة مقدرا فترة حصار المدينة بإثنتان وعشرون يوما⁴.

يشير سعيدوني أن أسباب هذه الحملة تختلف عن سابقتها، فهي بعيدة عن الأسباب التوسعية والتأديبية، وإنما انطلقت من أسباب شخصية انتقامية إضافة إلى أنها استهدفت توغرت دون ورقلة على عكس الحملات السابقة⁵.

د - الحملة الرابعة 1818:

شنت هذه الحملة من طرف الباي أحمد المملوك ضد منطقة تقرت، بتحريض من فرحات بن سعيد، وبعد وصول قوات الباي وأتباعه المنطقة، حاول محمد بن جلاب استنزاف القوات المهاجمة بمعارك ثانوية عند كل واحة⁶، و التحصن وراء جدران

ينظر أيضا: عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 553.

¹ قطعة نقدية من الفضة (البوتون) تعرف بالبوجو أو الريال بوجو، ضربت بالجزائر وكانت شائعة الاستعمال، يصل وزنها الى 10غ، تعتبر الوحدة النقدية الأساسية، لها مضاعف زوج بوجو أو دورو. ينظر: عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر لمتولي السوق عبد الله بن محمد الشويهد، تق وتغ وتغ: ناصر الدين سعيدوني ، البصائر للنشر والتوزيع، [د.ط.]،الجزائر، 2014، ص39.

² De M. Le Lieutenant-colonel Daumas, *Le Sahara Algérienne...*Op.cit, p133.

³ Feraud charl, *Le Sahara de Constantine. Notes....*Op.cit, p65.

⁴ Ibid, p63.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، ورقات....، المرجع السابق، ص ص466-467.

⁶ Féraud charl, *Le Sahara de Constantine. Notes...*op.cit, pp 80-81

عاصمته، إلا أن الباي أمر بتدمير غابات النخيل و مع العصر تم قطع أكثر من مائتين نخلة، الأمر الذي اضطر محمد بن جلاب إلى تقديم ضريبة قدرت ب100 ألف ريال بسيطة وهي ضعف القيمة التي وعد بتقديمها فرحات بن سعيد مقابل حكم المنطقة، لينقد محمد بن جلاب تقرت من الدمار ويحافظ على استقرار المنطقة¹.

يذكر سعيدوني أن هذه الحملة استهدفت تقرت دون ورقلة، و أن حكام تقرت استمروا في تقديم هذه الضريبة إلى بايات قسنطينة إلى غاية سقوط بايلك الشرق سنة 1837م².

2-2: ثورة ابن الأحرش:

هو الحاج محمد ابن عبد الله ابن الأحرش، عرف عند عامة الناس بالبودالي، بينما عرف رسميا بالشريف المغربي، هذا الوصف الذي كان شائعا في هذه الفترة، فكل من تولى أمر الثورة يدعي النسب الشريف، ليلقى القبول من الناس، ويدفع عنه المنافسين ويأمن عداوة القبائل³، يوصف بأنه في مقتبل العمر طويل القامة أشقر اللحية، قوي البنية، امتلك الكثير من المقومات التي ساعدته في إقناع الناس بثورته كالشجاعة و المكر والدهاء وفصاحة اللسان⁴.

يذكر صاحب الثغر الجماني، أنه بعد عودة ابن الأحرش من الحج سنة 1218هـ، قام بتأسيس معهد ببني فرقان بنواحي جيجل، كما انتقل بدعم من مريديه إلى قسنطينة وحاصرها عدة أيام، إلا أن سكانها رفضوا الاستسلام وقاوموا هجمات ضد ابن الأحرش وأتباعه، بقيادة ابن الفكون الذي خلف الباي عثمان لغيابه بنواحي سطيف، لينجح في صد هذه الهجمات ويتراجع المهاجمون إلى معسكرهم بوادي الزهور⁵.

¹ Féraud charl, Le Sahara de Constantine. Notes...op.cit, p82.

² ناصر الدين سعيدوني ، ورفقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص 467.

³ ناصر الدين سعيدوني، ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية، مجلة الثقافة، ع78، الجزائر، ديسمبر 1983، ص201.

⁴ المرجع السابق، ص202.

⁵ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح و تق: الشيخ المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع. ط1، الجزائر، 2013، ص 45.

و لما علم عثمان باي بوصول ابن الأحرش إلى قسنطينة وهزيمته على أبوابها، راسل الباشا مخبرا إياه بما حدث، هذا الأخير الذي حثه على قتل أو طرد ابن الأحرش خارج المنطقة، ليحشد عثمان باي قواته وينطلق قاصدا مكان ابن الشريف المحصن بوادي الزهور، لتقوم القبائل بقطع الطريق عليه بينه وبين محلته، ويفقد طريق العودة، ليبقى محاصرا يتعرض لهجمات القبائل، لتنتهي هذه الحملة بمقتله مع الكثير من جنده¹.

يرجع سعيدوني أسباب هزيمة ومقتل عثمان باي إلى التغير به من طرف أحد المرابطين من قبيلة بني صبيح يعرف بالمرابط بغريش، وتسهيل له مهمة القضاء على ابن الأحرش، وأنه لا يحتاج سوى لفرقة صغيرة من الجيش لإلقاء القبض عليه، الأمر الذي جعله يرسل فرقة مكونة من خمسمائة فارس، لتحاصر ويطلق عليها النار فور وصولها منطقة تعرف ب"خناق عليهم"، ليتدخل الباي محاولا تخليص جنوده، الأمر الذي كان له، إلا أن محاصرته من القبائل وتحويلهم لمسار سيل وادي الزهور لكان معسكره حرمه من ركوب الخيل واستعمال المدافع، الأمر الذي اضطره إلى محاولة الانسحاب نحو الميلية، عبر ممر صعب يعرف بممر "بوغدر"، الأمر الذي أدى الى تعثر فرسه وسقوطه إلى حافة السهل، ليستغل أحد المرابطين المسمى الزبوشي الفرصة ليطعنه بسيفه².

تأثر الباشا تأثرا شديدا بعد بلوغه خبر مقتل عثمان باي، وعزم على أن يقود الحملة بنفسه ضد ابن الأحرش (1797-1805م)، إلا أن حاشيته أشارت عليه بالعدول عن ذلك، الأمر الذي استجاب له الباشا، وقيامه بتعيين باي جديد يسمى عبد الله، مكلفا إياه بإيصال رسالتين، الأولى لابن الفكون، بينما الثانية لأهالي المدينة، شاكرا إياهم على جهودهم للدفاع ضد العدو³.

¹ محمد الصالح ابن العنترى ، المصدر السابق، ص ص 70-71. ينظر أيضا: الحاج احمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص86.

² ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية ...، المرجع السابق. ص ص 260-262.

³ محمد الصالح ابن العنترى ، المصدر السابق، ص ص 71-72.

عاش ابن الأحرش وضعاً صعباً، خاصة بعد تعرضه للمطاردة من فرق الانكشارية، كما تنكر له شيوخ الزوايا وقادة العشائر، ليتأزم وضعه بتعرضه للهزيمة على يد عبد الله باي بنواحي ميلة، ويتم القضاء نهائياً على ثورته، بعد عشرة أشهر من تتبعه من الجيش الانكشاري، وتعاون بين الحاج علي آغا¹ والباي عبدالله²، لتتضارب الأنباء حول مصيره بين مقتله و عدمه، خاصة مع ظهوره بعد عدة أسابيع محاصراً بجاية، التي تدخل آل المقراني لتخليصها من سطوته³، لينتقل بعدها عند حليفه ابن الشريف شيخ درقاوة في بايلك الغرب ليلقى حتفه مسموماً على يد أحد أصحابه سنة 1807م⁴.

ساهمت ثورة ابن الأحرش في إضعاف حكم البايك في الأرياف، الأمر الذي شجع الأهالي على عدم دفع المستحقات الجبائية للسلطة، مستغلاً في ذلك نعمتهم على الأوضاع المعيشية الصعبة، التي كانت من أهم مسبباتها المعاملة الجائرة للبايلك وتعسفه في فرض الضرائب والغرامات⁵.

أما بالنسبة للأسباب المرجحة لفشل ثورة ابن الأحرش، فهو انتمائها للطريقة القادرية التي لم يكن لها أتباع كثر بالشرق الجزائري، وولاء أغلب القبائل إلى زعماء المنطقة المستفيدين من علاقتهم مع السلطة، إضافة إلى فشله في عقد أحلاف مع القبائل المتنفذة في أرياف البايك، مثل أولاد مقران بمجانة، كما أن ابن الأحرش لم يستغل فرصة قضائه على الداوي عثمان لتثبيت حكم في البايك قبل وصول الدعم العسكري من السلطة المركزية⁶.

¹ أرسل من الباشا لتهدة المنطقة الشرقية، والحد من تأثير الاضطرابات، نتيجة لثورة ابن الأحرش، والتي أدت إلى مقتل عثمان باي.

² ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية...، المصدر السابق، ص ص 263-264.

³ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 46.

⁴ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص 30.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص ص 346-347.

⁶ المرجع نفسه، ص ص 345-346.

2-3. ثورة ابن السخري:

في محاولة من مراد باي للحد من نفوذ أسرة بوعكاز الذواودة، استدعى في 17 جوان 1637م إلى معسكره بالقرب من قسنطينة، محمد بن السخري بوعكاز وأعيان قومه، ليعقد له محاكمة بواسطة مجلس الديوان، وتكون قراراتها بإعدام محمد بن السخري وابنه وستة من أعيان قومه، لينفذ فيهم حكم الإعدام¹، وذلك بعد أن مهد لهذه الخطوة بإرسال طلب للبasha علي للموافقة على قتل شيخ العرب بحجة التمرد²، لتقطع رؤوسهم وترسل إلى قسنطينة، لوضعها فوق سور البلد، ماعدا رأس الشيخ محمد وابنه لم يأتيا بهما إلى المدينة³.

بدأ أحمد بن السخري ثورته ضد مراد باي انتقاما لأخيه سنة 1638م، بهجومه على مدينة قسنطينة من الجنوب الغربي، مستعينا بقوات أسرة المقراني بقيادة بتقة بن ناصر، بالمقابل ثارت أسرة الحناشنة ضد مراد باي وكبدته خسائر كبيرة، احتجاجا على هدم الباستيون، الذي يدر على الأسرة أموالا طائلة⁴، كما أسفر هذا الهجوم عن قتل خمس وعشرين رجلا من المدافعين عن المدينة، كما تم إحراق كل نوادر القمح والشعير الموجودة بالفحص الأبيض والحامة وصولا إلى جنة المنيا، أما في اليوم التالي للهجوم فاستمر النهب والحرق لكل دشرة وجد بها مخزون من الحبوب، حيث امتدت النيران من قسنطينة حتى حفرة صنهاجة⁵.

تميز الصراع بين الطرفين، بسقوط الكثير من القتلى، تخريب المزارع والمساكن، كما حوصرت مدينة قسنطينة، وانتشرت حالة الاضطراب في البايك، إضافة إلى تعرض مراد باي إلى هزائم عدة، على غرار معركة سهل فيجل بالقرب من سطيف، التي تعرض فيها لهزيمة نكراء انتهت بفراره، على الرغم من إرسال البasha للقائدين يوسف وشعبان لتقديم الدعم له⁶، على الرغم من المساعدات الكبيرة المرسله والتي قدرت ب200 خيمة أي

¹ محمد الصالح ابن العنتري ، المصدر السابق، ص ص 36-37..

² Berbrugger Adrienne, *Notes relatives a la révolte de Ben Sakhri*, R.A, N 59, 1866, p 349.

³ Feraud Charl, *Epoque de L'établissement...* Op.cit, pp 180-181.

⁴ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 339-340.

⁵ Feraud Charl. *Epoque de L'établissement...* Op.cit, pp 180-181.

⁶ محمد الصالح ابن العنتري، المصدر السابق، ص 37. ينظر أيضا:

حوالي 4000 رجل، أضيفت إلى 100 خيمة موجودة عند مراد باي، أي بمجموع 6000 آلاف رجل، مقابل 10 آلاف رجل من القبائل موزعين بين الرجالة و الخيالة¹. إلا أنها لم تنقذهم من الهزيمة أمام أحمد بن السخري سنة 1638م، هذا الأخير الذي استولى على معسكراتهم و قتل ألف رجل منهم²، ليرسل باشا الجزائر سنة 1639م، قوة عسكرية كبيرة للانتقام لهذا الفشل الذي منيت به القوات النظامية، إلا أن قوات القبائل في هذه المرة كانت أكثر عددا وتنظيما من سابقتها، لتحاصرهم هذه القوات من كل جانب، وتتقطع عنهم الإمدادات ليصاروا الجوع والعطش، ليتدخل أحد المرابطين ويفرض اتفاقا على السلطة وفق الشروط التالية:

- عدم دفع القبائل للزمة مستقبلا.
 - تعود هذه القوات مباشرة إلى العاصمة دون أي تغيير للوجهة وإلا تعرضوا للقتل.
 - إعادة بناء الباستيون وملحقاته.
 - عودة جميع الكرغليين إلى الجزائر، وتمكينهم من مناصبهم التي حرّموا منها ظلما.
- ليتعهد المرابط بحماية القوات المنسحبة إلى العاصمة، وأن من يهاجمهم فهو عدو الله ورسوله³.

خامسا: الصراع على السلطة في البايك وأثره على الريف:

بيدوا أن التمرد في البايك لم يعد مرتبطا بالأرياف فقط، فالسياسة العثمانية التي انتهجتها، لتثبيت أركان حكمها، والمعتمدة في عمومها على الجباية، والتي مكنت لحالة عدم الاستقرار في البايك، جعلت الصراع ينتشر حتى داخل جهاز الحكم، خاصة مع تغول الجنود الانكشاريين وتكرر حالات القتل والاعتداءات، هذا الضعف الذي ميز نظام

Feraud Charl. *Epoque de L'établissement...* Op.cit , p 183.

¹ Berbrugger Adriane. *Notes relatives a la révolte de Ben Sakhri...* Op.cit. p 343.

² Ibid, p184.

³ Ibid, pp 344-345.

الحكم خاصة في الفترة الأخيرة للوجود العثماني استغله رجال ووجهاء القبائل لتقوية نفوذهم، وتحقيق مكاسب على حساب سلطة البايك .

ومن حركات التمرد التي أشرنا إليها داخل نظام الحكم، ثورة أولاد عبد المؤمن داخل مدينة قسنطينة في 12 أكتوبر 1642م، هذه العائلة التي تعتبر من العائلات المتنفذة صاحبة الجاه والحظوة، والتي دخلت في صراع مسلح مع الجنود الانكشاريين ردا على الإهانات والاعتداءات المتكررة، ليستمر القتال ليومين في شوارع المدينة، ويسقط من أولاد عبد المؤمن لوحدهم 24 قتيل، و يضطروا للتحصن في أحيائهم، ليتدخل شيخ البلد وشيخ الإسلام، لحل الخلاف ومعاينة الجناة من الطرفين¹.

إضافة إلى تمرد أحمد الشاوش الضابط المتقاعد، الذي يتمتع بعلاقة طيبة بين الجنود، ليناصبه الباي العداء بعد أن أشيع أنه يريد خلائته على منصبه، ليفر إلى القبائل طلبا للحماية، ويستطيع فيما بعد بمساعدتهم قتل والي قسنطينة علي خوجة غسول سنة 1808م، ليسارع الداي بتعيين أحمد طوبال واليا جديدا خاصة بعد تصالح شاوش مع التونسيين، ليتم القبض على أحمد الشاوش ويقتل خنقا².

هذه الأحداث وعدم الاستقرار الذي عرفه نظام في البايك لفترات طويلة، أثر بشكل كبير على علاقة السلطة بأهالي الأرياف، وذلك لاختلاف طريقة التعامل بين باي وآخر، فهناك من يعتمد على الطرق الودية لكسب ولاء القبائل، وهناك من يتخذ من القوة العسكرية وسيلة لإخضاع القبائل، هذا الوضع أثر حتى على ولاء القبائل وتقلبها بين التمرد والخضوع، كل هذا نتيجة لعدم استقرار نظام الحكم. فالأستاذ سعيدوني يذكر أنه تعاقب على حكم البايك ثلاثة عشرون بايا في الفترة التي تلت حكم صالح باي، ولم يستطع أغلبهم البقاء في الحكم إلا لفترات قصيرة³.

¹ محمد الصالح ابن العنتري، المصدر السابق، ص38.

² محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص ص30-31.

³ ناصر الدين سعيدوني، مذكرة حول ...، المرجع السابق، ص ص8-9.

ومن خلال ما سبق يمكن القول:

سياسة العثمانيين القائمة على الجباية خاصة مع تراجع مداخل الجهاد البحري، أدخلت البايك في حالة عدم الاستقرار، على الرغم من محاولة السلطة إخضاع القبائل بالقوة العسكرية إلا أنها فشلت في ذلك، كما ساهمت في اتساع الهوة بين السلطة والقبائل.

كما أن المشايخ والأسر الحاكمة استطاعت أن تحقق استقلالية كبيرة في تسيير أمورها، خاصة مع تضخم نفوذها السياسي والاقتصادي، الذي جعل السلطة تحاول كسب رضا زعمائها بمنحهم عديد الامتيازات، لضمان ولائهم من جهة، و الاستعانة بهم لقمع حركات التمرد من جهة أخرى.

كما كان للتدخلات الأجنبية، سواء عبر الشركات التجارية النشطة في البايك خاصة الفرنسية منها، أو التدخلات من بعض الدول الحدودية لا سيما تونس بحكم التداخل بين البلدين، وتوزع القبائل على طول المناطق الحدودية، الأثر الكبير في استقرار البايك، حيث عملت هذه الأطراف لتشجيع القبائل على التمرد، مقابل الحصول على مكاسب من التعامل معها، ووعدها بتقديم الدعم في حالة دخول هذه القبائل في صراع مع السلطة.

الفصل الثاني:

الواقع الاجتماعي في ريف بايلك الشرق

أولاً: العادات والتقاليد.

ثانياً: المناسبات الدينية والاجتماعية.

ثالثاً: العمران في الريف.

رابعاً: الأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية وتأثيرها على المجتمع.

نهدف في هذا الفصل إلى دراسة الوضع الاجتماعي في ريف البايك، بداية من العادات والتقاليد، وإبراز مدى التنوع والثراء الذي عرفه هذا الجانب بحكم الاتساع الجغرافي للبايك، إضافة إلى طرق إحياء المناسبات الدينية والاجتماعية والطقوس التي رافقتها، كما تناولنا العمران في الأرياف والذي ارتبط عموماً بجغرافيا المنطقة والنشاط الذي مارسه الأهالي، حيث تميزت كل منطقة بنمطها العمراني الخاص وفق ما توفر من وسائل، كما أن ارتباط واستقرار سكان الريف بمناطقهم يرجع إلى توفر سبل العيش، الأمر الذي لم يتوفر دائماً خاصة مع تعرضها للكوارث المختلفة كالأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية.

أولاً: اللباس في الريف:

إن اللباس في الأرياف هو انعكاس لطبيعة السكان وظروف عيشهم، فالأهالي في الريف وباعتبار تربية الحيوانات هي المصدر الأساسي لعيشهم، فهم يستغلون ما يحصلون منها من صوف ووبر وجلود لحياكة ألبستهم، والتي وإن تشابهت في عمومها، إلا أنها تختلف في مادة وطريقة صنعها، فالمناخ في المناطق الريفية في بايلك الشرق له تأثير كبير في ذلك، فالمناطق الجبلية والداخلية تكون أكثر برودة، والعكس بالنسبة للمناطق الشبه الصحراوية والصحراوية.

1-1. اللباس في المناطق الجبلية:

يختلف لباس أهالي جبال الأطلس عن بقية المكونات كالعرب و العثمانيين وسكان الصحراء، فلباس الرجل في هذه المنطقة مكون من قندورة صوفية، وبرنس أبيض، أما حذاءه فخف من الجلد، يربط خفه وساقه بخرقه حتى الركبة، ويلبس عدة قلنسوات بيضاء تعلوها قلنسوة حمراء، كما يضيف شلوصر أن الأهالي، لا يهتمون بالثياب الفاخرة، ويحتفظون بالثياب التي يتوارثونها إلى ما يقارب المائة سنة ويرقعونها حتى تتلاشى قطعة قطعة، وتبقى متداولة حتى للبيع في الأسواق¹. يبدو شلوصر مبالغاً في ما ذكره لأنه من

¹ فنديلين شلوصر، المصدر السابق، ص ص 95-99.

غير المعقول أن تبقى هذه الألبسة وتستعمل لمائة سنة كاملة في ظروف جغرافية ومعيشية صعبة.

يضيف شلوصر وهو يصف حاله بعد أن تم تسليمه هو ورفيقه إلى أحد شيوخ زاووة المعروفين المدعو ابن زعمون، لباس هذا الشيخ بالقول، إن منظره بسيط" يرتدي سروالا تركيا رفيعا وحائكا وبرنسا، أما في ميدان المعركة فيرتدي سروالا أحمر، وصديريا أحمر أو أخضر، ووشاحا أحمر بحزام مذهب، علق به مسدسان فضيان وجعبة صغيرة للذخيرة، ويلتمع إلى يساره يطغان فضي مقوس، ويضع على رأسه عددا من القلنسوات، يحيط بها خيط أو عمامة حمراء، وفوقها مظلة قشبية واسعة الحافة تحميه من الشمس، وفي بعض الأحيان قبعة من ريش النعام تشبه القبعات الفردية التي يحملها الجنود المتخصصون في حفر الخنادق"¹.

كما يرتدي سكان مناطق جرجرة القبعة والتي تأتي في الغالب من الخارج، إضافة إلى البعض منها الذي يصنعه رجال المناطق الريفية، أما بالنسبة للأحذية فهناك قلة من صانعيها بالمنطقة لغلاء تكاليفها، فهي حكر على الأغنياء فقط، أما العامة فيرتدون الصنادل الصغيرة أو يلفون أقدامهم بجلود الأبقار المغطاة بالشعر"².

وفي خضم الوصف الذي قدمه شلوصر لرحلته مع الأسر، يعطي لنا صورة مهمة عن طبيعة لباس الشخصيات المتنفة وعلية القوم، ومما تطرق له أن ابن زعمون قام بتسليمه لصديقه المرابط المعروف بمنطقة زاووة سيدي على بن عيسى القاطن بأعالي جرجرة، وفي صياغ ذكره لظروف انتقاله لسيده الجديد يذكر شلوصر طريقة لبسه بالقول "وكان لباسه يشتمل على سروال أبيض أو قندورة بيضاء مصنوعة من القطن، وحائك

¹ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص18.

² C.Devaux, Les kabailles du djedjera. **Études nouvelles sur les pays vulgairement appelés la grande kabylie**, camoin frère. Libraires éditeurs, Paris,1859.p128.

تتخيله خيوط حريرية وبرنس، وقلما كان يحمل عمامة، ويرتدي عادة عصابة بيضاء صوفية أو شاشية حمراء يغطيها الحائك¹.

كما يعتبر الحايك اللباس الأساسي لسكان منطقة زاوة، والذي يبلغ طوله عادة ثمانية عشر شبر وعرضه خمسة أو ستة أشبار، كما يستغل كفراش وبطانة في الليل، وعلى الرغم من كونه خفيفا إلا أنه غير مريح يحتاج حزاما لتثبيته².

أما فون مالتسان فيذكر ما رآه عند مبيته في أحد بيوت الضيافة برفقة مسافرين من الزاوة، واصفا خلع أحدهم لبرنسه ليرقععه، حيث ظهر قميصه متسخا، مؤكدا أنه لا يغسله أبدا، حيث تعددت ألوانه بين الأصفر في الأسفل، والبني في الوسط، والأسود في الأعلى، مؤكدا أنه في الأصل يصنع من الصوف بينما حاليا فهو مجموعة من الخيوط، تتخللها ثقوب كبيرة، على الرغم من ترقيعه إلا أن حالته ازدادت سوء، مشيرا إلى أن مرقع البرنوس شيخ قبيلة يمتلك الكثير من المال³، يستعمله الأهالي لمدة طويلة حتى يتساقط قطعة قطعة، كما أنه قابل للإصلاح والترقيع لمرات عديدة⁴.

لباس المرأة في جبال الأطلس يشبه لباس نساء العرب، إلا أنهم يزدن عليه بلبس الحائك، وقميص وقندورة صوفية، كما يتزين في أيديهن وأرجلهن بخلاخل كبيرة وعريضة، وعلى جانب رؤوسهم تتدلى ضفيرتان من الخيوط الصوفية الزرقاء، تثبت بهما حلقتين مرصعتين بالجواهر ومعلقتين فوق الأذنين، كما إنهن يمشين بوجه مكشوف في الخارج والداخل⁵.

كما تلبس النساء بمنطقة جرجرة الحايك والذي هو عبارة عن قطعة تقوم النسوة بحياكتها من الصوف، ويتم شدها بالدبابيس، تزين أطرافها بقطعة أخرى من اللون الأحمر

¹ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 21.

² طوماس شو، المصدر السابق، ص 69.

³ هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في غرب شمال إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، دار الأمة، ج 2، ط 1، 2008، ص ص 134-135.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 40.

⁵ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 100.

أو الأزرق بعرض أربعة أصابع، بينما تغطي النساء الغنيات رؤوسهن بقطعة من القماش أو منديل من القطن¹.

وفي العموم يتكون لباس نساء المنطقة، من قطعة كبيرة من الصوف أو القطن، يتم طيها إلى جزأين وتربط من اليمين واليسار بدبابيس مزخرفة من الفضة أو الحديد، يتم تثبيته على الخصر بحزام من الحرير أو الصوف، ويتم إخراج اليدين من فتحتين في أعلى الثوب، أما الرأس فيتم تغطيته بقلنسوة من الصوف أو الحرير، تثبت برباط على مقدمة الرأس يتدلى المتبقي منه على الكتفين².

كما يذكر فون مالتسان أن نساء منطقة زواوة البدويات لا يلبسن الحجاب، وهذا ما يذكر عند مرور موكب من فرسان الصبايحية ينقلون فتاة إلى العاصمة تدعى لا لا ثريا لم تبلغ خمسة عشر سنة وهي ابنة أحد زعماء زواوة، متهمة بمحاربة الفرنسيين بعد خضوع والدها لهم³، يضيف عند زيارته لقبيلة آيت مليكش، أن نساءها سافرات ولم يهربن عند رؤيتهن⁴، ما ذكره مالتسان فيما يخص لباس النساء لا يمكن أن يعتد به بشكل كبير، فهو يعمم ظاهرة السفور على جميع نساء الأرياف، وهو ما يجافي الحقيقة حتى وإن وجدت هذه المظاهر إلا أنها تبقى حالات خاصة لا يمكن تعميمها على كل نساء الأرياف، وبالتالي يجب التعامل بحذر وتمحيص مع كل الكتابات الغربية التي تلت الوجود العثماني، الرامية إلى ترسيخ الإيديولوجية الاستعمارية والانتقاص من مقومات المجتمع الجزائري وشيطنة الوجود العثماني في الجزائر.

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 40-41.

² أ.هانوتو لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، الجزائر، 2013، ص 557.

³ هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص94.

⁴ المرجع نفسه، ص152.

أما بالنسبة للباس الأطفال فهم لا يلبسون شيئاً، إلا في فصل الشتاء أو عند البلوغ، وهذا ما يذكره حمدان خوجة بالقول "وأما الأولاد الصغار فإنهم حفاة عراة تماماً، كما رأيتهم بنفسى، فلا تغطى أجسامهم إلا في فصل الشتاء، أو عندما يصلون إلى سن البلوغ"¹.

1-2. اللباس في المناطق الداخلية والصحراوية:

تعتبر القندورة اللباس الأساسي في المناطق الداخلية والصحراوية، والتي يشبهها حمدان خوجة ، بالكيس المنسوج من الصوف الذي تحيكه النسوة، لونه أسود، مكون من ثلاث فتحات، فتحة في الرأس ليخرج الرأس منها، أما الفتحتان فتكونان على الجوانب لإخراج اليدين، أما عرضه فيبلغ باعا بالتقريب، والطول إلى نصف الساق².

إضافة للباس الرجال للحايك، بالمناطق الداخلية والذي هو عبارة قطعة من القماش المصنوع من الصوف الأبيض الخشن، يصل طوله إلى أربعة أو خمسة أذرع، يغطون بها أنفسهم حتى الرأس³، وهذا ما يؤكد شالر بالقول إن سكان الأرياف يلبسون الحايك والسراويل الضيقة نوعا ما والعمامة، أو قلنسوة حمراء من الصوف تدعى الشاشية، واصفا الحايك بأنه يصنع من الصوف، كما أنه غير مريح يضطر صاحبه لمسكه دائما، يستغل كمعطف في النهار وغطاء في الليل⁴.

كما أن الحايك في المناطق التلية والصحراوية مشابه لما هو موجود في مناطق زاووة، وأن الفرق بينهما يرجع إلى مادة صنعه ففي هذه الأخيرة يصنع من الصوف بينما يصنع في المناطق الصحراوية والتلية من القطن، ويضيف الأغنياء له منديلا يربط بالحائك تفاديا لضياعه⁵.

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص41.

² المصدر نفسه، ص40.

³ Laugier de Tassy, **Histoire de royaume d'Alger**, Amsterdam chez Henri du sauzet, 1725, p56.

⁴ ويليام شالر، المصدر السابق، ص84.

⁵ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص47.

أما البرنوس فهو يعتبر لباسا مشتركا لكل فئات المجتمع إلا أن الاختلاف يكمن في بعض التفاصيل الخاصة بكل منطقة، فهو مكون من قطعة واحدة ضيقة حول العنق مع قلنسوة لتغطية الرأس، وواسعة في الأسفل كالمعطف، تستعمل عادة في حالة المطر والبرد، كما يضيف العرب الشاشية الحمراء كرمز لإثبات النفوذ كأصحاب المال والنفوذ والعسكريين، تلف هذه الشاشية بالعمامة وهي طويلة وضيقة تصنع من القماش والحريير أو الشاش، إضافة إلى لبس بعض الرجال للجبلية والتي هي عبارة عن سترة ضيقة تلبس تحت البرنوس، والتي تأتي بالأكام وبدونها¹، وهذا ما يؤكد دو تاسي بقول أن سكان المناطق التلية والصحراوية يلبسون البرنس، الذي هو عبارة عن عباءة مشكلة من قطعة واحدة من الصوف الأبيض أو الملون، ذات طرز خفيف، تلتصق بها قلنسوة، مشيرا إلى استعمال نفس البرنوس لفترات طويلة².

بالنسبة للأحزمة التي ينتشر ارتداؤها لدى الأهالي العرب والزواوة، والتي تلف حول الجسم عدة مرات، فتصنع من الصوف، مزود بأشكال وأعمال فنية في نهاياتها، تأتي مخرطة لاستعمالها كحافطة، أما القميص فلبسه ليس منتشرا لدى العرب، ماعدا بعض سكان الدواوير الذين يرتدي فيهم الأزواج القميص يوم الزفاف، أما القمصان الرجالية فلها أكمام واسعة مفتوحة، مع عدم وجود ثنيات في المعصم، أما سكان الريف فلا يرتدون السراويل القصيرة إلى في الزيارات واستقبال الضيوف، بينما قميص النساء فمصنوع من الشاش والشرائط الملونة، كما يتميز فستان البنات عن النساء المتزوجات ، بكونه مطرزا تلحق به شرائط من الحريير والكتان³، كما تلبس النساء في السهول الحايك المصنوع في فصل الصيف من القطن، بينما يصنع في الشتاء من الصوف أو وبر الإبل⁴.

أما لباس العرب في الصيف فيتكون من قميص قطني تعلوه قندورة من الصوف تحيط بحواشيها شريط آخر يلف فوقها حائك توجد به خيوط قطنية يرتدي فوقه برنسا

¹ طوماس شو، المصدر السابق، ص 70.

² Laugier de Tassy, **Histoire de royaume** Op.cit. p57.

³ طوماس شو، المصدر السابق، ص ص 71-72.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 48.

أبيض خفيف، ويردف فوقه برنوس خشن أبيض اللون أو بني، وحذاء مصنوع من جلد الغنم الأسود أو الأحمر مع ارتداء عدة قلنسوات بيضاء تعلوها واحدة حمراء لتكون أكثر قساوة، يلف حولها خيطا أبيض أو بني أو أسود من شعر الإبل¹، أما بالنسبة للباس المناطق الصحراوية فيشبه اللباس العربي، إلا أنه يختلف عليه في كونه لا يحمل خيطا، بل عصابة بنية أو سوداء، إضافة إلى ارتدائهم جزمة حمراء أو صفراء².

تذكر بعض المصادر خاصة الأوربية منها، على غرار ما ذكره فون مالتسان بخصوص سفور أغلب النساء في الأرياف، والتي يبدو أنه بالغ فيها كثيرا، لأن أغلب سكان الريف متمسكون بتعاليم الشرع الإسلامي، كما أن عاداتهم وتقاليدهم تمنع مثل هذه المظاهر، وهذا لا ينفي وجود بعض مظاهر التبرج والسفور التي ذكرها بعض الرحالة الآخرين بما فيهم العرب، إلا أنه لا يمكن بحال من الأحوال اعتبارها ظاهرة عامة في الأرياف، لذلك وجب التعاطي مع الكتابات التي تلت الوجود العثماني في الجزائر بجزر شديد، على الرغم من المعلومات المهمة التي أوردتها.

أما بالنسبة للباس الأطفال بالريف بالمناطق الداخلية والصحراوية، فالأطفال يتكون عراة إلى غاية بلوغهم سن السبع أو الثمن سنوات، ومن ثم يعطونهم خرقا لستر أنفسهم، فالأمهات يحملن الأطفال وهم فترة الرضاعة في مناديل تربط خلف ظهورهم في الفترة التي يذهبون فيها إلى جمع الحطب أو العمل في الحقل³.

كما يأتي ذكر العديد من الألبسة وذلك بالاعتماد على الأرشيف الوطني التونسي الذي يذكر بعض مكونات الهدايا المرسله من باي قسنطينة مصطفى إلى باي تونس سنة 1213هـ/1798م، حيث جاء ذكر البرانس مشيرا إلى أن بعضها يأتي مطرزا

¹ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص95.

² المصدر نفسه، ص95.

³ Laugier de Tassy, *Histoire de royaume* Op.cit. p58.

بالفضة، القاط¹، الشدة(غطاء الرأس)، كما أن الألبسة الخاصة بالنساء تكون مذهبة وموبرة².

ثانيا: الأطعمة في الريف:

يذكر شلوصر أن سكان الريف يستيقظون على الساعة العاشرة لتناول وجبة الفطور، المكون من كسرة تطهى على الطاجين، يعدها الأغنياء من دقيق القمح ويأكلونها مع الزبدة، بينما يتناول الفقراء كسرة الشعير مع زيت الزيتون، إضافة إلى شرب اللبن وتناول التمر أو التين المجفف³، على حسب وصفه لطعام سكان الأرياف فهو يقصد وجبة الغذاء عند ذكره لمكونات وجبة الفطور فهو يشير إلى وجبتين أساسيتين فقط هما الفطور والعشاء، إلا أن الأمر المستغرب الذي أورده في نومهم إلى الساعة العاشرة وهذا ينافي طبيعة سكان الريف الذين ينامون باكرا ليستيقظوا مع طلوع الشمس، كما أنهم مرتبطون بأشغال وجب أدائها باكرا، لاسيما الأشغال التي تقوم بها النساء والتي سيأتي ذكرها لاحقا⁴، وهذا ما يؤكد شو أيضا فهو يذكر أنهم يستيقظون باكرا لصلاة الفجر ومنه ينصرفون لأعمالهم إلى غاية العاشرة وقت تناول وجبة الفطور⁵، يضيف حمدان خوجة أن سكان المناطق التلية والصحراوية وفق ما جرت عليه العادة لا يخرجون صباحا إلا بعد تناولهم وجبة الفطور المكونة من خبز الشعير والزبدة⁶.

يتكون طعام وجبة العشاء في المناطق الريفية من الكسكسي والذي يتم تحضيره، يوضع الدقيق فقصة مصنوعة من الخشب، ثم يتم فتله باليدين مع رشه بالماء مع تكرار إضافة الماء والدقيق لفترة طويلة، لتكون حبيبات تشبه الدخن، كما يتم تسخين الماء في

¹ من الألبسة المتداولة في الشرق الجزائري، وهو عبارة عن سترة ترتديها النسوة في الأعراس والمناسبات، ولا زالت مستعملة إلى يومنا هذا.

² الأرشيف الوطني التونسي: الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر 269، وثيقة 7. ينظر الملحق رقم: 07.

³ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص91

⁴ نفسه، ص91.

⁵ طوماس شو، المصدر السابق، ص 76.

⁶ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص48.

قدر يثبت في أعلاه جيدا إناء به ثقب يوضع به الكسكي مع تغطيته بقطعة قماش لمدة لينضج بفعل البخار المرتفع من القدر، ومن ثم يوضع في إناء خشبي تعمل المرأة على فرز، وفي المرحلة الأخيرة ، يضاف له الزبدة أو العسل أو اللبن أو الزيت ومرق اللحم¹.

كما يذكر فيرو أن أحد مقدمي الطرق الدينية المسمى سيدي أحمد بن خليفة، يأتي لزيارته الكثير من الأتباع والمريدين جالبين معهم الهدايا طمعا في بركته، ومن الأطعمة التي كان يقدمها لهم هذا المرابط الكسكس، حيث يتم تحضير الكسكس المحضر من القمح بينما يقدم الكسكس المصنوع من الشعير في اليوم الآخر، هذا الأخير هو نفسه الذي قدمه إلى شيوخ أولاد مقران عند زيارتهم له، إلا أن شيوخ أولاد عيسى وبن نور وخلال زيارتهما للمرابط قدم لهما طعاما متمثلا في الكسكس فقاما برمييه قائلين "لسنا كلابا لنأكل هذا الكسكس الأسود الحقير"².

يشير فون مالتسان عند زيارته لقبيلة الناظور أن الكسكس طعام متواضع يقدم للبسطاء، وجاء ذلك في قوله "وقضينا ليلتنا في خيمة من خيام قبيلة الناظور في سفح جبل يطلق عليه نفس الاسم، حيث أكرمنا قائدها فقدم لنا الطعام(الكسكي)، وهي أكلة زرية، تكاد تعتبر إهانة عند العرب"³، اعتبار مالتسان طعاما سيئا يبذوا مجانبا للصواب فهو الوجبة الأساسية المقدمة في مناسبات السكان الخاصة والعامة، إلا أن من المحتمل أن الأخير يقصد طبيعة هذا الكسكس المقدم له، فالاختلاف يكمن في مادة وطريقة تحضيره، أما حمدان خوجة عند زيارته لقلعة بني عباس، فيذكر تقديم الكسكس له موضوعا فوقه السكر⁴، مؤكدا في موضع آخر أن أفضل طعام التل الكسكس والحليب⁵.

يعتبر الكسكس الطبق الرئيسي في منطقة زاوة وفي الجزائر ككل، أما عن طريقة تحضيره فيصفها مالتسان بالقول "و الكسكس يفتل حبات صغيرة عادة، في قصعة

¹ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص92.

² شارل فيرو، تاريخ برج بوغريج، تر و تع: لخضر بوطبة، دار الباحث، ط1، الجزائر، 2023، ص73.

³ هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص263.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص45.

⁵ المصدر نفسه، ص49.

مصنوعة من الخشب ثم يوضع في كسكاس ويطهى بالبخار، وقد يرفق بالمرق والخضراوات أو يقدم بالبيض المسلوق أو بأعشاب حلوة الخ، و الكسكس لذيذ الطعم ومغذ جدا، والطبقة الفقيرة لا تستطيع شراء اللحم تحضره بزيت الزيتون أو مدهونا بالزبدة" ¹.

من خلال ما ذكر يمكن الوصول إلى أن الكسكس بنوعيه يعتبر الأكلة الشعبية المعروفة في ريف البايك، إلا أن الاختلاف بين المناطق يكمن فقط في طريقة تحضيره ومكوناته فهو طعام الأغنياء والفقراء، وهو الطعام الذي اعتبره حكام مشيخة مجانة عيسى وبن نور انتقاصا من مقامها وهيبتها، واصفين إياه بالأسود الحقير وأنه طعام الكلاب.

كما أن قدوم الضيوف في منطقة القبائل يعتبر يوم عيد وفرح، فهم لا يستهلكون لحوم الضأن والدجاج عادة إلا عند قدوم الضيوف، حيث تذبح الشاة وتقطع إلى قطع تزن الواحدة منها حوالي الرطل، ليقدّم اللحم مع الكسكس للضيوف بإعطاء كل واحد منهم قطعة من اللحم، كما أنه يقدم جيرانه وأصدقائه إذا تبقى شيء من هذه الوليمة، عن عائلته وأطفاله ².

بينما تستهلك بعض المناطق في البايك اللحم بكثرة وهذا ما ذكرته كتب الرحلات، لا سيما العياشي الذي يذكر عند زيارته موكب الحجاج لورقلة وتصادفه مع دخول قافلة من عرب الأرباع، حملت معها الكثير من المواشي، التي استفاد الحجاج من لحومها وهذا ما ذكره بالقول " فتنعم الناس في اللحم والتمر و السمن، واشترى الحجاج غنما كثيرة حتى كأن تلك الليالي الثلاث التي أقاموها ليالي منى من كثرة اللحم" ³، أما بسكرة فيصف العياشي أسواقها بأنها كثيرة اللحم ⁴.

¹ ويليام شالر، المصدر السابق، ص ص87-88.

² حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص41-42.

³ عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ج1، ص114.

⁴ عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ج2، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص540.

بالنسبة لاستهلاك اللحوم في الأرياف فيخضع عموماً لعدة أسباب نذكر منها أن الحيوانات تعتبر بالنسبة للسكان مصدر رزق يحاول الناس الاستفادة منها قدر المستطاع، لذلك فهم لا يذبحونها إلا للضرورة، كمرضها واضطرابهم لذبحها، أو عند قدوم الضيوف كمظهر من مظاهر الكرم، إضافة إلى أن طبيعة المنطقة ومناخها لها تأثير على ذلك فكل منطقة تشتهر بتربية نوع معين من الحيوانات، فسكان الأرياف يستهلكون بقدر ما توفر لهم منها، وهذا ما يلاحظ في تنوع الثروة الحيوانية، وللاستزادة أكثر يمكن الرجوع إلى الفصل الثالث الذي نتناول فيه بإسهاب ما تمتلكه الجزائر من حيوانات ومناطق تركزها.

كما يذكر شلوصر أنه بعد فترة من الأسر وتناول طعام يتمثل أساساً من الخبز والماء، قام قائد الدار باستدعائه ليقوم بالترجمة له بعد القبض على أسيرين فرنسيين بالقرب من عنابة، الأمر الذي جعله يحظى بتناول طعام ساخن لأول مرة منذ فترة مكوناً من البرغل مطبوخاً بالزيت، كما أمر باستغلالها للعمل في بستان يعود قائد الدار وخوار قواهم أمر بإضافة الشربة بعد أن بقيا يتغذيان بالماء والخبز طيلة شهر كامل¹.

أما بالنسبة لقبائل جيجل فإن إنتاج القمح في هذه المناطق غير كاف، لذلك فهم يعملون على خلط دقيق الذرة والذرة البيضاء مع دقيق القمح أو الشعير للحصول على كسرة مغذية، طعمها جيد يتم نقعها مع حليب الماعز، كما تستغل أوراق الذرة والذرة البيضاء كعلف للأبقار وثيران الحرث².

تستعمل الحبوب في تحضير مختلف أنواع الطعام، ولعل من أهمها الخبز الذي ينقسم بدوره إلى عدة أنواع، الخبز الأبيض والمكون من دقيق الدرمة الصافي، ويعتبر غذاء الطبقة الغنية المترفة، أما خبز العامة فيطلق عليه الخبز الأسمر أو الأسود ويحضر عادة من الشعير والذرة والدخن، وعموماً يعتبر الخبز الغذاء الأساسي في الريف، أما بالنسبة لطريقة تحضير الخبز فتتم بمزج السميد مع الماء وإضافة الملح له مع تركه لفترة

¹ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 36-37.

² شارل فيرو، تاريخ جيجلي، تر: عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، [د.ط.]، الجزائر، 2010، ص 60.

حتى يرطب ثم يعجن بعد خلطه بالخميرة مع قليل من الماء مع إضافة الدقيق الرقيق ليعجن ويأخذ مظهره النهائي على شكل أقراص تحفظ على مناديل مصنوعة من الكتان أو الصوف وتترك حتى التخمر، ومن ثم يتم إدخاله الفرن، ليتم بعد نضجه تنظيفه وتخزينه¹.

كما أن سكان الريف لا يستعملون الخميرة في صنع الخبز الخاص بهم، فهم يقومون بصنع الكعك الرقيق ومن ثم يطهى على الجمر أو الطاجين²، أما بالنسبة للأطباق التي يضعونها عند تناول وجباتهم فهي لا تتعدى الطبقين أو ثلاثة من الخشب و صحن وقدر، وهي كل الأدوات المستعملة في الطبخ سواء عند الغني أو الفقير، وهذا ينطبق أيضا على طريقة تناول الطعام، فهم يغسلون أيديهم ، ويجلسون مربعي الأقدام حول حصير أو مائدة صغيرة، يملكون منشفة واحدة توضع حول المائدة، أما اللحم فيحضر بغليه في الماء أو تقديمه مشويا، يضيف شو أن الأطعمة المعروفة في الريف هي الكسكسي والأرز وأطباق أخرى³، كما لاحظ اختلاف طريقة الأكل، فهم لا يأكلون في الغالب بالملاعق، فبعد وضع الطعام على المائدة، يرفع الضيوف الطعام باليد اليمنى ممسكين بأصابعهم كمية من الطعام تجمع في راحة اليد على شكل كروي ومن ثم توضع في الفم، وبعد أن يشبع الضيف ينهض لغسل يديه، ويترك مكانه للخادم، كما لفت انتباهه ذكر الله في كل عمل يقومون به ، كالأكل والشرب يعقبها عند الانتهاء حمد لله⁴.

من خلال ما ذكره شو يظهر لنا مدى التزام سكان الأرياف بتعاليم الدين الإسلامي وخاصة اهتمامهم بالنظافة وذلك بغسل أيديهم قبل وبعد الأكل إضافة إلى ذكر اسم الله واستعمال اليد اليمنى عند الأكل، وهذا ما أشار له حمدان خوجة عند استضافته من إحدى القبائل الريفية، حيث قدم له الماء لغسل يديه قبل تناول الطعام، كما قدم له صحن

¹ عبد المالك بكاي ، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10 هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2014، ص ص 116 - 117.

² طوماس شو، المصدر السابق، ص 74.

³ المصدر نفسه، ص 75.

⁴ المصدر نفسه، ص 76.

من الخزف الصيني ليتناول فيه الطعام العشاء¹، مما يؤكد على الاهتمام الذي إلى يوليه سكان الأرياف للنظافة الجسدية .

كما أن الخبز الذي يتناوله سكان الأرياف بالمناطق التلية والصحراوية يصنع بخلط الشعير بالبر أو بالشعير وحده، أي عدم استعمال البر لوحده لتحضير الخبز الأمر الذي يرجعه إلى التقشف أو طبيعة المناخ، كما يستهلك سكان هذه المناطق كميات كبيرة من الشعير، مع الإشارة إلى استعمالهم الزبدة في طهيهم التي يملحونها ويخزونها لفترات طويلة، فهم لا يستعملون الزيت إلا نادرا².

أما بالنسبة للأواني المنزلية في أرياف البايك، فهم لا يملكون سوى بعض الأواني الفخارية، إضافة إلى الطاحونة التي يستغلونها في طحن الحبوب، التي يصنعون منها الخبز بعد عجنه مع الماء في وعاء فخاري، ومن ثمة يتم تشكيله على شكل أرغفة أو فطائر، ليتم طهيها على الحطب، إضافة إلى استهلاكهم الخبز مع الزيت أو الخل إن وجد، كما أنهم يستهلكون الكثير من اللحوم خاصة في الأعياد³.

كما أن مما جرت عليه العادة عند تقديم الطعام في الأرياف، أن يقسم الناس حسب مكانتهم ونفوذهم ولباسهم، فالمرابطين وعلية القوم يجلسون مع بعض لتناول الطعام، بينما أراذل الناس وبسطاؤهم فيجمعون لوحدهم، وهذا ما حدث للولي الصالح سيدي الحسين وهو في طريقة إلى بجاية ومروره على بني جبار وإصرار الشيخ يوسف بن مهنا على التبرك بالشيخ ودعوته للطعام وإجلاسه مع بسطاء الناس بسبب ملابسه الرثة، وهو ما جاء بالقول " .فلما حان وقت الطعام جمعوا الناس ورتبهم على حسب عادتهم فاقعدوا المرابطين وذوي الهيات من الملابس الفاخرة على جهة وكان الشيخ بمرفعتهم معهم ولرثة هياتهم قالوا له فمن أنت لا تأكل مع هؤلاء بل كل مع أوباش الركب وإسقاطهم فقام من

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص51.

² المصدر نفسه، ص48.

³ Laugier de Tassy, *Histoire de royaume* Op.cit. p56.

ذلك وقال والله حق ما تقولون ثم وقع النداء والصياح بأن الذي قام هو الشيخ الذي صدر الإكرام من أجله فالحوا عليه بالرجوع فامتنع..¹.

من الأكلات البسيطة التي يتناولها العامة في الريف تقطيع الخضر وطبخها وخلطها بالسمن والزيت، يذكر الورتلاني " فلم يتكلف شيئاً بل أتى بخضر الصحراء بعد طبخها وجعل عليها شيئاً من السمن والزيت .."، كما يذكر أن الزيت من طعام البسطاء كالخماس والراعي، حيث يشير إلى زيارة فرحات باي لأحد الأولياء الصالحين والمعروف بسيدي الحسين والطعام المقدم له بالقول "...أنه أتى لزيارته فرحات باي وعادة البايات يزارون و لا يزورون في محلهم خوف الازدراء والنقص في حقهم فلما وصل أتى لهم بخبز وأظنه من شعير فكسرة في الزيت وشيء من التوابل يقال له أججوع والزيت لا يأكله إلا الخماس والراعي ومن هانت عليه نفسه فأتى به هو إلى الملوك ثم قام الباي لما أتى به ظنا أنه لا يأكله أحد منا فلما بدأناه حياء منه وأكلنا منه شيئاً وجدناه والله خيرا من سائر الأطعمة"².

يعتمد السكان بمنطقة جرجرة بشكل كبير في غذائهم على خبز الشعير المطبوخ بالزيت، أما بالنسبة للحم فيستهلك فقط إذا مات أحد حيواناتهم ميتة طبيعية، أو إحياء لمأدبة رأى أحد الشيوخ أن تقام إكراما لأبناء القبيلة، كما أنهم لا يشربون الماء كثيرا، بالمقابل يستعيضون عنه بشرب الزيت، إضافة الى أنهم لا يتعاطون الخمر لحرمتها³.

تعتبر أشجار البلوط الحلو غذاء أساسيا لسكان المناطق الجبلية بجرجرة، حيث يتم تناول الثمار الجيدة من البلوط الحلو، بينما تخلط البقية مع البلوط المر ويوضع على رفوف من القصب داخل المنزل، لتقوم النسوة بعد جفافه بضربه لإزالة اللحاء ليصبح جاهزا للطحن⁴، يستعمل دقيق البلوط المحصل عليه لتحضير الخبز بعد خلطه بالدقيق كما ذكرنا سابقا. كما أن من العادات الغذائية للمنطقة استهلاكهم للتين المجفف، حيث

¹ الحسين بن محمد الورتيلاني ، المصدر السابق، ص63.

² المصدر نفسه، ص64.

³ هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص134.

⁴ C.Devaux, Les kabailles du djedjara, *Études nouvelles*.. Op.cit.p130.

يقسم إلى نوعين الأبيض والأسود، بحسب جودته وميزاته، إلا أن الأخير يعتبر الأكثر جودة، يقدم في العادة جافا مع الزيت أو الزبدة المذابة عدة مرات في اليوم، على الرغم من عدم إعجاب دوفو بمذاقه واضطراره لتناوله بسبب الجوع¹.

كما يستهلك عرب الصحراء الجراد، حيث يقوم الأهالي بجمع كميات كبيرة من الجراد، ثم يقومون بتجفيفها على أشعة الشمس بعد أن ترش بالملح، ليتخذوا منها بعد ذلك غذاء، كإحدى العادات المنتشرة لديهم منذ القدم².

يستغل أهالي الأرياف بعض النباتات التي تنمو في البرية على غرار نبات القرنينة لتحضير أحد الأطباق المعروفة ، وذلك بتقطيعه و طبخه وبعد نضجه يتم خلطه بالزبدة، حيث يشير شلوصر إلى عدم وجود الخضر في الريف ماعدا البصل، إلا أن سكان الريف استطاعوا باستغلال الأعشاب المختلفة في الطهي التميز في إعداد الأطعمة البسيطة، على غرار نبات القرنينة الذي يعتبر أيضا غذاء للابل³.

كما يستعمل الحمص في أرياف البايك في تحضير عدة أطباق، فهو لا يطحن ليقدم حساء، بل يقدم مع قليل من الكسكسي والأرز وغيرها، كما يتم تحميصه في الأفران المنتشرة في مدن البايك، ويطلقون عليه اسم بليبي blebby⁴.

تشير إحدى النوازل في خضم ذكر اختلاف أعمال النساء ونفقتهن على أنفسهن، إلى أهم الأطعمة التي تحضر في الأعياد والمواسم، لاسيما أصناف الدجاج والحلويات ومنهن لا تحسن الطعام سوى ما يصنع في الأعياد والمواسم والولائم من طعام الترفة، كألوان الدجاج والحلويات وغير ذلك⁵.

¹ C.Devaux, Les kabailles du djedjera, *Études nouvelles..* Op.cit. p125.

² Peyssonnel et Desfontaines, *Voyage dans les régences de Tunis et D'Alger*, Librairie de Gide, T2, Paris, 1838, p274.

³ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص92.

⁴ طوماس شو، المصدر السابق، ص 13.

⁵ محمد ابن عبدالكريم الفقون، كتاب نوازل قسنطينة ، تح وتق: هواري تواتي، عائشة بلعابيد، دار الزيتون للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2018، ص ص104-105.

ثالثا: المناسبات الدينية والاجتماعية:

إن العادات والتقاليد في الجزائر تكاد تكون متشابهة إلى حد كبير، خاصة المتعلقة بإحياء المناسبات الاجتماعية والدينية، إلا أن المادة العلمية المتعلقة بهذا الجانب قليلة أو على الأقل تلك التي استطعنا الاطلاع عليها، وإن وجدت فهي تهتم بشكل أكبر بدراسة المدن والحوضر المهمة، فالريف لم يكن له نصيب كبير، ماعدا كتابات بعض الرحالة الذين وثقوا لهذا الجانب، أو بعض الدراسات التي تلي الفترة العثمانية.

1- المناسبات الدينية:

1-1. الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى:

يحتفل بالعيد بعد انقضاء شهر الصيام، بمجرد رؤية الهلال وإعلان بداية الصيام بطلقة مدفع، حيث يتم الإمساك على الساعة الثالثة بعد الفجر، حيث يمتنع الناس عن الأكل والشرب والتدخين وغيرها، أما من تعذر عليه الصيام بسبب المرض فيقضي فيما بعد، كما يمتنع المرضى عن تناول الدواء، ليتم على الساعة السادسة إعلان نهاية يوم من الصيام بطلقة مدفع لإعلام الأهالي بدخول وقت الإفطار¹، و مع رؤية الهلال إيذانا بنهاية شهر الصيام يتم تبادل التهاني بين مختلف طبقات المجتمع فلاحين وحضر أصدقاء وغرباء، بتقبيل الرأس والكتف اليمنى، ليستمر الاحتفال لثلاثة أيام، أما في الجانب الرسمي فيقوم الباي بإقامة وجبة عشاء يتخللها عزف الموسيقى، كما يقوم باستقبال المهنيين في القصر يوم العيد، ليخرج على الساعة التاسعة ممتظيا فرسه يرافقه موكب كبير الأعيان والخدم والأهالي، تترافق مع إطلاق سبع طلقات مدفعية تحية للباي عند خوله وخروجه، ليستقر في مكان فسيح يراقب سباق الخيل، ليمر كل قائد مع فرقته أمام الباي، مع إطلاق النار التي تتسبب أحيانا في سقوط ضحايا، ليتم بعدها تكريم أحسن الفرسان، وتقديم الهدايا للخدم والحرس، كما يقدم عصير الليمون والبرتقال للأطفال مجانا وتنصب لهم الخيم والأراجيح، لينتهي هذا العرض على الساعة الثانية عشر بعودة الباي

¹ فنديلين شلوصر، المصدر السابق، ص85.

إلى المدينة، وعودة الجميع لتناول الطعام في منازلهم، يصاحب عادة هذا الاحتفال إصدار عفو عن الأسرى المشفوع لهم¹.

أما بالنسبة لمكان إقامة صلاة العيدين فتقام في أماكن مفتوحة، على غرار منطقة بسكرة والتي خصصت فيها لإقامة صلاة العيد الصغير والعيد الكبير، أرض منبسطة يطلق عليها المصلى تقع في الشمال الغربي لضاحية المسيد، يؤم المصلين فيها الإمام مع حضور القايد التركي².

كما تشير إحدى النوازل إلى عادة معروفة لدى القبائل، حيث تقوم القبيلة التي ترى الهلال بإيقاد النار في رؤوس الجبال إعلاما لغيرهم كي يفطروا " وذلك أنهم جرت عادتهم أن القبيلة التي ترى الهلال يوقدون النار على رؤوس الجبال علامة لرؤيته، فيفطر غيرهم لرؤية تلك العلامة"³.

أما بالنسبة لعيد الأضحى فيذكر شلوصر أن العيد الكبير تصاحبه نفس الأجواء الاحتفالية التي تميز العيد الصغير، إلا أنه يزيد عليه فيما يخص ذبح الأضاحي حيث يقوم رب العائلة بذبح خروف لكل فرد من أفراد العائلة الذكور، ليستمر أكل اللحم لمدة ثلاثة أيام⁴، هذه المعلومة إلى ذكرها شلوصر والتي تتعلق بذبح خروف لكل فرد تبدا بعيدة عن واقع الحال، فلا الشرع يلزم رب العائلة على ذبح خروف لكل فرد من العائلة، ولا هي من الأعراف السائدة في الريف، كما أن المواشي في الأرياف تعتبر مصدر الرزق الأساسي للسكان، فهم يحافظون عليها قدر الإمكان وهذا يجعل من الصعب القول بما جاء به شلوصر.

¹ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص86.

² عبد الحميد زردوم، تاريخ بسكرة في عهد الأتراك 1660م-1844م، مطبعة المنار، بسكرة، 2003، ص57.

³ محمد ابن عبدالكريم الفنون، المصدر السابق، ص25.

⁴ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص86.

تشير إحدى النوازل إلى مشروعية التكبير في صلاة العيد، وأنها ذكر خصت به صلاة العيد، وهي كبقية العبادات لها وقتها الخاص " أنه ذكر شرع لأجل صلاة العيد، كما شرع غيره من الشعائر فيه، ولذا خصه في المشهور بوقت طلوع الشمس"¹.

كما تحضر للاحتفال بالأعياد أطعمة متنوعة، جاء ذكرها في إحدى النوازل في خضم ذكر اختلاف أعمال النساء ونفقتهن على أنفسهن، وصنعنهن لأطعمة مختلفة، لاسيما أصناف الدجاج والحلويات" ومنهن لا تحسن الطعام سوى ما يصنع في الأعياد والمواسم والولائم من طعام الترفة، كألوان الدجاج والحلويات وغير ذلك"²، إضافة إلى استهلاكهم الكثير من اللحوم خلال فترة الأعياد³.

2- المناسبات الاجتماعية:

2-1. الزواج:

يشار إلى أن الفتيات والفتيان في الأرياف يتزوجن في سن مبكرة، حيث يتزوج الذكور ما بين سن الرابع عشر والخامس عشر، بينما تتزوج الإناث في سن العاشرة وأحيانا حتى الثماني سنوات⁴، كما أن الفتى في المناطق الريفية عندما يريد الزواج، يطلب يد الفتاة التي اختارها من والدها، الذي يطلب مقابل تزويجها له مهرا مكونا من عدد معين من الثيران والأبقار والماشية، وعند الاتفاق بشكل رسمي يأخذ المهر الذي اشترط سابقا مكان سكن والد العروس، عندها يعلن عقد الزواج رسميا، ويستعد الزوجان لإتمام مراسم العرس، وذلك بحضور المدعوين إلى الخيمة وتقديم التهاني للزوجين، كما ينتظر الزوجان في الخيمة وصول كل فتيات الدوار، لتركب الزوجة الحصان المنتظر أمام الخيمة والذي تعود ملكيته للزوج، لينطلق الموكب سيرا على الأقدام تصاحبه مظاهر الفرحة والسرور، وصولا إلى أهل الزوج حيث يقدم للزوجة الحليب مع الدعاء لها بالبركة وكثرة الأولاد، ومن

¹ محمد ابن عبدالكريم الفقون، المصدر السابق ، ص22.

² المصدر نفسه، ص ص104-105.

³ Laugier de Tassy, **Histoire de royaume** Op.cit. p56.

⁴ Ibid, p 61.

ثم تترجل الزوجة عن ظهر الحصان، وتقدم لها عصا لغرسها في الأرض للتدليل على ثباتها عند زوجها، كما يعرض عليها قطيع زوجها الواجب عليها الاعتناء به، وبعدها تعود إلى الخيمة لمواصلة الاحتفال مع صديقاتها ومن ثم تترك الزوجة مع زوجها¹.

بالمقارنة مع ما كتبه دو تاسي وما كتبه شلوصر يمكن ملاحظة الشبه الكبير في الطقوس الاحتفالية التي تصاحب الزواج في المدينة وفي الريف، فشلوصر يذكر أنه إذا أراد الشاب الزواج وأعجبته إحدى الفتيات يرسل يهودية للتأكد من قبولها له، ثم يتوجه لخطبته من أبيها، ومن ثم يتفقان على المهر الذي يتراوح بين 75 و 100 ريال، ليرسم هذا الزواج بذهاب الأب وابنته والعريس للقاضي لإتمام العقد، مقابل ريال واحد، لتحضر الفتاة ما تحتاجه لبيت الزوجية، أما في المساء فيتوجه أهل العريس وبأيديهم فوانيس إلى أمام بيت العروس، لتحمل إلى بيت زوجها فوق بغل مرتدية رداء لماعا كالذهب تتم استعارته مقابل مبلغ من المال، على وقع الموسيقى في أجواء احتفالية تنتهي بإقامة وجبة عشاء، لتصبح الزوجة تحت كفالة الزوج وفي خدمته².

على الرغم من الشبه بين الأوصاف التي قدمها دوتاسي و شلوصر إلا أن الملاحظ أن الطرفين يؤكدان على اختيار الشاب للفتاة بشكل قاطع، إلا أن طبيعة المجتمع في هذه الفترة والقيود التي تمنع الفتيات من الاختلاط بالآخرين تجعل هذا الطرح بعيدا نوعا ما عن الواقع، على الرغم من تأكيده أن الفتى فالريف أكثر حرية من الفتى في المدينة في اختيار زوجته بسب تبادل الزيارات إلا أنه يؤكد في مواضع أخرى أن نساء الريف لا يحضرن الاحتفالات العامة إلا الأعراس والمآتم، إلا أن اختيار الزوجة وخطبتها يرجع في كثير من الأحيان إلى الأب الذي يعتبر في المجتمع الريفي مصدر القرار، الأمر الذي أشار إليه لامبار بالقول إن الأب عندما يريد أن يزوج ابنه يذهب إلى أب الفتاة التي أرادها زوجة لابنه، كما يضيف عند كلامه عن الزواج في الريف أن من الضروري

¹ Laugier de Tassy, **Histoire de royaume** Op.cit, pp 60-61.

² فنديلين شلوصر، المصدر السابق، ص 87.

إحضار القاضي ليشرف على إبرام العقد الشرعي¹، هذا الأخير الذي ذكره شلوصر كذلك والذي يتكفل بعقد الزواج الشرعي بين الطرفين، بينما لم يشر دوتاسي عند وصفه للزواج في الأرياف و المراحل التي يمر بها إلى دور القاضي في عقد الزواج. ومن باب الإشارة إلى أن البنت البكر في قسنطينة لا يمكن الاطلاع عليها حتى من النساء الأجنيات حيث تذكر إحدى النوازل" والعادة بالبلد المذكور أن الأباكار لا يطلع عليهن الأجنيات من الإناث فكيف بهذين الرجلين؟"².

من عادات سكان الأرياف، أن الزوجة تزف إلى بيت زوجها على بغل، يمر على القرى المجاورة برفقة الأهل والمدعويين مطلقين الزغاريد والبارود، ليقدم أصحاب كل بيت يمر عليه هذا الكوكب غربالا من الفول والجوز أو التين المجفف، لتقبض العروس قبضة من محتوى هذا الغربال وتعيدها، لتجمع في الأخير كل هذه العطايا في أكياس وتقدم للأزواج كمساعدة لهم، ومن العادات المعروف في الأعراس إحاطة النسوة بالعروس وغمس يدها في وعاء من السمن المذاب، ومن ثم تقوم بكسر بيضة النيئة بين أذني البغل، اعتقادا منهن بدورها في إبطال السحر، كما يقدم للعروس عند دخولها بيتها الجديد، الحليب أو الرايب أو الماء، كما تقذف بقبضة من القمح أو الشعير أو الملح يمينا وشمالا طلبا للبركة والرخاء، كما يطلق العريس طلقا ناريا بالقرب من رأسها تأكيدا لخضوعها له، وتملكها حيا أو ميتا، فبعد وفاة الزوج تصبح الزوجة ملكا للذي يرمي حائكا أو برنوسا على رأسها من الورثة³.

¹ Labbe Edmond Lambert, *A Travers l'Algérie. Histoire, Mœurs et légendes des arabes*, René Haton Libraire-éditeur, Paris, 1884.P237.

² محمد ابن عبدالكريم الفقون، المصدر السابق ، ص 104.

³ شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص ص38-39.

ينقسم الزواج في منطقة القبائل الشرقية¹ حسب فيرو إلى نوعين:

زواج الجدي يتم في هذا الزواج ذبح جدي تأكيدا للقبول بشروط الزواج من عائلتي الزوجين، حيث يدفع الزوج إلى أب الزوجة مهرا قدر ب 70 إلى 90 بسيطة، وإن تعذر عليه جمعه يلجأ لأصدقائه الذين يقدمون الهدايا للزوجين يوم العرس على أنغام الطبالاة والزرنجية، يرافقها الرقص والتلويح بالبنادق، أما إذا رفض طلب الزواج، فعلى عائلة الفتاة الحرص على ألا يقترب المرفوض للزواج من باب البيت، لأنه إن استطاع ذبح جدي على باب البيت وتلطخ الأرض به تعتبر الفتاة مخطوبة حسب العادة ولا أحد يتقدم لها احتراماً لميثاق الشرف لديهم، أما بالنسبة لمكان سكن الأزواج الجدد فيتعاون الأصدقاء لبناء البيت إن كان الزوج لا يمتلك بيتاً فهناك من يحضر الخشب من الغابة ويعجن الطين، وهناك من يجلب الديس أو قشر الفلين المخصص للسقف².

أما بالنسبة لزواج المعطية فيعتبر تسوية لحالة النزاع التي تحدث بعد جرائم القتل، ومع عجز أسرة القاتل على دفع قيمة الدية التي تفرضها الجماعة باعتبارها أموال كبيرة تصل قيمتها إلى حوالي ألف فرنك يجعل من جمعها أمراً صعباً، وبالتالي تلجأ عائلة الجاني إلى إعطاء إحدى بناتها لتتزوج أحد أفراد عائلة المجني عليه، إضافة إلى تسليمها 50 بسيطة تسمى حق الكفن، وذلك كوسيلة لإطفاء شأفة الصراع والثأر بين العائلتين على الرغم مما تتعرض له هذه الزوجة من معاملة قاسية ترغم على تحملها³.

2-2: الصداق:

وهو المال الذي يدفعه الزوج للزوجة للعقد عليها، أو الدخول بها دخولا حقيقيا، يعرف بعدة أسماء نذكر منها: الصداق، المهر، الأجر، العلائق، الحباء، الصدقة، النحلة، الفريضة، العقر، وهو نوعان المهر المسمى وهو ما ذكر وتوافق عليه الطرفان،

¹ نذكر من بينها قبائل زواغة وأراس وأولاد حاية، وأولاد عيدون وبني خطاب وغيرهم. ينظر: شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص45.

² المصدر نفسه، ص37.

³ المصدر نفسه، ص40.

ومهر المثل وهو الذي لم يذكر في العقد، وتكون المماثلة في الجمال، السن، البكارة، والخلو من الولد والعقل والعمي والتدين والمال، كما لا يعتبر المهر شرطاً من شروط الزواج، إنما هو واجب من الأحكام المترتبة عن الزواج¹، أما مكونات الصداق في قسنطينة فلم تخرج في العادة عن سبعة أشياء تضاف إليها بعض المتفرقات أحياناً، يشار إلى أن هذا الصداق يخص المناطق الحضرية إلا أن هذا لا ينفي التشابه في مكونات الصداق بين المدينة والريف خاصة بالنسبة للأسر ميسورة الحال. وهو الأمر الذي توردته الأستاذة قشي باعتبار المناطق الجبلية المورد البشري للمدينة مبدية ذهولها لكثافة الوجود القبلي فيها²، مع وجود بعض الاختلاف ففي الأرياف يتم اشتراط عدد معين من المواشي، وعموماً يتكون الصداق من :

النقد(المعجل والمؤجل): يدفع نقداً بالعملة المحلية المتداولة، وهذا ما تعودت عليه الأغلبية، بينما يدفع الأول يبقى المؤجل حسب السنوات المتفق عليها لتسديده³، بينما تتكون الملاحق الأخرى من:

الملحفة: ما تلتحف به المرأة عند خروجها من منزلها.

القمجة: ويقصد به اللباس الداخلي النسوي أو القميص، يصنع من القماش الخفيف واللين من دون ذراعين، تعتبر من أهم مكونات الجهاز فهي مرتبطة عرفاً بليلة الدخلة يقنتيها الزوج تأتي عادة باللون الأبيض دلالة على الفرح والبكارة.

الحزام: يستعمل في شد القفطان لئلا ينفتح أو يمس الأرض، يأخذ رمزية لأنه يربط العروس بأهل بعائلة زوجها.

القفطان: يتسم بالأناقة والوجاهة لأنه ارتبط بلباس الأمراء والخلفاء، باعتبار أن العروس في أبهى وأحسن حالاتها، أما في الجزائر فيلبس فوق "الصديري" و يساويه في الطول،

¹ فاطمة الزهراء قشي، الزواج والأسرة في قسنطينة، دار القصبية للنشر، [د.ط.]، الجزائر، 2007، ص ص 29-30.

² المرجع نفسه، ص ص 22-32.

³ فاطمة الزهراء قشي، الزواج والأسرة ...، المرجع السابق، ص ص 30-31.

ليلتقيا على مستوى الصدر، كما يأتي مكشوفاً من الأمام ليظهر القميص تحته بلون مغاير له، ليثبتا على الخصر بحزام واسع طويل.

والأمة: ذكرت الأمة في مرات قليلة، لأن اشتراطها ارتبط بفتة اجتماعية معينة زوجت بين الثروة والنفوذ.

الجوهر: قدرت الكمية المتعارف عليها بأوقية أو أوقيتين من الحلي، مع ملاحظة غياب الحلي الذهبية والفضية.

الجرية: لم يعثر على شرح لها رغم ذكرها ضمن مكونات الصداق، أما حالياً فتأتي بعد الخطوبة يقدم فيها الجهاز للعروس، والصداق، وهي مناسبة للتعارف العائلتين¹.

بينما يذكر ابن الفكون أن العائلات المقتدرة في الحواضر تجهز بناتها بمختلف المصوغات، حيث جاء في إحدى النوازل "أن ذوي الأقدار في الحواضر يعطون بناتهم لأمثالهم ويجهزونهن بالحلي المصوغ من الذهب والفضة والجواهر والأحجار الرقيقة.."².

أما قيمته فنجد في إحدى وثائق المكتبة الوطنية، أنه يتراوح بالنسبة للفتاة البكر ما بين 80 إلى 100 ريال، أما بالنسبة للثيب فيتراوح ما بين 30 و60 ريالاً³.

يجدر الذكر أن هذه القيم غير ثابتة، تتحكم فيها عدة أمور من بينها المكانة الاجتماعية والنفوذ الذي يحظى به أهلها وقدرتهما المالية باعتبارها مظهراً من مظاهر التفاخر الاجتماعي.

من خلال العقود الموجودة بأرشفيف ولاية قسنطينة نحاول أن نعطي بعض الأمثلة، عن بعض عقود الزواج في البابلك:

¹ فاطمة الزهراء قشي، الزواج والأسرة...، المرجع السابق، ص 39-49.

² محمد ابن عبدالكريم الفقون، المصدر السابق، ص 75.

³ أرشفيف ولاية قسنطينة، وثائق المحاكم الشرعية، السجل 01، وثيقة، 75، 202، 199، 122، 121.

بالنسبة للبكر جاء في أحد العقود على النحو التالي " الحمد لله وفيه تزوج عبد القادر بن علي الطلحي فطوم بنت الحاج علي زعيط وبه عرف بكرًا مجبرة، الصّدق مائة ريال وحزام حرير وملحفة وقمجة ينقد الشطر مع الملحفة والقمجة والشطر مع الحزام لسبع سنين [كذا] الملحفة والقمجة يعطيها أخوها سي محمد بن الحاج على المذكور وهو المتولي لثبوت إيصال والده له...." ¹.

أما بالنسبة للمطلقة، فنجد في أحد العقود المسجلة صداق امرأة مطلقة، حيث جاء في العقد " الحمد لله وفيه تزوج عمر بن الأجوري السراج صناعة راضية بنت دالي ثيب مطلقة اثنتين، الصّدق أربعون مع قمجة شاش وحايك بخمسة أريلة ينقد الحايك والباقي لخمس سنين....." ².

بالنسبة لصداق الثيب المتوفى عنها، فقد جاء على النحو التالي حسب ما تذكر أحد العقود " الحمد لله وفيه تزوج...عائشة بنت علي بن لوزة ثيب متوفى عنها الصّدق خمسون ريالاً ينقد الشطر والشطر لأربعة سنين.. " ³.

يلاحظ أن الصّدق متشابه إلى حد كبير بحكم العرف و العادة، وإن اختلف أحياناً لمكانة الأزواج الاجتماعية وغنى أسرهم، وحسن وجمال العروس، حيث جاء في إحدى النوازل بالقول " وهي أن رجلاً عقد النكاح على ابنة من ذوات الأقدار بصداق مسمى زائد على صّدق أمثالها من قرابتها، فقيل لأبيها لماذا رفعت في صّدقه. فقال إنها ليست كقرابتها ليسارها وجمالها" ⁴.

¹ أرشيف ولاية قسنطينة، وثائق المحاكم الشرعية، السجل 01، وثيقة 134.

² أرشيف ولاية قسنطينة، وثائق المحاكم الشرعية، السجل 01، وثيقة 199.

³ أرشيف ولاية قسنطينة، وثائق المحاكم الشرعية، السجل 01، وثيقة 202. ينظر الملحق رقم: 08.

⁴ محمد ابن عبدالكريم الفقون، المصدر السابق، ص ص73-74.

كما أن لكل منطقة خصوصيتها، فمن عادات مدينة تقرت في الزواج، أن يقدموا مهرا مكونا من عقارات، كما أنهم يفضلون تزويج بناتهم للغرباء على أن يزوجهم لأهل البلاد¹.

تساهم الأم بشكل كبير في تجهيز بناتها، إضافة إلى ما يساهم فيه الآباء، وهو ما جاء في إحدى النوازل بالقول "وان الأمهات يعينون الآباء في تشوير بناتهن لمتزوجهن بما في أيديهن من الحلي والملابس والفرش، والصفى² والأستار، وربما كان درك التشوير عليهن"³.

من المظاهر التي أوردتها إحدى النوازل، التفاخر والمغالاة في الشوار⁴، باعتباره عرفا اجتماعيا يجلب لصاحبه العار لذلك ترى الآباء يجتهدون وربما يبيعون حتى أملاكهم لتجهيز بناتهم، حيث جاء في إحدى النوازل "وفى عصرنا هذا جرى عرف بلدنا برفع الصداق والتفاخر بكثرة الشوار، ومن لم يفعل ذلك فتلقه وتلق ابنته المعرة وعدم الحضوة عند الزوج،...خوفا من فقره يبيع أصوله في ذلك"⁵.

كما يتم إحياء الأعراس باللهو والسمر بالمزمار وحضور النساء والرجال لهذه التجمعات والرقص، وهذا ما يذكره الورتلاني عند حديثه عن أحد الشيوخ الذي كان زمارا في الأعراس، مبينا حكم استعمالها بالقول "وقد سمعت حكاية وإن صحت وهي مشهورة لدى العامة ونصها أن الشيخ على المهاجري كان زمارا في الأعراس بأن بلغ الغاية في صنعته بحيث يشترطه أهل الأعراس دائما فقد فاق أهل صنعته....مع انضمام مفاسد إليها كحضور النساء والشبان والرقص وذكر الخدود والقدود..."⁶.

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 135.

² من المرجح أن يكون المقصود بالصفى هو الصوف، على حسب ما جاء في نوازل ابن الفكون.

³ محمد ابن عبدالكريم الفكون، المصدر السابق، ص76.

⁴ كلمة تطلق في مناطق الشرق الجزائري على كل ما تأخذه الزوجة معها إلى بيت زوجها كالأثاث والمصوغات والملابس وغيرها.

⁵ محمد ابن عبدالكريم الفكون، المصدر السابق، ص77.

⁶ الحسين بن محمد الورتيلاني، المصدر السابق، ص70.

3- الختان:

يتم ختان الأطفال في الأرياف من طرف المرابط، حيث تعتبر المناسبة لدى الأهالي مناسبة دينية على عكس سكان المدن الذين يقيمون طقوسا احتفالية على غرار ما يقومون به عند احتفالهم بأعراسهم¹.

أما في منطقة جرجرة فيذكر أن الأطفال يختنون بعد بلوغ أربع سنوات، ويبدأ الاحتفال باجتماع النسوة فالليل والغناء والرقص، كما يقوم أحد المرابطين بوضع الحنة في اليد اليمنى للطفل، أما في اليوم الموالي فيتم التجول بالطفل على ظهر بغل مع لف جبهة الطفل بشريط من الحرير مصحوبة بالموسيقى و طلقات البارود، كما تعطى للأب الهدايا المعروفة باسم الخير، كما يلصق بالطفل قطعة نقدية مربوطة بخيط، ليتم ختان الطفل في اليوم الثالث من قبل المختص مصحوبا بمساعديه، لتنتقل الموسيقى زغاريد النساء وطلقات البارود ابتهاجا وفرحا، لتحمله إحدى العجائز على صدرها إلى مكانه للنوم².

يذكر فون مالتسان احتفال سكان قرية سيدي عبد الله بختان الأطفال، بالقول أن الطفل يركب على ظهر حمار متوسطا المحتقلين، مزينا بعصابات حمراء تلمع كالذهب، أما الحفل فيبدأ بالرقص الذي تصاحبه مظاهر الابتهاج والفرح، ومما يميز حفل الختان تنافس الشيوخ في إجزال العطايا للطفل المختون، وأن يظهر كل واحد منهم بمظهر الرجل الكريم، على الرغم من وصفه لهم بالبخل، وأما جمع الأموال فيضع رجل فوطة في وسط البيت، داعيا الناس إلى التبرع، يرفقها بالصياح وذكر اسم كل متبرع والقيمة التي منحها، ليبدأ التنافس بين الوجهاء والشيوخ في من يقدم أكثر، مرفوقا بزغرودة النسوة، لينتهي الحفل بختان الطفل، ذاكرًا أنهم يختنون أطفالهم في سن ما بين العاشرة والرابعة عشر³.

¹ أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، فاغنر، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 1975، ص74.

² أ.هانوتو لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، الجزائر، 2013، ص 215-216.

³ هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص ص 158-161.

4- الجنائز ودفن الموتى:

يذكر شو أنه في حالة الوفاة ، يحضر جثمان الميت إلى المسجد، للصلاة عليه وقت صلاة الظهر أو بعد الظهر، ومن ثم يتوجهون بالنعش نحو المقبرة، يتبعه الحاضرون يحثون الخطى متعجلين قدر الإمكان، مرددين لبعض الآيات القرآنية، خاضعين لمشية الله، متحملين الألم والحزن، كما يقدم الحضور العزاء مواسين أهل الميت في مصيبتهم بالقول "البركة في راسك"¹.

كما أن النساء في الأرياف لا يحضرن المناسبات العامة ماعدا الأعراس والمآتم، وأن غالب اهتمامهم بالماشية و أعمالهم المنزلية، أما بالنسبة للتعبير عن مظاهر الحزن عند الوفاة، فيذكر أنهم يجتمعون حول القبر، ويطلقون وجوهن بالبعر، مع الصراخ واللعويل².

أما فيما يخص الطقوس التي تتميز بها الجنائز بمناطق جيجل ونواحيها فيذكر فيرو أن النساء يجتمعن منتحبات ذاكرات لصفات الميت بالقول" وتجتمع النسوة لللعويل والنحيب، فترتل من بينهم المرأة التي لها موهبة أكثر في الكلام والأسلوب البليغ على قبر الفقيد غناء نحيبياً، مقطوعاً بفواصل الانتحاب واللعويل: ياويليا- حيث تمجد مناقب الفقيد وتعبر عن التحسر"³.

رابعا-الفساد والنزاعات الأسرية في ريف البايك:

1- هروب النسوة ونشوزهن:

من المظاهر التي ذكرها فيرو ظاهرة هروب النسوة المتروجات، بعد إقناعها من طرف أحد الأشخاص بالهرب من بيت زوجها، حيث يذكر " عندما تتجر امرأة لنصائح عشيقها ترك بيت الزوجية كانت تستعمل الوسيلة المتمثلة في العادة المسماة "القربة" وهي الوعاء الذي ينقل فيه الماء.كانت تذهب كالمعتاد إلى العين لتجلب منها الماء، وهنا كانت تتفخ،

¹ طوماس شو، المصدر السابق ، ص ص 63-64.

² المصدر نفسه، ص94.

³ شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص59.

وتملأ هواء جلدتها المصنوعة من جلد التيس، التي كانت تتركها على حافة العين، ثم تذهب للاتحاق بعشيقها"، بالمقابل يشير فيرو إلى أن حالات الزنا في القبائل الشرقية قليلة¹.

وهو ما تؤكد إحدى النوازل في إشارتها إلى بعض الظواهر السلبية التي طبعت العلاقات الاجتماعية وخاصة الأسرية منها في الريف، والتي تناولت ظاهرة هروب النساء المتزوجات والتجائهم إلى رجل آخر من دون الطلاق من الأول، وهذا ما جاء في النازلة بالقول "ومنها ما يصنعه القبائل أيضا من سيرتهم الركيكة التي يتنزه العاقل عن النطق بها فأجرى الكتاب لولا ما يعرض له من وجوب السؤال، وذلك أن المرأة تمكث عند الرجل ما تمكث ثم تهرب إلى رجل آخر من غير طلاق"، كما تشير نازلة أخرى لابن الفكون "ومنها الرجل يكون مع المرأة في الحرام ثم بعد وضع حملها بمدة يسيرة كالشهر ونحوه يستفتي فيها ويدعي عدم قربها..."²

تعددت حالات تمرد النسوة عن أزواجهن، على الرغم على أن أعراف المجتمع تكفل حق اللجوء للعائدة إلى منزل والدها و تمنع زواجها مجددا إلا بعد الحصول على الطلاق إلا أن هذا لا يحدث دائما، كسكان الشرفة، التي تفرض على المرأة التي تفر من زوجها لتتزوج رجلا آخر دفع مبلغ معتبر للزوج، وعليهما أن يهجرا من المنطقة، وهناك من القرى من تدخل في صراع مسلح مع القرية التي فرت إليها الزوجة وزواجها من رجل آخر دون إذن زوجها، أما بالنسبة للمرأة الفارة إلى المدينة، فلا تطبق عليها الأحكام القبلية ولا يبقى للزوج سوى الحصول على تعويضات من عائلة الزوجة³.

كما يذكر الوزان عند وصف لجبال قسنطينة أن من عادات نساء هذه البلاد أن تفر المرأة إلى جبل آخر إذا لم يعجبها زوجها وتترك أبناءها، وربما اتخاذ زوج آخر إذا كان سكان المكان الذي فرت إليه أعداء لأهل زوجها، مما يشعل الخلافات بين الطرفين، ليتم

¹ شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص ص 40-41.

² محمد ابن عبدالكريم الفكون، المصدر السابق، ص ص 71-73.

³ أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج2، ص ص 185-186.

الاتفاق إما بتقديم مبلغ من المال، أو تزويج إحدى بنات أو أخوات الرجل الذي قصده الزوجة إلى الرجل الهاربة منه زوجته¹.

كما أعجب فون مالتسان بشخصية عربية يسمى سيدي بن هندة، عرف بمعاشرته للبدو، حيث روى له العديد من عوائد أهل الريف، على غرار الخيانة التي تعتبر عارا يلحق بالرجل لا يمكن نسيانه ولا التخلص منه، إلا بانتقام الزوج وقتل زوجته، على الرغم من تهديد ذلك لحياته إن لم يكن له شهود على الواقعة، فأهل الزوجة يقفون معها إلا إذا ثبتت عليها الخيانة فإنهم يوافقون على قتلها، أما الجاني ففي الغالب يفر خوفا من العقوبة التي تكلفه حياته².

من الأسباب التي ساهمت في انتشار ظاهرة نشوز النساء في أرياف البابلك وهروبهن، المشاكل الزوجية التي يتبعها الفرار والاحتكام إلى القاضي ومنعها من الخروج والدخول إلا بإذن الزوج، محاولين إجبار الزوج على الطلاق للزواج من رجل آخر، إضافة إلى تعرض النساء للتخبيب³ لدفع الزوج إلى تطبيقها والزواج منها فيما بعد، وهذا ما جاء في نوازل ابن الفكون حيث تذكر إحداها "... عن رجل تزوج امرأة ثيب من أهل البادية من خارج بلده، ومن شأنها الفرار والنشوز عنه من بلده إلى بلاد القبائل التي لا تتألم الأحكام الشرعية..." ويأتي في إحدى النوازل الأخرى نشور امرأة من بيتها واشتراتها للعودة سوارا من الذهب وألا يتزوج عليها، وهو ما جاء بالقول "وهي أن امرأة خرجت من بيتها غضبا ونشوزا... إلى أن طلبت منه ألا ترجع إلى بيته إلا أن يشترط على نفسه أن يصنع لها سوارا من ذهب وألا يتزوج عليها غيرها"⁴، يضاف إلى ما ذكره ابن الفكون نازلتين تتعلقان بتخبيب ونشوز المرأة عن زوجها أولاها تتعلق بنشوز امرأة وتخبيب أهلها

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 103.

² هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص ص264-265.

³ ويقصد به السعي لإفساد المرأة على زوجها، وبث الفرقة والكراهة بينهما، بغية عصيانها له، ليسهل ارتباطها بالرجل الذي عمل على نقض زواجها. ينظر: مركز رواد الترجمة، موسوعة المصطلحات الإسلامية، ج4، الرياض، 2019، ص458.

⁴ محمد ابن عبدالكريم الفكون، المصدر السابق، ص ص 68-79.

عليه، وخروجها من البلاد إلى البادية من دون محرم " ...رجلا له امرأة قد بنا بها ومكثت عنده مدة وعرفت حاله، ثم إنها كرهته وأساءت عشرته، وخببها أهلها عليه حتى ضيقت به في السكنى والنفقة، وبعد ذلك خرجت من البلد إلى البادية مع غير محرم وتمنعت عليه..."، أما النازلة الثانية فتتعلق بتخبيب الرجل للمرأة المتزوجة بغرض تطليقها والزواج منها، حيث جاء في النازلة "...عن الذي يخبب المرأة عن زوجها ويفسدها عليه حتى يطلقها.."¹.

النزاعات الأسرية لم تكن مرتبطة فقط بالطبقات البسيطة، بل تعدت ذلك إلى الأسر النافذة والمرابطية، وما شابها من عنف أسري وصل إلى حد الضرب، وهذا ما يذكره فون مالتسان، عن زواج سيدي الصالح بمنطقة جرجرة من فتاة من أسرة عريقة، واصفا الاثنين بالمرابطين، إلا أن الخلافات بينهما كانت السمة البارزة، والتي وصلت في أحيان كثيرة إلى الضرب وترك كدمات على جسد الزوجة المرابطة والدماء تسيل من أنفها، واستنجاها بأهلها للانتقام، وانقسام أهل القرية بين من يرى أن من حق الزوج أن يضرب زوجته، بينما رأى الطرف الثاني أن الضرب يجب أن لا يكون مبرحا، على الرغم من اعترافه أن الضرب مباح شرعا إذا أخلت الزوجة بواجباتها².

كما تورد بعض الرسائل التي اطلعنا الاشتباه في بعض العلاقات المحرمة، حيث نجد في إحدى الرسائل المرسلة من صالح باي إلى قبطان القالة بخصوص الاشتباه بجريمة الزنا، بين الطبيب الفرنسي بالقالة وإحدى النساء، وقتل القايد للمرأة، مبينا أن هذا الأمر لم يثبت لديهم، وأنه قام بزجر القايد على فعلته، مقدما أوامره لقبطان القالة بعدم دخول أتباعه منازل المسلمين تقاديا لاتهامهم بهذه الأمور³، كما تعاقب النساء المتزوجات

¹ محمد ابن عبدالكريم الفقون، المصدر السابق، ص ص 92-96.

² هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص ص 148-149.

³ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 66.

بقسنطينة إذا اتبعن طريق الغواية بالرمي من أعلى الصخور، بعد أن يكشف عن وجهها وشعرها ويطاف بها في المدينة¹.

من خلال ما ذكر يمكن ملاحظة تفشي الفساد الخلقي لدى بعض النساء سواء المتزوجات وغيرهم، ويمكن إرجاع هذه الظواهر إلى الابتعاد عن أحكام الدين، إضافة إلى الاحتكام إلى بعض العادات البالية في الزواج على غرار إرغام الفتيات على الزواج، إضافة إلى المشاق والمسؤوليات التي تعاني منها المرأة في ريف البايك مما يجعلها تحاول الخلاص من هذا الوضع، كما أن اعتبار المرأة وسيلة لتسوية الخلافات العشائرية لاسيما تزويجها في حالة العجز عن سداد الدية لأسرة القتيل زاد في استفحال الظاهرة .

2- مشاكل النفقة بين الأزواج في أرياف البايك:

أما النفقة فهي واجبة بحكم الكتاب والسنة، تستثنى الزوجة الحديثة في البايك من الكسوة في السنة الأولى، كما أنها تستفيد من عمل يديها في الإنفاق على نفسها فقد جاء في إحدى النوازل".مثل السنة وإذا زادت على السنة فالكسوة من مسميات النفقة، ونفقة الزوجة لازمة للزوج بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، لأنها في مقالة الاستمتاع، لا يقال أن عادة غالب أهل قسنطينة أنهم لا يكسون الزوجة ويكلوا ذلك لما تستفاده من طرز وغزل ونسج، أو مما دخل على بعضهن من الغلات"².

كما عالجت بعض النوازل، بعض المشاكل العائلية بين الزوج والزوجة على غرار عدم تكسب الزوج وعجزه عن الإنفاق، والادعاء بالمرض، إضافة إلى رفض الزوجة السكن في بيت والد الزوج، وطلبها للطلاق، وهو ما جاء بالقول " ثم إنها تشاكت بالمرض فرفعها والدها بقصد تمريضها، فتحلقن على الزوج وعزموا على طلاقها منه فامتنع الزوج من طلاقها، وأرادوا عدم السكنى مع والده وأن والده هو المنفق عليه وعلى زوجه من كون

¹ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص83.

² محمد ابن عبدالكريم الفقون، المصدر السابق، ص ص83-84.

الزوج قليل التكسب، لا يكسب من شيئاً لا عينا ولا عرضاً ولا عقاراً، عدا جهد القوت وما يستفيد من والديه"¹.

كما أن النساء في قسنطينة يشتغلن في العديد من الحرف للنفقة على أنفسهن، وهذا ما يذكره ابن الفكون في إحدى النوازل بالقول "..حال النساء بقسنطينة الثيبات والأبكار الدنيات وذوات الأقدار، اتخاذهن الصوف" وغزلها وخدمتها....، وبيعه ابتغاء الفضل في أثمانه وتصرفهن في دورهن بأنواع التصرفات اللائقة بالنفس والأهل"، و يضيف في موضع آخر "..."ما أشهدا به من تصرف جميع النساء بدورهن لأنفسهن، والمعلوم من قطر افريقية وقسنطينة وغيرهما اختلاف النساء في ذلك، فمنهن من تخدم نفسها وغيرها، منهن من لا تخدم نفسها ولا غيرها، ولم تأكل قط من عمل يديها..."².

3- تعدد الزوجات في الأرياف:

من نلاحظ انتشار ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمع الريفي ببابلك الشرق ، وهذا ما أكده شلوصر خلال رحلته مع الأسر، فعند وصفه لسيدة ابن زعمون أحد شيوخ القبائل النافذين، يذكر أنه يقطن مع نساءه في منزلين جميلين، وهي الملاحظة نفسها التي ذكرها بعد أن سلمه هذا الشيخ إلى أحد مرابطي منطقة جرجرة المشهورين المسمى سيدي علي بن عيسى فهو يشير إلى عيشه مع عائلته المكونة من أربع زوجات في سلام ووثام³.

كما انتشرت ظاهرة تعدد الزوجات لدى الرعاة والعمال المشتغلين لدى أصحاب الأراضي والمزارع، والذي يرجع في عمومه إلى أن العمال البسطاء يستغلون زوجاتهم في الأعمال الموكلة إليهم والعمل على زيادة دخلهم نظراً لحالة الفاقة التي يعيشونها⁴.

يشير دوماس الى أن الأغنياء في الصحراء هم فقط من يحق لهم التعدد، حيث يصل الرجل الى الارتباط بأربعة نسوة، بينما لا يتزوج الفقراء أكثر من اثنتين¹.

¹ محمد ابن عبدالكريم الفقون، المصدر السابق ، ص85.

² المصدر نفسه، ص ص103-104.

³ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص ص 18-21.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص50-51.

من المفارقات الغربية في تعدد الزوجات، أن الزواج للمرة الثانية منتشر لدى عليّة القوم في الأرياف، وذلك للاقتدار المادي الذي يتمتع به هؤلاء، إضافة إلى أنه يعتبر وسيلة للتقارب بين العائلات المتنفذه، على غرار مصاهرة بعض العثمانيين لعدد من العائلات المتنفذه، فالمصاهرة أو رابطة الدم كان لها الأثر البالغ في استقرار البايك في العهد العثماني، بالمقابل انتشر تعدد الزوجات لدى البسطاء من الناس في الأرياف، خاصة الفلاحين والرعاة، والذين اضطرتهم الظروف وتعدد الأعمال الموكلة لهم إلى الزواج بعدة نساء، للتقاسم هؤلاء والنسوة وأبناءهن مشقة هذه الأعمال مع الرجال.

خامسا-المرأة في الريف:

إن مهام المرأة في الريف مرتبطة بمساعدة الرجل لتحصيل قوتهم، تتمثل واجباتها الأساسية في الإنجاب ورعاية الأطفال وحلب المواشي والطرز على الحرير والجلد، كما تشتغل في جمع السنابل في موسم الحصاد، والاعتناء بالحيوانات، إضافة إلى نسج الأصواف، كما أنها محرومة من التعليم لطبيعة المجتمع الذي يمنعها من الاتصال بالآخرين، ماعدا بعض الحالات التي يخصص فيها الأغنياء معلمين يحضرون إلى بيوتهم².

فهي على عكس الرجل توكل لها العديد من المهام، فهي تستيقظ فجرا لتحلب الأغنام والأبقار، وتعمل أخرى في ترتيب الخيمة، وأخرى يقمن بأخذ الماشية إلى الرعاة، أما بالنسبة لمخض الحليب فيتم عبر تعليق القرية بعمود خشبي مكون من ثلاث سيقان، لتملأ بعدها بالحليب الجديد، بعد أن يتم تثبيتها بالحبال من أطرافها الأربعة بأعلى العمود، لتبدأ المرأة في تحريكها بصفة مستمرة مقابلة الهيكل الخشبي الذي يكون في مستوي علو الإنسان، إلى غاية الحصول على الزبدة³.

¹ ميليشيور جوزيف أوجان دوماس، المرأة العربية [دراسة وصفية لحياة المرأة الجزائرية 1870]، تر: بن حرز الله بن موية، دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2024، ص40.

² محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص 47.

³ فنديلين شلوفر، المصدر السابق، ص93.

كما تعمل المرأة في أرياف البايك على جمع الحطب لإيقاد النار، أما في المناطق التي يقل فيها الحطب كضواحي قسنطينة فيتم الاستعانة بزبل البقر والعشب اليابس، كما تشتغل نساء الريف في حياكة الخيم و البرانيس، ومخض الحليب لاستخراج الزبدة، إضافة إلى طحن الحبوب، فهن إجمالاً يقمن بكل الأعمال المنزلية، مما يعرضهن للتعبد و لإهمال أنفسهن، وما ينجر عنه من أوساخ تؤدي إلى مرضهن أحياناً بالحمى وأمراض أخرى¹.

يصف فون مالتسان نساء قبيلة آيت مليكش أنهم لا يتمتعن بجمال كبير، مرجعاً سبب ذلك إلى حالة الشقاء التي يعشن فيها، ذاكراً أنهم جميلات في الصغر، إلا أن الظروف التي يتعرضن لها كالبرد في الشتاء والحرارة في الصيف، يجعل الفتاة منهن وهي في سن العشرين تظهر و كأنها صاحبة الخمسين سنة².

أما من الصفات التي ذكرها الأغواطي عن نساء وادي سوف، أن نساء المنطقة لا يتحجبن ويذهبن إلى الأسواق بالقول " ونساؤهم يذهبن إلى السوق غير محجبات، كما يظهرن في البساتين، ويشيع بينهم الخنا³ كثيراً⁴.

يضيف الورثلاني عند وصفه لبني يعلي وزمورة، أن نساؤهن متكشفات لا يتحجبن، وهو ما أورده بالقول " وزاد لما ذكر فنساؤهم باديات مكشوفات، هداهم الله لحجبن لأنه من أعظم الآفات"⁵.

أما المرأة في المناطق الصحراوية، فقد مارست التجارة بالأسواق، وهذا ما يذكره السجلماسي عند وصول موكب الحج بالقرب من قرية سيدي خالد وخروج أهلها جميعاً بما

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص52.

² هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص152.

³ عادة منتشرة في سوف، تتمثل في التقاء الشبان والشابات أمام المأ، في المناسبات الاجتماعية والمواسم، للتعرف بغية الزواج، ينظر: ابن الدين الأغواطي، رحلة الحاج الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، ترجمة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص96.

⁴ المصدر نفسه، ص96.

⁵ الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، ص81.

فيها النساء والأطفال للتجارة مع الموكب، وهو ما جاء في قوله "ورحنا لقرب سيدي خالد، فباتت الإبل خماسا، وبتنا هناك وقد خرج إلينا أهل قرية سيدي خالد قضهم بقضيضهم، وتسوقوا وسط الركب رجالا ونساء وولدان يبيعون التمر.."¹.

كما أن المرأة تحرم أحيانا من حقها في الميراث، وذلك تفاديا لانتقال ملكية هذه القبائل إلى أشخاص أجنب بالنسبة إليهم، فتوريث المرأة بعد زواجها يشكل خطرا على توسع واستغلال هذه الملكيات على حد اعتقادهم في عرف يخالف أحكام الشريعة². نظرا للقيمة التي يوليها السكان للممتلكات وخاصة الأراضي باعتبارها مصدرا للدخل ناهيك عن كونها دلالة على النفوذ والجاه.

من خلال ما سبق نلاحظ الدور الذي تلعبه المرأة في أرياف البايك إلى جانب الرجل، إن لم نقل أن أغلب الأعمال هي موكلة للمرأة مما يشكل عليها ضغطا كبيرا إضافة إلى ضغط المناطق المفتوحة التي تعيش فيها مرغمة على تحمل كل الظروف الطبيعية، على عكس المرأة في المدن التي تعيش في أريحية كبيرة إذا ما قورنت مهامها بالمهام التي تمارسها المرأة في الأرياف.

سادسا- بعض المظاهر المنتشرة في الأرياف:

تميز الريف في بايلك الشرق بالعديد من المظاهر، التي تنوعت بين المحمود والمذموم، هذه المظاهر التي ساهمت التحولات التي عرفت الأرياف، خاصة مع انتقال نمط عيشهم في مناطق معزولة ساهمت في الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم، إلى الانتقال إلى المناطق الحضرية، ومعاشرتهم لفئات جديدة، خاصة مع انحسار النشاط الفلاحي في الفترة الأخيرة للحكم العثماني، بسبب النظام الجبائي الذي نفر السكان من الاستقرار بمناطقهم، وتحولهم إلى نشاط الرعي من جهة، وبحثهم عن مصادر للرزق في المناطق الحضرية من جهة

¹ أبي العباس الهلالي السجلماسي، التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، دراسة وتحقيق محمد بوزيان بنعلي، [د.ط.]، المغرب، 2011، ص201.

² C.Devaux, Les kabailes du djedjera, *Études ...Op.cit*, p95.

أخرى، إضافة الى تعاملهم مع القوافل التجارية المارة بالمناطق الريفية وتبادلهم السلع المختلفة، هذه المظاهر الى تناولتها العديد من كتب الرحالة.

1- الكرم:

يذكر شو أنه عانى هو وخيوله من التعب في طريق رحلته، إلا أن تجمع خيم للعرب، فاستضافوه مجانا وقدموا له الحليب والفواكه المجففة، كما أهداهم رب أسرة إحدى مواشيه، نصفها أعد عليها طعام الكسكسي، بينما خصص نصفها الآخر للشواء، وجزء منه لغداء أو عشاء اليوم الموالي¹.

أما هابنسترايت فيصف طريقه من عنابة إلى قسنطينة، وتوقفه بدوار يتكون من خيم بوطن قبيلة دغوسة، حيث قدم لهم شيخ الدوار الزاد والعلف، ومن ثم مواصلة المسير إلى دوار آخر قدم لهم شيخة فرشاً لقضاء الليل، ذاكرا انه أنهم استطاعوا قضاء الليل في أمان مشيدا بحسن الضيافة التي هي من خصال العرب².

كما يذكر حمدان خوجة عند وصفه لسكان السهول الذي يقسمهم إلى سكان الصحراء وسكان المناطق الجبلية، مظهر من مظاهر الكرم التي ميز سكان الأرياف، فعلى الرغم من امتلاكهم للمواشي، وامتناعهم عن ذبحها للتمتع بها هم وعائلاتهم، إلا أنهم لا يتوانون في ذبحها عند قدوم الضيف³، فالقبائل في الأرياف عرفت عموما بالكرم، وتقديم أحسن ما لديها من الطعام، والمتمثل أساسا في الكسكس الذي تختلف طريقة تقديمه، إما باللحم أو الرايب، أو الحلو منه مع الزبدة والسكر⁴.

¹ طوماس شو، المصدر السابق، ص 88.

² ج.او. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 78.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 49.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة الجزائري، رحلة من مدينة الجزائر إلى مدينة قسنطينة سنة 1832م، تر و تع: فارس كعوان، دار خيال للنشر والترجمة، [د.ط.]، الجزائر، 2023، ص 63.

وهو ما يظهر مدى الإيثار والكرم الذي يطبع سكان الأرياف، فعلى الرغم من الحاجة ومحاولتهم الحفاظ على مواشيم باعتبارها مصدر رزقهم، إلا أنهم لا يترددون في التضحية بها تقديرا للضيف وإكراما له.

كما أن من مظاهر الفرح والسرور التي تصاحب وصول موكب الحجيج، الاختلاف والفتنة بين الأهالي على من ينال شرف إكرامهم، وهو ما ذكره الورثلاني بالقول " ثم سرنا إلى أن وصلنا زمورة فلما سمعوا بنا لقينا من بها من العامة والخاصة فرحين مسرورين ببنادقهم وغير ذلك من أنواع الفرح فكل يعزم علينا ويرغب في المبيت عنده إلى أن وصلوا إلى الفتنة والهرج بسبب ذلك، غير أن أولاد عبد الواحد حملوني قهرا لأنني قريب من مداشرهم فكانوا أمكن منا فبتنا عندهم خير مبيت كثر الله خيرهم"¹.

انتشار الكرم في الأرياف لا يعني دائما عدم وجود بعض المظاهر السلبية في المجتمع الريفي، لا سيما التعلق الزائد بحيواناتهم الأمر الذي يجعل من الصعب بيعها وإنفاقها على عائلاتهم، أو ذبحها والاستفادة من لحومها. وهذا ما يشير إليه مالتسان بأن هناك العديد من القبائل التي تتصف بالبخل وحبهم للمال².

2- تدخين التبغ والكيف:

يذكر شلوصر زراعة الكيف في الصحراء، وأن العرب و العثمانيين يدخنونه بكثرة، مشبها إياه بالقنب، واصفا إياه بالقول " وبعض أوراقه طويل وبعضها الآخر قصير وتقتلع سيقانها في الحر وتجفف وتباع بكميات كبيرة أو صغيرة، ويقتلع المدخنون الأوراق الصغيرة، ويقطعونها بسكين قطعاً صغيرة ويدقونها ويخلطونها بتبغ قليل مدقوق أيضا، ويستعملون في تدخينها قصبه رقيقة، طولها قدم، بغليون في حجم قمع الخياط"، ففي مقاهي مدينة قسنطينة يجلس الناس في مجموعات يتداول الواحد تلو الآخر استعمال نفس القصبه، ويعمد كل الواحد مسك الدخان وعدم إخراجها حتى يرجع إليه الدور مرة أخرى،

¹ الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، ص699.

² هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص153.

ليدخل الناس في حالة سكر و نوم عميق باستعمال غليونين فقط¹، يضيف فون مالتسان خلال وصفة لرحلته من عنابة إلى قسنطينة، وكلامه عن المرافقين له، ذكر أن أحد زملائه في الرحلة كسول ولا هم له سوى تعاطي الكيف².

كما يذكر السجلماسي مصادفة موكب الحج لأعراب غابت قافلتهم لجلب الميرة من ورقلة، أن أحدهم بادلهم قليلا من التبغ مقابل شاة، وهو ما جاء في قوله " واشتري آخر شاة فيما ذكر بشيء تافه من ورق العشب المذمومة المسماة عند أهلها "تبغى" وطلبوا من يشتري منهم حمارا بها، وليس عندهم دينار ولا درهم". مشيرا إلى سؤاله في ما يخص حكم المتاجرة بها³، كما تحمل القافلة السنوية المتجهة إلى نوميديا، الحشيش، الذي يصفه الوزان بالقذر⁴.

يشار الى أن الأغنياء يستوردون من بلاد السودان نوعا من المخدرات يتعاطونه يطلق عليه الحشيش والذي يزرع في منطقة أحيير، وتصدر منه كميات كبيرة قدرت بأكثر ألفي حمولة بعير⁵.

3- السرقة واللصوصية:

تعتبر السرقة في البايك من الأمور المشينة التي غلظت السلطة عقوبتها، حيث يتم قطع يد السارق بقسنطينة على حسب ما ذكره شلوصر واصفا ما رآه في إحدى المرات بالقول " وقد رأيت طفلا، قطعت يده اليمنى، لأنه سرق مهمازا من دكان تاجر"، كما تم قطع يد شخصين من منطقة زواوة أتيا للتبضع وأحضرا معهما نقودا مزيفة، وطيف بهما في المدينة، ملفوف حول عنقهما ومن ثم أطلق سراحهما⁶، إضافة إلى بعض الجرائم التي يعاقب عليها بالضرب على القدمين والمؤخرة مابين مائتين وألف ضربة، حيث يربط

¹ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص102.

² هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص247.

³ أبي العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص176.

⁴ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 59.

⁵ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص169.

⁶ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص82.

المذنب إلى خشبة طولها ستة أقدام، وترفع القدمان بشكل عمودي بعد إدخالهما في الحبلين¹.

كما يذكر الورثلاني في رحلته الحبية انتشار ظاهرة السطو على مواكب الحجيج، فهو يذكر ممارسة عرب النمامشة للسرقة والخطف، على غرار استيلائهم من القافلة على بغلة وجملين، واستخلاص ركاب القافلة منهم فرسا ومكاحل سلمت لصاحب البغلة والجملين، ذاكرا أنهم متمردون عن سلطة البايك، فلا هم تحت سلطة سلطان تونس، ولا هم تحت حكم باي قسنطينة، يقومون بالسرقة والخطف ومن ثمة يفرون إلى الصحراء².

مارس أبناء بورنان شيخ مجانية بعد وفاته والتجائهم لعمهم سي الحاج بن بوزيد، اللصوصية وقطع الطرق، مما اضطره لطردهم بسبب سلوكهم غير السوي، وانتقالهم إلى منطقة زواوة حيث عملوا على نهب المنازل المعزولة، و سلب واعتراض المسافرين³.

أما العياشي فيذكر ما شاهده في رحلته⁴ وهو في الطريق بين الزاب وسيدي عقبة، من تعرض إحدى مواكب الشرفة إلى إغارة من أولاد صولة، ذاكرا حالة الموكب المزرية بعد التقائه مع الموكب بين سيدي عقبة وبسكرة بالقول "وهو نصف الطريق بين الزاب وسيدي عقبة، ووجدنا المنصف نزلتين لأولاد صولة قد نزلوه ذلك اليوم، وكانوا أغاروا على نزلة لبعض الأشراف وأخذوهم...الذين ولقينا في ذلك اليوم نزلة الأشراف الذين أخذوهم أولاد صولة رجالا ونساء راحلين وعليهم أثر الجوع"⁵، يضيف العياشي تحذير سكان بسكرة وخوفهم من غارات أولاد نصر ابن بوعكاز على الركب، ما اضطرهم إلى حبس إبلهم وشراء الكلا لها.. وخوف أهل البلد من عرب أولاد نصر ابن بوعكاز،

¹ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص83.

² الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، ص107.

³ شارل فيرو، تاريخ برج بوعرييج، المرجع السابق، ص77.

⁴ ينظر الملحق رقم: 09.

⁵ عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ج 2، ص ص538-539.

وحذروهم من غاراتهم على إبل الركب، فلم تسرح للركب سارحة إلا ما يشترون من الحشيش" ¹.

على الرغم من التحذيرات التي تتلقاها القوافل بخصوص تعرضها للسطو والسرقة من اللصوص وقطاع الطرق إلا أن الملاحظ في كثير من الأحيان أن ركب الحج يتم استقبالها وإكرامها وفي أحيان أخرى تكون هذه التحذيرات غير صحيحة ومبالغ فيها، أو مبنية على أحداث وقعت بين السكان والحجيج في مواسم سابقة على غرار ذكر السجلماسي، أن الموكب عندما رأى نخل الزاب تعمد أن يبيتوا بعيدا عنه، لما وقع لهم من خلافات سابقة بين بعض القرى والحجاج إلا أنهم أصبحوا بخير ولم يمسهم شيء. يضيف أن سكان أولاد جلال استقبلوهم ولم يبادروهم إلا بالخير، على الرغم من سماع الحجاج عزمهم على مقاتلتهم" فقد خرجوا زائرين للركب، ومتسوقين بالتمر والشعير والدلاع وهم يخزنونه ليبيعه للحجاج" ².

إضافة إلى انتشار ظاهرة سرقة المواشي في الأرياف والتي مست حتى علية الناس والشيوخ والأولياء الصالحين على الرغم من ما يمثلونه من سلطة دينية في الأرياف، حيث يذكر الورثلاني أن الولي الصالح سيدي حسين بمنطقة زاوة تعرض لسرقة ثور استرجع ثمنه لاحقا بعد أن وجد مذبوحا في بني وجهان، وهو ما ذكره بالقول "وقد ذكر بعض أصحابه لنا أن الشيخ ذهب له ثور بان سرق له....وقمنا نبحت عليه البحث العظيم الذي فوق الطاقة فوجدناه مذبوحا في بني وجهان فرجعنا بقيمته لما علموا أنه للشيخ" ³.

نلاحظ من خلال ما ذكره الورثلاني انتشار السرقة التي مست حتى الأولياء على الرغم من الهالة والقيمة التي يكنها الناس لهم واضطرارهم إلى دفع ثمن الثور لما علموا أنه يخص هذا الولي الصالح .

¹ عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ج1، ص539.

² أبي العباس الهاللي السجلماسي، المصدر السابق، ص206-208.

³ الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، ص62.

كما يشير مالتسان إلى تعرضه هو ورفاقه لهجوم اللصوص من البدو بعد عبورهم وادي الملح عند وادي مسكيانة، مشيراً إلى تجريدهم من المال والساعات والخواتم وكل ما يحتوي على الذهب والفضة، إلا أنهم تركوا لهم بغالهم وأمتعتهم¹.

هذه الظاهرة التي يرجعها دو تاسي إلى طبيعة سكان الأرياف وسكان الجبال خاصة، معتبراً أنه لا يمكن عبور الريف والابتعاد عن المدينة دون التعرض للسرقة². على الرغم من انتشار الظاهرة إلا أننا نرى دوتاسي بالغ في انتشار الظاهرة، فظاهرة اللصوصية والسرقة عرفت بها بعض المناطق والعائلات ولا يمكن أن تعمم على سائر سكان الأرياف.

إضافة إلى أن من المظاهر المنتشرة في أرياف بايلك الشرق، حسب ما جاء في إحدى وثائق المكتبة الوطنية، الاعتداءات المتكررة بين القبائل ومهاجمتها لبعضها البعض واستيلائها على ممتلكاتها، والمتمثلة بالخصوص في السيطرة على الأراضي الصالحة للزراعة ونهب المواشي³.

من الجدير بالذكر أن ظاهرة اللصوصية لم تكن حكراً على بايلك الشرق بل تعدت ذلك إلى المناطق الحدودية مع تونس حيث تعرضت العديد من القوافل العابرة للمناطق الحدودية بين تونس والجزائر إلى السلب والنهب من بعض القبائل التونسية، على غرار ما يذكره صاحب المشرع الملكي بالقول "... فوردت قافلة من قوافل قسنطينة كعوايدهم، ونزلت القافلة قرب نجع أولاد مناع⁴ وحطوا شدايدهم وأحمالهم، وهو قفل كبير، فيه مال غزير. فلما رأهم أولاد مناع، وهم في قلوبهم عاملين على الخداع، اجتمع سفهاؤهم وتكلموا فيما بينهم على أخذ القافلة وهربوهم فإذا أوصلنا المنع استغنينا بمالهم، فاتفقوا كلهم

¹ المصدر نفسه، ص ص 277-278.

² Laugier de Tassy , **Histoire de royaume** Op.cit, p64.

³ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 98.

⁴ بطن من بطون دريد بن الأثيج، من بني هلال بن عامر، من مضر، من العدنانية، يقطنون منطقة الباب من ولاية باجة التونسية. ينظر: بدر الدين بن محرز الكافي، معجم قبائل العرب و الأشراف في تونس القديمة والمعاصرة، مطبعة جمعية الندوة التعليمية، [د.ط]، إسلام آباد، 2015، ص 170.

وصدموا على القافلة وأهلها ينظرون إليهم متعجبا من فعلهم، وهذا شيء لم يعهده من أهل افريقية وقلة شجاعتهم وجسارتهم وأخذوا تلك الشدايد والحمول والخيول والابغال وكل مالهم من الأموال، وبعضهم سلبوهم ورجعوا إلى نجعهم"¹.

4-الاعتقاد بالخرافة والكرامات في ريف البايك:

يعتقد الكثير بالدرأيش في أرياف البايك وأن لهم كرامات وصلة بالله، فتطلب منهم النساء الشفاء من الأمراض المختلفة، ويقدم لهم السكان الطعام فور طرق أبوابهم لاعتقادهم بأنه لا يمكن ردهم، كما تقدم لهم السلطة لباسا سنويا يتكون من برنس وقندورة، كما أن حتى الباي لا يجرؤ على طردهم عند إزعاجه في وقت راحته أثناء الظهر، خوفا من دعائهم عليه وإصابته بالعمى، وصل الاعتقاد بهم إلى درجة محاولتهم إقناع الناس أن الوباء الذي اجتاح قسنطينة سنة 1834م ما هو إلا حشد من المسيحيين يحاولون تسميم المدينة من الجو، وهو الأمر الذي صدقه البعض، الأمر نفسه حدث سنة 1835م عندما شوهد أحد المرابطين يبكي ويرمي الحجارة، الأمر الذي فسر على أنه نذر حرب كبيرة في الأفق"².

كما يتداول الأهالي وجود مغارة توجد في نهايتها كميات كبيرة من الذهب، إلا أن لا أحد يستطيع الاقتراب منها، لحراسة بابها من رومانين عنيديين يرفعان سيوفهما ضد بعضهما البعض، إضافة إلى مغارة أخرى مليئة بالذهب والفضة، ومن الممكن أن يأخذ المرء منها ما يشاء، إلا انه بمجرد محاولة الخروج منها يتكون خندق يجعل من الخروج مستحيلا ، لا ينزاح إلى بإرجاع ما أخذ منها"³.

ومن الاعتقادات الرائجة ما يذكره البكري عن وجود عين بكتامة تسمى عين الأوقات يجري مأوها خمس مرات في اليوم بما يوافق مواقيت الصلاة " إن عندنا بالمغرب(ببلاد

¹ الشيخ الصغير بن يوسف، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي التركي، تق وتنج: أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، ج4، [د.ط]، تونس، 2009، ص 180.

² فنديلين شلوصر، المصدر السابق، ص84.

³ المصدر نفسه، ص103.

كتامة) عين الأوقات معلومة، إنما يجري مأوها في اليوم واللييلة خمس مرات في أوقات الصلوات الخمس وينقطع ما بين ذلك"¹.

من خلال ما ذكره البكري نلاحظ مدى تأثر الناس بالخرافات وربطها بالجانب الديني، وهو الأمر الذي يعطي لهذه العين قدسية كبيرة باعتبارها ظاهرة خارقة، الأمر الذي يشير إليه فيرو موضحا موقعها ببني فوغال بالقرب من قرية العيون تنتهي مياهها إلى أسفل وادي جنجن و اعتقاد السكان بأن هناك ملائكة يتحكمون في سيلان العين أوقات الصلاة، مرجعا الأمر إلى ذوبان الثلج على قمم الجبال بعد تعرضها للشمس، في أحواض طبيعية تفيض أحيانا في أوقات معينة، كما يجلب السكان المشتبهين في ارتكاب الجرائم لهذه العين، ومن لم تتدفق الماء عند إحضاره في فترة قصيرة تثبت عليه الجريمة².

أشار ابن العطار إلى ما جاء في قصيدة المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة المسماة المنصفة، من الطقوس والقرايين والخرافات التي اعتقد بها السكان، فأشار إلى حفلة تسمى "زارا" ، يعرفها الناس بالزيارة، حيث يجتمع الناس من كل صوب، وتلجأ فيها النسوة إلى زارا ليشفيها من مس الجن، أما نسر مسيد الطبل، حيث يجتمع الناس يوم السبت في أوقات محددة في السنة بمكان يطلق عليه سيدي مسيد، ينطلق الموكب بمرافقة الزوج وهم يطرقون الطبول، وتشتري النسوة أفئدة الضان والماعز و يذهبن إلى الجبل المسمى الاحتفال باسمه، و يرمين هذه الأفئدة لتتلقفها النور كدلالة على رضى الصالحين عنهم، ومن الطقوس في هذا اليوم تزيين تيس والطواف به للاسترزاق³، ومما يلاحظ في كلامه التشكيك على أن من يقومون بهذه الاحتفالات لم يكونوا من أهل المدينة، وهو ما جاء في قوله " وخاصة ممن يزعمون أنهم من أهل المدينة"، مضيفا هذه الاحتفالات تجمع الناس بتنوع مشاربهم، كما أنها تقام بفحوص المدينة⁴.

¹ أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، حققه ووضع فهرسه جمال طلبية، دار الكتب العلمية، ج1، [د.ط.]، بيروت، 2003، ص ص206-268.

² شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص32.

³ أحمد بن المبارك ابن العطار، المصدر السابق، ص ص40-41.

⁴ المصدر نفسه، ص41.

كما أن من الكرامات التي يذكرها الورتلاني نقلا عن الولي الصالح سيدي محمد بن الحاج العشاباني ثم التفرغوني أن الولي الصالح سيدي الحسين مرض فعاده، وعند مروره على غنم الشيخ وجد الذئب معها ولم يفعل لها شيئا، وهو ما جاء في قوله "قال مرض الشيخ فذهبت لأعوده فلما وصلت إلى غنمه وإذا بالذئب معها قال فقلت للراعي أترك الذئب مع غنم الشيخ فقال دعه فإنه معها مدة طويلة يرعى معها"¹، يشير في موضع آخر إلى زيارته أحد الصالحين المدعو سيدي محمد بن علي بنواحي بسكرة طالبا منه الدعاء، ذاكرا أنه رجل صاحب كرامات مغلوب على أمره، على غرار ما سمعه من بعض الحجاج أن النار لا تمس من رآه"...أنه قال لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أن النار لا تمس كل من رآك وزعموا أنه قال له ومن رأى من رآك مراتب متعددة والله أعلم بحقيقة ذلك..."².

إضافة إلى بعض الطقوس الموغلة في القدم كاحتفال "السلاحف في غراب" ، الذي يقام في فحص قسنطينة في منطقة "غراب"، يوجد به حوض ماء ساخن غني بالكبريت يسمى "البرمة" ، يقصده نسوة قسنطينة وما جاورها، ليلقين به التمر والحمص والجوز واللوز، فتأتي السلاحف للأكل منها، الأمر الذي يبهج النسوة لينطلقن مزغردات، اعتقادا منهن أن الجن قد رضي عليهن، يعقبه دهق العطور في الحوض³.

من العرف السائد في المجتمع الريفي خاصة القبائل الشرقية، أن الجماعة عند حكمها في النزاعات والخلافات تلجأ إلى اليمين لإثبات الحقوق أو نفيها، ومن المعروف في المنطقة اللجوء إلى المرابطين أمثال مقام سيدي أبو يحيى بميلة المعروف بأبو مائة ناقة، واعتقادهم أنه من يحلف كذبا في مقام زاوية الرجل الصالح سيصاب بالعمى أو الموت في حادث عنيف⁴.

¹ الحسين بن محمد الورتلاني، المصدر السابق، ص63.

² المصدر نفسه، ص ص89-90.

³ أحمد بن المبارك ابن العطار، المصدر السابق، ص41.

⁴ شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص53.

أما بمناطق جيجل فان أعراش بني يدر وبني معمر وبني صالح وبني حبيبي، يسمون قمة جبل سدات "لا لا سدات" تقديسا له، بينما يقدس أعراش بني عافر وجيملة وبني عمران وبني خطاب قمة "سيدي وشاك"، هذه القمم التي تنظم لها الزيارات سنويا وتذبح عندها الذبائح، كما تتعدد المزارات و تسمى على من يعتقدون بصلاحهم، فيأخذ الرجل لقب سيدي الصالح، كسيدي مسعود وسيدي عبد العزيز، بينما تأخذ المرأة لقب لا لا مثل "الالا تاورارت"، الأمر نفسه بالنسبة للاعتقاد بشيوخ الطرق الصوفية، فيستغاث بسيدي عبد القادر الجيلاني و سيدي عبد الرحمان¹.

كما أن من الطقوس المعروفة بمنطقة زاوة والتي توافق بداية موسم الحرث، أن تدفن أربع بيضات وأربع رمانات وأربع جوزات عن كل زوج من الثيران، لتترك للأطفال مساء بعد أن تظل طيلة اليوم تحت التراب، كما يوضع الخبز والفتائر على قرون الثيران ليقوم الفقراء والأطفال بأخذها².

إضافة إلى ما سبق، يذكر ادريس رائسي أن القبائل الحدودية بين الجزائر وتونس تقيم العديد من الحفلات الموسمية المعروفة بال"زردة" والمقامة بالزوايا وأضرحة الأولياء، والتي تعتبر مناسبة للصلح والتسامح وإنهاء الخلافات بين القبائل المتجاورة، إضافة إلى كونها تشكل سوقا تعرض فيه القبائل مختلف منتوجاتها خاصة المرتبطة منها بالحرث، كما تقام مسابقات الرماية بين فرسان أولاد تليل ولحواظ وأولاد عسكر والهمامة والنمامشة³.

من خلال ما ورد سابقا نلاحظ اعتقاد بعض سكان الأرياف بالكرامات والمرابطين والرجال الصالحين وال دراويش وغيرها، في ظاهرة اجتماعية تبدو في غالبها بعيدة عن الواقع، يصعب تصديقها يتم فيها تأويل كل ما يطلبه الناس أو يطمحون لتحقيقه وربطه بعادات بالية، ترجع في عمومها الى طقوس توارثها الناس جيلا بعد جيل.

¹ علي خنوف، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس،، ط2، الجزائر، 2011، ص 99.

² أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص 605.

³ إدريس رائسي، القبائل الحدودية التونسية -الجزائرية بين الإجارة والإغارة(1830-1881)، الدار المتوسطة للنشر، ط1، تونس، 2016، ص 85.

5- ظاهرة الثأر:

يجدر الذكر أن ظاهرة الثأر لم تكن حكرا على الطبقات البسيطة في المجتمع الريفي، بل تعدت إلى الأسر الحاكمة في البايك والصراعات السياسية على السلطة جعلت من هذه القبائل تدخل في صراعات لا نهاية لها، مست حتى أفراد الأسرة الواحدة، على غرار الصراع الحاصل بعد وفاة الشيخ بورنان شيخ مجانة والتصارع على السلطة بين أبنائه وأعمامهم بداية بسي الحاج بن بوزيد وصولا إلى عبد السلام الذي قاتل ضد أبناء أخيه ليخرج وتكسر ساقه و ينتهى به الأمر قتيلا بعد فترة قصيرة بسبب مضاعفات جرحه، وكان هذا أيضا مصير عبد ربه آخر أبناء سيدي بوزيد بعد أن هاجم أولاد أخيه بمنطقة بليليطة بعد أن قتل على يد ابن أخيه عبد الله بن بورنان¹.

من خلال ما ذكر سابقا نلاحظ دوامة الثأر التي دخلت فيها أسرة آل مقران، والتي يغذيها حب النفوذ والسيطرة وإلغاء الآخر، الأمر الذي أوصلهم إلى الإيغال في دماء بعضهم البعض إلى درجة قتل الرجل لعمه بدم بارد وبمسافة قريبة كما حدث لعبد ربه ابن سيدي بوزيد.

يشير فيرو إلى انتشار ظاهرة الثأر في المجتمع الريفي، حيث يذهب أهل القاتل إلى عائلة المقتول لأخذ الدية وطلب العفو، والتي تصل قيمتها إلى مائة بسيطة، ورغم القبول بالدية، إلا أنه يتم الاحتفاظ بالمبلغ كاملا في قرن ثور ويتم إخفاؤه، انتظار لثأر أحد أفراد العائلة للمقتول، ليتم إعادتها لعائلة القاتل الذي اقترف جريمة القتل في حق أحد أفراد أسرته².

تميل القبائل التي تسكن جبال منطقة بجاية إلى الأخذ بالثأر، وهو ما تؤكد حادثة مقتل القائد الفرنسي سولومون دي موسي Solomon de Mussis سنة 1836م على يد أحد شيوخ المنطقة انتقاما لقتلهم أحد المرابطين، فالثأر عندهم مبني على أساس الرابطة

¹ شارل فيرو، تاريخ برج بوغريج، المصدر السابق، صص 76-78.

² شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، صص 51-52.

والأخوة، أي أن كل فرد حريص على حياة الآخر، فإن قتل أحد الأطراف وجب على الآخر الانتقام، وتمتد هذه العلاقة إلى الاعتناء بأسرة المتوفى والدعاء له¹.

خامسا: العمران في ريف البايك:

يتنوع العمران في أرياف البايك وذلك تبعا لجغرافيا كل منطقة، تتحكم فيه العديد من العوامل، من بينها طبيعة المناخ و شساعة مساحة البايك وتنوع تضاريسه، إضافة الى مدى وفرة المواد الأولية المستعملة، ومحاولة أهالي كل منطقة في أرياف البايك استغلال ما توفر لديها، فلكل منطقة خصوصيتها العمرانية، نحاول التطرق لأهم الأنماط العمرانية في الريف.

1- الخيام:

تسكن قبائل جرجرة المناطق الجبلية حسب ما ذكره شو، بينما يتركز البدو في السهول، تتمثل بيوتهم في الخيمة ويسمونها أيضا بيت الشعر بسبب مادة صنعها، تحميهم هذه الخيام من الشمس في الصيف و البرد في الشتاء، كما أن تجمع العديد من الخيام يطلق عليها اسم الدوار، أما طريقة بنائها وحجمها فتخضع لعدد أفراد الأسرة، فتكون أحيانا بدعامة واحدة وأحيانا أخرى بدعامتين أو ثلاثة، وستار أو اثنان في أكبر عدد من القطع، هذه الدعامات عبارة عن أعمدة مستقيمة طولها من ثماني إلى عشر أقدام وقطرها بين ثلاث إلى أربع بوصات، تساهم هذه الدعامات في تثبيت الخطافات عليها، لتستغل في تعليق الملابس والسلال والسروج وغيرها، كما يخصص جزء من الخيمة لإيواء بعض حيواناتهم².

أما بالنسبة للخيم التي يسكنها سكان الأرياف بالمناطق التلية والصحراوية، فهي مصنوعة من الوبر، تأخذ اللون الأحمر إضافة إلى ألوان أخرى، أما مكوناتها فيصنفها حمدان خوجة بالقول " وتتكون الخيمة بواسطة أوتاد وأعمدة-من الخشب-كبيرة. وشكلها

¹ هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص ص120-123.

² طوماس شو، المصدر السابق، ص ص 65-66.

مستدير مثن الزوايا، وتعرف ثروة الغني منهم بضخامة خيمته، وكثرة الأوتاد والأعمدة التي تشدها، وهذه الخيمة تحوط بها أحجار قد وضعت عليها مواعين وأقوات يومية، وقد خصص قسم من هذه الخيمة لجعله مطبخا، حيث توجد القدور والمراجل المصنوعة كلها من الطين"، أما الصحون والصحاف وأوعية خزن الزبدة والعسل فصنعت كلها من الخشب، وتربي في جزء منها طيور الدجاج، كما يخصص جزء من الخيمة مكانا للضيوف وقاعة للجلوس، كما يتم تخصيص جزء منها لإيواء بعض حيواناتهم وحمايتها كالعجول والأبقار والخرفان¹.

من خلال ما كتبه شو و حمدان خوجة يمكن ملاحظة الارتباط الكبير بين سكان الأرياف في البابلك وحيواناتهم، وذلك من خلال تخصيص أماكن لها داخل خيمهم على الرغم مما يشكله ذلك من عبء عليهم لمحدودية مساحة هذه الخيم، إلا أن هذا التعلق يمكن تفسيره بكون هذه الحيوانات هي المصدر الدخل الرئيس لسكان الأرياف وبالتالي وجب عليهم رعايتها وحمايتها من أي خطر، خاصة مع انتشار اللصوص والحيوانات المفترسة.

أما بالنسبة لتأثير هذه الخيم فيكاد يكون معدوما إلا من بعض الأمور البسيطة، يقدم شو وصفا لهذا الخيم من الداخل بالقول "فإنهم ببساطة يستلقون على سجادة أو حصيرة ملقاة على الأرض، أما في المنتصف أو في زاوية من خيامهم، ملفوفين فقط في حياكهم، لكن ليس لديهم أسرة ولا أفرشة أو وسائد، وينحاز المتزوجون منهم في مقصورات مزودة بالستائر، ويرتب الآخرون أنفسهم بأفضل ما يستطيعون"².

كما يورد لنا دو تاسي وصف للخيم التي يقطنها سكان الأرياف بالمناطق الداخلية، فيوضح لنا الدوار الذي تشكل من مجموعة من الخيم البيضاء أو الخليط بين الأبيض والأسود، واصفا إياها بالقرى المتنقلة، ذاكرا أن قاطنيها يعيشون حياة البأس، وأن هذه الخيم تضم في داخلها أسرتين أو ثلاث أسر، لذلك يصبح الحصول على خيمة منفردة

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة...، المصدر السابق، ص50.

² طوماس شو، المصدر السابق، ص ص 66-67.

أمرا ملحا لرب الأسرة لإيواء أطفاله، كما تضم نفس الخيمة حيواناتهم كالخيول والحمير والأبقار والماعز والدجاج والكلاب والقطط¹.

2- القرى والمداشر:

يصف فيرو إحدى قرى مناطق زاوة بقوله " كان يوجد بهذا المكان حوالي خمسين ساكنا، يقيم الكل في خمسة أو ستة أكواخ مصنوعة من أغصان الأشجار، ومن القصب، التي يسكنون فيها رجالا ونساء وأطفالا وحيوانات من كل الأصناف"².

أما حمدان خوجة فيصف البيوت في القرى و المداشر وهو في طريقه إلى قسنطينة، بأنها تأخذ الشكل المربع، منخفضة العلو، يتم بناؤها من الخشب والقصب، ولمنع تسرب المياه يتم صقلها بالتربة وزبل البقر، كما يوضع فوق سقفها إضافة إلى ما سبق نوع من الأعشاب يعرف بالديس، كما يخصص جزء من هذه البيوت لإيواء الحيوانات الخاصة بهم، أما بالنسبة للقرى الكبيرة كما يصفها والموجودة بجبال فليسة وزوايا بني العباس ووادي بجاية وبني جنات ، فهي أكثر متانة، مبنية من الحجارة ومطلية بالجير، وسقفها من القرميد³.

يضيف دوفو أن الرجل الذي يريد بناء مسكن فعليه أن يجمع الحجارة والأخشاب والبلاط، ومن ثم يتم الاتفاق مع البنائين لمباشرة العمل في المسكن الذي يكون جاهزا في غضون خمسة عشر يوما، أما بالنسبة لتصميم المسكن فيقسم إلى جزء مخصص للسكن وجزء مخصص للحيوانات كالماعز والأغنام يتم تغطيته كليا أو جزء منه في العادة⁴.

أما بالنسبة لتأثيث البيوت في المنطقة فيذكر فون مالتسان ما شاهده عند وصوله إلى أقبو، وتقديمه رسائل التوصية للأغا واصفا مسكنه والقاعة التي استقبلوا فيها بالقول " وكانت القاعة التي استقبلنا فيها خليط غير متجانس من الحضارة الأوربية والوساخة

¹ Laugier de Tassy, **Histoire de royaume** Op.cit. pp 55-56.

² شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص135.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة...، المصدر السابق، ص ص43-44.

⁴ . C.Devaux, Les kabailles du djedjera, **Études nouvelles..** Op.cit, pp111-112.

الأهلية، إذ كان قسم منها مجرد من كل أثاث، لا تغطي أرضه سوى حصيرة قديمة مهترئة، جلس فوقها حوالي عشرين من أعيان القبائل بيرانيسهم الرثة، أما القسم الآخر فكانت تغطي أرضه زريبة فرنسية قديمة، فوقها أريكة وبضعة كراس، قصد بها توفير قسط من الراحة الأوربية"¹.

أما الأكواخ فهي عبارة عن غرفة واحدة مخصصة، كغرفة للطبخ ومكان للطعام إضافة إلى كونها غرفة للنوم ، يتم بناؤها بسياج مشكل من أعمدة خشبية مغطاة بالطين أو الحجارة، باستعمال بقايا الأبنية، أو من الطوب المصنوع بمزج الطين بالتبن، أما السقف فيتكون من القصب وأغصان الأشجار الذي تتم تكسيته بالقش أو العشب، يعتبر هذا النوع من الأبنية مستقرا على عكس الخيمة، كما أنه يضم جزءا منفصلا مخصصا للحيوانات كالأمهار والعجول والخيول².

تختلف الأبنية بمناطق جيجل حسب المستوى المعيشي والاجتماعي لقاطنيها، فهي متنوعة بين المنازل والأكواخ، يصفها فيرو بالقول " هذه القرى الكبيرة الآهلة بالسكان ذات المنازل المتينة البنيان، البيضاء المغطاة بالقرميد، التي تشير إلى نوع من الرفاهية نتيجة للعمل والصناعة، وابتداء من المنحدر الشرقي لبابور حتى ايدوغ قرب عنابة (بيونة)، لا ترى عادة إلا أكواخا حقيرة، من ركائز أو لبنات الطين مغطاة بالدس أو قشر الفلين يسكن فيها الناس والحيوانات مختلطين. إن مساكن بعض الأغنياء، أو بعض الشخصيات الدينية هي وحدها فقط التي تشكل الاستثناء من هذه الوضعية العامة"³.

أما عن النمط العمراني بمنطقة الأوراس فهو مرتبط بالمناطق المحصنة، حيث تنتشر تجمعات سكانية عرفت "بالدشر"، أخذت مساكنها شكلا مستديرا تركزت في عمومها في

¹ هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص ص140-141.

² طوماس شو، المصدر السابق، ص 67.

³ شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص34.

الأماكن المرتفعة وإطلالها على الوديان العميقة، على غرار مداشر أولاد عبدي و أولاد داوود¹.

3- القرى والقصور الصحراوية:

تسمى القرى في الصحراء أحيانا بالقصور وهي عبارة عن تجمعات سكانية صغيرة، تشبه إلى حد كبير ما يسمى بالدفرة في المناطق التلية، إلا أن لكل واحدة منها خصوصيتها، المتعلقة أساسا بالمناخ والمواد المتوفرة والمستعملة في تشييدها، يشير الأغواطي أن بيوت عميش وهي قرية تبعد عن وادي سوف مسيرة يوم، مبنية من الطين والآجر، وهو الأمر نفسه بالنسبة لوادي سوف والتي يصفها بأنها مجموعة من الدشر يمكنها أن توفر عشرون ألف رجل دلالة على كثرة سكانها، ويذكر في موضع آخر أن قرى سيدي خويلد والطيبات ويصفها بأنها وسط الرمال تم بناء جدرانها من الطين، أما تقرت فيشير الى تكونها من أربع وعشرين قرية بها أربعمئة منزل، من أهمها، النزلة وتيبسبت وتماسين والمقارين والمغير وغيرها².

سادسا-: الأمراض والأوبئة والمجاعات في ريف البايك:

عرفت الفترة العثمانية انتشار الكثير من الأوبئة والأمراض في الإيالة، والتي وصل تأثيرها الى البايك، وانعكاسها على الوضع الديمغرافي للسكان، أمام محدودية العلاجات المتوفرة، وعدم اهتمام السلطة بالوقاية واتخاذ الاحتياطات اللازمة، الأمر الذي لم تجدي معه نفعا الوسائل البدائية التي لجأ لها الأهالي للتخفيف من آثارها لا سيما المناطق الريفية في البايك، نتج عن هذا الوضع انتشار موجة المجاعات بسبب صعوبة استغلال الأراضي، وتعرض المنطقة الى هجمات الجراد الذي أدى الى إتلاف المحاصيل الزراعية.

¹ ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص 428.

² ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص ص95-100.

1- الأمراض:

انتشرت العديد من الأمراض في أرياف البايك، والتي تعددت أسبابها، بين البشرية منها والطبيعية، فغياب النظافة والفقر ومخالطة الأهالي لحيواناتهم، ساعد كثيرا على انتشارها، إضافة إلى كثرة المياه الراكدة والمستنقعات، ومن الأمراض المنتشرة في البايك نذكر:

جاء ذكر مرض بياض العيون كأحد الأمراض المنتشرة في البايك، في إحدى النوازل لابن الفكون، وادعاء أحد الأزواج بأنها خدع، وعدم علمه بمرض زوجته، حيث رد ابن الفكون أنه ليس من العاهات والعيوب التي ترد به الزوجة، وهو ماجاء في قوله "ثم إن الرجل بعد عقد النكاح ولم يبين بها سمع أن بالبت عيبا وهو البياض على العين، فندم الزوج وادعى انه مختول"¹.

كما انتشر مرض التهاب العيون بمنطقة جرجرة، لا يكاد يسلم منه أحد سواء كان غنيا أو فقيرا، حيث تصيب هذه الأمراض لا سيما المقلة والجفون، مما يؤدي إلى التصاق الحدقة، والتهاب الجفون المتكرر، وإصابة القرنية بالعتامة، إضافة إلى انشاء الجفن نحو الداخل، والتي ترجع في عمومها إلى التهابات تأخذ عدة حالات منها الزكامية والمتقيحة والحبيبية لكل منها أعراضها وخطورتها التي تصل أحيانا إلى العمى، وهو ما ذكر في انتشار المكفوفين في أسواق المنطقة واستجدائهم للمحسنين للتصدق عليهم².

جاء في إحدى النوازل لابن الفكون ذكر مرض الفرانس وطلب الزوج من أهل الفتاة ردها، ففي مجمل رد ابن الفكون على هذه المسألة يبين لنا وجود نوعين من هذا المرض بالقول " .. مرض الأفرانسي على نوعين: نوع منه تصيد الإنسان أوراها ثم تتفجر بالصديد، فإذا بريت تبرأ عن شيتين من تغريز و انكماش جلد و يترقب عودته لأن الأدوية مسكنة لا قاطعة إلا للنادر، فهذا النوع أجمع الأطباء أنه نوع من الجذام.. والنوع الثاني

¹ محمد ابن عبدالكريم الفكون، المصدر السابق، ص70.

² أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص ص 571-572.

منه خروج حبوب تنتشر على سطح البدن يخرج منها أوعاء وتستعدن ويبرأ منها بالمعانة من أكل المسخنات والمراهم المقرحة، فإذا برأ يبرأ عن غير شين ويذهب أثره¹.

كما يشير الأغواطي إلى انتشار مرض الحمى بتقوت، وأن الناس الأصحاء لا يدخلونها، وهو ما جاء في قوله "ولا يأتي لهذا المكان عربي ما عدا المصاب بالحمى"، حيث ينتشر مرض الحمى المعروف ب" التهم" في فصول معينة من السنة².

تعرض الفرنسيون عند احتلالهم لمدينة جيجل سنة 1664م، لهجمات مضادة من القوات المدافعة عن المدينة، وفي خضم وصف سامح التر للحالة السيئة للقوات الفرنسية، وكثرة الجرحى وقلة الطعام والشراب والملبس، يشير إلى انتشار مرض الحمى والديزانتريا³ في صفوف الجنود⁴.

إضافة إلى انتشار الحمى المنقطعة في مناطق زاوية، والتي تتميز بتنوعها كالحمي اليومية أو الحمى الثلاثية (الكبيرة)، يزداد انتشارها في مناطق السهول والوديان على عكس مناطق الساحل والتل، إلا أنه على الرغم من مناعة المناطق الجبلية وقلة المستنقعات بها إلا أنها تعرف انتشارا بالمنطقة بسبب قلة النظافة وانتشار الأوساخ، إضافة إلى تقاسم السكان لسكناتهم مع الحيوانات، وعدم التخلص من المياه المستعملة وتجمعها على شكل مستنقعات يجعل منها مكانا مناسباً لتكاثر الأوبئة⁵، أما بالنسبة لعلاج الحمى المنقطعة، فيذكر أنهم لا يتوفرون على أي وسائل أو علاجات للتداوي والتخفيف من آثارها، والتجائهم إلى الدعاء و التمانم(الحرز)⁶.

¹ محمد ابن عبدالكريم الفقون، المصدر السابق ، ص93.

² ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق ، ص101.

³ عبارة عن عدوى تصيب الأمعاء، من أهم أعراضها الإسهال الدموي الحاد، الحمى.

⁴ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 394.

⁵ أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص ص 564-566.

⁶ المرجع نفسه، ص 567.

كما أن من الأمراض المنتشرة في المسيلة، مرض الرمد القيحي والذي يصيب الكثير من الناس، وهو ما يرجع إلى السكن في الأماكن الرطبة، والحفر القذرة منعدمة الضوء، إضافة إلى الرياح المحملة بالأتربة، والنوم على الأسطح في الصيف¹.

تعتبر النساء أكثر عرضة للإصابة بالمalaria بصفة خاصة بسبب عملهم في البساتين في الصيف والخريف، وقربهم من مصادر المياه كالجداول والوديان، وتعرضهم المستمر طيلة اليوم إلى أشعة الشمس².

2- الأوبئة:

من الأوبئة التي عرفها البايك وباء الطاعون والذي تضرر منه مركز البايك، إضافة إلى انتشاره في الأرياف وصولاً إلى الصحراء، يعرفه ابن القيم بالقول "ورم رديء قتال، يخرج معه تلهب شديد مؤلم جداً، يتجاوز المقدار في ذلك، ويصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر أو أكمد، ويؤول أمره إلى التقرح سريعاً. وفي الأكثر يحدث في ثلاث مواضع: في الإبط. وخلف الأذن والأرنبة وفي اللحوم الرخوة"³، هذا الوباء الذي هو عبارة عن مرض جرثومي معدي، عرف في العهد العثماني باسم "لحبوبة"، تتمثل أعراضه في تدهور كامل لوظائف الجسم وارتفاع درجة الحرارة، له ثلاثة أنواع عرف الأول بالطاعون الدملي مثل 90 بالمائة من الحالات، يظهر في الجسم على شكل دمل في الفخذين والإبطين، أما الثاني فهو الطاعون الرئوي، يعتبر قاتلاً في أغلب حالاته في مدة تتراوح بين يومين إلى ثلاث أيام، أما آخرها فهو الطاعون الأسود فيؤدي إلى الموت سريعاً⁴، نحاول أن نستعرض كرونولوجياً انتشاره في البايك.

¹ شارل فيرو، تاريخ المسيلة وبوسعادة، تر و تع: لخضر بوطبة، دار الباحث، ط1، الجزائر، 2023، ص19.

² أ.هانوتو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص 567.

³ ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، صححه وأشرف عليه: عبد الغني عبد الخالق، عادل الأزهرى، محمود فرج العقدة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص29.

⁴ مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر: حضرية يوسف، منشورات ANEP، [د.ط.]، الجزائر، ص 19-22.

-القرن 16:

انتشر الطاعون في مدينة قسنطينة وبواديها في الفترة من 1582م إلى غاية 1584م، عرف لدى عامة الناس باسم عام الطاعون، ليعاود الظهور مرة أخرى بقسنطينة سنة 1622م، لينتشر وصولاً إلى بسكرة، وأدى الطاعون في هذه المرة بحياة حاكم قسنطينة حسن باي¹، كما تذكر الأستاذة القشاعي نقلا عن بانزك أن وباء الطاعون توسع انتشاره ما بين 1557 و1575م. ليصل إلى مناطق جديدة كالقل وجيجل وبجاية في بايلك الشرق².

-القرن 17:

انتشر الوباء سنة 1603م حيث أخبر بعض البحارة الفرنسيين القادمين من بونة والقالة أن الوباء انتشر في قسنطينة، ليمتد في السنة الموالية إلى جيجل وأدى إلى هروب السكان من المدينة إلى الأرياف، كما ضرب الوباء قسنطينة سنة 1634م، ليستمر لسنتين كاملتين، وصولاً إلى سنة 1644م حيث انتقل الطاعون من تونس إلى قسنطينة خلال فصلي الصيف والخريف، هذه الفترة المتزامنة مع حلول شهر رمضان، والذي أدى إلى وفاة 300 شخص خلال ثلاثة أيام، وانتشار المجاعة بسبب الظروف المعيشية التي عرفتھا المنطقة، ليتوغل إلى مناطق الجنوب سنة 1647م ببسكرة ووادي الزيبان ووادي ريغ³، تضيف الأستاذة القشاعي إلى تجدد انتشاره بمناطق الجزائر وبسكرة وقسنطينة ما بين 1639 و1649م، وتزامنھا مع زلزال سنة 1639م الذي زاد في حدة الوباء وأدى إلى ظهور مجاعة كبيرة في المنطقة⁴.

¹ مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 34-36.

² فلة موساوي القشاعي، وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 01، ع 01، الجزائر، 2001، ص 138.

³ مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 35-37.

⁴ فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 140.

استمر الوباء خلال الفترة ما بين 1648-1650م، ومن ثم بدأت الأوضاع في التحسن، حيث شهدت المناطق بالقرب من قسنطينة استقرارا افتقدته منذ سنوات¹.

كما شهدت الجزائر عودة ثانية للوباء سنة 1654م استمر لمدة ثلاث سنوات راح ضحيته ثلث سكان البلاد، عرف بالوباء الكبير أو وباء قونية، نسبة إلى نقله من طرف بحارة عثمانيين²، ليعاود الظهور سنة 1663م ويقضي على 500 بقسنطينة وعدد آخر بضواحيها، لينتقل إلى بسكرة وسيدي عقبة في نفس السنة³.

القرن 18:

كما اجتاح الطاعون سنة 1752م الجزائر، قادمًا مع الحجاج، وفي نفس الفترة تصل الجزائر سفينة قادمة من مرسيليا، حاملة معها الوباء، حيث قتل في هذه السنة أكثر من أربعة آلاف ضحية، ويتوسع نشاطه إلى أرياف مدينة قسنطينة وصولًا إلى المدينة و من ثم نحو الحدود التونسية، ليعاود الظهور مرة أخرى سنة 1754م، متزامنا مع شتاء قاس عرفته كل شمال إفريقيا⁴.

كما يذكر أرشيف الشركة الإفريقية أن وباء الطاعون ضرب منطقة القل سنة 1758م، وأدى إلى وفاة أحد العثمانيين المدعو قارة حسان⁵، والذي جاء فيه أيضا على لسان قسيس الشركة الإفريقية سنة 1783م، أنه لأكثر من عامين اجتاح الطاعون المنطقة، والذي يرجعه إلى إهمال الأهالي⁶.

جاء في تقارير الشركة الملكية الإفريقية خلال سنتي 1785 و1786م، ما يدل عن صعوبة نقل الحبوب بسبب تفشي الوباء بمنطقة القالة وما صاحبه من ارتفاع للأسعار،

¹ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 374.

² المرجع نفسه، ص ص 377-378.

³ مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 39.

⁴ J.-L.-G. Guyon, *Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique depuis les plus recules jusqu'à nos jours*, Imprimerie du gouvernement, Alger, 1855, pp319-320.

⁵ Ibid, p322.

⁶ Ibid, p329.

و سقوط أعداد كبيرة من الضحايا¹، يضيف مارشيك أن وباء الطاعون انتشر بشكل كبير في بايلك الشرق سنة 1799م، سواء المدينة أو في المناطق الجنوبية، حيث وصل إلى الزيبان، وتسبب بوفاة بحوالي 120 ضحية يوميا².

القرن 19:

أما خلال سنة 1818 فيذكر مارشيك أن الطاعون منتشر في قسنطينة والمناطق الريفية المحيطة بها، مشيرا إلى استمراره إلى غاية منتصف 1818م حيث بدأ تأثيره في الانحسار، أما بالنسبة لما خلفه هذا الوباء من أرواح في البايك فنذكر نقلا عنه بعض الأرقام، ففي طولقة خلف وفاة 150 شخص من أصل 700 من السكان، أما في ليشانة فخلف وفاة 130 شخص من أصل 600 من السكان، الأمر نفسه بالنسبة للزعاطشة التي قتل الوباء 25 من سكانها البالغ تعدادهم حوالي 200 شخص، بينما ببسكرة فحصد أرواح ما بين 400 إلى 450 ضحية من سكان المنطقة المقدرين بحوالي 3000 آلاف شخص، وهو ما يوحي من خلال هذه الأرقام إلى توغل الوباء في المناطق الصحراوية وربما في أماكن تشهده لأول مرة³.

يضيف مارشيك أن الطاعون عاد للظهور بقسنطينة مرتين سنة 1820م، المرة الأولى في شهر مارس بينما ظهر للمرة الثانية شهر أوت، وأدى إلى سقوط ما بين 25 و30 ضحية يوميا⁴.

ليعرف القرن التاسع عشر، أكبر نسبة لانتشار وباء الطاعون، حيث احتل بايلك الشرق المرتبة الثانية في نسبة انتشاره في البلاد ب26 بالمائة⁵.

¹ مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص ص37-42.

² Marchika. jean, **La peste en Afrique septentrionale. Histoire de la peste en Algérie de 1363 a 1830.**Thèse pour le doctorat en médecine, Faculté mixte de médecine et de pharmacie d'Alger, Imprimeur de l'université, Alger, 1927, p149.

³ Marchika, **La peste en Afrique.** Op.cit, pp170-172.

⁴ Ibid, p177.

⁵ فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص ص 141-142.

كما وثقت العديد من كتب الرحلات لانتشار الطواعين في البابلك، والإجراءات التي عمد إليها السكان للتخفيف من آثاره نذكر من بينها:

يذكر الورتلاني أن السكان خرجوا إلى البساتين وبنوا فيها، بعد خراب مدينة بسكرة القديمة بسبب الفتنة، وما لحقها من الوباء الذي لم يترك إلا فئة قليلة، وهو ما جاء في قوله "...فأهلكوها حتى بقي القليل منها حاصلة أن الناس قد خرجوا إلى البساتين فبنوا هناك من ذلك العهد إلى الآن ثم نزل عليهم الوباء فلم يبق فيها إلا حثالة من الناس .."¹، كما يشير في موضع آخر إلى الوباء الذي وقع ببسكرة سنة ستين، ذكرا أن هذا الوباء أدى إلى هلاك سبعون ألف شخص" ولما رجعت من الحجاز في سنة الستين وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة وكان وباء مفرطاً مات به ببسكرة على ما قيل نحو سبعين ألف نفس..²

الأعداد التي ذكرها الورتلاني لضحايا وباء الطاعون ببسكرة والتي قدرها بسبعين ألفاً، تبدو أعداداً مبالغاً فيه إلى حد كبير، إذا ما قورنت بالإحصائيات التي تناولت أعداد السكان وتأثير الوباء عليهم في المنطقة، على غرار ما ذكره مارشيك الذي قدر سكان بسكرة مع بداية القرن التاسع عشر بحوالي ثلاثة آلاف ساكن.

الأمر نفسه ذكره العياشي في رحلته عند مروره بنواحي بسكرة، مشيراً أن الوباء منتشر في سيدي عقبة وبسكرة وأطرافها، و امتناع الركب عن الدخول إلى سيدي عقبة ومبيتهم في المنطقة بينها وبين بسكرة³.

3- طرق التداوي والوقاية :

أما بالنسبة لعلاج الأمراض، يذكر حمدان خوجة أن الناس ليس لهم أي دراية بالطب وعلاج الأمراض، بل اعتادوا فقط على بعض الأعشاب المتداولة للتداوي، أو الامتناع

¹ الحسين بن محمد الورتيلاني، المصدر السابق، ص87.

² المصدر نفسه، ص89.

³ عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ج2، ص539.

عن الأكل، وترك المرضى ليشفوا وحدهم أو يهلكوا¹، وترك أمر شفائهم للقدر وحده، وسخريتهم من العلاج بالأدوية، وأن الطبيعة وحدها كفيلة بشفائهم، وفي أحيان أخرى يلجأون إلى السحر والتمايم، وهذا لا ينفي شيوع بعض الطرق للتداوي، كاستعمال بعض أجزاء الحيوانات للتداوي، كطائر الحوارة الذي يعيش على أطراف الصحراء، حيث يستغل رأسه وأحشاؤه لعلاج داء العينين، فالحاجة لهذه الطائر جعلت أثمانه مرتفعة².

كما أن الوضع الصحي لم يكن من أولويات السلطة، حيث لم تتخذ أي إجراءات احتياطية كاللجوء إلى نظام الكرانتينا، باعتبار هذه الأوبئة أمرا طبيعيا يرجع إلى غضب الله، ماعدا فرض صالح باي لعزل صحي حول مدينة عنابة سنة 1787م³.

انتشرت في الأرياف بعض الطقوس والتي يعتقد السكان بقدرتها على الشفاء والحماية من الأمراض، على غرار ما ذكر من الطقوس التي تصاحب بداية موسم الحرث بمنطقة زواوة، حيث يقوم سكان القرى بدهن قرون وأعناق الثيران بالزيت اعتقادا منهم، بحمايتها لهم ولحيواناتهم من الأمراض خلال السنة⁴.

أما بالنسبة للتداوي من لدغات الأفاعي والعقارب والعناكب، فيذكر شو أن أشد وأخطر العقارب الموجودة بمنطقة الزاب والصحراء عموما، والتي غالبا ما تؤدي إلى وفاة ضحيتها، أما طريقة العلاج فيصفها بالقول "...القيام بكي الجزء المريض أو إجراء شق عميق وقطع كل اللحم المحيط بموضع اللدغة. أحيانا يضعون المصاب تحت الرمال الساخنة حتى الرقبة، أو في حفرة ساخنة حتى يتعرق بغزارة، وفي الحالات الأقل خطورة، يقتصر الاستخدام على رماد الجرح الساخن، أو مسحوق الحنة، مع شريحتين أو ثلاث شرائح من البصل، في شكل كمد، لم أسمع أبدا أنه في مثل هذه الحالة يتم استخدام زيت

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة...، المصدر السابق، ص52.

² طوماس شو، المصدر السابق، ص ص 39-40.

³ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص217.

⁴ أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص 605.

الزيتون، وهو مع ذلك علاج محدد ضد لدغة الأفعى مع الحرص على تسخينه قبل فركه¹.

كما أن الزيت في مناطق جرجرة لا يستعمل للغذاء والإنارة فقط، بل يتعدى ذلك إلى كونه دواء للأمراض الباطنية والخارجية، وهذا ما يذكره مالتسان بالقول " فالزيت هنا ليس غذاء ووسيلة للإنارة فقط، وإنما يستعمل أيضا دواء داخليا وخارجيا، ولا دواء غيره، وكثيرا ما يستعمل في المسد"².

يقدر سكان المناطق الجبلية مهنة الطب، حيث يحظى الطبيب باهتمام كبير، فهم يطلقون اسم الباربيرو³ أو الحلاق على كل من يقوم بجمع الأعشاب للتداوي بها، يشير هابنسترايت إلى استعماله الأعشاب المعروفة محليا في تقديمه العديد من الخدمات للمرضى، معتبرا مهنة الطب وجمع الأعشاب حماية له لتقديرهم لهذا النشاط⁴.

لم يهتم الأهالي ولا السلطة بالطب، واعتقادهم بالعجز أمام الأوربيين في هذا المجال، ما عدا بعض العلاجات التي اهتمت بالجانب الخارجي للجسم مع انعدام الجراحة، ومن أهم هذه العلاجات استعمال نبات الشنقورة لعلاج الحمى، والكي لعلاج الرضوض، كما استعملت الزبدة لعلاج الجروح، والحناء لعلاج الحروق والجروح البسيطة، بينما استعملت بعض أوراق النباتات لعلاج التورم والالتهاب، أما المصاب بمرض الجدري فيتم تدفنته وإعطائه العسل مع الكرميس⁵.

¹ طوماس شو، المصدر السابق، ص ص 46-47.

² هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص144.

³ وصف يطلق على المشتغل بالطب والمتداوي بالأعشاب الطبية. ينظر: ج.او. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 23.

⁴ المصدر نفسه، ص 54.

⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، ج2، ط1، الجزائر، 1998، ص ص 417-418.

فالسطة لم تول أهمية لصحة السكان بشكل عام، بينما عمل الحكام على توفير الرعاية لهم ولأسرهم، على غرار شراء صالح باي طبيبا إيطاليا يسمى باسكال قاميزو، الأمر نفسه انتهجه الباي حسين بوكمية، بتسخير طبيب لخدمته يدعى سانسون¹.

كما استتجد الحكام بالأطباء الموجودين بالباستيون وملحقاته، إذ نجد في إحدى وثائق المكتبة الوطنية، رسالة بعث بها أحمد باي سنة 1185هـ/1771م إلى وكيل الباستيون بالقالة، يأمره فيها بإرسال الطبيب الذي هو بأمس الحاجة له في أقرب وقت، مع حمله لجميع أدويته الصالحة لمختلف الأمراض².

وهو الأمر الذي تكرر على ضوء وثائق المكتبة الوطنية التي اطلعنا عليها، ففي رسالة أخرى موجهة للقبطان بيرون يطلب منه إرسال الطبيب لعلاج طفل يسمى حسين الطباخ ظهرت على وسط رأسه وفوق أذنيه و في وجهه مناطق رخوة، مشيرا إلى ضرورة أن يكتب للطبيب للمجيء من عنابة إن لم يكن متواجدا³، وفي موضع آخر يطلب هذه المرة من القبطان بيرون، أن يداوي الطبيب، ما تصفه الرسالة بالولد والخدم المسمى التومي القادم إليهم هذه المرة على عكس سابقه⁴.

كما ينفي دوغرامون اتخاذ أي إجراءات احترازية صحية للتخفيف من آثار هذه الأزمات من طرف السلطة، وإرجاعها للقدر وحده، على الرغم من معرفة أسبابها كالمجاعة التي ترجع إلى الجفاف وغزو الجراد، وعدم اتخاذ أي إجراء ضد السفن القادمة من تونس والتي تحمل معها وباء الطاعون⁵.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، ص ص 418-419.

² وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 42. ينظر الملحق رقم: 10

³ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 103. ينظر الملحق رقم: 11.

⁴ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 96.

⁵ H.D.De Grammont, *Histoire D'Alger*..Op.cit., p 45.

الأمر الذي اضطر الشركة الإفريقية الفرنسية إلى تغيير مقرها، وانتقالها من الخليج الذي بني عليه الباستيون إلى القالة بسبب الظروف غير الصحية التي تسببها البرك والمستنقعات¹.

لم تبذل السلطة أي جهد لتشجيع الطب، أو الاستفادة من الموروث العربي في الطب، أو جلب أطباء أجانب للاستفادة منهم وإيجاد أرضية لتطوير هذا النشاط، بل تركت السكان يواجهون لوحدهم الأمراض والأوبئة التي فتكت بهم طوال هذه الفترة، ماعدا بعض المحاولات المحتشمة لبعضهم لفرض عزل صحي على المناطق الموبوءة، مع استعانتهم بأطباء أجانب لتقديم خدماتهم لهم ولعائلاتهم، أما بالنسبة للآرياف فاعتمدت في العموم على الطب التقليدي المعتمد أساسا على التداوي بالأعشاب .

4- المجاعات:

عرفت آرياف البايك العديد من المجاعات، التي كان لها الأثر البالغ على سكان البايك، والتي تنوعت أسبابها بين ما هو طبيعي كالجفاف والجراد وانتشار الأوبئة وبين ما يرجع لحالة عدم الاستقرار التي عرفت المنطقة والناجم عن الصراع بين السلطة والقبائل وصعوبة استغلال الأراضي في ظل هذه الظروف.

يذكر فيرو أن هناك مجاعة كبيرة ضربت البلاد سنة 1560م، وعقاب المقراني لسكان قلعة بني حماد بسبب رفضهم مساعدة المحتاجين رغم امتلاكهم كميات كبيرة من الحبوب، حيث تعرضت المدينة إلى النهب من العرب، كما تم إفراغ المطامير من محتوياتها من الحبوب².

كما تعرضت المنطقة لمجاعة أخرى سنة 1767م والتي كانت نتاجا، لحالة عدم الاستقرار التي شهدتها المنطقة مع تمرد قبائل فليسة ورفضها دفع الضرائب، ودخولها في صراع مسلح مع السلطة انتهى بهزيمة الأخيرة، وفقدانها لأكثر من ثلاثمائة جندي، ليتجدد

¹ Thomas shaw, Voyage dans la régence d'Alger, traduit par Mac Carthy, 1830.p346.

² شارل فيرو، تاريخ برج بوغريج، المرجع السابق، ص52.

الصراع في السنة الموالية بين سكان المناطق الجبلية بقيادة المرابط سي أحمد السعدي بتعداد يفوق الأربعين ألف مقاتل في الطرف الآخر، حيث قام باي قسنطينة بقيادته قواته نحو سطيف، ليلتقي الطرفان بمنطقة أمنوش، وينتهي الصراع مرة أخرى بهزيمة القوات النظامية وخسارتها لآلاف من الجنود والمقاتلين المتحالفين معها، وسيطرة القبائل على الطرق الرئيسية، وإعاقتها لقوافل القمح الأمر الذي أدخل المنطقة في مجاعة شديدة¹، كما عرفت الجزائر قحطا شديدا، عقب وباء سنة 1095هـ/1683م، عرفت فيه الأسعار ارتفاعا كبيرا، بمعدل ثلاث أضعافها².

يذكر ابن العنتري وقوع مجاعة وقحط شديدين سنة 1805م استمرت لمدة ثلاث سنوات، مست قسنطينة ومناطقها المجاورة، كأعراس الحراكمة والنمامشة وأولاد يحي بن طالب والخرارب، حيث تعتبر وفاة عثمان باي بموقعة وادي الزهور بعد تكليفه بملاحقة الشريف ابن الأحرش أحد أهم أسبابها خاصة مع انتشار المجاعة ونقص الحبوب، والاضطرابات بين القبائل التي عطلت الحرث³.

و يشير في موضع آخر إلى وقوع مجاعة بقسنطينة وضواحيها سميت بعام "قراموا" وهو اسم يدل على القحط والشر، ارتفع فيها سعر الحبوب إلى خمسة ريالات للصاع الواحد، واضطر الناس إلى طحن الحبوب خفية، لم يحدد تاريخ معين لهذه المجاعة سوى بالقول أنها وقعت قبل تولي صالح باي السلطة بحوالي 130 سنة أي سنة 1779م⁴.

يذكر الأستاذ المنور مروش نقلا عن بيسونيل عند مرافقته للباي في حملته على القبائل الثائرة سنة 1725م، ما رآه من الأضرار التي أحدثها الجراد في الشرق الجزائري، واصفا الوضع بالقول "البلاد مازالت خصبة. لكن منذ سنوات والمحاصيل يلتهمها الجراد،

¹ H.D.De Grammont, **Histoire D'Alger sous la domination turque (1515-1830)**, Paris, 1887, p320.

² عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 423.

³ صالح العنتري، **مجاعات قسنطينة**، تق و تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 1974، ص ص 27-33.

⁴ المصدر نفسه، ص 45.

إن مما يثير الشفقة منظر الزرع وهو جيد متين ورفيع سنابله مليئة لكن لم تبق منها حبة واحدة. فقد التهمها الجراد"، مضيفا انه يلتهم المحاصيل الزراعية بعد قدومه من الصحراء في يوم أو يومين، لتنتهي دورته حياته في الأرض بعد أن يضع بيوضه، التي تفقس لاحقا، لينتقل الجراد بعد أن يكبر إلى مناطق أخرى¹، كما عرفت البلاد موجة كبيرة أخرى من الجراد، قضت على كل المحاصيل الزراعية خلال سنتي 1778م و1779م، الأمر الذي جعل الأهالي يأكلون الجراد الذي لم يتوفر غيره².

كما تزامنت الحملة التي أرسلها صالح باي إلى منطقة وادي سوف سنة 1793م، مع حدوث قحط كبير في الصحراء، أدى إلى عجز السكان عن توفير الكلاً لمواشيهم، واضطرتهم إلى التنقل لتتبع مواقع المطر³.

لعب اليهود دورا كبيرا في تعريض البلاد لخطر المجاعة، خاصة مع الفساد السائد في بايلكي وهران وقسنطينة والذي كان لهما اليد الطولا فيه، حيث عملوا على شراء المواد الغذائية بأسعار زهيدة، وإعادة بيعها لتترك البلاد بدون غذاء، الأمر الذي عرض عدة مناطق إلى قحط شديد، و ساهم في اضطراب الأوضاع وشجع على ظهور حالة من التمرد والعصيان، الذي انتهى بمقتل بوشناق سنة 1805 م على يد أحد أفراد الانكشارية⁴.

ومن خلال ما سبق يمكن القول:

تميزت أرياف البايك بالتنوع والثراء في العادات والتقاليد، حيث تنوعت طرق إحياء الاحتفالات العائلية و المناسبات الدينية، لاسيما مع اتساع مساحة البايك، وتنوع تركيبته البشرية، حتى وإن تشابهت هذه العادات في شكلها، إلا أن الاختلاف يكمن في طرق

¹ المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني- العملة والأسعار والمداخيل-، دار القصة للنشر، ج1، الجزائر، 2009، ص137.

² عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 534.

³ ابراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع: الجيلالي بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، [د.ط.]، الجزائر، 2007، ص ص278-279.

⁴ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص ص 582-583. ينظر أيضا: محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية..، المرجع السابق، ص272.

إحيائها، وهذا ما نلمسه في الطقوس الاحتفالية لسكان المناطق الجبلية والصحراوية المكونة لأرياف البايك.

تردي المستوى الصحي في أرياف البايك، حيث لم تعمل السلطة على الرقي بهذا الجانب، خاصة لدى السكان المحليين، بالمقابل اتخذ الحكام وحاشيتهم أطباء خاصين بهم، أو الاستجداء بالأطباء الموجودين بالمؤسسات التجارية الموجودة بالجزائر، بينما استعان سكان الأرياف بالطب التقليدي والمتمثل عموما في التداوي بالأعشاب الطبية.

المغلاة في الاحتفال بالعادات الاجتماعية والدينية، كالزواج والختان وغيرها، والتي أصبحت مجالا للتفاخر، بين ذوي الجاه والمال، وما يصاحبها من مظاهر الترف والبذخ والتي أصبحت مع الوقت عرفا سائدا في المجتمع يصعب تجاوزه.

اختلفت الجوانب العمرانية في أرياف البايك فكل منطقة خصوصيتها، والتي ترجع في الأساس إلى عامل الاستقرار والتنقل، فالمناطق الجبلية عموما تتميز بالاستقرار لذلك استقر السكان بالمدامر والقرى، بينما تميز البدو بالتنقل المستمر تتبعا لمواطن الغذاء لحيواناتهم لذلك اتخذوا لنفسهم خيما يعيشون بها .

الفصل الثالث:

الزراعة ومقوماتها في ريف بايلك الشرق.

أولاً: المميزات الطبيعية والتضاريسية لبايلك الشرق و
تأثيرها على النشاط الزراعي.

ثانياً: ملكية الأرض في أرياف البايك.

ثالثاً: الإنتاج الزراعي في ريف بايلك الشرق.

رابعاً: الجباية والضرائب في الريف.

نحاول في هذا الفصل التطرق إلى النشاط الزراعي في ريف بايلك الشرق، وذلك بتوضيح أهم المقومات الطبيعية التي شجعت على ازدهار وتنوع الفلاحة في الريف، مع الإشارة إلى تنوعها بين الزراعة المعاشية والزراعة التجارية، إضافة إلى ملكية الأرض في الأرياف وعلاقتها بالسلطة الحاكمة، كما نتناول في هذا الفصل الإنتاج الزراعي في الريف الذي ميزه التنوع والاختصاص فكل منطقة إنتاجها الخاص، تبعا لتوفر الظروف المناسبة كالمناخ والتربة ومصادر المياه وغيرها، إلا أن ما ميز الإنتاج الزراعي في الريف هو التنوع بين الحبوب والبقوليات والأشجار المثمرة، كما تطرقنا إلى السياسة الضريبية للبايلك في الأرياف وأثرها على استقرار السكان.

أولا: المميزات الطبيعية و التضاريسية لبايلك الشرق وتأثيرها على النشاط الزراعي:

يعتبر بايلك الشرق من أكبر البايلاكات مساحة، الأمر الذي انعكس على تنوع المظاهر التضاريسية، من خلال امتداده الواسع انطلاقا من المناطق الساحلية وصولا إلى مشارف الصحراء، وهو ما يلاحظ أيضا في تنوع النطاقات المناخية، كل هذا يفسر التمايز الكبير بين كل المناطق المشكلة للبايلك. وهو ما يشير له العنثري في قوله " والشرق القسنطيني بصفة عامة جبلي في معظمه، من حيث المظهر التضاريسي، تلتقي في وسطه سلسلتا جبال الأطلس الشمالية التلية، والجنوبية الصحراوية عند كتلة جبال الأوراس، وليس فيه من الأحواض والسهول سوى حوض وادي الصومام، والسهول العليا القسنطينية، التي تمثل الجزء الشرقي من إقليم الهضاب العليا الجزائرية إلى جانب منبسطات تبسة، وحوض وادي سوف، ووادي ريغ، وسهول عنابة وسكيدة"¹.

¹ محمد الصالح ابن العنثري، فريدة منسية...، المصدر السابق، ص17.

أ-مظاهر السطح:

1- المنطقة الشمالية:

1-1. السهول الساحلية:

ويقصد بها السهول المتقطعة المحصورة بين الجبال يرجع تكوينها إلى الزمن الرابع، والتي جرت بها مياه السيول من المرتفعات المجاورة إلى أحواض منخفضة، وهي أجزاء من البحار الجيولوجية القديمة، أي أن السهول في الجزائر قديما تمثل مناطق مقعرة والجبال مناطق محدبة¹، كما يذكر توماس شو أن ساحل المقاطعة يمتد من دلس إلى بونة تميزه الطبيعة الجبلية²، أما أهم السهول المعروفة في المنطقة نجد سهل عنابة والذي يصفه بيليسي بدايته من نصف الدائرة المتشكلة من تشعب التلة الجبلية الثانية (إحدى الكتل الجبلية الممتدة نحو الشرق تحت منتصف رأس الحديد) بنفس امتداد متيجة، وينتهي شرقا عند جبال تشكل نصف دائرة من ضفة مفرق إلى البحر شرق القالة³، كما يصفه بايسونال بالسهل العظيم، والذي يمتد على حوالي عشر فراسخ⁴ وبعرض أربعة أو خمسة فراسخ، بداية من واد بوبياس، تحده الجبال جنوبا والبحر من الشمال وينتهي عند بركة كبيرة تسمى فتزارة⁵، كما يشير مالتسان إلى أهميته بقوله "ولعل سهل السيوس أخصب السهول في الجزائر كلها، فقد كان بايات قسنطينة السابقون يكسبون من محاصيله وحدها مبالغ تكفي لتسديد الإتاوة السنوية التي تدفعها الولاية كلها لباشا الجزائر⁶، إضافة إلى عدة سهول ضيقة تتشكل أساسا من أحواض الأنهار التي تنتهي إلى البحر مثل سهول

¹ عبد القادر علي حليمي، جغرافية الجزائر طبيعية- بشرية- اقتصادية، ط2، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1968، ص37.

² Thomas Shaw, **Voyage dans ...**Op.cit,p329.

³ أ.بيليسي ، **حوليات جزائرية**، تر: بن تركي نصيرة، دار الأصاله، ج2، الجزائر، 2013، ص 61.

⁴ محرفة عن الكلمة الفارسية فرسك الفارسية، تساوي ثلاث أميال تقريبا أو المسافة الى يقطعها الرجل فوق فرسه خلال ساعة، أما الفرسخ العربي فيساوي 5763م. ينظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص ص162-163.

⁵ Peyssonnel et Desfontaines, **Voyage ...**Op. Cit, pp275-276.

⁶ هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص 242.

الفصل الثالث:..... الزراعة و مقوماتها في ريف بايلك الشرق

الصومام بالقرب من بجاية، وجنجن بالقرب من جيجل والصفصاف بالقرب من سكيكدة، تتميز هذه السهول بخصوبة تربتها لغناها بالأملاح (نيترات البوتاس)¹.

أما المناخ فيتميز بالاعتدال في درجة الحرارة والضيق في الفوارق الفصلية بمعدل سنوي قدر ب 15 درجة مئوية، بالمقابل يرتفع مستوى التساقط المطري خاصة في الأماكن المرتفعة الى ما بين 700-1000 ملم²، فالحرارة لها ارتباط وثيق بارتفاع نسبة الرطوبة في الجو، فكلما ازدادت نسبة الرطوبة في الجو قلت درجة الحرارة³.

1-2. السهول العليا:

تمتاز باتساعها وخصوبة أراضيها وتنوع مجاريها المائية، أكثر تموجا من السهول الساحلية، تمتد من برج زمورة غربا إلى جبال الأوراس شرقا، تتميز بمعدل مدى حراري متوسط مع ارتفاع درجة الحرارة صيفا وسقوط الثلوج شتاء، إضافة إلى انتشار الأودية الموسمية⁴، ومن أشهر سهولها سهل قسنطينة باعتباره أكبر سهل داخلي، والممتد من غرب مدينة سطيف غربا حتى جبال سوق أهراس شرقا، إضافة إلى سهل مجانة الذي ذكره O.Niel عند توصيفه للمظاهر التضاريسية بالجزائر باعتباره من أخصب السهول في المنطقة⁵، كما يعتبر سهل مجانة الذي يحده شمالا ذراع الحمار ومن الغرب جبال ونوغة، من أخصب و أوسع السهول في المنطقة، إلا أن المياه الراكدة بعد تساقط الأمطار، تفسده في الربيع مسببة الحمى⁶، يتجاوز ارتفاع السهول الداخلية أكثر من 500

¹ فلة القشاعي، النظام الضريبي....، المرجع السابق، ص 03.

² حسان كشرود، بايلك الشرق دراسة طبيعية وزراعية من خلال الرحالين بايسونال ودي فونتين وتوماس شو، مجلة قضايا تاريخية، مج 02، ع 06، الجزائر، 2017، ص 49.

³ Martin .A.G.P, *Géographie Nouvelle de l'Afrique du Nord Physique, Politique et Economique*, Porgeot Editeurs, Paris, 1912, p41.

⁴ عبد الرزاق قشوان، الواقع الاقتصادي و الاجتماعي في الشرق الجزائري(1219-1282هـ/1804-1871م)(دراسة مقارنة)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2018، ص 19.

⁵ Odilon Niel, *Géographie de la L'Algérie 2 édition*, t1, Legendre libraire, Bone, 1876. p18.

⁶ Dr Shaw, *Voyage dans la régence d'Alger*, Trad, J. Mac Carthy, Chez Marlin. Paris, 1830, P358.

الفصل الثالث:..... الزراعة و مقوماتها في ريف بايلك الشرق

500 متر فهي أقرب إلى النجود من السهول، وهي عبارة عن التواءات مقعرة ملئت بالرواسب الفيضية القارية ترجع للزمن الجيولوجي الرابع تحصرها حلقات جبلية ممتدة من الغرب إلى الشرق، إضافة إلى كونها متقطعة في تكوينها¹.

كما يشير سعيدوني إلى امتلاك كبار العائلات القسنطينية لضيعات خارج المدينة في منطقة الحامة المعروفة بالفحص الأبيض، كما تشتهر المنطقة بأراضيها الخصبة التي تمون المدينة بمستلزماتها الزراعية كالغلال والبقول والخضر والألبان واللحوم².

عند ذكر بيليسي لأهم القبائل التي تسكن المنطقة نلاحظ أنه ركز على ذكر القبائل التي تسكن هذه السهول وأهم المدن فيها، على غرار العلمة التي ذكر تسميتها بسهل العسل وذلك بسبب خصوبة أراضيها، كما يذكر السهل الذي تسكنه قبائل العام، الرغبة والعلمة و أولاد عبد النور، مشيرا إلى وجود منبع مائي مهم يشكل الوادي الكبير³.

أما بالنسبة للمناخ، فنلاحظ أن الفوارق الحرارية السنوية بين المناطق الساحلية والمناطق الداخلية تصل إلى 13 و26 درجة مئوية على الترتيب، ففي الصيف ترتفع درجة المناطق الداخلية مقارنة بنظيرتها الساحلية، والعكس في الشتاء، وهو ما يبين تأثير البحر الأبيض المتوسط على درجة الحرارة فكلما اقتربنا من البحر قلت درجة الحرارة والعكس، ففي شهر أغسطس تصل درجة الحرارة القصوى في الساحل 30 بينما في الداخل تصل إلى 39 درجة مئوية⁴، أما بالنسبة للتساقط المطري فيقدر من 600-800 ملم، وهي تشمل المنطقة الجنوبية من جبال بابور و نواحي قالمة وسوق أهراس وسكيكدة وعنابة وصولا في الأخير إلى البويرة أقبو وفج أمزالة إلى قسنطينة وسوق أهراس⁵.

¹ عبد القادر علي حليمي ، المرجع السابق، ص ص 39-40.

² أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1986، ص 24.

³ أ.بيليسي، المرجع السابق، ج2، ص ص 64-65.

⁴ عبد القادر علي حليمي ، المرجع السابق ، ص 68.

⁵ توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، [د.ط.]، الجزائر، 1931، ص 168.

2- المنطقة الوسطى (الهضاب العليا) :

وهي المنطقة الممتدة بين السلاسل الجبلية الساحلية والسلاسل الجبلية في الجنوب، وهي عبارة عن هضبة منبسطة، يتراوح ارتفاعها بين 900-1000 م، تتميز بكونها أكثر ارتفاعا بالشرق، تتفرع إلى إقليمين إقليم شرقي يمتد إلى الحدود التونسية، و إقليم غربي يمتد حتى جبال البيان، تعتبر مدينة قسنطينة الحد الفاصل بينهما، كما تعرف المناطق الشمالية لهما بالتل والجنوبية بالسباخ أو الشطوط كالشط الشرقي وشط الحضنة¹.

كما أن الجهة الغربية للإقليم أكثر اتساعا، فالمسافة بين الأطلس التلي والصحراوي في الجهة الغربية تزيد عن 150 كلم، بالمقابل تقل في الجهة الشرقية إلى 50 كلم، إضافة إلا أن الجهة الغربية أكثر ارتفاع من نظيرتها الشرقية، فالإقليم يشبه المثلث قاعدته الحدود الجزائرية المراكشية ورأسه شط الحضنة، فهو هضبة واسعة، تتخللها الانكسارات التي حدثت عند تعرض المنطقة للضغط مقابل صلابة صخور الإقليم²، وتنتشر في الإقليم الأحواض المغلقة التي تمتلئ بمياه الأمطار شتاء لتتبخر صيفا، مساعدة في تشكل الغطاء النباتي و في وجود نسبة قليلة من الرطوبة، أما بالنسبة للشطوط فهي مكان تجمع الأمطار من مختلف المناطق في فصل الشتاء شاغلة أكبر مساحة ممكنة، تتقلص مساحتها في فصل الصيف مع اشتداد ملوحتها، ومن أهم الشطوط بالإقليم نذكر: شط الحضنة، الشط الشرقي، الشط الغربي³، أما مناخه فهو غير مستقر، شديد الحرارة صيفا، مع برودة في الليل، أما الشتاء فتميزه البرودة الشديدة، مع تسجيل قلة المياه الجارية⁴، كما أن التساقط المطري قليل يتراوح ما بين 200-400 ملم في عمومها، ماعدا بعض المناطق المنفرقة⁵.

¹ حسان كشرود، المرجع السابق، ص 49.

² عبد القادر علي حليمي، المرجع السابق، ص 44.

³ المرجع نفسه، ص ص 44-45.

⁴ توفيق المدني ، الجزائر...، المرجع السابق، ص 164.

⁵ المرجع نفسه، ص 169.

3- الجبال:

3-1. الأطلس التلي :

يمكن تمييز وجود سلسلتين جبليتين رئيسيتان تمتدان من الغرب إلى الشرق، تتواجد السلسلة الأولى بالمناطق التلية بينما تتركز السلسلة الثانية بمشارف الصحراء¹، أما السلسلة الأولى أو ما يعرف بالأطلس التلي فهي عبارة عن سلاسل جبلية موازية للبحر، بداية من نواحي بجاية انتهاء بالقالة، كما أن هذه السلاسل متدرجة الانخفاض من الغرب إلى الشرق، يتميز قسمها الغربي بقربه من البحر مقارنة بنظيره الشرقي²، وهذا ما ذكره ويليام شالر بقوله "والبلاد جبلية حيث تخترقها سلسلة جبال الأطلس التي تمتد من الغرب إلى الشرق، والتي تشكل ألوانا مختلفة من التشكيلات الجبلية والأودية"³، كما يحدد كاربخال المجال الجغرافي لانتشار هذه السلاسل الجبلية في قوله "تغطي مجموع الجهات الغربية والشمالية لهذا الإقليم إلى غاية ضواحي قسنطينة جبال تبدأ من حدود بجاية و تمتد على طول الساحل إلى غاية عنابة على مسافة تزيد عن خمسة وأربعون فرسخا، فهي إذا جبال تحمل كلها أسماء القبائل التي تسكنها من برابرة وزواوة"⁴، إضافة إلى أن التطور التضاريسي أكثر وضوحا في الشرق مقارنة بالجهات الغربية، ويرجع السبب في ذلك إلى الأمطار المتساقطة في الإقليم الشرقي أكثر من الإقليم الغربي، كما أن سبب هذا التباين لا يرجع لكون جبال الإقليم الشرقي أقدم تكوينا وظهورا من نظيرتها الغربية⁵، أما بالنسبة للمناخ فالمنطقة تتميز بتساقط مطري كبير يتجاوز أكثر من 800 ملم على غرار المناطق الساحلية، يشمل المنطقة الممتدة من دلس في الشرق إلى الحدود التونسية، ثم نحو الجنوب الغربي حتى تصل مليانة وصولا إلى جبال البابور وجرجرة والبليدة، وهو ما

¹ O. Neil. Op. Cit. P 07.

² فلة القشاعي ، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، الجزائر، 1990، ص ص02-03.

³ ويليام شالر، المصدر السابق، ص28.

⁴ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج3، ص ص15-16.

⁵ عبد القادر علي حليمي المرجع السابق، ص 40.

يلاحظ في تساقط كبير جدا يقدر في جيجل 1008 ملم وبجاية 1036 ملم¹.

3-2. الأطلس الصحراوي:

تتكون من سلسلة جبلية طولها 700 كم تمتد من فجيح غربا حتى إقليم الزاب شرقا، وانطلاقا من جبال الحضنة التي تشرف في جهاتها على الهضاب العليا الى كتلة جبال الأوراس ضمن الأطلس الكبير، كما تعتبر فاصلا بين الصحراء والمناطق الشمالية²، كما أنها تتألف من سلاسل ضيقة موازية لبعضها البعض، تتميز بالطول إذا ما قورنت بالسلسلة التالية يبلغ متوسط عرضها حوالي 150 كم، كما تقع بين دائرتي عرض 32 و33 درجة إضافة إلى أن لها نفس الاتجاه من الغرب والجنوب الغربي إلى الشرق والشمال الشرقي، آخذة مسارا متعرجا من اليسار إلى اليمين³، كما أن الانحدار يأخذ في النقصان، والجبال تبدأ في التقصص كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق لتختفي عند بسكرة، باعتبارها الممر المعروف بين الشمال والجنوب، والمعروفة بعتبة الصحراء، ليعود الارتفاع من جديد في شرق بسكرة⁴، من أهمها جبال الأوراس وهي الجبال الممتدة على طول الطريق بين باتنة وبسكرة يفصل وادي العرب بينها وبين جبل المحمل وجبل ششار من الغرب، يصل أكبر طول لهذه الجبال حوالي 120 كلم انطلاقا من القنطرة إلى ملتقى وادي بابار بوادي العرب، أما متوسط عرضها فيصل إلى 70 كم، تتربع على مساحة قدرت بحوالي 800 ألف كم⁵، أما بعلي فيصنفها نقلا عن تيراز ريفيار بأنها سلسلة من الجبال العالية تقع شرق بسكرة، وغرب سلسلة الجبال التونسية، وإلى الجنوب من سهول قسنطينة⁶، إذ تعتبر أكثر ضخامة من الأطلس التلي إلا أنها لا تتجاوز في الغالب الألفي متر، أما أضخم و أعلى قمة في هذه السلسلة وفي الجزائر بشكل عام فهي

¹ توفيق المدني، الجزائر..، المرجع السابق، ص 168.

² حسان كشرود، المرجع السابق، ص 49.

³ O. Neil, Op.Cit, p24.

⁴ عبد القادر علي حليمي، المرجع السابق، ص 47.

⁵ O. Neil, Op.Cit, p25-26

⁶ حفاوي بعلي، صورة الجزائر في عيون الرحالة وكتابات الغربيين، دار دروب للنشر والتوزيع، [د.ط.]، عمان، 2016، ص 244.

قمة جبال الأوراس المعروفة ب "الشلية" بارتفاع قدر ب2327 م¹، تعتبر هذه الجبال حدا فاصلا بين الصحراء والمناطق الشمالية، أما من حيث المناخ فمعدل التساقط مطري قدر ما بين (500-800م) سنويا، بينما تتأثر مرتفعات النمامشة و تبسة بالمناخ الصحراوي وهو ما يلاحظ في قلة الأمطار على عكس سابقتها (400-800م) سنويا، إضافة إلى ارتفاعها المتوسط والمقدر ب (1200-1400م)².

4- المنطقة الجنوبية:

تحتل الصحراء في الجزائر مساحة تناهز 90 بالمائة من المساحة الإجمالية للبلاد، وهي تختلف عن المناطق الأخرى في بساطة تكوينها فهي خالية من الجبال والمرتفعات والسهول، يغلب على طبيعتها السهول التحتانية الواسعة والأحواض المغلقة، والجبال الشديدة الانحدار والعروق الرملية³، يعرفها دumas على أنها ذلك المكان الواسع المنبسط، الذي لا يوجد فيه سوى عدد قليل من السكان، تتكون أساسا من الكثبان الرملية، فمعظم مساحته غير منتجة⁴، أما بالنسبة لموضوع دراستنا فيهما الصحراء الشرقية وهي المناطق المناطق القابلة للحياة وممارسة الأنشطة الاقتصادية، حيث تشمل مقاطعة قسنطينة ثلاث مناطق أساسية أهمها الزيبان ووادي ريغ إضافة إلى وادي سوف، كما يوجد بهذه المناطق ما يقارب 400 واحة⁵، تتميز بمناخ قاري جاف إذ يصل متوسط الحرارة إلى 40 درجة مئوية، وتساقط مطري ضئيل غير منتظم، ينتهي به الأمر إما في شط ملغيغ أو الغور في الرمال⁶، مما يعرضها للتصحّر كظاهرة تجعل الحياة صعبة في المنطقة وتهدد حتى المناطق الشمالية ومن أسباب هذه الظاهرة ، التساقط الضئيل للأمطار كما ذكرنا سابقا،

¹ توفيق المدني، كتاب الجزائر...، المرجع السابق، ص 162.

² حسان كشرود، المرجع السابق ، ص 49.

³ عبد القادر علي حليمي ، المرجع السابق، ص 48.

⁴ De M. Le Lieutenant-colonel Dumas, **Le Sahara Algérienne études géographiques. Statistiques et Historiques sur La Région au Sud des Etablissements Français en Algérie**, Paris, 1845, p01.

⁵ O. Neil, Op.Cit, p119.

⁶ الطيب بوسعد، الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني(وادي ريغ نموذجا)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج، ع 15، الجزائر، 2011، ص437.

إضافة إلى درجة التبخر الكبيرة وتأثيرها السلبي على الغطاء النباتي، كما عملت سلسلة جبال الأطلس على الحد من الرطوبة رغم انخفاضها ومنع المتغيرات المناخية المتوسطة من الوصول إلى المنطقة¹.

5- التربة:

5-3. تربة البحر الأبيض المتوسط:

تتوزع على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط، سمراء اللون، تجمع بين ميزة تحلل العناصر العضوية المكتسبة من الغطاء النباتي، وتجمع العناصر العضوية على السطح، تعد من أكثر الأراضي خصوبة في العالم وأصلحها للزراعة².

5-2. تربة النجود:

توجد هذه التربة في إقليم النجود الذي يصل متوسط أمطاره السنوية إلى مادون 500 ملم، والمناطق الأقل جفافاً من الصحراء، تسمح عملية النفاذية بغسل الأملاح وتخزين المواد العضوية بالقرب من السطح بما يسمح للنبات بامتصاصها والاستفادة منها، أما إذا كانت التربة رديئة الصرف تتكون تربة الشطوط الطينية الملحية³، تتميز بلونها البني إضافة إلى ارتفاع نسبة الطين قياساً لمكوناتها، كلسية قاسية، جبسية، كما أنها فقيرة من حيث المواد العضوية بسبب قلة الغطاء النباتي، تعرف نمو الحشائش القصيرة بسبب التساقط المطري المعتدل، يمكن استغلالها في الجانب الزراعي بعد استصلاحها، تتكون بها طبقتان طبقة كلسية قاسية، أو طبقة جبسية قاسية⁴.

¹ محمد رشدي جراية ، الصحراء الجزائرية: دراسة في الجغرافيا، مجلة البحوث والدراسات، مج 14، ع02، جامعة الواد، الجزائر، 2017، ص348.

² حسام الدين جاد الرب، جغرافية الوطن العربي، كتب عربية، [د.ط.]، مصر، 2005، ص120.

³ عبد القادر علي حليمي ، المرجع السابق ، ص 52.

⁴ صبري فارس الهيتي، المرجع السابق، ص 101.

5-4. التربة الفيضية:

تتواجد هذه التربة على امتداد المجاري المائية، لذلك انتشرت السهول الفيضية على أطراف الأودية والأنهار، تعد هذه التربة من أخصب الأراضي لأنها متشعبة بالمواد العضوية إضافة إلى غناها بالمواد الضرورية لنمو النبات، ترتفع فيها نسبة الرمل في المناطق المحاذية لمجاري المياه، لتتشكل تربة تبلغ نسبة الصلصال فيها 30 بالمئة معروفة بالتربة الصفراء، وتحولها إلى تربة صلصالية ثقيلة في حالة الابتعاد عن مجاري المياه بنسبة تقدر ب60 بالمئة¹.

5-1. التربة الصحراوية:

تتميز التربة الصحراوية بقلّة مادتها العضوية تصل في كثير من الحالات إلى 0.01 بالمائة، حيث تتشكل في أغلبها من المادة المعدنية، ويرجع السبب في ذلك إلى الجفاف والندرة الشديدة للأمطار، كما تتكون في أغلبها من الكثبان الرملية، يؤدي استغلال تربتها إلى ضياع كميات كبيرة من المياه بسبب ارتفاع نسبة ملوحتها وارتفاع المعدل الكبير للتبخّر الذي تعرفه المنطقة، إضافة إلى أن عملية غسلها واستصلاحها تؤدي إلى زيادة ملوحتها²، وبالتالي فالتربة الصحراوية رغم اتساع نطاق انتشارها إلا أنه يصعب استغلالها والاستفادة منها لفقر تربتها وزيادة تكاليف استصلاحها ناهيك عن الاستنزاف الكبير للثروة المائية، كما تتميز الصحراء الجزائرية بالبساطة وعدم التعقيد، فهي خالية من المرتفعات ماعدا الجبال البركانية كالأهقار و أوغرطة والطاسيلي وبعض الإلتواءات الحديثة، تتشكل من أحواض وانحدارات شديدة وعروق رملية متحركة، يمكن تقسيمها إلى ثلاث مظاهر تضاريسية:

- الصحراء المنخفضة الشرقية(الحوض الشرقي الكبير).

- الهضاب الصخرية الشمالية الوسطى والغربية.

¹ صبري فارس الهيتي، التصحر مفهومه - أسبابه - مخاطره - مكافحته ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع،[د.ط]، عمان، الأردن، 2011، ص 100.

² صبري فارس الهيتي، التصحر مفهومه...، المرجع السابق، ص 97.

- مرتفعات الجنوب الشرقية الجبلية(الأهقار، الطاسيلي)¹.

5-6: التربة الجبلية:

يقصد بها التربة الخفيفة الفقيرة من المواد العضوية والموجودة على سفوح الجبال الشديدة الانحدار، تتشكل من صخور حصوية أو رملية مختلطة بالجلاميد، تعرف بالتربة الخشنة أو الحمري إذا كانت من المارن وازدادت نسبة الرمال في تكوينها².

ثانيا: مصادر المياه في أرياف البايك:

1-الأودية:

1-1.الأودية التي تصب في البحر:

أ- وادي الرمال :

ينبع في شمال شرق سطيف، في الجبال التي يصل ارتفاعها إلى 1200م أو 1300م، يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، تتضمن له العديد من الروافد خلال مسيره، من بينها واد بومرزوق وذلك قبل وصوله إلى مدينة قسنطينة، مندفا من جسر القنطرة يتدفق الوادي الذي تتكون ضفافه من الحجر الجيري في ممر ضيق غني بالينابيع الحارة على غرار سيدي راشد وعين الشقة وسيدي ميمون، ليصب في الأخير في البحر بعد قطعه مسافة قدرت ب215كلم، يشار إلى أن الوادي يعرف أيضا بتسمية الوادي الكبير³.

ب-وادي بوسلام :

ينحدر مع المنخفضات الجنوبية لجبل مقرس، له خمس روافد هي: وادي الأوريسية، ووادي الموان، وادي سي محمد الحناش، وادي فرماتو ووقوسينت، ليأخذ اسم واد السلام بعد

¹ عبد الحفيظ حيمي، من صحراء الجزائر في الكتابات الجغرافية ومدونات الرحالة المغاربة، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج 03، ع 01، جامعة تيارت، الجزائر، 2020، ص160.

² عبد القادر علي حليمي ، المرجع السابق ، ص 53.

³ O. Neil. Op. Cit. P70-71.

التقاء هذه الأودية شمال سطيف، و يواصل مسيره ليمر على بعد ثلاث كيلومترات شرق سطيف، كما يساهم الوادي في طريقه في ري سهول عامر وأولاد موصلي، ليصل إلى مصبه النهائي بوادي الساحل مقابل قمة أقبو بعد اتخاذه مسارا عكسيا انطلاقا من مضيق قرقور¹.

ج- وادي أقيون:

يعرف باسم الواد البارد، يمتد على طول المنحدر الجنوبي لسلسلة البابور حتى ارتفاع قمة أدرار املال ، ثم يتخذ مساره اتجاه الشمال تحت اسم وادي أقيون شاقا مساره عبر السلسلة الهائلة من خلال ممر عميق، ليصب أخيرا في خليج بجاية بعد عبوره للسلسلة الجبلية².

د- واد المفرق:

له مجرى أقل اتساعا في نفس اتجاه السيوس، يصب في خليج عنابة على بعد أربعة أميال شرق مصب السيوس³، يتدفق من أقصى الغرب في منطقة القالة، يأخذ هذا الوادي اسمه عند التقاء مياه وادي الكبير مع مياه وادي الحجار وتدفق المياه على طول ثلاث كيلومترات وصولا إلى البحر، يشار إلى اختلاف الجغرافيين في تحديد المنطقة بدقة على غرار توصيفهم أن هذا الاسم يطلق على الجزء السفلي من واد الكبير⁴.

هـ- واد بجاية:

نهر طويل له العديد من الروافد على طول المناطق التي يمر بها، كما أن أغلب المناطق التي تعبرها روافده عبارة عن مناطق جبلية صخرية ماعدا سهلي سطيف وحمزة، وهو ما يؤدي إلى تكون فيضانات تسبب خسائر كبيرة خلال فصل الشتاء، يعرف هذا

¹ شارل فيرو، تاريخ سطيف، تر و تع: لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والإشهار، ط1، الجزائر، 2022، ص 25.

² المصدر نفسه، ص 26. ينظر أيضا: شارل فيرو، تاريخ جبلي، المصدر السابق، ص 23.

³ أ. بيليسي، المرجع السابق، ج2، ص 63.

⁴ Baruch ,Note Sur le Cours d'eau Appelé "Mafrag", R.V, N25,1881,Adolphe jourdan,alger,pp72-73.

الفصل الثالث:..... الزراعة و مقوماتها في ريف بايلك الشرق

الوادي بواد الساحل تتجمع به المياه من المنحدر الجنوبي لجرجرة، يحمل اسم واد الصومام بداية من أقبو، حيث يتلقى مياه رافده الرئيسي واد بوسلام¹، كما يذكر بايسونال أن السكان يطلقون على واد الصومام تسمية وادي بجاية، و أن هذا الواد يأتي من الصحراء ليصب على بعد فرسخ عن مدينة بجاية².

هـ - واد السييوس:

ينبع من الأطلس الكبير بالقرب من قسنطينة، يتدفق من منبعة في الجبال مسرعا إلى السهول، وصولا إلى مصبه النهائي في البحر على بعد فرسخ من عنابة إلى الشرق³. يعتبر من أجمل أنهار و وديان الجزائر، يتميز بغزارة مياهه وخصوبة الأراضي على ضفافه، أطلق عليه العرب اسم تيفش، على ارتفاع 938م يزيد تدفق الواد بسبب ينابيع عين خلاخل، كما يمتد من الشرق إلى الغرب تحت اسم واد الشرف، متابعا في اتجاه عنابة وصولا لمصبه النهائي في البحر⁴، أما بالنسبة لأهم روافد واد السييوس فهي: واد سيرف، واد زناتي، واد لاريا⁵.

و - واد مجردة:

ينبع من جبال الأطلس، بالقرب من جبال الزاب، غير بعيد عن تبسة، يتدفق نحو الشمال في مسار متعرج، يتميز بارتفاع مياهه في موسم الأمطار، ومن ثم يتجه إلى البحر على بعد فرسخين من تونس، ليصل لمصبه النهائي في البحر⁶، يقطع الوادي

¹ Syndicat D'initiative de Bougie, **Bougie et La Petite Kabylie (Livret-Guide)** , Algérie, 1914, P13.

² جون أندري بايسونال، المصدر السابق، ص 194.

³ مارمول كاربخال، افريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعرفة، ج1، الرباط، 1989، ص 40.

⁴ O. Neil, Op.Cit, pp 64-65.

⁵ أ. بيليسي، المرجع السابق، ج2، ص63.

⁶ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج1، ص 41. ينظر أيضا: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 253.

مسافة تقدر ب228كم ليصب في خليج تونس بعد أن يلقي به كميات كبيرة من الرواسب¹.

1-2. الأودية النجدية:

يقصد بها الأودية الداخلية، تتميز بالقصر والتذبذب وقلّة الجريان، لأنها تتلقى أمطاراً أقل من الأودية التلية، كما أن لها اتجاهات مختلفة، فأحيانا تكون من الشمال إلى الجنوب والعكس، وفي أحيان أخرى اتجاهها من الشرق إلى الغرب والعكس، تحمل معها رواسب كثيرة غنية بالأملاح تلقي بها في الشطوط والزواغز، كما تزيد ملوحة الشطوط بسبب التبخر خلال فصل الصيف².

1-3 الأودية التي تصب في البحيرات الداخلية والصحراء:

1-3-1. الأودية الصحراوية:

أ- واد ريغ:

وادي خصب قي وسط الصحراء، به كميات كبيرة من المياه، يخترق الحدائق والبساتين، يساهم في استقرار وحركية السكان، على غرار تشكيل قرى واد ريغ الخمسة والثلاثون لدولة صغيرة عاصمتها تقرت³.

ب- واد امزي:

ينبع هذا الوادي من منحدرات جبل عمور يتشكل من عدة روافد من أهمها وادي الغيشة الذي ينبع من أعلى قمتي جبلي أنفوس والقعدة⁴، تبقى المياه في أجزاء من مجراه

¹ محمد خميس الزوكة، جغرافية العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، ط2، مصر، 2000، ص60.

² عبد القادر علي حليمي، المرجع السابق، ص ص 59-60.

³ De M. Le Lieutenant-colonel Daumas, *Le Sahara Algérienne...* Op.Cit. pp 121-122.

⁴ إ. كاريت، الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1842، 1840، 1841، أبحاث حول الجغرافيا والتجارة في الجزائر الجنوبية، تر: حمزة الأمين يحيوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، ج6، الجزائر، 2016، ص 41.

طوال السنة، يسقي بساتين تاجموت من خلال قناتين واحدة في الشمال و الأخرى في الجنوب¹.

ج- واد جدي:

يتكون وادي جدي في جبل عمور من التقاء واديين يسمى أحدهم واد مرة آخذا اسمه من الولي سيدي يوسف بينما يسمى الثاني وادي الريشة، ليتجه إلى الشرق قليلا بالقرب من قرية أخذت اسمه ليلتقي قبل تاجموت بقليل واد مرة مع واد الريشة ليشكلا معا واد مزي، يتلاشى هذا الوادي في عدة مناطق ويعيد الظهور في أخرى، ليلتقى الوادي في طريقه العديد من الروافد التي تساهم في قوة جريانه².

د- وادي متكوك:

يعتبر من أهم المجاري المائية التي تصب في الضفة الشرقية لبحيرة المسيلة، يتميز بدوام جريانه على عكس الوديان الأخرى، يتلقى العديد من الروافد نذكر أهمها:

وادي الزرقة الذي ينبع من الممر الجبلي المسمى غنية.

وادي الراشية الذي ينزل من آثار قيقبة أو(الميس) والمكان المسمى رووس العيون.

وادي الشعير الذي ينبع من آثار بلزمة بين جبل أولاد سلطان وجبل أم الطيور وجبل أولاد فاطمة.

وادي بيطام مكان تواجد آثار طوبنة، كما أن التقاء وادي الشعير بوادي بيطام يسمى واد بريكة³.

¹ De M. Le Lieutenant-colonel Daumas, *Le Sahara Algérienne...* Op.Cit, p 28.

² Ibid, pp144-145.

³ إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص ص48-49.

هـ - واد ملاح:

يتدفق هذا الوادي من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، يتميز قاع الوادي بأنه مستو إلى حد كبير، يتراوح عرضه من 10 إلى 12 مترا إلا أن الوادي يضيق تدريجيا كلما اتجهنا نحو الشرق، أما بالنسبة لجدرانته فتتخذ الشكل العمودي بارتفاع يقدر ما بين 10 إلى 15 مترا، متكونة في عمومها من الحجر الرملي و المارل الأرجواني، يشار إلى أن هذا الوادي يصب في وادي الوطاية¹.

2- البحيرات والشطوط:

يطلق اسم الشط على البحيرة الملحية كبيرة المساحة، أما الزاغز فيطلق على البحيرة الملحية الصغيرة².

1-2 . بحيرة فتارة:

تم حفر هذه البحيرة بواسطة عوامل التعرية الكبيرة، يبلغ طولها أكثر 16 كم أما متوسط عرضها فيقدر بـ 8 كم³، يبلغ عمقها مترين فقط، تتكون من الطين الأسود والقصب الفاسد من الواضح أنها من بقايا خليج قديم، يعتبر امتدادا لخليج عنابة⁴ الحالي عبر السهول الجافة للمفرق ومبوجة، كما أن البحيرة مأهولة بالسكان خاصة في فصل الشتاء، تعيش فيها أنواع كثيرة من الطيور⁵.

2-2. بحيرة الحوت (تونغا):

يطلق على هذه البحيرة أيضا اسم تونغا، تقع إلى الجنوب الشرقي من القالة، بينها وبين كاف أم الطبول، يبلغ طولها حوالي 6 إلى 7 كيلومتر، أما عرضها فيتراوح بين

¹ .M. Ville, Voyage D'exploration dans Les Bassins du Hodna et du Sahara, Imp. Impérial ,Paris, pp185-188.

² محمد خميس الزوكة، المرجع السابق، ص60.

³ M. Ville, Voyage D'exploration... Op.Cit, p17.

⁴ عنابة : يطلق عليها قديما بونة، تقع في الجزء السفلي لخليج يحمل نفس اسم المدينة، عند مصب السيوس، على بعد 95 فرسخا من العاصمة و 35 فرسخا من شمال شرق قسنطينة: ينظر:

A. M. Perrot, Alger: Esquisse topographique ...Op.cit,p 25.

⁵ Piesse. Louis, Algérie et Tunisie. Hachette, Paris, 1898, p302

2و4 كيلومتر، كما تقدر مساحتها ب2.367هكتار، من أهم روافدها وادي الحوت والذي ينبع من تونس عند سفح جبل عديسة الذي يبلغ ارتفاعه 891م، تتميز البحيرة المنحدرات الشديدة وصولاً إلى مصبها النهائي في البحر¹.

2-3. حوض زاغز:

عبارة عن بحيرة مالحة يتراوح طولها بين 50 و60 كم وعرضها بين 4 و5 كلم، تتكون من المنطقة المحصورة بين أعالي الشلف من الغرب والشمال، وحوض الحضنة شرقاً، وحوض وادي جدي جنوباً، لها العديد من الروافد لعل من أهمها وادي الشارف الذي ينبع من ممر جبلي يسمى باب مسعود².

2-4. زاغز الشرقي:

ويقع شمال شرق الجلفة على ارتفاع 771م، وبطول يصل إلى 36 كم وعرض يقدر ب14 كم، أما بالنسبة للسطح فهو أكبر من زاغز الغربي، تتدفق المياه إليه من الشمال الشرقي من جبال سبع روس والحمام، أما في فصل الصيف ومع ارتفاع درجة الحرارة تتشكل طبقة غنية بالملح على السطح³.

2-5. زاغز الغربي:

يقع على ارتفاع 857 م، شمال غرب الجلفة وجنوب غرب قلعة السطل، بطول يصل إلى 45 كم، وعرض يتراوح ما بين 5 إلى 11 كم، يقتصر حوض هذه البحيرة على الجنوب ممتداً من الغرب إلى الشرق⁴، تشغل البحيرة مساحة تقدر ب22 ألف هكتار⁵.

¹ O. Neil, Op.Cit, p63.

² إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص59.

³ O. Neil, Op.Cit, p95.

⁴ Ibid, p 95.

⁵ توفيق المدني، الجزائر... المرجع السابق، ص165.

2-6. شط ملغيغ:

يقع جنوب بسكرة، يتكون من مجموعة من المستنقعات الضحلة المالحة، الخالية من الغطاء النباتي، يقع على ارتفاع حوالي 31 متر فوق سطح البحر، يمتد على مسافة تقدر ما بين 20 إلى 60 كم، يعتبر خزان هائلا للمياه الجوفية والسطحية، كما تعتبر في أوقات معينة في السنة مناطق موبوءة تشكل خطرا على المارين بها¹، له رافدين أساسيين أحدهما يأتي من الجنوب بالقرب من تقرت بينما الثاني فمن الغرب من جبل عمور ويقصد به واد جدي، كما يبدو السطح متشابها بعد جفاف المياه الضحلة مغطى بطبقة من الملح، ترتفع الحرارة بها إلى حد كبير، كما أن البياض المبهر يعكس أشعة الشمس لتبدو متألئة كجزيرة متحركة في وسط بحيرة ، كما أن انعكاس الحواف يعطي ما يعرف بالسراب الخادع².

2-7. شط الحضنة :

والذي لا تقل مساحته عن 84 ألف هكتار³، يسمى أيضا لدي السكان بشط السعيدة، يقع على ارتفاع أكثر من 400 متر فوق سطح البحر إلى جنوب المسيلة وشمال شرق بوسعادة، تفصلها عن سهل مجانة في الشمال جبال شديدة الانحدار، كما تتحدر من جبال مجانة وديرة و ونوغة العديد من الروافد التي تصب قي شط الحضنة نذكر من أهمها: واد بريكة ، واد ملاح، واد القصب، واد البياضة، واد لقمان ، واد شلال⁴.

يوجد في منتصف الطريق ما بين ورقلة وقريتي الحجاجة وعين عامر توجد بحيرة مالحة يطلق عليها سبخة وملاح، يمكن التزود منها بكميات كبيرة من الملح في مواسم معينة تقدر بحمولة أربعة أو خمسة جمال⁵، كما توجد سبخة على مسار واد جدي تعتبر

¹ Laplaiche Alexander, *Algérie et Tunisie esquisse géographique*, Henri Charl La Vauzelle, Paris, 1885, pp94-96

² Chotard Henry, *La mer intérieure du Sahara*, Imp.de D. Mont-Luis, 1879.p09.

³ Laplaiche Alexander, *Algérie et Tunisie esquisse..* Op.Cit, p21

⁴ O. Neil, Op.Cit, pp 92-93.

⁵ De M. Le Lieutenant-colonel Daumas, *Le Sahara Algérienne...*Op.cit, p 80.

مصبا للعديد من الروافد يطلق عليها اسم سبخة فريير تقع بالقرب قرية صغيرة تسمى نور الدين¹.

3.- الينابيع :

تناولت العديد من كتابات الرحالة العرب والأجانب، وجود الكثير من العيون التي تميزت بها أرياف البايك، نحاول أن نورد بعضها:

يشير فيرو أن مدينة جيجل تتزود بالمياه من المنابع الموجودة في سفح جبل إيوف، ذاكرا وجود منابع أخرى على منحدر جبل الخروب².

كما يذكر دumas عند وصفه لقريتي الحاجة وعين عامر وجود العديد من الينابيع المتدفقة التي تسقي البساتين وأشجار النخيل³.

تعتبر منطقتي الأوراس والقبائل ذات مردودية زراعية كبيرة خاصة ما تعلق بزراعة الحبوب والخضر والفواكه بسبب توفر مياه الأمطار و الينابيع⁴، وهذا ما يشير إليه الورثيلاني في قوله أن منطقة بني يعلي وزمورة وطن واحد، متنوع الزرع، كثير الأمطار و الينابيع⁵.

كما تنتشر العديد من الينابيع الحاررية في قسنطينة خاصة على حواف وادي الرمال على ارتفاعات مختلفة نذكر من أهمها:

الينابيع الحاررية لسيدى راشد على ارتفاع 501م على الجهة اليمنى لوادي الرمال عند مدخل المضيق ، ونحو 2 متر بالتقريب فوق مستوى الوادي.

¹ De M. Le Lieutenant-colonel Daumas, *Le Sahara Algérienne...*Op.cit, p145.

² شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص18.

³ De M. Le Lieutenant-colonel Daumas, *Le Sahara Algérienne...*Op.cit, p 80.

⁴ يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية،[د.ط]، الجزائر، 1999، ص 328.

⁵ الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص 81.

كما يوجد أعلى جسر القنطرة ب400 م، على الضفة اليسرى لوادي الرمال منبع حراري ثاني يسمى عين الشقة ، تشكل جسرا طبيعيا صغيرا من الحجر الجيري يمر فوق وادي الرمال، يستغل السكان هذه المياه عندما تكون باردة للشرب و لقضاء احتياجاتها المختلفة¹.

تقع الينابيع الحرارية لسيدي ميمون على الجهة اليسرى لوادي الرمال عند مخرق المضيق، حيث تتبع اثنان من العيون مباشرة من المنبع العلوي، يظهر هذا المنبع على ارتفاع يقدر ب 578 م، من خلال الحجر الجيري الرمادي الطباشيري مع شقوق غير منتظمة ليصب في الحوض المغطى بقبو روماني يبلغ ارتفاعه ثمانية أمتار والمثبت على أعمدة حجرية، يشار إلى وجود منبع آخر يطلق عليه اسم عين رابعة ينبع من صدع كبير يقع على الجانب الشمالي لجبل مسيد، تتواجد به العديد من العيون موزعة على ارتفاع يقدر بخمسة عشر مترا².

أما بالنسبة للعيون في واد ريغ، فهي سهلة الحفر غزيرة المياه، يذكر العياشي طريقة حفرها بالقول " من غرائب هذه البلدة استخراج عيون الماء الغزير بحفر الآبار، فيحفرون بئرا نحو من خمسين قامة، ثم يصلون إلى حجر مصفح على وجه الأرض فينقرونه، فإذا نقبوه فاض منه الماء فيضانا قويا، ويطلع كذلك بسرعة إلى فم البئر ويصير عينا، فان لم يتدارك الحافر بال جذب أغرقه الماء، ومتى احتاجت العين إلى الكنس حصلت لمتعاطي كنسها مشقة كثيرة، وربما تركوها بلا كنس للمشقة فتندثر، وقد أخبرني من أصحابنا من عاين كنسهم للعيون بأمر غريب، وكذلك عيون أهل ريغ³.

¹ M. Ville, Voyage D'exploration dans Les Bassins du Hodna et du Sahara, Imp. Impérial ,Paris ,pp38-39.

² Ibid, pp39-40.

³ عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ج1، ص ص118-119.

ثالثا: ملكية الأرض ببايك الشرق:

نحاول من خلال دراسة ملكية الأرض في بايلك الشرق، التعرف على أنواع الملكيات في البايك، ومدى تأثير سكان الأرياف بهذا التنظيم، وانعكاساته على استغلال الأراضي بالبايك.

1- أصناف الأراضي الزراعية في البايك:

1-1. ملكيات البايك:

تتربع على مساحات واسعة، تتكون أساسا من الأراضي الموات كالمراعي والغابات الغير صالحة للزراعة، إضافة إلى أخصب الأراضي حول مدينة قسنطينة، يتم السيطرة على هذه الأراضي من طرف البايات بالشراء أو الحيازة في حالة الشغور أو انتفاء الورثة أو عند عجز السكان عن الإيفاء بالتزاماتهم الضريبية¹، يمتد هذا النوع من الأراضي على مساحات لا متناهية، تتخللها فقط بعض الممتلكات الخاصة التي تصل مساحتها إلى 10 آلاف هكتار²، يعرف هذا النوع من الأراضي ببايك الشرق بالعزل تقدر حول مدينة قسنطينة بستين ألف يستغل منها 48 ألف هكتار لزراعة الحبوب، إضافة إلى زراعة الخضر والفواكه المختلفة بمساحة قدرت ب12 ألف هكتار، مقسمة إلى عدة جابدات يستغل منها 7.5 هكتار للزراعة، بينما خصص 1.5 هكتار لرعي الحيوانات والتي حددت على النحو التالي 5 بقرات، 20 خروفا، 4 عنزات، حصان واحد، كما يذكر سعيدوني نقلا عن وارني أن مساحتها في الشرق الجزائري سنة 1841م، قدرت ب112351 هكتارا، أما عند إصدار قانون سيناتوس كونسلت Sénatus Consulte ، سنة 1867م فقدرت ب146693³، تتنوع أراضي البايك بين :

¹ فلة القشاعي، النظام الضريبي....، المرجع السابق، ص 137.

² Carette et Warnier, **Description et...** Op.Cit. p44.

³ ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، [د.ط]، الجزائر، 2014، ص ص82-83.

أ- ملكيات الباى:

وهي الملكيات التابعة للبايلك، وأغلب هذه الأراضي تابعة للباى وعائلته على غرار أملاك صالح باى والحاج أحمد باى، تعتبر هذه الملكيات من أخصب الأراضي وأحسنها، عمل بايات قسنطينة على توسيع هذه الملكيات عن طريق الشراء، على غرار قيام احمد القلي بشراء أراضي ابن باديس بالفحص الأبيض، والمتمثلة في جنة¹ ابن عثمان وجنة ابن داود و جنة أم الركبة وشركات بن بغلي، والعصافري وشراد وسيدي شقرون بتاريخ 1173هـ/1760م، كما قام الباى بوحنك بشراء أراضي عين قجاو من أسرة ابن جلول القسنطينية سنة 1159هـ/1747م، مع تخليها لاحقا عن ممتلكاتها بشعبة الرصاص سنة 1164/1751هـ مقابل دين مستحق على أحد أفرادها²، يتم تكليف القبائل المجاورة لخدمتها عن طريق التطوع في إطار ما يسمى بالتوزيع، أما في حالة عدم كفايتها يتم الالتجاء إلى الخماسين كوسيلة تتمثل في استغلال الفلاحين البسطاء لخدمة الأرض و تزويدهم بوسائل الإنتاج كالمحراث والحيوانات والبذور، مقابل حصولهم على خمس الإنتاج، الناتج عن الجابدة نظير خدماتهم³، وهذا الأمر ينطبق أيضا على الأراضي المصادرة حيث تقوم الدولة باستغلالها مباشرة أو إسنادها للخماسين⁴، وهذا ما يؤكد حمدان خوجة عند ذكره للعلاقة بين ملاك الأراضي والعمال المكلفين بخدمة الأرض، أن صاحب الأرض يقدم قرضا للعمال والرعاة المستخدمين عنده حسب حاجاتهم، مقابل تسخير كل أفراد العائلة الزوج والزوجة والأولاد مقابل تقاضى أجره كل حسب طاقته، فمقابل هذا التعاون بين صاحب الأرض والعمال يقدم هذا الأخير في نهاية الموسم الزراعي خمس الإنتاج من المحصول للعامل وأسرته، وإذا لم يكف هذا المقدار لسداد حاجيات العامل يأخذ قرضا من صاحب الأرض على شكل حبوب وشعير، يتم سداد قيمة هذا القرض من حصة الخمس الموفى للعامل عند نهاية السنة الزراعية الموالية، فبعد

¹ جاءت في القاموس المحيط، بمعنى الحديقة كثيرة الأشجار والنخيل. ينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص303.

² جميلة معاشي، المرجع السابق، ص182.

³ فلة القشاعي، الريف القسنطيني اقتصاديا ...، المرجع السابق، صص 127-128.

⁴ Carette et Warnier, **Description et...** Op.Cit, p44.

طرح قيمة القرض يأخذ الفلاح حصته لبيعها في السوق، إلا أن السعر يكون منخفضا بسبب وفرة الحبوب في نفس الفترة من السنة، مع محافظة الحبوب عل سعرها المرتفع عند إنزال الأغنياء حبوبهم إلى الأسواق¹، هذا الأمر الذي جعل من الفلاحين يعزفون عن العمل بهذه الصيغة، لإحساسهم بعدم جدوى وكفاية ما يحصلون عليه مع تراكم الديون المستحقة لأصحاب الأرض، ففي سنة 1786م تنازل ملاك الأراضي بسهل عنابة عن نصف إنتاج أراضيهم لمن يقوم بحصادها، بسبب الوباء وعزوف الفلاحين عن العمل بالأراضي التابعة للملاك المقيمين بالمدن مقابل خمس الإنتاج وتراكم الديون بينما يحصل ملاك الأراضي المقيمين بالمدن على أربعة أخماس الإنتاج دون جهد².

بينما يعرف القسم الثاني من الأراضي:

ب- أراضي العزل:

يعتبر هذا النوع من الأراضي شكلا من أشكال الاستغلال غير المباشر للأراضي الزراعية، حيث يستغل الفلاح الأرض مقابل تقديم منافع عينية أو نقدية تقدم للسلطة مع نهاية كل سنة، بدون مراعاة لأي كوارث قد يتعرض لها الفلاح خلال استغلاله للأرض وتحول بينه وبين تسديد مستحقاته الجبائية اتجاه السلطة³، أي بمعنى تأجير الأراضي للفلاحين على مسؤوليتهم الخاصة مقابل دفع رسوم سنوية نقدية أو عينية⁴، تعتبر من أخصب الأراضي في البايك، يتم استغلال هذه الأراضي بمنحها لكبار الموظفين وشيوخ القبائل، مقابل الالتزام بتقديم خدمات عسكرية وإدارية، يذكرها نور الدين عبد القادر في قوله "ولما كان الجند التركي قليل العدد، فإن الدولة التركية أقطعت لبعض القبائل والأعراش والجماعات من الأهالي بعض الأراضي الزراعية تسمى بأرض المخزن وكانت تزودهم بما يلزم من آلات الفلاحة والأسلحة للدفاع عن أنفسهم، وكان هؤلاء يجيبون نداء

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة...، المصدر السابق، ص 50-51.

² ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 55.

³ ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجبائية...، المرجع السابق، ص 88.

⁴ Carette et Warnier, Description et... Op.Cit ,p44.

البايلك عند الحاجة إليهم لتوطيد الأمن والحراسة قابضي الضرائب، وهذه الأراضي والعقارات لم تكن ملكا خالصا لمن كان بأيديهم والبايلك كان له الحق في أن يسترجعها إذا لم يوف مستغلوها بالشروط التي التزموا بها، وأرض المخزن كان تسمى بالعزل في القطاع القسنطيني"¹، حيث نجد في إحدى الرسائل بالمكتبة الوطنية، والموجهة من صالح باي إلى قائد عنابة، والتي جاء فيها منع أحد الأشخاص المدعو ابن عبد الله من حرث منطقة "بزيزر"، وتخييره بين أن يحرق ببلاد صنهاجة أو بواد زياد أو أن يذهب في حال سبيله²، من خلال الرسالة يتضح تدخل السلطة العثمانية في توزيع الأراضي واستغلالها من طرف المتنفذين وشيوخ القبائل .

قدرت بعض المصادر الفرنسية عدد أراضي العزل ببايلك الشرق ب114 عزل منها 104 عزل جبري³، بينما أراضي العزل التي منحت للأشخاص الذين قدموا خدمات للبايلك، فهي أراضي جبلية فقيرة خصصت في عمومها لغرس الأشجار كالأراضي الموجودة في منطقة ميله، كما تتركز أراضي العزل بشكل عام بالمناطق المحيطة بمدينة قسنطينة، ووادي السيوس وحوض قالمة و سطيف⁴، يذكر فيرو أن جزءا من أراضي السابقة عزيز سيدي يحي تشكل اليوم عزيز المعمره، والذي تبلغ مساحته 2300 هكتار يتم تأجيريه بشكل دوري من طرف الدولة⁵، من خلال الإحصائيات التي قدمها إحصاء سيناتوس كونسولت سنة 1863م يمكن لنا ملاحظة المناطق التي انتشرت بها أراضي العزل ببايلك الشرق⁶:

¹ عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص152.

² وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 69. ينظر الملحق رقم: 12.

³ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص183. ينظر أيضا:

E. Vayssettes, **Histoire des dernières Beys de Constantine**. In R.V. T3.1858.p116.

⁴ صالح عباد، المرجع السابق، ص 392.

⁵ Charle feraud, **Notice Historique sur le tableau des Oulad Abd En Nour**, Typographie et lithographie Alessi et Arnault Constantine, 1864, p92.

⁶ صالح عباد، المرجع السابق، ص ص392-393.

الفصل الثالث:..... الزراعة و مقوماتها في ريف بايلك الشرق

عامر الشراقة 21558هـ	السواحلية أولاد عطية 37980هـ
أعزال عنابة(4) 14430	منطقة سغنية 3903
أعزال قسنطينة(60) 55270	أولاد جبارة 11383
أولاد عبد النور 18626	العلمة مسعدة 4593
الزواغة 9168	منطقة موية 4185
أعزال قسنطينة(36) 29729	عامر الظهر 8885
أعزال وادي زناتي(62) 43188	البرانية 3340
المجموع	317390

ينقسم هذا النوع من الأراضي بدوره إلى:

1- عزل جبري:

يعتبر هذا النوع من الأراضي شكلا من أشكال الاستغلال غير المباشر للأراضي الزراعية، حيث يستغل الفلاح الأرض مقابل تقديم منافع عينية أو نقدية تقدم للسلطة مع نهاية كل سنة، بدون مراعاة لأي كوارث قد يتعرض له الفلاح خلال استغلاله للأرض وتحول بينه وبين تسديد مستحقاته الجبائية اتجاه السلطة، وبغض النظر عن مساحة الأرض المزروعة، تحصل الدولة من كرائها لهذه الأراضي على أقل من نصف ما ينتجه الفلاح أي ما يعادل 12 صاعا من القمح و12 صاعا من الشعير على كل جابدة¹، يتميز هذا النوع من الأراضي بأرباح تفوق أرباح الباي، خاصة مع تحقيقه لأرباح إضافية عند استغلاله مساحات زائدة، كما أن السلطة توفر للمستأجر كل وسائل الإنتاج².

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1830)، البصائر للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 2014، ص88. ينظر أيضا:

E. Vayssettes, *Histoire des dernières ...*Op.Cit,p116.

² جميلة معاشي، المرجع السابق، ص183.

2- عزل الغزيب (الأكدال):

يشمل الأراضي المخصصة لرعي حيوانات البايك¹، أي الأراضي التي تخضع لاستغلال القبائل المكلف بتربية ورعي الطعان من الماشية المملوكة للبايلك مقابل إعفائها من دفع الضرائب، ماعدا ضريبة العشور والمحددة بصاع قمح وصاع شعير لكل جابدة أي ما يعادل عشرة ريالات قوية²، إضافة إلى استفادتها من حليب الماشية الموكل لها رعايتها، مع تسليم السمن المستخرج إلى البايك، مع دفع ضريبة تسمى البقراج في حالة استهلاكه أو التصرف به، إضافة إلى إمكانية منح التصرف في العزل إلى قبائل أخرى في حالة إخلال القبائل الموكل لها العزل بالتزاماتها اتجاه السلطة³.

3- عزل متاع الجبل:

يقصد بها الأراضي الممنوحة لبعض الموظفين والمرابطين، مقابل إخضاع القبائل الموجودة في المناطق الجبلية والتي تعذر على السلطة السيطرة عليها، على غرار قبائل الأوراس وقبائل أولاد عبد النور و قبائل التلاغمة، فمقابل إقطاع العائلات الغنية هذه الأراضي تلتزم هذه الأخيرة بدفع إتاوات للسلطة⁴.

4- عزل السهول:

هي عبارة عن أراضي تتركز بالمناطق السهلية، تمنح للقبائل ورجال المحلة⁵ المكلفين من السلطة بجمع الضرائب، تعرف هذه القبائل بـ" الدواير، من أهمها قبائل دريد، السقنية، عامر الشراقة⁶.

¹ صالح عباد، المرجع السابق، ص379.

² ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي ...، المرجع السابق، ص89.

³ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص184.

⁴ فلة قشاعى، الريف القسنطيني...، المرجع السابق، ص 140.

⁵ المحلة: قوة عسكرية تتألف من مجموعات من الجند تستخدم عادة في استخلاص الضرائب وقمع حركات التمرد، وقد تستعمل في النزاعات العسكرية كما هو الشأن في نزاع حكام الجزائر و تونس في مطلع القرن18. ينظر: عبد الله بن

محمد الشويهد، المصدر السابق، ص123.

⁶ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص185.

1-2. الملكيات الخاصة:

يستغلها أصحابها مباشرة، تتميز بعدم الاستقرار وضيق المساحة، نظرا لتغير أوضاعها بسبب الوراثة والبيع والشراء، تدين للدولة فقط بفريضتي العشر والزكاة، تقع في عمومها بالقرب من المناطق المأهولة مما جعلها عرضة للمصادرة و الحيازة من الحكام، وتنافس كبار موظفي الدولة لامتلاكها¹، ويمكن تقسيم هذا النوع من الأراضي إلى ملكيات خاصة بالمدن وملكيات خاصة بالأرياف.

أ- **الملكيات الخاصة بالمدن:** بالنسبة لبايلك الشرق نذكر من أهمها الملكيات الواقعة بالقرب من مدينة قسنطينة، والمقدر مساحتها ب 11250 هكتار يستغل منها فعليا 9000 هكتار لزراعة الحبوب، إضافة إلى 4000 هكتار لزراعة الفواكه والخضر، تقتطع الدولة منها 20762 كيلة حبوب كضريبة للعشر والزكاة، يستغل في خدمة هذه الأراضي الخماسون وعمال البساتين وبعض الأسرى².

ب- **الملكيات الخاصة البعيدة عن المدن:** تتركز بالمناطق الجبلية و المناطق السهلية الداخلية والواحات الصحراوية، تخضع في تنظيمها للتنظيم القبلي والعادات المتوارثة في هذه المناطق، من أهم المناطق التي ينتشر بها هذا النوع من الملكيات الخاصة ببايلك الشرق نذكر: جرجرة، الأوراس، الشمال القسنطيني، الواحات الصحراوية³.

يتم امتلاك هذه الأراضي عن طريق تملك كل عائلة قطعة من الأرض ويتم تمييز هذه الأرض عن الأرض المجاورة بجدران حجرية منخفضة أو علامات في الأرض أو سياج، يتم تملكها عن طريق عقود، كما أن الشهرة بامتلاك هذه العائلات للأرض يكفي لمنع التشكيك في حق ملكيتهم للأرض، تنتقل ملكية هذا النوع من الأراضي عن طريق

¹ ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية...، المرجع السابق، ص79.

² المرجع نفسه، ص ص 80-81.

³ بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص304.

الميراث أو التبرع، حيث ينتقل حق امتلاكها إلى الابن الأكبر مع تحمله مسؤولية إخوته حتى بلوغهم سن الرشد...¹.

كما أن بعض العائلات ذات النفوذ والسلطة من الجواد والمرابطين، استطاعت توسيع ملكياتها الخاصة في الفترة التي تسبق الاحتلال الفرنسي، بسبب علاقاتها مع السلطة وتولي أفرادها للمناصب الإدارية، على غرار عائلات المقراني وابن الفكون وابن تشيكو وحسن باشا وصالح باي وبشارزي وابن جلول وبلحسين وابن قانة، وهو ما حول مساحات كبيرة من أراضي العرش(المشاعة) إلى ملكيات خاصة².

أما بالنسبة للضرائب المفروضة على الملكيات الخاصة، فهي تتمثل في العشر والزكاة، فبالنسبة للأولى فنقترض على الحبوب، بينما تفرض الثانية على المواشي، تحدد قيمتها حسب عدد الجابدات والزويجات، حيث يؤخذ من كل جابدة صاع من القمح وصاع من الشعير إضافة إلى حمولتين من التين ومقدار من الزبدة وبعض الدواجن كالدجاج مثلا، بالنسبة للملكيات الخاصة بالسهول³.

1-3. أراضي القبائل(العرش):

تتنوع تسميتها بتنوع المناطق، عرفت بالوسط والشرق الجزائري بأرض العرش، يقع أغلبها بالمناطق الممتنعة عن السلطة والتي لا تخضع لسلطة حكام هذه المناطق، ما يميزها عن بقية المناطق قلة خصوبة أراضيها ووعورة أراضيها الجبلية في الغالب أو ما يطلق عليها بالأراضي السبية أو الخلاء، تشمل أطراف بايلك الشرق حيث تقطن قبائل النمامشة والحناشنة والحراكنة وأولاد قاسم وأولاد عاشور وأولاد مقران⁴، يذكر نور الدين عبد القادر أن المشمل في معنى أرض العرش إلا أنه يختلف عليها لكونه أقل مساحة واتساعا، يتركز بمناطق الجنوب وبلاد جرجرة خاصة، يحرث وتزرع أجزاء منه في حالة

¹ André Nouschi. **Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en en 1919**, Presses universitaires de France. Paris, 1961.p 92.

² فلة موساوي -القشاعي-، المرجع السابق، ص142

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، [د.ط]، الجزائر، 1986، ص 43.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه ، ص45.

اتساعه، يستغل غالبا في زراعة أشجار التين والزيتون، إضافة إلى الرعي، كما يتم استغلال غلته بدون نزاع¹، ظلت القبائل المنتقعة من أراضي المشاعة تدفع العديد من الضرائب، حيث بلغت قيمة الفرح والبشارة في أواخر العهد العثماني حوالي عشرون ألف بيجو، على الرغم من أن القبائل القاطنة بالمناطق الجبلية والصحراوية، تعرضت للعديد من الحملات العسكرية خاصة مع أواخر القرن الثامن عشر بسبب رفضها الالتزام بدفع هذه الإتاوات، فعملت السلطة على إلزامها بدفع الهدايا والإعانات، على غرار دفع شيخ العرب نيابة عن قبائل إقليم الزيبان ما يزيد عن 218.50 ريال بوجو².

1-4. أراضي الأوقاف(الأحباس):

يعرفها سعيداني في قوله" التي حبست للإنفاق على الأعمال الخيرية، والمؤسسات الدينية وأوكل التصرف فيها لناظر الأوقاف ومساعدين من الوكلاء والشواش، وقد انتشرت الأوقاف في أواخر العهد العثماني وتركزت بالقرب من المدن الكبرى، حتى أصبحت حسب بعض التقارير تغطي ثلاثة أرباع الأراضي الصالحة للزراعة بالمناطق الخاضعة مباشرة للبايلك، ونظرا للأحكام الشرعية المتعلقة بها والمعاملات القانونية الخاضعة لها، فإنها لم تكن تخضع لأي ضريبة أو رسم، ولم تكن تتعرض لأية مصادرة أو حجز من طرف الحكام"³، كما يذكر فايسات أن ممتلكات الحبوس غير قابلة للتصرف تعود ملكيتها للمساجد والمؤسسات الدينية التي تديرها عن طريق الوكيل، تحت إشراف الشيخ الناظر⁴.

يقوم الوقف على مبدأ وصيغة قضائية ملزمة، يتولى القاضي تحريره بحضور الواقف والشهود، مع ذكره لقيمة الوقف و أغراضه وكيفية استغلاله وانتقاله، إضافة إلى عوامل نموه والمشرفين وشروطهم، مع تدوين تاريخ الوقف وتوقيعات الشهود والقاضي، فهو وثيقة شرعية يلتزم باحترامها السلطة و الواقف وأهله والمستفيدون منه⁵، يشار إلى أن بعض

¹ عبد القادر نور الدين ، المرجع السابق، ص153.

² ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية...، المرجع السابق، ص ص 84-85.

³ ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ ...، المرجع السابق، ص 53.

⁴ E. Vayssettes, *Histoire des dernières ...* Op.Cit, p116.

⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط1، الجزائر، 1998، ص ص 227-228.

العائلات ذات النفوذ بمدينة قسنطينة هي من تولت الإشراف على الأملاك الوقفية كعائلة ابن الفكون واحتكارها لمشيخة البلد، إضافة إلى تولي المرابط سيدي بلقاسم بوحجار القاطن بالقرب من واد بومرزاق الإشراف على بعض الملكيات الوقفية، أما بالأرياف فقد توسعت الأملاك الموقوفة بسبب شراء البايات وأصحاب النفوذ للأراضي ووقفها للصالح العام سواء الوقف الذري¹ أو الأهلي²، مع استمرار الانتفاع منه مع تعاقب الأجيال إلى انقطاع العقب، أو على شكل وقف خيرى تعود فائدته إلى المؤسسة التي حبس عليها³. وعلى الرغم من القوانين التي تضبط الوقف إلا أن تدخل السلطات يبقى موجودا على غرار ما فعله صالح باي بعد أن وصل إلى مسامحة تقصير الوكلاء و الفساد الذي حل بأوقاف المساجد والإهمال الذي طالها بقسنطينة، فأمر الباي بضبط الأمور، ووضع سجلات يشرف عليها القضاة والمفتون، وأمرهم بالتحري عن الأوقاف التي انقرضت أو في حالة إهمال، ومحاسبة الوكلاء كل ستة أشهر، وأوكل للمجلس العلمي بالنظر في شؤون الأوقاف والفائض منها في كل سنة، واستغلال الفائض لشراء أوقاف جديدة⁴، انتشرت الأراضي الموقوفة وتوسعت خلال الفترة العثمانية، حيث شكلت مع مطلع القرن الثامن عشر إحدى أكبر الملكيات، لا يضاهاها من حيث الاتساع سوى ملكيات الدولة أو الملكيات المشاعة، حيث شكل مدخولها في الربع الأول للقرن التاسع عشر نصف ما تدره كل الأراضي الزراعية في الجزائر⁵.

¹ والمقصود به أن تحبس عوائد الأملاك لشخص أو عدة أشخاص من أهل و أقرباء المالك، وبعد وفاة الجهات الموقف عليها يعود الوقف إلى الفقراء. ينظر: عليوان اسعيد، أوقاف الجزائر في العهد العثماني ومساهمتها الاجتماعية والثقافية، مجلة الإحياء، مج 09، ع 01، جامعة باتنة، 2007، ص ص 296-297.

² يقدم هذا النوع من الوقف خدمات مباشرة للوجوه التي أوقفت هذه الأملاك من أجلها. ينظر: صالح محمد طالب، دور الوقف في الحركة الثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني وموقف الاحتلال الفرنسي منه، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 03، ع 02، جامعة تيارت، 2020، ص 242.

³ فلة القشاعي، النظام الضريبي...، المرجع السابق، ص 108.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، ص 229.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية...، المرجع السابق، ص 53.

1-5. أراضي الموات:

يقصد بها الأراضي الغير مستغلة أو الغير صالحة للزراعة، انتشر هذا النوع من الأراضي في الفترة الأخيرة من التواجد العثماني، مع التحول الذي ميز سكان الأرياف بانتقالهم من ممارسة الفلاحة إلى امتهان نشاط الرعي¹، على الرغم من قدرتهم على تملك هذه الأراضي مقابل استغلالها²، كما أنها تشمل الغابات والمروج ضعيفة المردودية الزراعية، تستخدم في الغالب كمراعي لقطعان الحيوانات، مما يساعد السكان على استغلال هذه الأراضي رفقة مواشهم والتنقل داخلها بكل حرية، تقدر مساحتها بحوالي 2 مليون هكتار³، يعرفها عبد القادر نور الدين على أنها الأراضي التي لا يملكها أحد ولم ينتفع بها، وفي الغالب تكون في أماكن معزولة عن السكان بعيدة عن العمارة، تبقى في ملك الدولة إذا لم يستطع احد إحياءها⁴.

2- الإصلاحات الزراعية لصالح باي ببايلك الشرق:

اهتم صالح باي بتطوير الجانب الزراعي بالبايلك، حيث قام بالعديد من الإصلاحات في هذا الجانب يذكرها فايسات بالقول " وفي الحامة نشر زراعة الرز، وأنشأ ناعورة تحت الموضع الذي توجد فيه حالياً مطحنة تراكلي، وذلك لسقي حقول الرز التي أسسها بنفسه في ذلك المكان، وفي عنابة أسس حبوسا خصصت عائذاتها إلى أعمال حفر وصيانة قنوات موجهة لاستيعاب مياه السهل الراكدة وصبها في وادي سيبوس، بالإضافة إلى أنه تنازل عن مصبات المياه لطالبيها مع تصاريح ببناء طاحونات"⁵ ،

¹ من الأسباب التي جعلت أهالي أرياف البايك ينتقلون من الزراعة إلى امتهان نشاط الرعي، السياسة التي انتهجها الحكام في هذه الفترة، والمتمثلة في فرضها ضرائب باهظة على الفلاحين جعلت من استغلال الأراضي عديم الفائدة، كما أن الحملات المتكررة للبايات، وانتهاجهم أسلوب القوة، لتحصيل الضرائب المستحقة، عن طريق مصادرة المحاصيل الزراعية، أو حرقها للضغط على القبائل لإخضاعها لسلطة البايك.

² ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية....، المرجع السابق، ص86.

³ Souhib Cenouf, *La propriété Foncière en Algérie (1830-1871)*.Revue des Médias et Société, Volume 02, N03.Algérie, 2018, P102.

⁴ عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص152.

⁵ أوجان فايسات، المصدر السابق، ص169.

كما منح العائلات قطع الأراضي مشكلا بذلك قبائل الزمول، وتحويله لكامل إقليم السفنية والكرشة المعروف بأراضيه الزراعية الخصبة إلى عزل، موكلا لخدمة هذه الأراضي سكان السفنية، وجعلها مكانا لتربية وتكاثر خيول البايك¹.

عرف صالح باي بتشجيعه وولعه بغرس الأشجار، ووعده بمنح ريال لكل من يغرس شجرة ومائة ريال لمن يغرس مائة شجرة²، كما شجع الفلاحين على زراعة أشجار الزيتون، و استصلح ضفاف وادي السيوس لزراعتها، وشيد منزلا ريفيا داخل مزرعته النموذجية والذي عرف بسيدي محمد الغراب³.

كما فرض ضريبة موحدة عرفت "بالجبري"، بدلا عن الضرائب المختلفة التي أرهقت الفلاحين، وساهمت في عزوفهم عن استغلال أراضيهم لارتفاع الجباية وقلة المردودية، موكلا مهمة جمع الضرائب لقائدي جبري، واحد للجهة الشرقية والآخر للجهة الغربية، كما قام ببناء مخازن لحفظ المنتجات الفلاحية قبل نقلها إلى قسنطينة، أو تصديرها عبر موانئ، عنابة، سطورة، القل، القالة⁴.

3- أساليب ووسائل الزراعة في ريف بايلك الشرق:

عرفت الفلاحة خلال العهد العثماني، تدني في المستوى التقني لوسائل الإنتاج، على غرار استعمال المحراث والمنجل اللذين يعودان إلى حقبات سابقة، ولم يخضعا لأي تطوير، إضافة الى استغلال الأهالي لأراضيهم وفق نظام الدوريتين أي زراعتها لسنة وتركها تستريح لسنة أخرى، كما انتشرت الملكية الجماعية للأراضي الزراعية والاستغلال المشترك لوسائل الإنتاج⁵.

¹ أوجان فايسات، المصدر السابق، ص170.

² جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية و أثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني(1771-1837م/1185-1253هـ)، أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة قسنطينة، 2012، ص24.

³ محمد الصالح ابن العنتري ، فريدة منسية ..،المصدر السابق، ص 64.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص336.

⁵ صالح عباد، المرجع السابق، ص 335.

ومن العادات المعروفة عند قبائل جيجل القيام بحرق الأراضي لتجديد الأراضي وزيادة خصوبة التربة والتخلص من الأشجار اليابسة، وهو نوع من الفلاحة عرف لدى القبائل بالكسير، حيث تترك الأرض لمدة ثلاث سنوات، ومن ثم يعاد استصلاحها وتسميدها لتستغل في السنة الرابعة¹، كما يعتمد في تسميد التربة على فضلات الحيوانات، والحشائش والأوراق اليابسة، كما يعتمد الفلاحون إلى إراحة الأرض باستغلالها سنة وتترك للسنة الأخرى من غير فلاحة لتستغل كمرعى لحيواناتهم²، يضيف نور الدين عبد القادر أن سماد الأرض يتكون من غبار الحيوانات إضافة إلى رماد الأشواك التي تحرق بعد الحصاد والدرس وجني المحصول، كما تترك الأرض لسنة أو سنتين حتى تتقوى وتستعيد مردوديتها، وتترك الحيوانات ترعى بها كسماد لها³.

كما يستعمل السكان أجود البذور للحصول على مردود جيد، وفي العادة تقليب الأرض مرتين، يتم حرث الأرض عند سقوط الأمطار وتبلل الأرض بما فيه الكفاية وبعد أن تترك الأرض لمدة أسبوعين يتم نثر الحبوب وتغطيتها على الفور بالمحراث أما بالنسبة للشعير فيزرع بعد اثني عشر إلى خمسة عشر يوم من زراعة القمح مع تقليب الأرض لمرة واحدة عكس القمح⁴.

أما بالنسبة لموسم زرع القمح الصلب فيذكر سبنسر أن الحرث يبدأ في العادة وسط أكتوبر، بعد سقوط أمطار الخريف، أما بالنسبة للحصاد فمع أواخر ماي أو بداية جوان، كما أن مردودية الموسم الفلاحي مرتبطة بتساقط أمطار الربيع من عدمه شهر أفريل، مع الاختلاف هل هناك موسم واحد لحصاد أو موسمين مع الاتفاق فيما يخص المردود فقد كان بشلان ونصف البشل⁵ كافيان لزراعة ايكز من الأرض حيث يتراوح المردود بين

¹ شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص61.

² يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، ع 80، الجزائر، 1984، ص164.

³ عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص280.

⁴ Peyssonnel et Desfontaines, Voyage..Op.cit, pp281-282.

⁵ يعتبر من أدوات القياس المستخدمة لوزن الأحجام الجافة كالشعير والذرة والقمح، لا زال يستخدم كوحدة عالمية للوزن، للوزن، لكل بوشل وزن وسعر محدد، كما يختلف وزن البوشل بين سلعة وأخرى.

ينظر: الموقع الإلكتروني <https://mhtwyat.com> _ اليوم: 2024/02/07، الساعة 12:03.

ثمانية إلى اثني عشرة في العادة¹ ، يضيف بايسونال أن المرحلة الأولى من الحرث في شمال الصحراء تتم بعد سقوط الأمطار في شهر نوفمبر لتروي الأرض العطشى بفعل حرارة الصيف، ومع ذلك يحدث أن يتأجل الحرث لغاية شهر ديسمبر أو شهر جانفي، وذلك لأن الحرث مرتبط بتساقط الأمطار، أما الحرث فيكون عن طريق الخيول أو البغال أو الثيران وحتى الإبل، يشير إلى أن المحراث المستعمل بدون عجلات مكون من خمسة أجزاء رئيسية، قطعة واحدة مقوسة على شكل زوايا قائمة تشكل الجسم، الجزء الخلفي يعمل كمقبض بسيط، بينما الجزء السفلي مخصص، لتثبيت قضيب الجر المحدب قليلا، ومائل في نهايته السفلية ليتناسب مع هيكل المحراث، يتم تثبيته بواسطة إسفين كبير من الخشب، يتم ثقبه في الجزء الأمامي بأربعة ثقوب، حيث يتم العمود الذي يعتمد عليه جهد الثيران، بحيث أن حركة العمود للأمام والخلف، هي من تحدد عمق الحرث من عدمه، أما القطعة الثالثة فهي عريضة ومحدبة، تأخذ شكل مجرفة عريضة، بينما تتكون القطعتان الرابعة والخامسة من قطعتين من الخشب موضوعتين في الأسفل بزواوية حادة على كل جانب من الجزء السفلي من هيكل المحراث، يتم استخدامها لقلب الأرض التي قسمها المحراث إلى اليمين واليسار، يشير إلى أن هذا المحراث أقل فائدة من المحارث الأخرى، لأنه لا يؤثر على الأرض بشكل كاف، فأعمق حرث من الممكن أن يصل له لن يتجاوز ما بين بين خمس أو ست أصابع².

أما بمناطق زواوة فيعتبر اليوم الأول للحرث مناسبة للفرح لدى السكان، حيث يقوم سكان كل قرية بذبح ثور احتفالاً بالمناسبة، مع تقديم ما يستطيعون من الخبز والطعام للفقراء، كما يعتمد ملاك الأراضي لتقديم الخبز والفطائر لعمالهم وعائلاتهم، أما بعد اليوم الثالث فيقدم لهم الكسكي الغليظ أو ما يعرف بالبركوكس³، كما استغلت الأرض بمنطقة

¹ وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، [د.ط.]، الجزائر، 2006، ص143.

² Peyssonnel et Desfontaines, Voyage ...Op.Cit, pp266-267.

³ أ.هانوتو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص ص 604-605.

جيجل بطريقة بدائية استعمل فيه المحراث الخشبي والفأس والمنجل، والطرق البدائية للسقى رغم توفر مياه الينابيع والوديان¹.

ينتقل سكان الريف بحثا عن الماء والكلأ لماشيتهم تاركين خلفهم أراضيهم التي قاموا بزراعتها بعد حرق النباتات وحرارتها في سبتمبر وأكتوبر وجانفي ليعودوا إلى أراضيهم التي تركوها سابقا بعد انتقالهم من مرعى إلى آخر مع نهاية ماي وبداية جانفي لحصاد أرضهم، حيث يتم استعمال المناجل للحصاد، لتجمع المحاصيل وتأخذ إلى مكان الدرس الذي يستعمل فيه بين خمسة وستة بغال يتحركون بشكل دائري بعد أن يربطوا في عمود يتوسط مكان الدرس، وبعد ذلك تصفى بالمذرة وتخزن بأحكام في المطامير السرية لوقت الحاجة، أما بالنسبة للمناطق التي تفتقد إلى المطاحن الكبيرة، فتستعمل مطاحن صغيرة، مكونة من حجرين فوق بعضهم البعض، يدار العلوي بقضيب خشبي في حين يبقى الحجر السفلي ثابتا بالتزامن مع رمي الحبوب من ثقب في الحجر العلوي، في عملية تنتهي بغرلة الطحين من طرف النساء².

أما بايسونال فيذكر أن المنجل المستخدم في المنطقة يختلف عن الموجود في أوروبا، فهو أصغر حجما، ومنحني من الوسط، ولا يقطع السنابل إلا بعد انحنائه إلى الحافة³، كما أن القبائل استغلت مناجم الحديد الموجودة في المنطقة لصنع مستلزماتهم الفلاحية كالمشاديب والفؤوس وآلات الحرث والحصاد، أما سكان السهول فيصنعون آلات الحرث من الخشب إذا تعذر عليهم الحصول عليها من القبائل أو سكان المدن⁴، كما يجذب سوق مدينة بجاية العديد من القبائل المجاورة التي تلتقي كل يوم يعقد فيه السوق لعرض سلعها المتنوعة، كما تزدهر تجارة الأدوات الزراعية لدى السكان بشكل كبير، وخاصة

¹ علي خنوف، المرجع السابق، ص 94.

² فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص ص89-90.

³ Peyssonnel et Desfontaines, Voyage..Op.cit, p277.

⁴ أندري برشيان، أندري نوشي، ايف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطبولي رابح و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، [د.ط.]، الجزائر، 1984، ص 149.

المحاريث والمجارف والأدوات الزراعية الأخرى، التي قاموا بتشكيلها بالحديد من المناجم المحيطة¹.

أما طريقة الدرس التي يعمل بها السكان فهي أفضل وأسرع من الطريقة الأوربية، إلا أنها أقل نظافة، حيث يتم الدرس وإلقائها في الهواء بالمجرفة الخشبية عكس اتجاه الريح، ليصفي ويحتفظ به في المطامير، يذكر شو أنه رأى مائتين أو ثلاثمائة من المطامير مع بعض، أصغرها به أربعمئة بوشل من القمح²، الأمر نفسه يشير له بايسونال بالقول، إنهم يرمون القمح بعيدا عن الريح ليم تصفيته من الشوائب، لتعمل النسوة في مرحلة أخرى قبل طحنه، بنزع الحجارة ومختلف الأجسام التي تبقّت بعد تصفيته بالرياح³.

بالنسبة لطريقة تخزين الحبوب، فتمثل أساسا في المطامير، والتي هي عبارة عن حفرة كبيرة في منطقة مرتفعة وجافة، تأخذ الشكل المقرب مع فتحة ضيقة في الأعلى، تكفي لتخزين من ثلاثة إلى أربعمئة حمولة من القمح، يتم غلقها بعد امتلائها بحجر كبير⁴، كما يلجأ سكان الأرياف إلى تجميع أكوام القش والتبن بغية تخزينها لاستعمالها عند الحاجة خاصة في حالة الحرب أو إذا كان الموسم سيئا، حيث يتم اختيار المكان بالقرب من القرى لحمايتها مع الحرص على تغطيتها جيدا بالقش و أوراق الديدس⁵.

بالنسبة لمناطق زواوة ولقلة المساحة المخصصة لزراعة القمح وضيقها، فيتم الحرث على الخطوط الأساسية، بينما يستعمل المعول للخطوط الثانوية، يذكر فلاحوا المنطقة أن استعمال المحراث يوفر جهد أكثر من عشرة أشخاص إلا أن استعمال المحراث تقابله مشاكل انزلاق التربة، كما أن المحصول قليل إذا ما قورن بالجهد المبذول، والأمر نفسه ينعكس على استعمال المعول فالمردودية ضعيفة جدا⁶.

¹ Thomas shaw, **Voyage dans la régence...**Op.Cit.p333.

² طوماس شو، المصدر السابق، ص 13.

³ Peyssonnel et Desfontaines. **Voyage ...**Op.Cit, p278.

⁴ Ibid, p279.

⁵ C.Devaux,Les kabailles du djedjera. **Études nouvelles..** Op.cit, P129.

⁶ إ. كاريت، الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840، 1841، 1842، دراسة بلاد القبائل-1، تر: حمزة الأمين يحيواوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ج3، طبعة خاصة، الجزائر، 2016، ص ص 200-201.

يتكون المحراث المستعمل بمناطق جرجرة من ثلاث قطع خشبية، تتمثل في القاعدة والتي تتكون من الجزء الذي يحمل السكة، تعرف بلسان المحراث، يلحق به مقبض للاستعمال اليدوي، إضافة إلى القطعة الطويلة التي تربط بين القاعدة و النير¹، هذا الأخير الذي يثبت بواسطة حبال من الحلفاء على عنق الثور مع إرفاقه بوسادات لتفادي إيذاء الثور²، كما أن هذا المحراث يناسب الطبيعة الجبلية للمنطقة ذات التربة الخفيفة، مع تنوع حجم أخشابه على حسب نوعية الأرض، كما أنه لا يصلح لتربة المناطق السهلية³.

الوضع العام لهذه المناطق متقلب بين السلم والحرب يؤثر على ممارسة النشاط الزراعي، فقبيلة بني مليكش لا يمكنها ممارسة الزراعة إلا إذا كانوا في حالة سلام مع جيرانهم قبيلة بني عباس، ما يضطر القبائل في المنطقة إلى الاكتفاء بزراعة المناطق الجبلية في حالة عدم استقرار الوضع⁴.

يعتمد سكان الواحات الصحراوية وبلاد القبائل، والأوراس على الزراعة ذات الطوابق، حيث يجمع السكان بين زراعة الحبوب والخضر، وذلك لقلة المساحات الصالحة للزراعة⁵. للزراعة⁵.

3-1- طرق السقي في أرياف البايك:

أما فيما يخص طرق السقي في الصحراء فقد اعتمد السكان في ذلك على مياه الآبار وهذا ما يذكره ابن خلدون في قوله" وفي هذه البلاد الصحراوية غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلال المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة، فتتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها من الحديد تكسر طبقتها على الماء، فينبعث

¹ القطعة التي توضع على عنق الثورين.

² أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص ص 605-606.

³ المرجع نفسه، ص 607.

⁴ إ. كاريت، المصدر السابق، ج3، ص 212.

⁵ يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية ...، المرجع السابق، ص166.

صاعدا فيعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا، ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء، وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتكرارين وواركلا وريغ¹.

أما بالنسبة للمناطق الواقعة على أطراف الصحراء فلا تعتمد كليا على الأمطار بسبب التساقط القليل، حيث يلجأ السكان إلى سقي محاصيلهم عن طريق السواقي، حيث تنقل المياه إلى الأراضي المقسمة على شكل مربعات، ويتم سقي القمح من خمس إلى ست مرات من بداية زرعها إلى غاية تشكله في السنابل، مع الاستمرار في سقي المحصول دوريا كل ثلاث أو أربعة أيام².

يصف الوزان طريقة السقي في مدينة البرج البعيدة عن بسكرة بقوله " ونظرا لقلّة الماء بها فان كل فلاح على انفراد يجلب الماء إلى حقله ساعة أو ساعتين من نهار حسب سعة أرضه وذلك من القناة التي تمد الحقول، ولهؤلاء الفلاحين ساعات مائة يملؤونها، وعندما تفرغ يكون وقت السقي المخصص لهم قد انتهى، ولا يحق للمستفيد من الماء أن يحتفظ به حينئذ، وكثيرا ما تهيج الخصومات بينهم بسبب ذلك ويسقط القتلى"³.

كما جاء في إحدى النوازل أن استغلال المياه في الأرياف يتم بصفة مشتركة، حيث يتم تقسيم اليوم إلى خمس فترات يتناوب عليها ملاك الأراضي من الفجر إلى الضحى، ومن الزوال إلى العصر، ومن المغرب حتى الليل، ليستمر هذا النظام طيلة الأسبوع⁴.

أما ببسكرة فعمل صالح باي على إصلاح ومراقبة نظام الرأي وذلك بإنشاء حصن يسمى برج الترك لمراقبة مجرى المياه، وتوزيعها على حسب السكان والنشاط الزراعي في كل ضاحية، حيث تعددت السواقي وأسمائها مثل، الساقية المسيدية، الساقية الدربية،

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ... ، المصدر السابق، ص ص 77-78.

² Peyssonnel et Desfontaines. Voyage..Op.cit. p269.

³ الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المصدر السابق، ج2، ص 139.

⁴ اسماعيل بركات، الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني(ت883هـ/1478م) ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة قسنطينة، 2010، ص41.

الساقية القداشية، الساقية الفلياشية، كما تم مراقبة حصص استهلاك المياه "المشكودة"¹ من طرف موظف يسمى "جراي الماء" المعين من طرف مستشار القايد لضبط توزيع المياه على المزارعين مقابل تسديدهم لحقوق سقي أراضيهم².

رابعا: الإنتاج الزراعي:

على الرغم من بساطة النشاط الزراعي خلال العهد العثماني، إلا أن أرياف البايك عرفت تنوعا في الإنتاج الزراعي، والذي تحكمت فيه العديد من الأسباب من أهمها نوعية التربة وطبيعة المناخ، فالأراضي الفقيرة خصت لزراعة الشعير بينما استغلت الأراضي الرطبة لزراعة البقول والذرة، بينما انتشرت زراعة الأشجار المثمرة في المناطق الجبلية الصعبة³، تنافست العائلات الكبيرة في قسنطينة لامتلاك أكبر عدد من البساتين كمظهر من مظاهر الثراء والمكانة الاجتماعية المرموقة، خاصة الضيعات الموجودة خارج المدينة بمنطقة الحامة المعروفة بتسمية الفحص الأبيض، هذه المنطقة التي تميزت بخصوبة أراضيها وتزويدها المدينة بالغلل والبقول والخضر والألبان واللحوم⁴، كما عرفت جبال الأوراس التي تمتد إلى ما وراء جبال حركات، والتي هي عبارة عن مجموعة من الجبال باستغلال السكان لها في الزراعة من قاعدتها إلى قممها لخصوبة أراضيها، حيث اعتبرت السلة الغذائية للسلطة⁵.

¹ مؤشر تدفق المياه والذي هو عبارة عن وعاء دائري على شكل قدر صغير من النحاس بقاعدته ثقب صغير جدا، يوضع من طرف مراقب على سطح ماء مملوء في جرة من الصلصال متوازنة إلى أن يمتلئ القدر المذكور سلفا ببطء من خلال توغل الماء فيه حتى يغمر في الجرة ليعلن جراي الماء بصوت مرتفع عن مشكودة تامة أمام المساعدين الموكلين من قبل طالب الماء. ينظر: عبد الحميد زردوم، المرجع السابق، ص 49.

² المرجع نفسه، ص ص 44-49.

³ ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي، الجزائر في ...، المرجع السابق، ص 58.

⁴ أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام...، المرجع السابق، ص 24.

⁵ Thomas shaw, Voyage dans la régence...Op.Cit, p366.

1-الحبوب:

يذكر الفاسي أن الأراضي المحيطة بمدينة قسنطينة كلها صالحة للزراعة، تتميز بالإنتاجية العالية إذ يبلغ ثلاثين ضعف ما يزرع فيها¹، يضيف شالر إلى أن السكان في الغالب يزرعون الحنطة والشعير، وهو ما جاء في قوله "والسكان قلما يزرعون أية حبوب أخرى غير الحنطة والشعير والكمية التي يزرعونها في الأكر² هي 5 بيكات يبلغ مردودها (على الرغم من حالة الزراعة البدائية) ما يتراوح ما بين 8 و 11 بيك"³.

تعتبر المنطقة الواقعة بين سطيف و قالمة المنطقة الرئيسية للحبوب، و ناحية واد الزناتي أخصبها⁴، ومن أهم أنواع الحبوب المنتجة القمح بنوعيه الصلب واللين⁵، أما بالنسبة للأول فهو الغذاء الأساسي للسكان، يزرع بشكل كبير في الشرق الجزائري نظرا لتوفر الظروف الطبيعية المناسبة، كالتربة المتماسكة، والتساقط المطري الكبير، له عدة أنواع كالبيدي والزناتي والبسكري والملياني، بينما يزرع الشعير في المناطق الجبلية شديدة الانحدار، أما بقية أنواع الحبوب كالقمح اللين والشيلم وغيرها فتزرع في مناطق الغرب الجزائري بشكل أكبر لتوفر الظروف الملائمة لزراعتها⁶.

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 58.

² كلمة مشتقة من اللغة الانجليزية القديمة، وهي وحدة قياس مساحة الأراضي الزراعية يساويها في اللغة العربية الفدان، استخدمت العديد من وحدات القياس في أوروبا مع اختلاف قيمتها، فعلى سبيل المثال يساوي الأكر الفرنسي حوالي 4221 متر مربع.

ينظر: الموقع الإلكتروني <https://3arf.org/wiki> اليوم: 2024/02/06، الساعة: 16:35.

³ ويليام شالر، المصدر السابق، ص29.

⁴ صالح عباد، المرجع السابق، ص336.

⁵ القمح نبات نجلي، يعتبر من أهم المحاصيل الزراعية لغناه بالمواد الغذائية، إضافة إلى انتشاره في نطاقات جغرافية جغرافية مختلفة، وذلك تبعا لخصائص المناخ، فهو من الزراعات الأكثر انتشارا وتوسعا في العالم، ينقسم القمح الى نوعين اللين والصلب، فالأول غني بالنشويات، يستعمل في العادة في تحضير الخبز بأنواعه، بينما الثاني فهو غني بالبروتينات، يستعمل عادة لصناعة العجائن والحلويات، وهو الأكثر طلبا في الأسواق العالمية. ينظر: ابراهيم أحمد سعيد، أسس الجغرافية البشرية والاقتصادية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، 1997، ص 133.

⁶ عبد القادر علي حليمي، المرجع السابق، ص 182-183.

عمل صالح باي على تحويل كامل إقليمي الفسقية و الكرشة إلى أراضي عزل، حيث ملأ إنتاجهما من الحبوب خلال موسم الحصاد كل المخازن الكبيرة الموجودة بالبرج، حيث تم تخصيص الشعير كعلف للخيل، بينما قسم إنتاج القمح بين الباي وقايد الزمالة وسياس الخيول والوقافين وحارس البرج(قايد البرج)¹.

لا تحتل زراعة الحبوب أولوية كبيرة في مناطق الصحراء، إلا أن هناك بعض مناطق على غرار ضفاف بعض الوديان التي تصب في بحيرة المسيلة، كما أن قبيلة النميلة التي تستغل سهل الفيض في الجزء الشرقي من واحة الزيبان استطاعت إنتاج الكثير من المحاصيل الزراعية، والتي يتم بيعها بمناطق الجنوب خاصة وادي سوف لحاجتهم للحبوب، مقابل التزود بالتمور والسلع المستقدمة من الأسواق التونسية، يشار إلى أن سهلي الفيض والحضنة هما الذين اشتهرا بزراعة الحبوب على عكس المناطق الأخرى من الصحراء². أما بالنسبة لأهم أنواع الحبوب التي تزرع في في شمال الصحراء فهي القمح والشعير والذرة والذرة الرفيعة³.

تقدر المساحة الصالحة لزراعة القمح بأرياف مدينة عنابة بأربعين ميلا طولا وخمسة عشرين ميلا عرضا، تستغلها قبيلة مرداس العربية في الزراعة وتربية الماشية، لها سوق أسبوعي يعقد بالجمعة خارج المدينة لتداول السلع، يباع فائض الإنتاج من القمح والزبد إلى السفن القادمة من مختلف السواحل مثل تونس وجربة وجنوة⁴، كما يذكر الوزان أن أهل تونس يتجنبون زراعة القمح خوفا من الاعتداءات لذلك عملوا على جلب أغلب احتياجاتهم من هذه المادة من عنابة⁵.

وهو ما ذكره هابنسترايت في رحلته من عنابة إلى قسنطينة، مشيرا إلى موسم الحصاد في الريف وما لاحظته من أعداد لا تحصى من أكوام القمح، وأن عملية الدرس تتم في

¹ أوجان فايسات، المصدر السابق، ص170.

² إ. كاريت ، المصدر السابق، ج6، ص ص 196-197.

³ Peyssonnel et Desfontaines, Voyage..Op.cit, p266.

⁴ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص62.

⁵ المصدر نفسه، ص 75.

الفصل الثالث:..... الزراعة و مقوماتها في ريف بايلك الشرق

نفس الحقول التي يتم زراعتها¹، كما أن البند الملحق لسنة 1731م المتعلق باتفاقية الباستيون لسنة 1695م يوضح لنا كمية القمح المصدر من عنابة " .بمائتي قفيز من القمح من بونة، حسب العادة وبسعر عشرة قروش قسنطينية للقفيز، كما هو سعر بيعه في مدينة بونة.."²

تستغل قبيلة أولاد دراج سهول الحضنة العظيمة والخصبة في النشاط الزراعي، هذه القبيلة التي تعتبر من أكبر القبائل في المنطقة، فعلى الرغم من قساوة المناخ بحكم وقوع المنطقة على أطراف الصحراء، والجفاف الذي ميزها استطاعت هذه القبيلة تنويع مصادر السقي لديها خاصة استغلال مياه الأودية للحصول على إنتاج وفير للغاية³، كما تنتشر السهول الصالحة لزراعة القمح بمنطقة نقاوس⁴.

عملت السلطة العثمانية على التحكم في زراعة الحبوب ومراقبة الأراضي المنتجة لها نظرا للأهمية التي تكتسبها كمادة أساسية في شقيها الخاص بالاستهلاك المحلي من جهة وللتصدير الخارجي من جهة أخرى، لاسيما السيطرة على مناطق إنتاج الحبوب بضواحي مدينة عنابة حيث قدرت الأراضي التي يملكها البايك في القطاع الشرقي في أواخر العهد العثماني ب 4800جابدة⁵،

يشير الشريف الإدريسي إلى انتشار مزارع الحنطة والشعير في فحوص قسنطينة في قوله "والقسنطينة من أحسن بلاد الله وهي مطلة على فحوص متصلة ولها مزارع الحنطة والشعير الممتدة في جميع جهاتها ولها في داخل المدينة ومع سورها مسقى يستقون منه ويتصرفون به عند أوقات الحصار لها ممن طرقها"⁶.

¹ ج.او. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 77.

² جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، طبعة خاصة، [د.ط.]، الجزائر، 2007، ص330.

³ Thomas shaw, Voyage dans la régence...Op.Cit, p389.

⁴ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 53.

⁵ ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ ...، المرجع السابق، ص58.

⁶ الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 266.

تتحكم عدة أسباب في إنتاج القمح خلال العهد العثماني، فعلى الرغم من اعتماد السكان على الوسائل البسيطة في استغلال الأرض، إلا أن أهم الأسباب التي تؤدي إلى زيادة الإنتاج هو اعتمادهم في الغالب على مياه الأمطار للسقي فهي تتناسب طرديا مع الحصاد الوفير، فكلما زاد التساقط خلال فصل الشتاء واستمرارها إلى غاية بداية شهر ماي ارتفع إنتاج الأراضي الزراعية، والعكس ففي مواسم الجفاف تذبذب المحاصيل الزراعية ويتراجع الإنتاج¹.

كما أن القمح المنتج في الجزائر يختلف عن ما هو موجود في أوروبا، و نلاحظ حتى الاختلاف الموجود بين نوعية القمح المنتج في قسنطينة وفي المنطقة الغربية، فطحن ثمانين رطلا من القمح الجيد في قسنطينة يعطي 70 رطلا من السميد إضافة إلى 4 طحين و6 نخالة وأن 30 رطلا من هذا السميد ينتج حوالي 40 رطلا من الخبز الأبيض الجيد جدا، أما بالنسبة لقمح المنطقة الغربية من البلاد فإنه يحتوي على طحين أكثر بقليل من ذلك الموجود بقسنطينة، وبالتالي فهو أقل قيمة، لاسيما أن 70 رطلا من القمح الجيد بمنطقة معسكر يعطي 43 رطلا ونصف من السميد، و 11 رطل ونصف من الدقيق، و14 من النخالة، و29 رطلا من السميد ينتج حوالي 37 رطلا من الخبز الأبيض، هذا الاختلاف الذي من الممكن أن يرجع إلى انخفاض وارتفاع درجة الحرارة، وجفاف ورطوبة الجو بين سنة وأخرى².

أما بالنسبة لمردودية الهكتار الواحد فيذكر بوعزيز أن الهكتار الواحد يعطي ما بين قنطار واحد إلى عشرة قناطير، وذلك يرجع إلى اختلاف وتنوع الشروط الملائمة للزراعة بين مختلف المناطق، كخصوبة التربة، وكمية التساقط المطري، مشيرا إلى أن المناطق الجبلية في الغالب تستغل لزراعة علف المواشي بسبب فقر التربة وضعف إنتاجها³. يذكر دوبارادي أن الحبوب المنتجة في بايلك قسنطينة من أجود وأحسن الحبوب، لا يضاهاها سوى قمح سردينيا، وعموما يتميز القمح الصلب في الجزائر بالجودة والوفرة في

¹ Peyssonnel et Desfontaines. Voyage..Op.cit. pp268-269.

² Ibid, pp281-282.

³ يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية ...، المرجع السابق، ص164.

إنتاج الدقيق، المستخدم في صنع المعكرونة في جنوة، والبسكويت الذي يحمله البحارة عند خوضهم البحر¹.

فيما يخص طريقة تحضير القمح وتنقيته فيقوم المزارعون، بفصل القش عن القمح، ومن ثم يتم رميه بالمجارف بعيدا عكس اتجاه الريح ليتم تنقيته من الغبار والشوائب، كما تقوم النساء بنشر القمح على الطاولات والعمل على نزع الحجارة والأتربة التي لم تزلها الرياح في المرحلة الأولى².

بالنسبة لمنطقة زاوة إذا استثنينا الأماكن القاحلة والجرداء والمنحدرات والغابات والقرى وحقول الزيتون والتين والكروم والخروب والجوز، فإن المساحة المخصصة لزراعة الحبوب صغيرة وضيقة، تتركز عموما بالقرب من مجاري المياه، على امتداد أشربة ضيقة لا تغطي حاجيات السكان مما يدفعهم لشراء ما ينقصهم من القبائل العربية المجاورة، كما يلجأ السكان إلى خلط القمح مع طحين البلوط³ عند تحضير الخبز، إضافة إلى تعاونهم مع القبائل المحيطة في استغلال سهول الأخيرة لتوفير ما يحتاجونه⁴.

لا تنتشر زراعة الحبوب بشكل كبير في المناطق الصحراوية، فهي منحصرة في مناطق ضيقة، تستغل تقليديا بالسقي اليدوي واستعمال المعاول في الفلاحة، وذلك في أغلب مناطق وادي سوف وقرى الزيبان، وهذا لا ينفي وجود مناطق كسهلي الفيض و الحضنة تزدهر بهما زراعة الحبوب، أما مناطق وادي ريغ فهي أفضل وضعا بسبب توفر مياه الآبار، مما سهل استغلال الأراضي خارج أسوار المزارع وفي المساحات الموجودة داخل غابات النخيل، فبالنسبة للأولى فتمتد فترة الزراعة بين شهر أكتوبر

¹ فونتير دو بارادي، المصدر السابق، ص38.

² Peyssonnel et Desfontaines, Voyage..Op.cit, p278.

³ يلجأ السكان لعدم كفاية القمح إلى خلطه بطحين البلوط المنتشر بمنطقة القبائل بنوعيه الحلو والمر، إذ يتم تجفيف البلوط الحلو عادة بالفرن ومن ثم طحنه بالمطحنة اليدوية، ليتم خلطه مع القمح والشعير، وقد يضطر السكان إلى استعمال البلوط المر في حالة شح الإنتاج بعد تصفيته بالطريقة التقليدية، عبر وضع الطحين في الكسكاس ورشه بالماء، ليمر عبر ثقوبه آخذا اللون الأحمر في البداية، ثم يتم مزج الطحين بعد أن يأخذ اللون الشفاف مع طحين القمح. ينظر: إ. كاريت، المصدر السابق، ج3، ص ص 202-203.

⁴ المصدر نفسه، ص ص 200-201.

للحرت، وموسم الحصاد من أفريل إلى غاية نهاية شهر ماي، أما بالنسبة للزراعة داخل واحات النخيل فيبدأ الحرت في سبتمبر والحصاد في مارس وذلك لاستفادة هذه الأرض من مياه سقي النخيل في شهر سبتمبر¹.

أما بالنسبة لطريقة التخزين فيذكر نور الدين عبد القادر أن القمح الجزائري مطلوب في الخارج لا تسمح الحكومة بتصديره إلا برخصة منها، خصصت لتخزينه الكثير من المطامير في أماكن مختارة تحسبا لوقت الحاجة².

2- الخضر:

تختص القبائل المرابطية في بلاد جرجرة بزراعة الخضر، حيث تنتشر هذه الزراعة في المنطقة، وتستغل القطع الصغيرة المتبقية في زراعة القمح، وهذا لا ينفي عدم كفاية الخضر في المنطقة³، على الرغم من تنوع البساتين في المنطقة بين المسقية وغير المسقية، هذه الأخيرة التي تختص بها النساء والتي يزرع بها الخرشف إضافة إلى البصل والثوم والذرة والكسبر والقرع وغيرها، بينما تنتج المسقية منها الطماطم والذرة والكرنب والقرع و الخيار والفلفل الحار والبارد، كما يتم تجفيف الفلفل الحار وسحقه لبيعه في الأسواق كتوابل تلقى رواجاً كبيراً لدى سكان المناطق الأخرى⁴.

بينما انتشرت زراعة الخضر والبقول على ضفاف الأودية الجبلية بمنطقة جيجل على الرغم من ضيقها⁵، كما يذكر الأستاذ يحي بوعزيز أن زراعة الخضر تتركز بأحواض الأودية والبساتين المسقية بالساحل والمناطق الداخلية والجبلية، إضافة إلى المناطق الصحراوية الغنية بالموارد المائية، كما أن هناك بعض الخضر البعلية المسقية بمياه

¹ إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص 197.

² عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص279.

³ إ. كاريت، المصدر السابق، ج3، ص 274.

⁴ أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص 617.

⁵ علي خنوف، المرجع السابق، ص 94.

الأمطار فقط والمتمركزة بالهضاب والسهول العليا كاللوبياء، الجلبان، العدس، الحمص، الفول وغيرها¹.

3- الأشجار المثمرة:

3-1. أشجار الزيتون:

تنتشر زراعة الزيتون في ثلاث مناطق رئيسية في ريف بايلك الشرق، في بساتين بسكرة، والمنحدرات الجنوبية لجبل الأوراس، وجبال جرجرة، وأكثر الزيت طلبا المنتج بمنحدرات الأوراس، حيث تنتشر أشجار الزيتون بنواحي خيران وبلد أحمد أرض أولاد عمران وخاصة أراضي بني بربر، التي يوزع إنتاجها عن طريق مدينة خنقة سيدي ناجي وبلاد النمامشة وأسواق جبال الأوراس، أما أجود الزيوت فهي المنتجة ببسكرة وإن قلت كميتها، يغطي إنتاجها الزيبان ووادي ريغ وورقلة، أما وادي سوف فتتروذ بالزيت التونسية ببلاد الجريد².

تعتبر زيوت زاوية الأكثر وفرة حيث تنتشر غابات الزيتون بالمناطق الجبلية بين حمزة ودلس و بجاية، وأن من أكبر أسواق تصريف الزيت بالمنطقة سوق بني عباس حيث يشتري تجار بوسعادة الزيت ويبيعون الفائض عن حاجتهم لتجار أولاد نايل ليعيدوا بيعه بدورهم بمناطق ميزاب ليستمر في حركيته التجارية وصولا إلى أعماق الصحراء³، وهذا ما يؤكد دوفو بالقول أن مناطق وادي الساحل ووادي سيباو مناطق تنتشر بها أشجار الزيتون بكثافة، حيث تعتبر ثروة بالنسبة للسكان، يستخدمونه في طعامهم إضافة إلى كونه مصدرا للدخل في هذه المناطق، على الرغم من النوعية السيئة للزيت وطعمه الكريه مرجعا السبب إلى سوء تصنيع على الرغم من جودة الثمار⁴.

¹ يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية ...، المرجع السابق، ص ص165-166.

² إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص 185.

³ المرجع نفسه، ص ص 185-186.

⁴ C.Devaux, Les kabailles du djedjera, *Études nouvelles.. Op.cit*, p119.

كما أن السهول الواقعة بين جبال قسنطينة بداية من أطراف بجاية والممتدة على طول البحر المتوسط إلى القرب من عنابة مسافة حوالي مائة وثلاثين ميلا يميزها الإنتاج الوفير من الزيتون والتين الذي يمول مناطق قسنطينة والقالمة وجيجل¹.

تتميز المناطق الجبلية المحاذية لمدينة بجاية بخصوبة أراضيها وانتشار زراعة الزيتون²، كما تنتشر مزارع الزيتون، في المناطق الجبلية التي تخضع لسلطة القبائل المستقرة على ضفاف وديان السيوس وسبع عيون والزناتي³.

وعلى الرغم من أن الزراعة في منطقة جيجل معاشية أي أنها موجهة للاستهلاك العائلي، إلا أن إنتاج زيت الزيتون زاد عن حاجياتها فعمدت إلى بيعه في الأسواق أو مقايضته بالحبوب ما يدل على الإنتاج الوفير لهذه المادة⁴، إضافة إلى أن زيتون وزيت المنطقة يتم نقلهما إلى مدينتي بجاية والجزائر عن طريق البحر، كما يؤكد ذلك وجود مرسى الزيتون بالقرب من مصب وادي الزهور، بينما ينقل إلى عاصمة البايك برا⁵.

أما فيما يخص تحضير زيت الزيتون، فيتم وضع الزيتون في سلال ليتخمر لبضعة أيام على الأسطح أو الأماكن المفتوح ليتعرض لأشعة الشمس بغية تجفيفه من الماء الموجود به بكميات كبيرة، وتسهيل انفصال اللب عن النواة، بعد هذه المرحلة يوضع لب الزيتون في جرار موضوعة على الأرض لها فتحات في الأسفل، وتقوم النساء بدهسه بأرجلهن، ومن ثم يوضع العجين الناتج في قمع يسمى "الكسكاس"، ليتدفق منه الزيت تدريجيا في جرة وضعت في الأسفل لهذا الغرض، ويتم معالجة فيما بعد بالماء المغلي مع إزالة الشوائب العالقة⁶. كما أن القبائل التي تمتلك عددا كبيرا من أشجار الزيتون تمتلك معاصر خاصة بها، حيث يتم جمع الزيتون وتكديسه إلى غاية شهر مارس وذلك بهدف

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 103.

² ويليام شالر، المصدر السابق، ص37.

³ Thomas shaw, Voyage dans la régence...Op.Cit, pp373-374.

⁴ علي خنوف، المرجع السابق، ص 94.

⁵ صالح عباد، مدخل الى تاريخ جيجل من قبل التاريخ الى 1871، دار الألفية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013، ص 254.

⁶ C.Devaux, Les kabailes du djedjera, Études nouvelles.. Op.cit, pp119-120.

تجفيفه من المياه ليتبقى منه هذا الخليط المتماسك الذي يتم عصره بواسطة الرحي التي تتكون من جزأين عجلة الطحن والمكبس، هذه العجلة التي يتم استخراجها من طرف عمال متخصصين من جرجرة، وهي ثقيلة لكسر بعض النوى، يتم وصلها بعمود في وسط حجر كبير يوضع بشكل مسطح على كتلة صخرية بارتفاع 50سم، ومن ثم يحاط بحجر لمنع الزيتون من السقوط بعيدا عن حجر الرحي، أما المكبس فيكون على حوض خشبي أو حجري في أسفله ثقب مخصص لخروج الزيت، ومن ثم توضع السلال المصنوعة من الحلفاء المملوءة بمعجون الزيتون، ليتم عصرها للحصول أخيرا على الزيت الذي يعالج بالماء البارد، أما بخصوص سعر اللتر الواحد من الزيت فيقدر خلال العهد العثماني بين 18 إلى 25 سنتيما¹.

يشار إلى أن زيت الزيتون من أهم المنتجات الزراعية استهلاكا في مدينة الجزائر، حيث احتل المرتبة الثانية بعد الحبوب، يتركز إنتاجه في عدة مناطق وبالأخص منطقة جرجرة، تتنوع استعماله بين الطبخ والإنارة وصناعة الصابون².

أما فيما يخص أسعاره فتتفاوت بين الارتفاع والانخفاض، فيلاحظ ارتفاع أسعاره في الخريف قبل دخول الزيت الجديد وانخفاضه في الربيع وبداية الصيف، وعموما تتحكم في أسعاره عدة أسباب نذكر منها، زيادة استهلاكه خلال شهر رمضان والأعياد الدينية، وصول الزيت من تونس بكميات كبيرة المفروض كإتاوة خلال القرن 18م، استيلاء البحارة الجزائريين على سفن الزيت، أو توفر المواد البديلة على الزيت كالشحوم و الزبدة، وبالتالي تؤدي إلى انخفاض الأسعار، بينما ترتفع أسعار الزيت في حالة عدم الاستقرار وانتشار الفوضى والاضطراب مما يساهم في صعوبة وصوله إلى الأسواق³.

3-2. أشجار الفاكهة:

يذكر كاربخال عند وصفه لمدينة جيجل وأريافها غناها بالأشجار والمنتجات الزراعية في قوله "والجهات المحيطة بمدينة جيجل شديدة الجفاف إلى ما يسقى بالجداول،

¹ C.Devaux, Les kabailes du djedjra, *Études nouvelles..* Op.cit, pp121-122.

² المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص96.

³ المرجع نفسه، ص115.

ويأتي بها الشعير والكتان والقنب، وما عدا ذلك فأرض خصيبة، وعلى جنبات السواقي وعيون المياه أجنة بها أشجار التين والجوز تجفف ثمارها وتحمل قصد البيع من أماكن على امتداد الساحل إلى غاية مدينة تنس¹، أما بالنسبة لمدينة ميله يذكر الفاسي أن اسمها مشتق من التفاح، بالقول "بحيث أن اسم هذه المدينة مشتق-على ما أظن من الاسم اللاتيني ميله بمعنى التفاح كما يكثر فيها القمح أيضا"، أما نقاوس فمشهورة أيضا بأجود الفواكه كالجوز والتين هذا الأخير ينقل إلى قسنطينة².

تنتشر زراعة أشجار الجوز بمدينة تبسة على الرغم من قلة خصوبة تربتها، حيث أن المار من مسافة أربعة أميال أو خمسة يظن أنها وسط غابة من كثرة أشجار الجوز الكبيرة المنتشرة في المدينة³. كما أن مناخ المسيلة والمناطق المتاخمة للصحراء مناخ بارد، يصعب معه منضج التمور، مع إنتاج المنطقة للعديد من الفواكه بكميات وافرة كالخوخ و المشمش⁴.

يطلق السكان على مدينة عنابة بلاد العنب أو بلدة العناب وذلك لانتشار زراعة أشجار العنب في المنطقة بشكل كبير⁵، وهذا ما ذكره هابنسترايت عند وصفه للسهل الذي مر به عند مغادرة عنابة باتجاه قسنطينة وما رآه من أشجار البرتقال والعناب التي استمدت المدينة اسمها منه، مشيرا إلى كثافة الأشجار حولها وخصوبة أراضيها⁶.

يذكر توماس شو عند وصفه لمدينة ملاح الواقعة على بعد خمسة فراسخ إلى الشمال الغربي من قسنطينة، أنها محاطة بحدائق جميلة، إضافة إلى أن أراضيها خصبة ومسقية جيدا، خاصة مع وجود منبع وسط المدينة تتجمع مياهه في حوض مربع من العهد الروماني، تزود هذه الأراضي مدينة قسنطينة باحتياجاتها من الخضر والفواكه، لاسيما الرمان المعروف في أنحاء البلاد، وما يميزه من الحجم الكبير و الجودة العالية والمذاق

¹ مارمول كاربخال ، المصدر السابق، ج2، ص281.

² الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص ص 52-60

³ المصدر نفسه، ص 63.

⁴ Thomas shaw, Op.Cit, p390.

⁵ Ibid, p341.

⁶ ج.او. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 76-77.

الذي يجمع الحلو والحامض¹، إضافة إلى شهرة مدينة تاجيلت منذ القدم بوفرة الفواكه التي تنتجها².

كما أن التربة في بجاية غير صالحة لزراعة الحبوب، إلا أنها مناسبة لزراعة الأشجار المثمرة، حيث يوجد حول المدينة الكثير من البساتين الغنية بالأشجار المثمرة، من أهمها أشجار الجوز والتين³، وهذا ما يؤكد دوفو عند إشارته إلى رواج تجارة التين المجفف بمنطقة جرجرة وإنتاجه الوفير خلال الفترة الممتدة من سبتمبر إلى نوفمبر، إضافة إلى اشتهار بعض قبائل منطقة جرجرة بمشاتل أشجار التين، مشيرا إلى أن سعرها يتراوح ما بين العشرة والثلاثين سنتيما للقدم، وذلك حسب الحجم والفصل⁴، أما بالنسبة لطريقة تجفيف التين، فتتم في المناطق المنبسطة على مساند من القصب بينما يوضع في المناطق الجبلية على ورق الديس، ليترك مدة تتراوح بين سبعة وعشرة أيام حتى تجف الفاكهة ليتاح لهم تخزينها، بعد أن توضع في وسائل التخزين المتنوعة كالأكياس، السلال، الجرار، الجلود وغيرها، لتوجه في الأخير إلى البيع في الأسواق أو استعمالها للاستهلاك المحلي⁵، كما يشير إلى رواج تجارة العنب في مناطق جرجرة، وامتلاك العديد من القبائل لمزارع الكروم، على غرار حصول قبيلة آيت خلفون على دخل جيد من امتلاكها للكثير من الأراضي المزروعة بالكروم وممارستها لتجارة العنب والعنب المجفف⁶، إضافة إلى انتشار شجر الجوز والكستناء من النوع الجيد⁷.

كما نجد في إحدى الوثائق الخاصة بالمكتبة الوطنية، رسالة يطلب فيها على باي يطلب فيها إرسال أحد الأشخاص المتخصصين في زبر أشجار الكروم⁸، مما يدل على

¹ Thomas shaw, *Voyage dans la régence...*Op.cit,p357.

² Ibid, P383.

³ Pierre d'avity, *Description générale de l'Afrique. Seconde partie du monde. Avec tous ses empires. Royaumes. estats et républiques*, Paris, 1637, p 192.

⁴ C.Devaux, *Les kabailles du djedjera, Études nouvelles..* Op.cit. pp123-124.

⁵ Ibid, pp124-125.

⁶ Ibid,P125.

⁷ ويليام شالر، المصدر السابق، ص30.

⁸ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 97.

على انتشار زراعة العنب في أرياف البايك ، أما بالنسبة لمنطقة تقرت فتنشر بها أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة لا سيما التين والعنب والرمان والتفاح والمشماش¹.

3-4. أشجار النخيل:

تأخذ شجرة النخيل أهمية كبيرة لدى سكان الصحراء، باعتبارها مصدرا لقوتهم²، يشير يشير ويليام شالر إلى كثرة غابات النخيل وجودة إنتاجها بالقول "وغابات النخيل كثيرة في هذا البلد و التمور التي تنتج في المناطق المجاورة للصحراء لذيذة للغاية"³.

أما بالنسبة لطريقة غرس أشجار النخيل فيذكرها العياشي عند زيارته لمدينة سوف بالقول "أخبرني أهل البلد أنه ماذا أرادوا غرس النخل بحثوا في الأرض قليلا حتى يصلوا إلى الماء، فيغرسونها بحيث تكون أصولها في الماء، ثم يردون عليها الرمل فلا تحتاج إلى السقي أبدا، ويعالجونها بعد ذلك بأبعار الإبل وغيرها، فيضعونها في أصولها ولولا ذلك لماتت"، كما أن جل معيشتهم من التمر، وتمرهم من أحسن ثمار هذه البلاد⁴.

عمل بنو جلاب حكام تقرت خلال العهد العثمانية على تشجيع زراعة النخيل، حيث وصل عدد النخيل في تقرت إلى 300 ألف، معتمدين في سقيها على أكثر من 450 بئر ارتوازي، مع اهتمامهم بشق قنوات صرف المياه لاستعمالها في السقي⁵.

تصل شجرة النخيل لأوج إنتاجها في نهاية الثلاثين عام من عمرها، تبقى منتجة لمدة سبعين عاما أخرى، لتهلك قبل أن يصل عمرها مائتي سنة، تتطلب الرعاية بأن تسقى جيدا كل أربع أو خمسة أيام، إضافة إلى تشذيبها في الأسفل عند هرمها وبداية فروعها في الانخفاض، تتراوح مردودية شجرة النخيل في عز عطائها، ما يقارب الخمسة عشر أو العشرين عرجونا سنويا، يزن كل واحد مابين خمسة عشر إلى عشرين رطلا⁶.

¹ ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق ، ص99.

² Peyssonnel et Desfontaines, Voyage..Op.cit, P265.

³ ويليام شالر، المصدر السابق، ص30.

⁴ عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ج1، ص123.

⁵ الطيب بوسعد، المرجع السابق، ص ص442-443.

⁶ طوماس شو، المصدر السابق، ص 15.

تنتشر زراعة النخيل في العديد من مناطق البايك، لعل من أهمها إقليم الزاب شديد الحرارة، قليل المياه لا تصلح أراضيها لزراعة الحبوب، تكثر به واحات النخيل، كما أن أغلب إنتاجه من التمور¹، يضيف الدرعي أن بسكرة جمعت بين التل والصحراء، وأنها ذات نخل كثير، متنوعة الغلال كالزرع والزيتون والكتان، مشيراً إلى أنها تعرف ببسكرة النخيل²، كما أن الورتلاني عند زيارته لضريح الصحابي عقبة بن نافع ومسجده المدفون بمدينة سيدي عقبة يصف المنطقة بالقول " وهذه القرية كثيرة النخل والمزارع وهي على ماء حار وحلو عذب بارد في الصيف ومع ذلك فهي أرض حارة في الصحراء غير أن ماءها يأتي من الجبال مملوك لبعض أهل القرية ومن كان خارجها منها..³، إضافة إلى ذكره واحات منطقة الخنقة بقوله " والخنقة قرية مباركة طيبة ذات نخل وأشجار في وسط واد بين جبلين وقد قيل أنها تشبه مكة في وضعها"⁴، أما السجلماسي فيذكر عند مرور ركب الحج قرب سيدي خالد، إنتاج المنطقة للكثير من التمور، وأن أجودها يسمى الحرة⁵.

يضيف الوزان أن قسنطينة من أهم سواق التمور في المنطقة بقوله " ولا توجد مدينة افريقية يباع فيها التمر بثمن بخس كقسنطينة، إذ يمكن الحصول على ثمانية أرتال أو عشرة من التمر بثلاث "بايوتشيات" فقط"⁶.

تعتبر التمور في أرياف البايك خاصة المناطق الصحراوية والشبه الصحراوية الغذاء الأساسي للسكان، إضافة إلى أنها مادة أساسية للتبادل التجاري خاصة مع المناطق التالية، كما تستغل أشجار النخيل بعد موتها كحطب للتدفئة، و في أحيان أخرى كمادة أولية يستعملها أهل الصحراء لبناء مساكنهم، حيث يتم قص الجذع إلى نصفين لاستغلاله

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 138.

² أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية 1709-1710م، حققها وقدم لها عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص ص139-145.

³ الحسين بن محمد الورتيلاني، المصدر السابق، ص114.

⁴ المصدر نفسه، ص117.

⁵ أبي العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق ، ص201.

⁶ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق ، ج2، ص 56.

كعوارض لشد سطح البناء، ومن ثم يتم وضع الجريد فوق هذه العوارض، لتغطي في الأخير بالسعف¹.

- عسل النخيل(اللاقي):

يتم الحصول على هذا المشروب بقطع الجزء العلوي، لشجرة سليمة النمو، وتشكيلها من الأعلى على شكل قمع، لتتجمع السوائل في التجويف المعد سابقا بمعدل ست أو ثماني زجاجات يوميا، في الفترة بين ثمانية إلى خمسة عشر يوم الأولى، لتبدأ الكمية في التناقص تدريجيا، حتى يتم استنفاد المشروب نهائيا، لتذبل الشجرة وتستغل كخشب، أما بالنسبة للشراب المنتج فهو أحلى من العسل العادي إلا أنه سريع التلف².

هذا الشراب معروف جدا و يسمى اللاقي، أما مذاقه يشبه مذاق شراب اللوز، يزداد إنتاجه في الفترات الصباحية والمسائية، حيث تنتج النخلة الواحدة ما بين 15 و 16 لتر من اللاقي يوميا، إلا أنها لا تستطيع الصمود لأكثر من سنتين إذا استمر استنزافها، يتحول هذا السائل بسبب التخمر إلى مشروب مسكر، كما يصنع من التمر أيضا شراب العرق³.

يذكر الأغواطي وجود شراب اللاقي المعروف في مدينة تقرت بالقول " وهناك مشروب يسمى اللاقي وهو شائع بين سكان تقرت وهم يستخرجونه من فروع النخيل وذلك بقطعها والضغط عليها، فيحصل من ذلك على شراب يميل إلى اللون الأحمر وهو حلو كالشربات(المبردات)، وهذا الشراب يباع بمكاييل في الأسواق"⁴.

يقدم هذا الشراب في المناسبات الخاصة كحفلات الزفاف وعند ختان الأطفال، يصفه شو بالقول " ويشبه الشراب الذي يتم الحصول عليه بهذه الطريقة شراب صاف، وهو أحلى

¹ إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص 195.

² Thomas shaw, Voyage dans la régence...Op.Cit, p18.

³ إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص ص 194-195.

⁴ ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص101.

من العسل العادي، لكنه يصبح مرير أو يثخن قريبا من التقطير، ويتم استخراج نوع من الكراك، ورائحته مقبولة للغاية¹.

4- المحاصيل التجارية:

4-1- التبغ:

تنتج أرياف البايك الكثير من التبغ تختلف جودته بين منطقة وأخرى، تصدر كميات كبيرة منه إلى تونس وطرابلس، فالتبغ المنتج في مدينة عنابة يعتبر الأكثر جودة مقارنة بالتبغ المزروع بضواحي مدينة الجزائر، أما بالنسبة لسعره فيقدر ب2 موزونة للرطل من 16 أونصة مقطعة، وثلاث موزونات للتبغ ذو الجودة العالية، أما فما يخص أسعار الجملة فيباع على شكل لفات كل لفة مكونة من 100 حزمة تبلغ بحوالي الرطل، يختلف سعرها حسب جودته².

يزرع التبغ ببعض الواحات الصحراوية، فمنطقة وادي سوف تميزت بجودة إنتاجها من التبغ الممزوج بالأعشاب الطبيعية، ليصل القطار منه إلى ما لا يقل عن 20 بوجو نظرا لزيادة الطلب عليه بسبب نكهته الطيبة³، كما استطاعت قبيلة بني إسماعيل إنشاء صناعة خاصة بها معتمدة في ذلك على زراعة التبغ من النوع الجيد، مغطية في ذلك استهلاك منطقة أقبو⁴.

4-2. الشمع والفحم:

لا يستعمل الشمع بشكل كبير في الأرياف بسبب طبيعة عيش السكان بسبب وتناولهم الأكل قبل غروب الشمس إضافة إلى أنهم يستغلون الحطب للإنارة والتدفئة، حيث يصدر من عنابة إلى الدول الأوربية من ثلاثمائة إلى أربعمئة قنطار⁵، كما يذكر

¹ طوماس شو، المصدر السابق، ص 15.

² فونتير دو بارادي، المصدر السابق، ص 40.

³ ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي ، المرجع السابق، ص 59.

⁴ إ. كاريت، المصدر السابق، ج3، ص 275.

⁵ فونتير دو بارادي، المصدر السابق، ص 35.

الزبيري أن أهالي الشرق الجزائري مع كل فصل ربيع يقومون ببيع ما ينتجونه من الشمع إلى المؤسسات الفرنسية و في أحيان أخرى يصدرونه إلى تونس، فمدينة القل تعتبر أكبر المنتجين لهذه المادة، حيث قدر ما تبيعه للمؤسسات الفرنسية بحوالي 400 قنطار سنويا¹.

يذكر أن بحارة جيجل يقومون ببيع الزيت والشمع والفحم لسكان الجزائر، هذا الأخير الذي تنتجه قبيلة بني قايد التي تقطن على بعد عدة فراسخ غرب جيجل، كما عرف الميناء الصغير الموجود في المنطقة باسم مرسى الفحم، نظرا لاستغلاله من أصحاب المراكب لنقل حمولتهم من الفحم، كما يشير فيرو إلى رسالة وجدت لدى آل مقران، تؤكد على ضرورة عدم نقل السلع المتمثلة في الشموع والجلود إلى بونة، وتهديدهم بمعاقبة كل من يخالف ذلك، كما دعوا الفحامين إلى إنتاج الكثير من الفحم وعلى رياس القوارب شراءه وأنه سيدفع لهم مقابل النقل عشر موزونة (1.25 فرنك) للقفه الواحدة، مع إمكانية تقديم لهم تسبيقات إن احتاجوا لذلك²، كما أن مناطق جرجرة تنتج كميات كبيرة من الزيت والشمع، والتي يقتنيها التجار من أسواق المنطقة بغرض بيعها، ليتم تصديرها إلى أوروبا وبلاد الشام³.

من خلال ما ذكرنا سابقا، نلاحظ مدى التنوع الذي عرفه الإنتاج الزراعي في أرياف البايك، والتي ترجع في عمومها إلى توفر ظروف الإنتاج الزراعي، كالمناخ والتربة وتوفر وسائل الإنتاج على بساطتها، الأمر الذي ساهم في تنوع المنتوجات الزراعية سواء المعاشية منها أو التجارية، والتي نحاول من خلال هذا الجدول إعطاء حوصلة لأهمها (الحبوب، الأشجار، الخضر والفواكه):

¹ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص100.

² شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص171-172.

³ Thomas shaw, Voyage dans la régence...Op.Cit, p333.

الفصل الثالث:..... الزراعة و مقوماتها في ريف بايلك الشرق

الرقم	المنتوج	منطقة تركزه	ملاحظات	مصدر أو مرجع المعلومة
1	الحبوب	نواحي قسنطينة، المنطقة الواقعة بين سطيف وقالمة(منطقة واد الزناتي أخصبها)، إقليمي الفسقية والكرشة، سهل الفيض في الجزء الشرقي من واحة الزيبان، أرياف عنابة. منطقة نقاوس	يزرع في الغالب القمح بنوعيه الصلب واللين، الحنطة والشعير	الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 58. صالح عباد، المرجع السابق، ص336.
2	الخضر	منطقة بلاد القبائل، أرياف جيجل، البساتين المسقية بالساحل والمناطق الداخلية والجبلية.	يزرع في الغالب(البصل، الثوم، القرع، الطماطم، الكرنب، القرع، الخيار، الفلل الحار والبارد	أ.هانوتو و لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص 617. علي خنوف، المرجع السابق ، ص 94.
3	البقوليات	الهضاب والسهول العليا	اللوبياء،الجلبان، العدس، الحمص	يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية ...، المرجع السابق، ص ص165-166.
4	الزيتون	بسكرة، المنحدرات الجنوبية للأوراس، جرجرة، واديان السيبوس وسبع عيون	أجود الزيوت المنتجة ببسكرة على قلة كميتها.	إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص 185. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 103.

		والزناتي، مناطق جيجل		
5	التين و الجوز	أرياف جيجل، تبسة، بجاية	كما تشتهر منطقة جرجرة بإنتاج التين المجفف	C.Devaux, Les kabailes du djedjera. Études nouvelles.. Op.cit, p129 لخضر بوطبة، بجاية خلال العهد...، المرجع السابق، ص 254. مارمول كاربخال ، المصدر السابق، ج2، ص281.
6	التفاح والاجا ص	مناطق ميلة، منطقة تقرت		ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق ، ص ص 99-100. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص ص 52-60
7	الخوخ والمشم ش	مناطق المسيلة		Thomas shaw, Op.Cit, p390.
8	البرتقال والعنب والرمان	ضواحي عنابة، الشمال الغربي لقسنطينة، سوق أهراس، بعض مناطق جرجرة، منطقة تقرت	تنتج منطقة ملاح الرمان بنوعيه الحامض والحلو.	ج.او. هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 76-77. Thomas shaw, Voyage dans la Op.cit,p357....régence
9	النخيل	بسكرة، تقرت، واد سوف، خنقة سيدي ناجي	تنتج المنطقة، التمور بأنواعها، عسل النخيل، استغلالها أشجار النخيل كحطب بعد موتها، كما يستعمل السعف والجريد لبناء المساكن	ويليام شالر، المصدر السابق، ص30. الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص114.

<p>فونتير دو بارادي، المصدر السابق، ص40. ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي ، المرجع السابق، ص 59.</p>	<p>يعتبر تبغ وادي سوف الأكثر جودة، خاصة الممزوج منه مع الأعشاب الطبيعية. يشار الى قيام صناعة قائمة بذاتها في مناطق جرجرة لوفرة الإنتاج بالمنطقة.</p>	<p>منطقة عنابة، وادي سوف، بلاد جرجرة</p>	<p>10 التبغ</p>
--	--	--	-----------------

- من إعداد الباحث -

5- الصعوبات التي واجهت النشاط الفلاحي في أرياف البايك:

واجه النشاط الفلاحي في الجزائر العديد من العراقيل التي انعكست على قدرة الأهالي على استغلال الأراضي الفلاحية، كما حدث من العائدات التي يجنيها الفلاح نذكر من أهمها:

عدم تطور المكننة في هذه الفترة واستعمالهم للآلات البسيطة المتمثلة أساسا في المحراث الخشبي والذي لا يتعدى تأثيره الطبقة السطحية من الأرض مما يحد من فاعليته¹.

إضافة إلى تعرض المحاصيل الزراعية للآفات والأمراض المختلفة، كتعرض القمح إلى التلف والتآكل، الأمر الذي يعرضه إلى التعفن، إضافة إلى الديدان التي تصيب الحبوب المزروعة داخل التربة، هذه الآفات التي يبقى المزارع عاجزا أمامها لقلّة إمكانياته، كما يبقى الجراد من أسوأ الآفات التي تهاجم المحاصيل الزراعية، خاصة مع شهر أفريل، حيث تلتهم هذه اليرقات كل ما هو أخضر في طريقها، يعمل الفلاح على

¹ يوسف صرهودة، الاقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر 1700م-1830م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2018، ص80.

تفريقها بوسائل بدائية عن طريق التلويح لها بالعصي، هذه الطريقة التي لا تكاد تجدي نفعاً¹.

حالة عدم الاستقرار والصراع المستمر بين القبائل وبايات قسنطينة، أثرت على النشاط الزراعي خاصة في المناطق الجبلية كجاية وجيجل، فسكان هذه المناطق وإن كانوا معفيين من الضرائب، إلا أن باي قسنطينة يرسل حملات سنوية لأخذ إتاوات من الأهالي مع التهديد بمصادرة مزروعاتهم أو إحراقها في حالة رفضهم دفع المبالغ المطلوبة².

كما يشن البايات حملات تأديبية كلما أحسوا بتراخي سلطتهم في المناطق الجبلية وتمردوا على السلطة، على غرار الحملة الموجهة لجمال الأوراس، حيث عمد الباي إلى إطلاق الخيول والجمال في حقول القمح التي زرعتها هذه القبائل، ومن ثم يتم إحراقها فيما بعد، على الرغم من أن المنطقة تشهد موجة جفاف ساهمت في قلة الإنتاج من الحبوب، كما تتعرض المنطقة باستمرار إلى هجمات الجراد التي زادت من سوء الأوضاع المعيشية لأهالي هذه المناطق³، استغلت السلطة المحاصيل الزراعية، كوسيلة ضغط لإخضاع القبائل المتمردة، فإتلاف هذه المحاصيل وفقدان هذه القبائل لمصدر عيشها يجعلها تذعن وتخضع لسلطة الباي.

وللتفصيل بشكل أكبر فيا يخص الصعوبات التي واجهت النشاط الفلاحي في الريف القسنطيني، يمكن الرجوع إلى الفصل الثاني الذي تناولنا فيه بإسهاب أكثر الأمراض والكوارث الطبيعية كالجفاف والجراد وغيرها، التي أثرت بشكل كبير على النشاط الفلاحي في الريف.

¹ Peyssonnel et Desfontaines, Voyage..Op.cit, pp272-273.

² جون اندري بايسونال، المصدر السابق، ص ص 204-205.

³ Peyssonnel et Desfontaines, Voyage..Op.cit, pp 344-345

خامسا: الرعي و الثروة الحيوانية:

تعتبر الثروة الحيوانية في الأرياف المصدر الأساسي لمعيشة السكان، خاصة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني مع توسع نشاط الرعي على حساب الجانب الزراعي، أمام ارتفاع المتطلبات الضريبية على الأراضي الفلاحية، إضافة إلى توفر الظروف الطبيعية والمناخية المناسبة لهذا النشاط، وهذا ما يؤكد شالر في كلامه عن سكان البوادي وطبيعة معيشتهم بالقول "ونظرا لأن سكان البوادي يمارسون الرعي على نطاق واسع، بحيث تعتبر قطعانهم المصدر الأساسي للثروة، ولأن خصائص البلد الطبيعية حيث يتوفر العشب، تسمح بتغذية الحيوانات، فإننا نجد هنا جميع أنواع الحيوانات الدواجن بكثرة، بما في ذلك الفرس، والثور، والجمال، والجمال ذو السنامين والحمار والبغل والغنم والماعز والخيول العربية تتمتع بشهرة عالمية"¹.

وبحكم اتساع مساحة البايك وتنوع مظاهر التضاريسية ونطاقاته المناخية، تنوعت الحيوانات الموجودة في أرياف البايك بين الأغنام والماعز والأبقار والخيول والبغال والحمير والجمال، حيث استغلت هذه الأعداد الكبيرة من الحيوانات كمصدر رزق للأهالي بالاستفادة من صوفها ووبرها في صناعة النسيج وصنع الخيام والملاحف وفي حالات أخرى يتم تصديرها إلى الخارج، إضافة إلى استغلالها في التغلب على العوائق الطبيعية كالنتقل بين الجبال و مناطق الصحراء².

مارس سكان الأوراس إلى جانب الزراعة نشاط تربية المواشي و هو ما حتم عليهم الانتقال إلى أعالي الجبال، وهذا حال قبيلة أولاد داوود التي كانت تقضي الشتاء في الفلاحة بالقرب من جبلي أشمول والشلية، لتنتقل فيما بعد بقطعانها إلى سفوح الجبال، أما في فصل الخريف فيتم الانتقال إلى الوديان الجنوبية وصولا إلى قريتي البنيان مشونش حيث يتم التزود بالتمور ومن ثم العودة محملين بالتمور والمواشي قبل فصل الصيف لحصاد أراضيهم³، كما أن القبائل القاطنة في المنطقة الممتدة من جبال بني بوطالب إلى

¹ ويليام شالر، المصدر السابق، ص33.

² ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص178.

³ ناصر الدين سعيدوني، وراقات ...، المرجع السابق، ص422.

الفصل الثالث:..... الزراعة و مقوماتها في ريف بايلك الشرق

غاية جبل يوسف تمتهن تربية الماشية، وتمتلك أعدادا كبيرة من الماشية ساعدها في ذلك توفر المراعي الممتازة و المروج الخصبة¹.

عرفت قبائل جرجرة بتربية الأبقار، حيث يعمد السكان إلى جمع أوراق أشجار التين لتقديمها كعلف لحيواناتهم، كما أن مناطقها الجبلية غنية بأشجار الدردار باعتبارها غذاء هاما لمواشيهم².

كما يذكر سبنسر أن قسنطينة اشتهرت بتربية أجود الخيول البربرية بقوله " وأن أجود خيول المنطقة البربرية كانت تربي في هذه الناحية، ومنها تصدر إلى الأسواق الأوروبية عبر موانئ القل وبجاية³، كما تملك قبيلة مرداس العربية المستقرة بضواحي عنابة الكثير من البقر والثيران والغنم⁴.

بالنسبة لأعداد الثروة الحيوانية فيذكر الزبيري استنادا إلى إحصائيات الإدارة الفرنسية سنة 1863م أن عدد الأبقار لا يقل عن مليون رأس، أما بالنسبة لعدد الأغنام فقد ذكرت الإحصائيات أعدادا ضخمة قدرت بأكثر من 8 ملايين رأس، مقارنة بعدد السكان الذي لم يتجاوز المليونين والنصف خلال فترة الإحصاء⁵.

كما نلاحظ ضخامة أعداد الحيوانات الموجودة في البايك، من خلال ما جاء في المذكرة حول إقليم قسنطينة، حيث قدرت قيمة الضرائب التي يقدمها بايلك قسنطينة إلى داي الجزائر، ب1500 بقرة، إضافة إلى 6000 خروف، 17 فرس بين فرس وحصان أصيل موجة للداي وكبار الموظفين، 100 من البغال، أربعين من النوع الجيد، بينما توجه البقية لمهام النقل⁶.

¹ Thomas shaw, **Voyage dans la régence...**Op.Cit.p360.

² C.Devaux, **Les kabailes du djedjera. Études nouvelles..** Op.cit, p129.

³ وليم سبنسر، المصدر السابق، ص140.

⁴ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص62.

⁵ محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية...**، المرجع السابق، ص60.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، **مذكرة حول ...**، المرجع السابق، ص16.

الفصل الثالث:..... الزراعة و مقوماتها في ريف بايلك الشرق

فمنطقة النمامشة التي اشتهرت بتربية الأغنام والجمال، قدر عدد ما تملكه من الحيوانات ب32 ألف خروف وألف عنزة وألف بقرة و ألفين بغل و سبعمائة حصان وعدد كبير من الجمال، مستغلة في ذلك أكثر من 2 مليون هكتار كمجال جغرافي تستغله لرعي هذه الأعداد الكبيرة من الحيوانات¹.

كما اهتم سكان جيجل بتربية الحيوانات على حساب النشاط الزراعي، حيث أطلق السكان على الحيوانات مصطلح المال، كما اشتهرت المنطقة بتربية الماعز نظرا لاتساع المراعي الغابية، فالإحصائيات الفرنسية مع بداية الاحتلال سجلت امتلاك عرش بني خطاب الشرقي ل9390 رأسا من الماعز، مقابل عدد سكان قدر ب 5700 نسمة، أما عرش أولاد عواط فامتلك 4873 رأس ماعز، مقابل عدد سكان قدر ب2753 نسمة².

يذكر أن الشرق الجزائري مع بداية الاحتلال الفرنسي امتلك ثروة حيوانية كبيرة قدرت ب3210000 من الأغنام و 311767 من الماعز و 346000 من الأبقار و903636 من الخيول و76723 من البغال و 269086 من الجمال، من خلال الجدول التالي يمكن ملاحظة أعداد ما تملكه أشهر القبائل من رؤوس الحيوانات باختلاف أنواعها³:

النمامشة	116.000
الحراكتة	93.000
زردارة	12.800
أولاد عطية	16.900
أولاد يحي بن طالب	20.000
أولاد عبد النور والتلاغمة وعامر	66.580
بني عمار	16.320

¹ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص178.

² علي خنوف، المرجع السابق، ص 95.

³ فلة موساوي -القشاعي-، النظام الضريبي ...، المرجع السابق، ص 49.

الفصل الثالث:..... الزراعة و مقوماتها في ريف بايلك الشرق

من خلال هذه الأرقام نلاحظ ضخامة وتنوع الثروة الحيوانية ببايك الشرق، مما يدل على طبيعة النشاط الاقتصادي في المنطقة واهتمام السكان بتربية ورعي الحيوانات كدخل أساسي لأهم القبائل في المنطقة، واعتبارها من مظاهر الثراء والنفوذ.

يشار إلى تضارب الأرقام والإحصائيات في تقدير العدد الحقيقي للثروة الحيوانية للبايلك، إلا أنه من الواضح أن الأسر المنتفذة في بايلك الشرق امتلكت ثروة حيوانية كبيرة، تذكر الأستاذة معاشي في هذا الصدد أن قبيلة الذواودة شغلت حيزا كبيرا من الأراضي المخصصة لرعي قطعانها وصل إلى مشارف قسنطينة، وأنها من أهم ممولي مدينة قسنطينة باللحوم، على غرار قيام زعيم الأسرة الشيخ علي بن السخري يقوم بذبح 140 جملا خلال الأعياد والمواسم¹.

أما فيما يخص أسعار المواشي فهي باهظة الثمن، لا سيما بمناطق جرجرة، خاصة البقر والضأن والماعز، وهو ما ينعكس على أسعار اللحوم لأن أغلب السكان يتقادون ذبح مواشيهم، كما أن الأشخاص المشتغلين في الجزارة هم غالبا الأشخاص المترددون على مختلف الأسواق في المنطقة، أما بالنسبة لطريقة بيعها فهي لا تباع بالميزان وإنما يقدر البائع ثمنها افتراضيا على حسب الحجم والجودة².

يعتبر نشاط ممارسة تربية الحيوانات في أرياف البايك، من أهم مصادر الدخل للأهالي، حيث ساهمت في تنشيط أسواق البايك، وازدهار حركة البيع والشراء واستغلال أصوافها وجلودها سواء للتصدير أو تدعيم الصناعات الحرفية المحلية لتلبية متطلبات الأهالي، كما تدخل منتجاتها كالحوم والحليب ومشتقاته في نمط معيشة سكان أرياف البايك.

أ- الصوف:

ينتج بايلك الشرق كميات كبيرة من الصوف، وذلك تبعا لضخامة الثروة الحيوانية الموجودة بالبايلك، وهو ما يثبتته حصول الإنجليز على امتياز سنة 1805م إلا أنهم لم

¹ جميلة معاشي، المرجع السابق، ص37.

² C.Devaux.Les kabailles du djedjera, *Études nouvelles..* Op.cit, p123.

يستغلوا الوضع فعليا ليثبتوا وجودهم، على الرغم من حاجتهم لها لصناعة عدة منتوجات صوفية كالمعاطف، والسجادات والسروج، كما قامت الشركة الإفريقية بتصدير حوالي 10000 قنطار من الصوف عبر ميناء عنابة¹، ساهمت تجارة الصوف في الحركة التجارية بين الجزائر ومرسيليا خاصة مع ازدياد نشاط المصانع في فرنسا وازدياد استهلاك هذه المادة، حيث قدرت صادرات موانئ الشرق الجزائري من الصوف مع نهاية القرن 18 إلى مرسيليا بحوالي 28 ألف قنطار كل سنة²، كما اشتهرت بعض المناطق على غرار ميلة بكثرة الصناعات المشتغلين في النسيج، وذلك لوفرة المواد الأولية خاصة الصوف، ومن أهم ما تنتجه صناعة أعطية الأسرة³.

سادسا: الجباية والضرائب في المناطق الريفية:

1-الضرائب على الملكيات الخاصة:

أ- الزكاة:

ترجع في أصولها للشريعة الإسلامية، تتعلق بقطعان المواشي كالماعز والأغنام والجمال و الأبقار، أما بالنسبة لأرياف بايلك الشرق فلم تعرف بالصيغة المتعارف عليها، فلم يطلق عليها اسم الزكاة، بل كانت في إطار ما يحصل عليه البايك من سكان الأرياف⁴.

أما ابن العنتري فيذكر أن العثمانيين عند دخولهم إلى قسنطينة أكدوا على وجوب الزكاة وشرعيتها " ..كنا قدما من حضرة الدولة العثمانية إلى الجزائر ففتحناها ومهدنا أوطانها، وحكمنا جار فيهم بالعدل والكمال وما ناخذوا من وطنها إلا الشيء الحلال، الذي

¹ Thomas shaw, Voyage dans la régence...Op.Cit, p344.

² محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص101.

³ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 60.

⁴ فلة موساوي -القشاعي-، المرجع السابق، ص104.

هو مثل الزكاة(كذا) الواجب إخرجه من الأموال، والنعم والمزروعات، على نمط الشريعة والطريقة المستقيمة القويمة"¹.

ب-:العشور:

يعرفه حمدان خوجة عند تحديده لأنواع الأراضي والضرائب المفروضة العشر بقوله " فإذا أسلم أصحاب الأرض طوعا فان أرضهم تصبح عشريّة، فيؤخذ من غلتها العشر، ويوضع مبلغه في صندوق بيت المال، ليدفع منه أجور الجنود، وفي مؤن الفقراء واليتامى، في مرتبات القضاة.." ².

على الرغم من أن هذه الضريبة الشرعية تعني أخذ السلطة لعشر المحاصيل الزراعية، إلا أن تطبيقها على أرض الواقع يختلف عن هذا المفهوم، حيث اعتمد في تقديرها على الزويجة أو الجابدة³، أي أن تحديد مقدار العشور يتعلق بعدد الزويجات أو الجابدات المحروثة، كما أن صلاحية تقديرها ترجع إلى قائد العشور أو خوجة المعونة أو كاتب مخزن الزرع، مثلت عائدات العشور أهمية كبيرة في بايلك الشرق، نظرا لأن ثلث أراضي بايلك الشرق خضع لهذه الضريبة الجبائية، حيث قدرت قيمة ما تحصل عليه السلطة من السكان ب20.762 قيسة من القمح والشعير ⁴.

كما أنها تجمع عينيا مع تحديد قيمة هذه الضريبة وفق امتداد هذه القبيلة، ومنه تخصيص عدد اعتباطي من المحاريث لكل قبيلة، مع تسجيل عددها في سجلات البايك، حيث كانت قبيلة عامر الشراقة ببايلك قسنطينة تدفع سنويا ما قيمته 1000 صاع من القمح و 1000 من الشعير، مهما كان عدد المحاريث التي تم زراعتها، استمر الوضع

¹ محمد الصالح ابن العنثري ، فريدة منسية ..،المصدر السابق، ص 45.

² حمدان بن عثمان خوجة، المرأة..، المصدر السابق، ص113.

³ مساحة من الأراضي الزراعية يقوم بحرثها ثوران، تصل مساحتها الى 12 هكتار في الأراضي السهلية ولا تتجاوز 8 هكتارات في المناطق الجبلية. ينظر: فلة موساوي، النظام الضريبي..، المرجع السابق، ص102.

⁴ ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 84.

الفصل الثالث:..... الزراعة و مقوماتها في ريف بايلك الشرق

في فترة احمد باي في فرض الضرائب بمبلغ ثابت لكل محراث، إلا أنه فرضها فقط على الأراضي التي يتم زراعتها فعليا¹.

أمام اختلاس الجباة وضغطهم على الفلاحين لجأ العثمانيون إلى فرض على كل محراث² يجره ثوران ضريبة، قدرت بحمل بعير من الشعير ونظيره من القمح، يتسلم الفلاح مقابل تسديده هذه الضريبة وصلا يثبت ذلك، مع إسقاط الضرائب على الفلاحين الذين لم يجنوا من أراضيهم أي محاصيل فلاحية، كما يسلم رئيس القبيلة قائمة بأسماء الفلاحين أصحاب المحارث للجابي لتساعده في تحصيل الضرائب، مع تدقيقه في الكميات المقبوضة لتبرئة ذمته تجاه رئيس الجباة³.

بقي هذا الوضع إلى غاية بداية الاحتلال الفرنسي، حيث يصف حمدان خوجة الوضع بقوله "...فأصبحت هذه الرعية بدون سلطان عادل وظاهر في البلاد، فحينئذ لزم كل فلاح أن يوزع بنفسه أعشاره على الفقراء والمساكين، وكان باي قسنطينة(الحاج أحمد) يتساهل مع الرعية، فيقبض منهم مبلغ خمسة عشر فرنكا، بدل من حملي القمح والشعير المفروضين على كل محراث، كما أنه يكارهم بحوالي سبعة وعشرين فرنكا جميع مساحة الأرض التي يستغرق المحراث ذو ثورين في حرثها مدة سنة"، كما أن الجابي يحتفظ بقسم من الضرائب لنفسه، ويترك قسما للفلاحين، مع علم الباي بذلك وغضه للطرف لكي يرغب الفلاحين في حكمه، ويظهر مدى حلمه وشفقته⁴.

يسمى موظف الجباية المكلف بجمع العشور، بقايد العشور تتمثل مهامه في مراقبة الحرث وتحديد قيمة الضريبة وفقا لمساحة الأرض المزروع، يوجد في بايلك الشرق قايدان للعشور، واحد للجهة الغربية و الآخر للجهة الشرقية⁵.

¹ M. Ch. Depincé, **Congres de l'Afrique du nord**. Tenu à paris, Du 6 ou 10 octobre 1908. Compte- rendu des travaux, T1. Paris, 1909, p660.

² يعرف في الجزائر بالجابدة.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة...، المصدر السابق، ص114.

⁴ المصدر نفسه، ص115.

⁵ E. Vayssettes, **Histoire des dernières ...Op.Cit**,p116.

ج- نظم استغلال الأراضي في ملكيات البايك:

1- نظام الخماسة:

حيث يستغل الفلاح الأرض لصالح الدولة مقابل الحصول على خمس الإنتاج، مقابل توفير الدولة له الأرض والمحراث والحيوانات والبذور، انتشر هذا النظام في معظم الأرياف، يوفر هذا العمل مدخولا معتبرا للفلاح قدر حسب الإحصائيات مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ب343 فرنكا لليوم¹.

2- كراء الأراضي الفلاحية:

تعمل السلطة على كراء الأراضي الزراعية مقابل الحصول على منافع عينية أو نقدية، قدرت ب12 صاعا من القمح و 12 صاع من الشعير في الجابدة أي بمعدل 50 بالمائة من قيمة إنتاج الأرض، هذا النظام خلق حالة من الترابط بين الريف والمادية، خاصة أن كراء الأراضي يتم من طرف الطبقة الميسورة الحال، والتي تستغلها بمساعدة الفلاحين.

إضافة إلى وجود أنواع أخرى من الاستغلال ، كتسليم هذه الأراضي كمكافآت مقابل الخدمات والأعمال التي يقدمها بعض المرابطين والموظفين، على غرار سياسة صالح باي في استحداث الحكور والمكافآت والترضيات².

2- الضرائب على أراضي العرش والمناطق الممتنعة والبعيدة:

اعتمدت السلطة لتحصيل الضرائب على الأراضي الصعبة والجبلية، على فرق المكاحلية التي تخضع للقياد، مع الاستعانة بالمحلة في حال رفض هذه القبائل دفع ما عليها من ضرائب، حيث يقوم الشيوخ بجمعها وتسليمها للقياد لنقلها لقسنطينة، بعد أن

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 87.

² المرجع نفسه، ص ص 88-89.

يقطع منها الرواتب والتعويضات الخاصة بأعوانه، لتكون تحت تصرف كبار الموظفين¹، وهذا ما يلاحظ في تنوع الضرائب في أرياف البايك وطرق جبايتها:

2-2. الغرامة :

تعتبر الغرامة ضربية نقدية، تدفعها القبائل البعيدة عن مقر البايك، يرجع سبب عدم دفعها نقدا إلى نقص الأموال النقدية لدى السكان، وبالتالي يتم دفعها في الغالب على شكل حيوانات كالخيول والماشية و الجمال²، وتدفع أحيانا على حسب ما توفر لديها كالعسل والشمع والزبدة والملح والجلود والقطن والفحم والخشب، فبالنسبة لقبائل الساحل سكيكدة و البابور وقرقور وزمورة فتقدم الأبقار والبغال والشب، بينما قبائل شطابة والهضاب العليا بجهات السقينة وأولاد سلام فتقدم كميات من العسل و الزبدة مع بعض الخشب والفحم، أما قبائل الزمول القاطنة بنواحي السباخ فتدفع عشر ما تستخرجه من الملح، أما بجهة تبسة فتدفع قبائل العمامرة الغرامة من الحيوانات والجلود، وتقدم المواشي والجمال من أولاد سيدي يحي بوطالب، كما قدرت غرامة عشائر الحنانشة والنمامشة لوحدهما ب3000 آلاف خروف³.

2-3. اللزمة والمعونة:

تهدف إلى الحفاظ على قوة الجماعة الإسلامية، تستغل لتموين الجنود في الأرياف، فهي ضريبة تستهدف طبقة الرعية والمستغلة من طرف السلطة، يعمد شيوخ الدواوير إلى جمع اللزمة والمعونة كلما اقتضت الضرورة سواء العينية منها أو النقدية، يشار إلى أن الأولى تستهدف بالدرجة الأولى قبائل الرعية بينما تستهدف الثانية القبائل المتعاونة مع القيادة الخاضعة لنفوذهم⁴.

¹ فلة موساوي -القشاعي-، النظام الضريبي...المرجع السابق، ص156.

² E. Vayssettes, *Histoire des dernières ...*Op.Cit,p116.

³ فلة موساوي -القشاعي-، المرجع السابق، ص107.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية....، المرجع السابق، ص ص 134-135.

كما تلزم بها بعض القبائل القاطنة بالمناطق الصحراوية والجبلية، مقابل السماح لها بارتياح الأسواق والتعامل مع البايك، فهي تعوض ضريبة العشور والزكاة في المناطق البعيدة، شكلت هذه الضريبة دخلا كبيرا لخزينة السلطة، بلغت قيمتها بنواحي بجاية 21.360 بوجو ومنطقة البابور بوجو بوجو7506 و فرجيوة وميلة 25635 بوجو، بمجموع قدر 122.055 بوجو أي ما يعادل 98101.80 ف¹.

2-4. أنواع اللزمة والمعونة:

أ- حق العسة:

وهي ضريبة تدفعها القبائل الصحراوية و الرحل، والتي تنتقل إلى المناطق الشمالية بحثا عن الكلاً لمواشيها²، كما تعمل هذه القبائل خلال رحلتها إلى المناطق التلية على شراء الحبوب و مقايضة إنتاجها من التمور والمواشي³.

بالنسبة لقبائل جرجرة المتمردة، احتفظ آغا الجزائر بإصدار تصاريح التنقل، بوساطة بعض الشخصيات النافذة في المنطقة من بينها عمار ومحمد نايت خالد من بني يوسف و سي الجودي من بني بودرار، حيث تنظم القافلة السنوية إلى العاصمة، بقيادة أحد الزعماء الذي يعينه الآغا، لدفع الرسوم الثابتة المقدرة ب600 ريال بوجو، تسير هذه القافلة في مجموعات حاملة لعلم، تتكون القافلة من حوالي 600 بغلا، تتجه في أغلبها إلى قسنطينة وعنابة محملة بالتين والزيت، مقابل عودتها محملة بالحبوب والماشية⁴.

¹ فلة موساوي -القشاعي-، النظام الضريبي...، المرجع السابق، ص 105.

² توفيق دحمان، الضرائب في الجزائر (1206-1282هـ/1792-1865م) دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008، ص361.

³ فلة موساوي -القشاعي-، النظام الضريبي...، المرجع السابق، ص109.

⁴ Robin.N ,Note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande kabylie, in R_V,N17,1873,pp201-202.

ب- الخطية:

وهي الضرائب التي تفرض على قبائل بأكملها، أو على أفراد من هذه القبائل، وذلك كعقوبة بسبب ارتكاب هذه القبائل أو أفراد منها لجرائم وجنح عرف أصحابها أو ظل أصحابها مجهولين، أو على أفراد لسوء السلوك¹.

ج- حق البرنوس:

تعتبر من أهم مصادر خزينة البايات، قدرت قيمتها ببايك الشرق بحوالي 200 ألف فرنك²، وهي الأموال التي يساهم بها أفراد القبيلة لمساعدة شيخ القبيلة في دفع متطلبات هذه الضريبة للباي بمناسبة التولية³.

د- التويزة:

عمل العثمانيون على استغلال الأراضي الزراعية، وتسخير ثيرانها في عملية الحرث، كما على القبائل الخاضعة لسلطتها العمل في موسم الحصاد وفق نظام التويزة، خاصة الأراضي التي اقتطعوها لأنفسهم، واستغلوها كمصدر دخل في إطار الزراعة المباشرة والتي سميت بالحوش أو عزيزب البايك⁴، كما سخر الفلاحون في حرث أراضي الدولة لمدة يوم أو يومين، مع توفير الثيران والبذور، وأدوات الحصاد، مع استغلال حيواناتهم إذا لم تكن حيوانات السلطة كافية لانجاز العمل المكلفين به⁵.

¹ F. Gourgeut, **Les sept plaies d'Algérie**, Imprimerie pierre Fontana, Alger, 1891, p 81.

² خالد أوعيل، النشاط الفلاحي للجزائر العثمانية خلال حكم الدايات 1671-1830م -مقاربة سوسيو اقتصادية-، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 02، 2021، ص287.

³ فلة موساوي -القشاعي-، النظام الضريبي...، المرجع السابق، ص110-111..

⁴ Robin.N .**Note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande kabylie**, in R.V.N17.1873.p202.

⁵ F. Gourgeut, **Les sept plaies..** Op.Cit, p 81.

هـ - مهر باشا:

ضريبة أنشأها العثمانيون، تفرض على القبائل الخاضعة، بهدف تجديد الوسائل العسكرية في البايك، قدرت هذه الضريبة في بعض المرات مع مقدار الدنوش¹ ب 10.7 بالمائة²، وبغرض المساعدة في نقل الدنوش إلى الداى، يقدم السكان ما بين 600 إلى 700 من الخيل كضريبة، قدرت قيمتها ب36000 بوجو ما يقابل 64800 فرنك³.

و - ضيفة الدنوش(الباي):

تسمى أيضا ضيفة الباى، وهي ضريبة يتم تحديد قيمتها سنويا من طرف الباى وذلك وفقا لأهمية القبيلة، تقسم إلى جزأين جزء يدفع في فصل الصيف بينما يدفع الجزء الثاني شتاء⁴، تدفع هذه الضريبة من القبائل كل 6 أشهر، يقوم الباى باستعمال هذه الأموال لشراء الهدايا المقدمة للداى، قدرت قيمتها 418716 بوجو أي ما يعادل 778.811 فرنك⁵.

ز - الفرح والبشارة:

وهي تعبير عن الفرح والسرور بإقرار الباى في منصبه أو بمناسبة حدث سعيد، يذكر سعيدوني عن روسو أن قيمة الأموال المدفوعة من بايلك قسنطينة بلغت حوالي عشرون ألف بوجو أي حوالي ستة وثلاثون ألف فرنك، يشار إلى أن هذه الأموال تدفع سنويا تقريبا⁶، حيث وفرت هذه التعيينات أو إعادة التعيين في مناصبهم مبالغ كبيرة

¹ عرف هذا المصطلح بإيالة الجزائر بشكل خاص، ويقصد بها تلك العوائد التي يودعها الباى لدى خزناجي مدينة الجزائر كل ستة أشهر، تحظى هذه المناسبة باهتمام خاص، ترافقها طقوس احتفالية لاستقبال الباى وصولا الى قصر الداى. ينظر: فارس كعوان، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر مصطلحات : الباشا- الدنوش- البايك ك نماذج، مجلة مدارات تاريخية، مج 01، عدد خاص، الجزائر، 2019، ص131.

² توفيق دحماني، المرجع السابق، ص 199.

³ فلة موساوي، الريف القسنطيني....، المرجع السابق، ص ص59-60.

⁴ Henri Federmann, Bon Aucaptaine ,Notices sur L'histoire et l'administration du beylik de titteri ,In R.V. N11,1867,p211.

⁵ فلة موساوي، المرجع السابق، ص 59.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية...، المرجع السابق، ص 136.

لخزينة الدولة، كما يتم منح المسؤولين المعيّنين مبالغ كبيرة من طرف رعاياهم، كنوع من الاحتفال بهذه المناسبة السعيدة¹، كما تدفع هذه الضرائب احتفالاً بالانتصارات العسكرية المهمة، حيث أصبحت بالنسبة للباي، بمثابة حق البرنوس بالنسبة للقياد والشيخ، قدرت قيمتها بما لا يقل عن 20 ألف فرنك، يقوم البايات باستخلاصها تحت حجج ومبررات مختلفة².

ح- خيل الرعية:

عبارة عن مساهمة تقدمها قبائل الرعية لفائدة الجيش أو المحلة، إضافة إلى البايات، تتكون في عمومها من الدواب والبغال والجمال، بغرض استغلالها في النقل، كما يباع الفائض منها لصالح الباي³، قدر عدد الأحصنة المقدمة من بايلك الشرق بحوالي 600 إلى 700 حصان⁴.

ومن خلال ما سبق يمكن القول:

أن بايلك الشرق، تميز بتنوع محاصيله الزراعية وغناه بالثروة الحيوانية، وذلك نظراً لشساعة مساحته، وتنوع أقاليمه المناخية، فلكل منطقة خصائصها الجغرافية التي ساعدت على ازدهار أنواع معينة من المحاصيل، على غرار المناطق التلية التي عرفت بزراعة الحبوب والمحاصيل التجارية، بينما عرفت المناطق الصحراوية بزراعة النخيل.

كما أن الإنتاج الزراعي في أرياف البايك، ارتبط بمدى التوافق بين سكان الأرياف والسلطة الحاكمة، فالضرائب الكبيرة التي أرهقت كاهل الفلاحين، جعلت الإنتاج الزراعي ينخفض إلى حد كبير، وأدت إلى عجز الفلاح عن توفير قوته، فما بالك بالإيفاء بالمستحقات الضريبية اتجاه السلطة، الأمر الذي انعكس سلباً على معيشة سكان

¹ F. Gourgeut, *Les sept plaies* .. Op.Cit, pp 81-82.

² فلة موساوي -القشاعي-، النظام الضريبي..، المرجع السابق، ص113.

³ توفيق دحماني، المرجع السابق، ص 201.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجبابة..، المرجع السابق، ص 137.

الأرياف، وهجرتهم للأراضي الزراعية، التي تحولت مع مرور الوقت من أراضي خصبة تنتج مختلف المحاصيل إلى أراضي بور.

كما أن الحملات التي شنها البايات على القبائل المتمردة بصفة دورية، ساهمت إلى حد كبير في انخفاض الأراضي المزروعة المستغلة، والاكتفاء فقط بزراعة المناطق الجبلية بمساحات محدودة، والتي استغلت من طرف البايات كوسيلة ضغط لإخضاع هذه القبائل، وذلك عن طريق مصادرتها أو إحراقها .

تأثر النشاط الزراعي في أرياف البايك بعدة عوامل، لاسيما الطبيعية منها، والمتمثلة أساسا في الجفاف، وانتشار الحشرات الضارة كالجراد وغيرها، كما أن انتشار الأمراض كالطواعين وغيرها، أدى إلى تراجع في الإنتاج الزراعي، لمحدودية حركة السكان، وعزوف الفلاحين عن جني محاصيلهم الزراعية.

الفصل الرابع:

الصناعة والتجارة في ريف بايلك الشرق.

أولاً: الإنتاج الصناعي والحرفي في ريف بايلك الشرق.

ثانياً: العملة والموازن والمكايل المتداولة في الريف.

ثالثاً: الأسواق والمبادلات التجارية في أرياف بايلك الشرق

نتناول في هذا الفصل الإنتاج الصناعي والحرفي في ريف بايلك الشرق، والذي عرف تنوعا وفق حاجيات السكان، مع الإشارة الى بدائية الوسائل المستعملة في الإنتاج، وتخصص كل منطقة في ريف بايلك الشرق بحرفة معينة¹، تبعا لتوفر المواد الأولية، كما عالجنا في هذا الفصل الجانب التجاري في البايك، بالتطرق الى المبادلات التجارية والعملية المتداولة في الأرياف، وأدوات الكيل والميزان، وطرق تصريف الإنتاج.

أولا: الصناعة والحرف في ريف البايك:

اعتمدت الأسر الريفية إضافة إلى النشاط الزراعي، العديد من الحرف التي امتهنتها لتغطية متطلباتها لاسيما المصنوعات النسيجية والفخارية، يشار إلى الدور الذي لعبته المرأة إلى جانب الرجل في ممارسة الأنشطة الحرفية المختلفة كحياكة الزرابي والسجاد والبرانس، كما انتشرت صناعة الأدوات الحديدية والأواني الفخارية والخشبية، فقد استطاعت هذه الأسر تنويع إنتاجها بين ما هو مخصص لتلبية متطلباتها اليومية وما هو موجه للأسواق كمصدر رزق لها².

أ- مقومات الإنتاج الصناعي والحرفي في البايك:

- عرفت الجزائر خلال العهد العثماني وفرة وتنوعا في الإنتاج الزراعي والحيواني، خاصة مع وفرة المادة الأساسية كالصوف والحريز، الشيء الذي لوحظ في تنوع الأنشطة الصناعية والحرفية، وأسس لصناعة خاصة بكل منطقة، لاسيما الصناعة النسيجية كالزرابي والحياك والبرانس، هذه الأخيرة التي عرفت بجودتها، ليسوق جزء من هذا الإنتاج محليا، ويخصص بعضها للتصدير للخارج³، الأمر نفسه لبايك الشرق باعتباره من أغنى البايكات في الجزائر والذي عرف بضخامة إنتاجه الزراعي والحيواني وهو ما سنتطرق له لاحقا.

¹ ينظر: الملحق رقم: 13 .

² أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص221.

³ أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني...، المرجع السابق، ص 62.

- يشير الوزن إلى وفرة المواد الأولية التي تنتجها الأراضي الزراعية الخصبة التي تحيط بمدينة قسنطينة، المعروفة بجودتها وكثرة مردوديتها، التي تصل إلى ثلاثين ضعفا مما يزرع فيها، إضافة إلى انتشار الصناعات والحرفيين بأسواقها كما يشير في موضع آخر إلى وجود العديد من الحاكة والصناعات بعنابة، وامتهانهم لبيع قماش الكتان¹، وهو ما يدل على وجود يد عاملة مؤهلة عملت في مختلف الأنشطة الحرفية في البايك.

- غنى بعض المناطق في البايك بالمعادن الثمينة، حيث يذكر العوامر وجود قطع صغيرة من الذهب كالبريقي يقوم أهالي سوف ببيعه بالجريد، كما يوجد بشطوطها ملح البارود بالقرب من منطقة الذواهب، إضافة إلى الملح بشط التاجر².

- عملت العديد من قبائل البايك على استغلال مناجم الحديد والرصاص والنحاس وغيرها من المعادن المنتشرة في مناطقها، الأمر الذي أسس لعدة نشاطات حرفية وصناعية انطلاقا من حاجة سكان الأرياف. وهذا ما يذكره حمدان خوجة عند زيارته لجبال فليسة وزوايا بني عباس ووادي بجاية، حيث وصفها بالقرى الكبيرة المبنية من الحجارة والمطلية بالجير، يوجد بداخلها مراكز لصنع الأسلحة وأنابيب البنادق وتقليد العملة³.

- فرضت جغرافية البايك خاصة في المناطق الجبلية التي تقل فيها الزراعة، على السكان التوجه نحو النشاط الحرفي، لتلبية حاجياتها الضرورية بالاعتماد على ما هو متوفر من مواد أولية أو ارتياد الأسواق لاقتناء ما ينقصها، وهو ما لوحظ في امتهان أسر

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا ، ج2، المصدر السابق، ص ص 56-61.

² ابراهيم محمد الساسي العوامر ، المرجع السابق، ص49.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة...، المصدر السابق، ص44-45.

بأكملها لصناعات معينة تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل، ميزها براعة أفرادها في تطويع ما توفر من حديد وحجارة وخشب لتلبية حاجياتها¹.

- عملت السلطة في البايك بالتعاون مع بعض القبائل على استغلال الثروة الغابية الكبيرة في البايك، خاصة مناطق جيجل وبجاية والقل، ولهذا الغرض أنشأوا مصلحة الكراسطة، حيث يذكر نور الدين عبد القادر أن العثمانيين استغلوا الخشب القادم من جبال بجاية لصناعة سفنهم².

ب- الإنتاج الصناعي والحرفي في البايك:

1- الصناعة التحويلية:

أ- الصناعة النسيجية والصوفية:

من خلال نوازل ابن الفكون نلاحظ امتهان النساء في بايلك قسنطينة لبعض الحرف النسيجية كالطرز والخياطة، حيث تذكر إحدى النوازل " أن رجلا مرض وله ابنة اعترف لها في المرض، بأن لها في ذمته دينا من تركة والدتها المتوفية من عصمة نكاحها ومن خدمة البنت المذكورة ما استفادته من الطرز والخياطة"³، كما جاء في نازلة أخرى ممارسة نساء البايك لصناعة الصوف والغزل وحياتهم لأنواع مختلفة من الملابس والأفرشة حيث تذكر إحدى النوازل " الذي أعلمه و أتحققه وأشهد به من حال النساء بقسنطينة الثيبات والأبكار الدنيات وذوات الأقدار اتخاذهن الصوف وغزلها وخدمتها

¹ لخضر بوطبة، بجاية خلال العهد العثماني، 1555-1833، دار كوكب العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2021، ص ص 238-239.

² عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 65.

³ محمد ابن عبدالكريم الفكون، المصدر السابق، ص 64.

و إقامة ما يحتجن إلى إقامته من الأنخاخ والطنافس، والأكسية و المآزر والعباءات واقتناء ذلك للمنفعة"¹.

كما يصف لنا شلوصر طريقة عمل نساء المجتمع الريفي على المنسج² داخل الخيمة بالقول "وبعد ذلك تجلس امرأتان خلف المنسج، لتنسجا ألبسة للرجل ولأنفسهما وللأطفال، وينتصب المنسج بصورة مستقيمة، ويربط به جزء من الخيوط، وتمرر البقية بواسطة الأصابع وتثبت بواسطة خشب، وفي الوقت نفسه تجلس امرأة ثالثة خارج الخيمة، وتشد خيوط صوفية بين أربعة أعمدة، وتنسج القماش الذي تصنع منه الخيمة"، واصل شلوصر وصفه لطريقة غزل الصوف بالقول "بينما تغزل أخرى الصوف مستعملة مغزلا ذو قرص خشبي يدار بواسطة، وتمسك تحت ذراعها عصا، لفت حولها الصوف، وتسحب منها خيطا، وتضعه حول المغزل، وتديره فوق فخذها، ثم تبعده عنها إلى الأسفل وتدعه يدور، وأثناء سحبها للخيط من الصوف ببطء، ينشأ خيط سميك، وبعد العشاء تعود النسوة إلى عملهن السابق، ينسجن حتى وقت متأخر من الليل"³.

أما بمناطق جرجرة فيصنع السكان آلات النسيج ويحكون الملابس الصوفية، إضافة إلى الألبسة كالعباية والبرنوس و القبعة(الشاشية) البيضاء، والحايك الخاص بالنساء⁴، كما امتلكت قبائل بني عباس مهارة كبيرة في صناعة البرانس⁵ وترقيعها، فقد استطاعوا تغطية حاجيات القبائل وحتى البلاد تقريبا، كما امتلكوا بمدينة الجزائر دكاكين

¹ محمد ابن عبدالكريم، المصدر السابق، ص103.

² ينظر الملحق رقم: 14 .

³ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص ص93-94.

⁴ Daumas et Fabr, *La grande Kabylie études historique*, Alger, 1847, P26.

⁵ لباس يضعه الرجل فوق كتفه يغطي جسمه، يلصق في وسطه قلمون، يترك معلقا أحيانا على الكتفين، أو يغطي به الرأس، يقي من المطر ، يفصل على شكل قطعة واحدة بدون خياطة، يعطي منظرا جماليا يتسم بالبساطة والأناقة، ينظر: ويليام شالر، المصدر السابق، ص83.

مارسوا فيها هذه الحرفة¹، من أهم القبائل التي مارست صناعة الألبسة الصوفية خاصة البرنوس نذكر قبائل بني عباس، بني وارثيلان وزمورة².

كما لفت انتباه العياشي عند دخوله مدينة ورقلة الكثير من الألبسة من الصوف الكتان ملقاة على باب المدينة، وهو ما ذكره بالقول " وفي باب المدينة التي نزلنا من قبله خرق كثيرة من صوف وكتان، أكثرها صحيحة لا قطع فيها، يصلح للانتفاع، وليس مثلها مما يرمى في العادة، وتعجبنا من كثرتها وصحتها"³، من خلال ما ذكره العياشي يمكن الوصول إلى استنتاجين الأول وجود صناعة يدوية رائجة للألبسة في المنطقة، أما الاستنتاج الثاني فهو عادات المنطقة برمي الألبسة التي توفي أصحابها على باب المدينة الأمر الذي لم يجزم بصحته العياشي .

يصنع في المناطق الصحراوية إضافة إلى البرنوس والحايك، أقمشة غليظة، مثل أكياس التحميل، والجلال الذي يوضع على ظهر الفرس، والغرارة التي توضع على الإبل للتحميل، إضافة إلى الفليج الخاص بالخيم، والحنبل ويقصد به البساط الطويل، تنتشر هذه الصناعة بجمال لعمور، وواحة الزيبان التي تعتبر فيها مدينة طولقة أهم منطقة لهذه الصناعة، ومما يميز الصناعة النسيجية في الصحراء عن مناطق جرجرة أنها أرفع وأقل رصا⁴.

كما عرفت منطقة ورقلة، بصناعة العديد من المنتجات النسيجية، مثل الزرابي والبرانس والحوالي والقشاشب، وذلك لوفرة المواد الأولية لصنعها كالوبر والصوف، وإتقان الأهالي لهذه الحرفة⁵، حيث يعتبر البرنوس القادم من مناطق الصحراء من أجود ما

¹ هينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص163.

² Charl Feraud, *Les corporation de métiers...* Op.Cit, P451.

³ عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ج1، ص118..

⁴ إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص ص 188-189.

⁵ رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844-1962م، أطروحة دكتوراه دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2012، ص 97.

يتداول في المنطقة ، إضافة إلى الحايك المنسوج من الحرير والصوف، تختلف طريقة حياكة البرنوس والقندورة حسب نوعية الأقمشة القادمة من تقرت ووادي سوف وبلاد الجريد¹.

ب- الصناعة الجلدية:

تتمثل في صناعة الأحذية والأحزمة، والمحافظ، وأغلفة الأسلحة المتنوعة، وحافظات النقود وبعض الطنافس والألبسة الواقية أثناء الحروب، و من الأشواك في مواسم الحصاد والدرس، تلحق بهذه الحرفة الطرز بالخياط الجلدية على السروج والمحافظ والطنافس، تعرف هذه الصناعة انتشارا كبيرا في البايك خاصة مناطق الواحات ومراكز المدن الكبرى².

يستعمل سكان جرجرة شجر البلوط الموجود بالمنطقة في معالجة الجلود، فقد استطاع سكان زمورة تحقيق ثروة كبيرة من دباغة الجلود، باستغلال أشجار البلوط الموجودة بجبل بوشيوان لاستخراج مادة الدباغة، إضافة إلى الاستعانة بلحاء شجر السلخ في حال تعذر الحصول على شجر البلوط، أو جلبه من مناطق أخرى بعيدة، تنوعت منتجات المنطقة من الجلود، بين الأحذية العادية والطويلة، والسروج وحاملات البنادق والأحزمة الجلدية، تساهم في صناعتها العديد من القبائل مثل أولاد مريوب، بني ميمون، زمورة³.

من الطرق الشائعة أيضا في تحضير الجلود، العمل على تنظيف الجلد وغسله والقيام بوضع الملح على الجزء الداخلي، ومن ثم يتم طيه عدة مرات لضمان وصول الملح إلى الجلد بأكمله لتنتهي العملية بشده من الأطراف لتقادي انكماشه مع تعريضه

¹ Charl Feraud, *Les corporation de métiers...* Op.Cit, p451.

² يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية ...، المرجع السابق، ص 168.

³ إ. كاريت، المصدر السابق، ج3، ص ص 270-271.

لأشعة الشمس بغية تجفيفه، لتستعمل هذه الجلود في صناعة النعال وقرب الزيت والماء¹.

كما عرفت مناطق ورقلة هذه الصناعة، حيث يصنع أهالي المنطقة من جلود الحيوانات، الأحذية، والقرب، و الركوة والتي هي عبارة عن علبة من جلد الماعز، إضافة إلى دلو مفتوح الفم مقام على عود مستدير يسمى بالعمورة²، إضافة إلى صناعة الدلاء والقلل، وهي من الصناعات الحرفية المعروفة في مناطق الصحراء، والتي يستعمل فيها الأهالي جلود الحيوانات المتوفرة في المنطقة³.

ج- صناعة الحلي :

تنوعت صناعة الحلي في أرياف البايك، والمتمثلة عموما في الأساور، والخلاخل، والرديف والخواتم، والعقود و العمائم، والتيجان، والأقراط، والمشرفات، والمقاييس، تنتشر هذه الصناعة بمناطق جرجرة، وقسنطينة وبعض الواحات الصحراوية⁴.

كما عرف إقليم مجانة بصناعة الحلي الفضية خاصة مناطق البيبان والجعافرة والمالين⁵، يشار إلى أن سكان منطقة جرجرة لا يستعملون الذهب في صناعة الحلي، فالمعدن الثمين الوحيد الذي استغله سكان المنطقة هو الفضة، والتي يتم استخراجها من الدورو العملة الاسبانية ليتم صهرها ودقها باستعمال السندان لتأخذ شكل الصفائح الرقيقة التي تحول إلى خيوط تستغل في صناعة الحلي المختلفة كالخواتم و السلاسل وغيرها، يتم صناعة هذه الحلي بناء على توافق بين المشتري وصاحب الحرفة، حيث يقدم الأول القطع النقدية اللازمة، بينما يوفر الثاني النحاس والطلاء والمرجان، كما يحصل أيضا على نصف قيمة القطعة النقدية كأتعاب له⁶، وهذا ما يذكره دوفو عن خلاف وقع بين

¹ أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص 652.

² رضوان شافو، الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص97.

³ المرجع نفسه، ص 96.

⁴ يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص170.

⁵ مزيان وشن، مجانة عاصمة إمارة المقرانيين، دار الكتاب العربي، [د.ط.]، الجزائر، 2007، ص 93.

⁶ أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص ص 673-674.

صائع وزبون، بعد أن اتفق هذا الأخير مع الصائغ على تسليمه قطعاً نقدية ليستغل خامتها في صناعة سوار نسوي يسلمه له في موعد معين، إلا أن الصائغ أخلف وعده الأمر الذي أدى إلى نشوب عراك بين الطرفين¹، أما بالنسبة لأهم الحلي والمصوغات التي برع فيها سكان المنطقة فنذكر خلاخل الأقدام، الأساور، القلائد، الأقراط، إضافة إلى الدبابيس التي تستخدم في تثبيت الحائك النسائي والحلي التي توضع على الرأس، اشتهرت العديد من القبائل في صناعة وتجارة الحلي لعل من أهمها قبيلة بني عباس².

كما يذكر شلوصر عمل سكان جرجرة في استخراج المعادن، ذاكراً أن أحد أعيان المنطقة أراه سبائك من الفضة طولها بين 15 و 16 بوصة، وقف على استخراجها وصهرها هذا الأخير بنفسه³.

أما بالمناطق الصحراوية وخاصة ورقلة، فاختص اليهود بصناعة الحلي وذلك بإذابة العملات الذهبية المتوفرة وذلك بعد استقرارهم عدة أشهر في السنة في المنطقة، كما استغل السكان مناطق غرب إفريقيا للحصول على الذهب حيث يتم معالجته وتصفيته من الشوائب، بغرض نقله إلى مراكز صك العملة، بعد أن يوضع في قوالب خاصة⁴.

تجدر الإشارة إلى أن تونس من أهم المناطق التي يصل منها الذهب إلى البايك، حيث يقدم أحيانا على شكل هدايا، إذ ورد في إحدى الوثائق الأرشيفية باسم المثقال وكانت مرصعة بالأحجار، إضافة إلى الحكك التي تأخذ شكل العلب المرصعة بالحجارة التي كانت توجه كهدايا إلى باي قسنطينة⁵.

¹ C.Devaux, Les kabailles du djedjara, *Études nouvelles..* Op.cit,p106.

² Ibid, pp108-109.

³ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص97.

⁴ نفيسة بلخضر، مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، 2016، ص59.

⁵ الأرشيف الوطني التونسي: الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر 269، وثيقة 36. ينظر الملحق رقم: 15.

د - صناعة الصابون:

يقوم أهالي زواوة باستغلال الزيوت لصناعة الصابون، حيث تنتج المنطقة كميات كبيرة من هذه المادة ومن أشهر القبائل إلى امتهنت هذه الصناعة قبيلة بني أوغليس وفناية وبني عباس¹، حيث تعمل بعضها على صنعه من البوتاس والكلس، ويتم ذلك بخلط مقدار متساو من رماد أخشاب شجر الدردار والبلوط الأخضر وبلوط الزان الأخشاب والكلس، وبعد تغلية هذا الخليط وغسله بالماء، يقوم السكان بصب الزيت الساخن عليه ليتحول في الأخير إلى صابون متشبع بالزيوت يأخذ عدة ألوان حسب نوع الزيت المستعمل².

كما يصنع سكان مناطق جرجرة الصابون من البوتاس الموجود في أشجار المستكة³ و الدردار، حيث يتم الحصول على نوع من الصابون الناعم ذو اللون البني الداكن، يستعمله الأهالي لغسل الأقمشة الصوفية، إضافة إلى بيعه في الأسواق لكثرة الطلب عليه⁴، إضافة إلى استغلالهم بقايا الزيتون ورماد أشجار الدفلة في صنع الصابون، كما عرفت بعض المناطق بهذه الصناعة كقلعة بني راشد وبوسعادة، حيث وجد الفرنسيون بها 40 صانعا للصابون⁵.

¹ إ. كاريت، المصدر السابق، ج3، ص 275.

² أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص 650.

³ شجرة قصيرة الطول دائمة الخضرة، تتضح ثمارها التي تشبه ثمار التوت في شهر أكتوبر تأخذ اللون الأحمر في البداية لتتحول في ما بعد للون الأسود، يستخرج منها مادة الراتينج التي تخل في صناعة مواد التجميل كالبخور والزيوت، والعمور وغيرها. ينظر الموقع الإلكتروني <https://sehaweghethaa.com> اليوم: 2024/02/10، الساعة 16:25.

⁴ C.Devaux, Les kabales du djedjera, *Études nouvelles*.. Op.cit,p123.

⁵ يوسف صرهودة، المرجع السابق، ص94.

هـ - صناعة الفخار:

عرفت العديد من القبائل في البايك بتشكيل الطين، على غرار قبيلة بني مسلم ونظرا لتوفر مادة الطين و المياه على ضفاف وادي الكبير في المنطقة مابين العنصر والميلية، فقد عملوا في صناعة القرمود المخصص للبناء¹.

كما صنع الأهالي بأنفسهم أحجار الرحي التي تستعمل في معاصر الزيت خاصة مع انتشار زراعة الزيتون في المنطقة وإنتاجها الكبير من هذه المادة²، كقبيلة فناية التي امتهنت صناعة الفخار، حيث يقوم السكان بجلب الطين من قبيلة اوغليس أو المنطقة الفاصلة بين القريتين، كما تصنع القبيلة قرميذا أبيض عريض ذو نوعية جيدة يتراوح سعره بين 2 إلى 3 بسيطة لمائة قطعة، مع امتلاكها العديد من الأفران بقرى الجنان والماتن، تمتهن هذه الحرفة بشكل أكبر من طرف النساء، حيث يقمن بتجفيف الطين لمدة يومين أو ثلاثة أيام، ليتم بعد ذلك إذابته في الماء لفصل مكوناته، لتشكل في الأخير عجينة يضاف إليها بعض بقايا الأواني الفخارية القديمة لزيادة تماسكها، ولتشكيله تستعمل النسوة أدوات بسيطة كالمكشط المصنوع من الخشب وحجر مبروم لصقل الأجزاء الخارجية، ولحماية هذه الأواني من التشققات تطلّى بنوع من الصلصال المذاب في الماء بواسطة قطعة قماشية، لتختم بوضع هذه الأواني على موقد في الخلاء لإكسابها المتانة اللازمة³، وهذا ما يؤكد دوفو بالقول إن النساء يمتهن صناعة الفخار واكتسابهم خبرة كبيرة في هذا المجال، كما يستعملن ألوانا متنوعة لصبغ قطعهم الفخارية يتم تثبيتها باستعمال خليط مكون من راتنج⁴ أشجار الصنوبر أو الأرز المذاب في القليل من زيت الزيتون⁵، بالنسبة

¹ علي خنوف، المرجع السابق، ص 95.

² Daumas et Fabr, *La grande Kabylie..* Op.cit,p26.

³ أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص ص 662-664.

⁴ يتميز عن الصمغ بكونه لا يذوب في الماء، يستخرج من كثير من النباتات، ينقسم الى البلسم وهو سائل يستخدم لشفاء الجروح ، والراتنج الزيتي المستخرج من الصنوبريات، له عدة استعمالات كصنع المواد اللاصقة ومعالجة الورق وتثبيت العطور وصنع الأدوية. ينظر: منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، غابات المناطق القاحلة دليل للفنيين الميدانيين، سلسلة إرشادات الصيانة، روما، 1993، ص ص 144-145.

⁵ C.Devaux, *Les kabailles du djedjera, Études nouvelles..* Op.cit,p117.

لأهم الأواني المصنوعة فتمثل عموما في الجرار المستعملة في جمع الماء وتخزين الزيت والأواني الصغيرة لشرب الماء والحليب، إضافة إلى الأواني المستعملة في تحضير الخبز والكسكي¹.

أما بالنسبة لمنطقة مجانة بمرتفعات جبال الجعافرة فتميزت المنطقة عموما بصناعة الأواني كالصحن والأباريق والقلل والمصابيح والمثارد والقدر والطناجر و القصاع، إضافة إلى صناعة معاصر الزيتون الحجري بحكم انتشار زراعة الزيتون في المنطقة². كما تميزت قبيلة بني عباس بالصناعات الحرفية، لاسيما صناعة رحي الزيتون، حيث امتلكت ما يفوق المائتي رحي، وهو دلالة على غنى هذه القبيلة وتوسع نفوذها³. وهذا ما يذكره دوفو عند تطرقه لممارسة البعض لمهنة استخراج أحجار الرحي المخصصة لمطاحن الزيت والدقيق، مشيرا إلى عدم توفر هذه الحجارة إلا في مناطق معينة، وارتفاع تكلفة استخراجها التي تتضمن الاستخراج و طعام العمال والنقل وتهذيب هذه الأحجار وصولا إلى الشكل المطلوب⁴.

تعتبر المطاحن اليدوية من المقتنيات الضرورية لدى الأسر الريفية في البايك، تتكون هذه المطاحن من حجرين من الحجر الكلسي يوضعان فوق بعضهم البعض، يثقب الحجر السفلي في وسطه، لتوضع الحبوب من الأعلى، وعند إدارة الرحي يتساقط الدقيق على بساط مصنوع من جلد الخروف⁵، كما تستخدم هذه المطاحن لتحضير كل مكونات مكونات الخبز كالبشنة والبالزاء والحمص إلى جانب القمح، حيث يتم خلط هذه المكونات مع دقيق القمح لصنع الخبز، بينما في المناطق الجبلية وخاصة مع شح هذه المكونات يتم إضافة دقيق البلوط إلى دقيق القمح عند تحضير الخبز⁶.

¹ أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص 664.

² مزيان وشن، المرجع السابق، ص ص 92-93

³ هينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج2، ص163.

⁴ C.Devaux, Les kabailles du djedjra, *Études nouvelles.. Op.cit*, P113.

⁵ أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص 677.

⁶ C.Devaux, Les kabailles du djedjra, *Études nouvelles.. Op.cit*, pp126-127.

يوجد بقسنطينة أربعة مطاحن يستعمل لإدارتها البغال والخيول، إضافة إلى رحاتان خارج المدينة تشتغلان بالماء¹، كما يذكر الأستاذ يحي بوعزيز، أنه إضافة إلى الرحي العائلية الموجودة في المنازل، هناك الرحي الكبيرة العاملة بقوة المياه الموجودة على حواف الأودية والأنهار، والمنتشرة عادة ببلاد جرجرة، بينما تستغل الخيول والأحمر لتشغيل معاصر الزيتون².

2- الصناعة المعدنية:

يتواجد الحديد في عدة مناطق بالبايلك، فبمنطقة بجاية يوجد الحديد الأبيض ذو النوعية الجيدة تقوم قبائل المنطقة باستخراجه وتحويله، ومن ثم يجلبونه إلى أسواق بجاية والجزائر³، كما امتهنت العديد من قبائل المنطقة كقبيلة بني سليمان معالجة الحديد الخام المستخرج من مناجم المنطقة باستعمال المعول والمطارق الثقيلة، ومن ثم يذوب في الأفران، وعند إخراجها من الأفران يتم العمل على تحويله إلى مختلف الأدوات الزراعية كالمعاول والمحاريث، إلا أن سكان المنطقة يستعملون الحديد الأوربي الذي يصل المنطقة من تونس و قسنطينة والجزائر لصناعة الأشياء الدقيقة، بينما يستغل حديد المنطقة في الهياكل البسيطة نظرا لرداءته⁴، كما تستخرج كميات كبيرة من الحديد والرصاص من جبال منطقة جرجرة⁵، حيث ينتشر الحديد من الحدادين بالمنطقة، يساعدهم في ذلك حصولهم على الحديد من مدينة الجزائر وبجاية، ليقوموا باستغلاله في صناعة المحاريث، وخذوات للخيول والبغال والحمير، المسامير، القواديم الصغيرة، السلاسل وأقفال الحيوانات والسكاكين⁶، كما يصنع السكان المجارف المستعملة في تذرية القمح لتصفيته بعد عملية الحصاد والدرس، إضافة إلى استعمال البعض من هذه المجارف في حفر الأرض⁷،

¹ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص88.

² يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص170.

³ Thomas shaw, Voyage dans la régence...Op.Cit,p35.

⁴ إ. كاريت، المصدر السابق، ج3، ص278.

⁵ ويليام شالر، المصدر السابق، ص30.

⁶ C.Devaux.Les kabailles du djedjera. Études nouvelles.. Op.cit.p107.

⁷ Ibid,p110.

فالمنطقة تنتج أغلب إنتاج البلاد من معدني الحديد والرصاص، ذو الجودة العالية، يباع للقبائل الصحراوية، كما يستخرج الحديد من الجبال المحيطة بمدينة بجاية ومن الجبال الواقعة إلى الشرق منها ببلاد جرجرة، المستغل في صناعة الأدوات و الصحون الحديدية في تجارة محلية رائجة عرفتها المنطقة¹، نلاحظ هنا التناقض بين ما كتبه كاريت وما ذكره سبنسر في ما يخص جودة الحديد فالأول يشير إلى رداءته واستغلاله في الهياكل البسيطة والاعتماد على الحديد المستورد بينما يذكر الثاني أنه ذو جودة عالية.

أما بالنسبة للرصاص فتوجد مناجم غنية بالرصاص، بالقرب من حمام الليف، و الونشريس وبني بوطالب، تتم تنقية الرصاص بوضع طبقة من الخشب وأخرى من الخام بالتناوب، ومن ثم توقد النار فيه، لنحصل في الأخير من قنطار خام من الرصاص على ثمانين رطلا من الرصاص².

كما اختصت كل قبيلة في جبل بحدادها الخاص، وذلك نظرا لحاجتهم لهذه الحرفة المرتبطة بصناعة أدوات الإنتاج الزراعي كالفأس والمنجل وسكة المحراث والمحراث الخشبي³.

أما الأغواطي فيذكر وجود منجم عظيم من الرصاص بالصحراء، يسمى جبل الرصاص، لا يخضع لسلطة أي قبيلة، يستخرج منه السكان كميات كبيرة من الرصاص لبيعها، يقع المنجم شرقي أولاد نائل⁴.

بالنسبة لمادة النحاس فتتواجد في عدة مناطق في البايك، لاسيما منجم أم الطبول، ومنجم جبل الوزنة شمال تبسة، ومنجم جبل بوجابور غربي تبسة، ومنجم الزوزية شرق

¹ وليم سبنسر، المصدر السابق، ص141.

² Thomas shaw, Voyage dans la régence...Op.Cit.p36.

³ علي خنوف، المرجع السابق، ص 95.

⁴ ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص91.

مسكيانة بباتنة، ومنجم جبل سيدي رغييس شمال عين البيضاء، ومنجم بني تليلين جنوب غرب قسنطينة¹.

أما مناطق الصحراء، فقد عرفت الصناعة المعدنية ازدهارا خلال الفترة العثمانية، خاصة مع تطور حركة المبادلات بين السودان الغربي وورقلة، وصول العديد من المواد الأولية للمنطقة، واشتغال الكثير من أبناء المنطقة في حرفة الحدادة، مع حاجة السكان للأدوات الزراعية، وانتشار صناعة السلاح، خاصة مع حصولهم على التبر، مما أكسبهم خبرة في تحويل المعادن².

3- الصناعة الخشبية:

تتوزع مناطق البايك بمساحات كبيرة من الغابات، إلا أن الفترة الأخيرة للتواجد العثماني في الجزائر شهدت استنزافا كبيرا لهذه الثروة باستغلالها في الحياة اليومية كالمطهي وصنع الأثاث وغيرها، إضافة إلى التوجه نحو صناعة السفن وهو ما أدى إلى انحصار كبير للغطاء النباتي ببجاية وجيجل³، بعد الاستنزاف الذي شهدته غابات شرشال توجهت الأنظار خاصة نحو غابات بجاية وجيجل لغناها بالأشجار الجيدة كالبوط والصنوبر، على الرغم من حالة التمرد على السلطة التي تشهدها هذه المناطق، لذلك لجأت السلطة إلى التعاون مع أعيان المنطقة أصحاب النفوذ والجاه لا سيما العائلات المرابطية لضمان الحصول على الخشب بأسعار معقولة وفق المعايير المطلوبة مقابل الحصول على العطايا والامتيازات، يشار إلى أن من أهم الأسر المتعاونة مع السلطة في تجارة الخشب أسرة آل مقران بمجانة، إضافة إلى إنشائها مصلحة الكراسطة ببجاية كمركز للفرز والبحث لتنضم لها فيما بعد جيجل والقل⁴.

¹ عمر بلوط، الورشات الحرفية في مدينة قسنطينة العثمانية، دار ومضة، [د.ط.] الجزائر، 2022، ص91.

² رضوان شافو، الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص ص 96-97.

³ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في...، المرجع السابق، ص177.

⁴ مولاي بلحميسي، صناعة السفن أيام الأتراك (ق16-19)، مجلة الدراسات الأثرية، مج02، ع01، الجزائر، 1995، ص ص 52-53.

كما أن سكان المنطقة الممتدة من منطقة جرجرة إلى غاية القل، قد امتهنوا استغلال الخشب وتحويله إلى ورشات صناعة السفن، إلا أن هذا الاستغلال لم يكن عقلانيا ولم يؤدي إلى ظهور صناعة حقيقية للسفن بل اعتمدوا على خبرة الأوربيين في استغلاله¹، يضيف ويليام شالر أن الأخشاب تنقل من بجاية إلى ميناء الجزائر وأنها ذات نوعية رديئة لا تستخدم في بناء السفن، مشيرا إلى توفر التربة والخصبة والمناخ المناسب لنمو الغطاء النباتي²، إضافة إلى أن أغلب الأخشاب المستخدمة في مواقع البناء في الجزائر تستخرج من الغابات التي ترونها هذه الوديان كوادي منصورية³.

أما بمناطق جيجل فقد اختصت كل قبيلة بصناعة معينة، فقبيلة بني فوغال وبسبب توفر الغطاء النباتي، عملت هذه القبيلة على قطع الأشجار وتحويلها إلى ألواح خشبية لاستغلالها⁴، كما كلفت أسرة آل مقران بالتفاوض مع القبائل للترود بالخشب لصالح البحرية الجزائرية، حيث يستخرج الخشب من غابات الزان الموجود بإقليم عرش بني فوغال، مع سيطرت عائلة بن حبيص عواز أعيان البقعة على إدارة ورشة الإشغال⁵.

تحيط بمدينة عنابة السهول المروية جيدا إضافة إلى الجبال المغطاة بالأشجار⁶، فالمنطقة الواقعة على ضفاف وديان السيوس وسبع عيون وزناني، تزخر بمناطق جبلية بها غابات كثيفة مكونة من أشجار فارعة الطول⁷.

كما تزخر المناطق الجبلية بالبايلك بأجمل غابات الجزائر، تغطيها نباتات خضراء كثيفة، فالمنطقة غنية بأشجار الصنوبر والأرز وجميع أنواع البلوط، لتبقى الشجرة الأكثر مقاومة و تجذرا في هذه الأرض هي شجرة بلوط الزان الفاريس الموجودة بمنطقة بني

¹ عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520م-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، سيدي بلعباس، 2015، ص 139.

² ويليام شالر، المصدر السابق، ص30.

³ Thomas shaw, Voyage dans la régence...Op.cit, p335.

⁴ علي خنوف، المرجع السابق، ص 95.

⁵ شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص145.

⁶ Thomas shaw, Voyage dans la régence...Op.Cit,p344.

⁷ Ibid. P373-374.

فوغال وهذه الشجرة يطلق عليها السكان اسم تاشا أو تاشتا، تتميز بخشب صلب غامق اللون، تبقى أوراقها العريضة على الفروع لوقت أطول فهي تشبه في أصولها البلوط الأوربي، مما جعل العثمانيين يفضلونها لبناء سفنهم الحربية¹، إضافة إلى انتشار أشجار الزان الضخمة بمناطق قبائل بني صالح جنوب عنابة والتي تضاهي جودتها ما هو موجود بايطاليا وروسيا، أما القالة فتنتشر بها غابات الفلين والمربك والدردار والمران والأرز والملز، كما حصلت الدول الأوروبية لا سيما فرنسا وانجلترا على امتيازات لقطع الأشجار الكبيرة كالكروش والزان، لاسيما الاتفاق مع الانكليز سنة 1817م لاستغلال غابات الزان لجودته وندرته في المناطق الواقعة بين بني صالح و القالة إلى نهر السيوس مقابل دفع مقابل سنوي قدر ب200الف فرنك².

كما تغطي جبال جرجرة الغابات الكثيفة، حيث تنمو أشجار المستكة، وشجرة الزيتون البري، والصنوبر المقدسي، والبلوط الحلو، والفلين، والعرعار الفينيقي، إضافة إلى شجرة الدفلة³.

ساعدت هذه الثروة الخشبية، في ازدهار صناعة الفحم في البايك، المستعمل في صهر الحديد وإذابة المعادن الثمينة، خاصة بمناطق جرجرة حيث يتم دفن الأخشاب في حفر تأخذ شكل الآبار الصغيرة، ومن ثم تضرم فيها النار لفترة معينة، يتم ردمها لاحقا بالأتربة لإطفاء النيران، واستخراج الفحم منها، تستعمل في هذه الصناعة خاصة أشجار البلوط لمتانتها وشدة نارها، على عكس خشب أشجار الصنوبر⁴.

كما استغلت أشجار البلوط، الزان، والزيتون، والعرعار،الصنوبر، الزبوج، الأرز، والفرنان، في العديد من الصناعات الخشبية في البايك، نذكر من بينها صناعة الأدوات المختلفة كالملاعق الصغيرة والمغارف الكبيرة، الصناديق، الطاومات والكراسي، الغرابيل

¹ Charl feraud, **Exploitation des Forêts de la karasta dans la Kabylie Orientale sous la domination Turque**, R.V, N71, 1868, pp380-381.

² مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص53. ينظر أيضا: ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص177.

³ Peyssonnel et Desfontaines, **Voyage**..Op.cit, p262.

⁴ يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية ...، المرجع السابق، ص169.

والمحامل، مقابض السكاكين والخناجر والمناجل وغيرها، إضافة إلى ازدهار حرفة النقش على الأدوات الخشبية¹.

وعلى الرغم من الاستغلال غير العقلاني للخشب خلال العهد العثماني، إلا أن الغطاء النباتي الموجود في هذه الفترة يتجاوز مثيله في فرنسا، حيث قدرت المساحة الغابية في الجزائر ب 1.251.757 هكتار، والمتكونة أساسا من الفلين المنتشر في المنطقة الساحلية من القالة إلى بجاية مع وجود بعض أنواع الأشجار الأخرى كالصنوبر والزيتون البري والكروش، متجاوزة في ذلك ما تملكه فرنسا من مساحات غابية والمقدرة ب1.092.000 هكتار².

4- صناعة الأسلحة والبارود:

انتشرت صناعة الأسلحة والبارود في الكثير من المناطق في البايك، فمنطقة بجاية ولتوفرها على ثروة غابية كبيرة من أشجار البلوط والدفلة والبندق، عمل السكان على صناعة البارود باستخدام الفحم الخشبي، كما انتشرت صناعة البنادق بمناطق زاوة³.

حيث عرفت المنطقة بصناعة البنادق الجيدة، وهذا ما يذكره شلوصر في خضم وصفه لطريقة صنعها بالقول "ويبلغ طولها 6 أو 7 أقدام، ولها ماسورة مثمثة لا مربعة، ومقبضها يمتد إلى وسط الماسورة، وقاعدتها ذات زوايا، وهي مزينة عادة بحجارة أو جواهر صغيرة ذات ألوان متعددة وأسفلها مغطى بنحاس أو خشب جميل، والماسورة موصولة بالمقبض بواسطة ثمان أو عشر حلقات فضية...". كمل أنهم يفضلون بنادقهم المحلية على الأوربية رغم ثقلها لدقة صناعتها⁴.

¹ يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص169.

² ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 60.

³ لخضر بوطبة، بجاية خلال العهد العثماني، 1555-1833، دار كوكب العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2021، ص238. ينظر أيضا:

Daumas et Fabr, *La grande Kabylie..* Op.cit, p26.

⁴ فنديلين شلوصر، المصدر السابق، ص ص96-97

أما بمنطقة بني عباس فاشتهرت فليسة بامتلاكها ورشات متخصصة في صناعة الأسلحة والسكاكين، إضافة إلى السيوف والتي يطلق عليها أهل المنطقة اسم خدمة، إضافة إلى قرى تزايرت تلفة، استعمل السكان خشب الجوز والزان في صناعة أذرع البنادق، حيث يباع في المنطقة بأثمان زهيدة، بينما يكلف اقتناؤه من الباعة المتجولين ثمنا كبيرا، حيث تكلف القطعة الواحدة حوالي 17 سنتيما¹، فهم يصنعون مختلف أنواع الأسلحة كالبنادق والمسدسات والمدافع، واستعملوا في ذلك خشب شجرة الجوز حيث يبلغ سعر البندقية الجيدة بدون زينة إلى ما بين 60 و 100 فرنك، كما عرفت المنطقة بصناعة نوع من المدافع الذي يعتقد سابقا أنه يصنع في الخارج وأنهم استعملوا نفس الطريقة الأوربية لصناعاته²، إلا أن غالب الظن أن هذه المعلومة التي ذكرها دوفو بخصوص صناعة المدافع لم تكن دقيقة لأن أغلبية المصادر تكلمت عن صناعة الأسلحة كالبنادق والمسدسات وغيرها، ولم تتطرق لصناعة المدافع، أو أن هذه المدافع لم تكن بالجودة الكافية لتنتشر ويذيع صيتها. وعطفا على ما ذكر سابقا بخصوص براعتهم في صناعة الأسلحة، استطاعت العديد من القرى الانتقال إلى حياة الثراء بسبب هذه المهنة، فالبنقدية متقنة الصنع والمزخرفة برسوم نبتة كابوسين فضية اللون مزينة بالمرجان تباع ب70 ريال بسيطة أي 175 فرنكا، أما الأسلحة العادية فتتراوح سعرها بين 15 إلى 20 ريال بسيطة (37 فرنكا و 50 سنتيما إلى 50 فرنكا)³.

أما بالنسبة لطريقة تحضير الملح الصخري الذي يستعمل في صناعة مسحوق البارود، فتقوم المصافي الموجودة بمناطق بسكرة وغيرها بهذه العملية، ببناء أحواض من الطوب والحجر مع فرشته بالخشب من الأسفل و تبطينه بالحصير أو سعف النخيل، بعد ذلك تملأ بالتربة ثم تسقى بالماء العادي، من ستة إلى ست أو من ثماني إلى ثماني ساعات لمدة خمسة أو ستة أيام متتالية، يسحب من الماء أثناء ترشيحه عبر التربة جميع الأجزاء النيتروجينية التي يحتوي عليها فيتسرب الماء عبر التربة ويسقط في خزانات

¹ إ. كاريت، المصدر السابق، ج3، ص 250.

² C.Devaux, Les kabails du djedjara, *Études nouvelles*.. Op.cit, p108.

³ إ. كاريت، المصدر السابق، ج3، ص 251.

صغيرة موضوعة أسفل الأحواض، وعندما يتم جمع كمية كبيرة من هذا الماء يتم غليها في المراجل المخصصة لذلك¹.

أما بمناطق جرجرة فصناعة مسحوق الملح الصخري لا تتم إلا من طرف أشخاص ذوو خبرة، يستعملون نفس المقادير تقريبا المستعملة في فرنسا إلا أن عملهم أكثر بساطة أي 75 من الملح الصخري و12.5 من الكبريت و12.5 من الفحم، وتستعمل كمية إضافية من الكبريت لضمان الحفاظ على المسحوق².

بالنسبة لصناعة البارود فتتم بوضع ملح البارود والكبريت والفحم في مهراس وسحقها مجتمعة، مع إضافة الماء للوصول إلى عجينة يتم بتشكيلها إلى حبات على غرار طريقة تحضير الكسكسي، لتعقب هذه العملية الغريلة ومن ثم التجفيف تحت أشعة الشمس، وصولاً إلى وضعها في جرد كبيرة يتم تحريكها طيلة يوم أو يومين لتأخذ شكل حبيبات ملساء تجفف وتوضع في المخازن³.

مما يدل على غلاء أسعار البارود ما ذكره شلوصر عند كلامه عن جيش أحمد باي وغلاء وندرة البارود بالقول " والجيش لا يتلقى البارود إلا قبل الهجوم بفترة قصيرة، ونظراً لغلائه في قسنطينة فإن الرجل لا يستطيع أن يأخذ أكثر من عشر خراطيش وحين تنفذ يجب أن يحارب بالسيف"⁴.

أما بمناطق الصحراء، فيوجد ملح البارود في جبل برقة قرب وغرب خنقة سيدي ناجي وكذلك بعدة مناطق بواحة الزيبان خاصة منطقة الكيادة، عند مصب الدوسن، يستغله البوازيد والشرفة، كما يصنع أولاد نايل باروداً رائجاً يعرف بالبارود الجرفي، يستخرج ملح البارود الخاص به من ضفة وادي الجرف أحد روافد وادي جدي، كما يتواجد

¹ Thomas shaw, Voyage dans la régence...Op.Cit,pp26-27.

² C.Devaux,Les kabailes du djedjra, Études nouvelles.. Op.cit,P114.

³ أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص 658.

⁴ فنديلين شلوصر، المصدر السابق، ص ص98-99.

ملح البارود بمنطقة وادي ريغ، إضافة إلى بالمنطقة ما بين بحيرة المسيلة و وادي جدي، خاصة قرى عمورة و الهامل و العلاق و بوفرجون و الديس و بن نزو و بوسعادة¹.

يشير الأغواطي إلى طريقة صنع البارود بالمناطق الصحراوية بالقول "وجميع سكان هذه الصحاري يعرفون فن صناعة البارود، وطريقتهم فيه هي هذه: يجمع التراب من الأرض أو من الملاط في القرى المهدامة. هذا التراب الذي كان في الأصل من مادة مالحة يوضع في ماعون ويصب عليه الماء، بنفس الطريقة التي يعالج بها الرماد عند صناعة الصابون. ثم يغلى الماء إلى أن يصبح خائرا. ثم يؤخذ رطل منه ويخلط مع أربعة أرطال من الكبريت وأربعة أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى. وهذه العناصر تخلط جميعا في غضون أربع ساعات، فتصير بارودا"².

ومن المسائل التي سأل عنها السجلماسي في طريقه للحج عابرا للصحراء نجاسة البارود من عدمه، لأن أهل المنطقة يصنعون ملحه من تراب مخلوط بالزبل النجس ومن ثمة يتم يطبخون الملح بالماء، حتى لا يبق أثر للزبل، ليصبح ماء يجمد من بعد ذلك³.

مما يشير إلى صناعة الأسلحة في عدة مناطق في الصحراء، ما ذكره السجلماسي أن أهالي أولاد جلال يصنعون نوعا من المدافع يسمى بوفتيلة بالقول " وخرج بعضهم بمدافعهم وقبائلهم موقدة، لأن مدافع هذه النواحي لا زناد لها، وإنما تضرم بنار في فتيلة، ولذا يقال لهذا النوع من المدافع أبو فتيلة"⁴، كما عرفت صناعة الأسلحة لدى أهالي ورقلة، وذلك لحماية أنفسهم بسبب تعرض المنطقة إلى الحملات العثمانية التأديبية، إضافة إلى الصراع والنفوذ على السلطة الأمر الذي جعلها عرضة لخطر القبائل

¹ إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص 198.

² ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص ص90-91.

³ أبي العباس الهاللي السجلماسي، المصدر السابق، ص179.

⁴ المصدر نفسه، ص207.

المعارضة، كما أن انتشار محلات الحدادة وانتشار هذه الصناعة، يوحي بتوفر هذا المعدن بالمنطقة أو بالقرب منها، وممارستهم لصناعة الأسلحة وصيانتها¹.

5- صناعة الملح:

تعرف الصحراء بغناها بالملح، كما أن تجارته رائجة سواء الملح الذي يحضر أو الموجود مجففا لتعرضه لأشعة الشمس، كما أن قسنطينة تستقبل الملح من الصحراء على شكل حجارة يصل وزنها إلى قنطارين²، كما يشير الأغواطي إلى وجود الملح وانتشار السبخات في تقرت بالقول "وهناك سبخة بتقرت بل الواقع أن كل الناحية عبارة عن سبخة"³.

أما بمنطقة جرجرة فيستخرج الملح من مجاري المياه التي تعبر المنطقة، يتم استخلاصه من المياه بنفس الطريقة المتبعة في مختلف المناطق، وذلك بتحويل مجرى هذه المياه إلى مناطق مفتوحة على شكل أحواض عميقة من الحجر والجير ليسهل تجميعه وتبخيره بأشعة الشمس⁴.

6- صناعات أخرى:

يتم استغلال الدوم⁵ والحلفاء في صنع العديد من المنتجات، فالأول يصنع منه الحصير والوسائد وأكياس التخزين (الشواري)، بينما يصنع من الحلفاء السلال والحبال، أما بالنسبة لأهم القبائل المتخصصة في هذا النشاط نذكر قبائل بني اوزلاقن وبني أوغليس، بني يعلي⁶، كما تستغل قبائل جرجرة لحاء شجرة بلوط الفلين لصناعة قواعد السلال

¹ رضوان شافو، الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص 96

² فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 102-103.

³ ابن الدين الاغواطي، المصدر السابق، ص 101.

⁴ إ. كاريت، المصدر السابق، ج 3، ص 265.

⁵ الدوم: نوع من النخيل القزم.

⁶ إ. كاريت، المصدر السابق، ج 3، ص 266.

وقواعد الأقفاص وخلايا النحل، إضافة إلى الأوعية المخصصة لوزن الحبوب والملح والتين..¹.

تجدر الإشارة إلى كثرة نبات الحلفاء، بجمال البيبان ومناطق الهضاب العليا، التي يمتهن سكانها صناعة الأدوات المنزلية المختلفة كالحصائر والسجاد والأطباق والمكانس والققف والحبال وغيرها، حيث يتم مقايضة هذه السلع مقابل الحبوب والخضر والفواكه والزيت²، كما اختص عرش بني صالح بجيجل في صناعة الققف وحصائر الصلاة، لتوفر المادة الأولية لصناعتهم، أما قبيلة حبيلي وتوفر الديس فقد عملت في صناعة الحبال³، أما قبيلة بني عباس فعرفت بصناعة سلال سعف النخيل من شط الجريد والحصر المصنوعة من الديس⁴.

أما بالنسبة لمناطق ورقلة، فيستغل السكان مكونات النخيل لصناعة العديد من الأواني المنزلية، فهم يستعملون سعفها لصناعة الأوعية التي تساعدهم في حمل الرمال "الزنبيل والقفة"، إضافة إلى الأوعية المنزلية منها المخصصة لشرب المياه "القنينة"، وأخرى لتناول الطعام "الطبرق، المثرد"، كما يصنعون منها المظلات الواقية من الشمس، أما الليف الخاص بها فيصنعون منه الحبال المختلفة⁵.

7- تقليد العملة:

اندثرت صناعة النقود المزيفة تقريبا مع بدايات الوجود الفرنسي، إلا أنها في السنوات السابقة اعتبرت تجارة مهمة استعملت فيها السبائك الفضية والنحاس المبيض والرصاص، ليستمر القليل من الأشخاص في استغلال العملة الفرنسية مع إضافة العديد من السبائك لضمان أرباحهم، ليضرب منها البوجو والبوجو المزدوج⁶، لتترك فترة معينة

¹ C.Devaux, Les kabailles du djedjra, *Études nouvelles..* Op.cit,p130.

² يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص171.

³ علي خنوف، المرجع السابق، ص 95.

⁴ وليم سبنسر، المصدر السابق، ص145.

⁵ رضوان شافو، الجنوب الشرقي...، المرجع السابق، ص 97.

⁶ المعروف في هذه الفترة بزوج بوجو.

للتقادم لتبديد الشكوك حولها وتسهيل تصريفها، أما بالنسبة لطريقة صنعها فهي لا تحتاج أدوات كثيرة فقط يتم صهر المواد المستعملة وصولاً إلى درجة الذوبان، ومن ثم يتم صبه في إحدى القوالب الجاهزة الموضوعية في الرمال، ليتم لصقه مباشرة بالقالب الخاص بالوجه الثاني لضمان تلاحم الوجهين بعد أن يبرد المعدن، ومن ثم يتم نزع الزوائد الموجودة على الحواف¹.

أما عند استعمال النحاس أو الفضة، فيتم تقسيم السبائك المعدة مسبقاً على شكل أقراص، يتم رص هذه القطع بغية تماسكها، أما بالنسبة للقوالب المستعملة فهي مصنوعة من الفولاذ، يتم نقش أوجه العملة المراد العمل عليها بمهارة عالية، ومن ثم توضع فوق سندان صغير، ليتم وضع العملة المراد ضربها على إحدى الجهتين ويتم تثبيتها مع قالب الوجه الثاني، ولتأخذ القطعة الفضية أو النحاسية شكلها النهائي على الوجهين يتم ضربها بالمطرقة لضمان ذلك².

يشير شلوصر إلى امتهان القبائل صناعة العملة المزيفة خاصة العملة الاسبانية والفرنسية، وتصريفها بين العرب وسكان الصحراء³، كما يصف حادثة وصول قبائليان إلى قسنطينة للتجارة يحملان معها بعض النقود المزيفة والتي انتهت بقطع أيديهما⁴، مشيراً إلى وجود العديد من الورشات المختصة في صناعة النقود، اعتمدت هذه القبائل على طريقتين في التصنيع الطريقة الأولى عبارة عن قوالب تصب بها المادة المصهورة بينما الطريقة الثانية فتعتمد على القالب والمطرقة، كما يتم تصريف هذه العملة في الأسواق بنوع من السرية لأشخاص غرباء عن المنطقة⁵.

¹ C.Devaux.Les kabailles du djedjera, *Études nouvelles*.. Op.cit, pp117-118.

² Ibid, p118.

³ فندلين شلوصر، المصدر السابق ، ص97.

⁴ المصدر نفسه، ص82.

⁵ أ.هانوتوو لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص ص665-668..

يرجع الأستاذ سعيدوني الفوضى النقدية التي شهدتها الجزائر خاصة مع بداية القرن التاسع عشر إلى منافسة العملات الأجنبية المزورة القادمة من الموانئ الأوربية، إضافة إلى المزورة منها والقادمة من جبال بلاد القبائل¹.

ج- معيقات ومشاكل النشاط الصناعي والحرفي في أرياف البايك:

- بدائية وبساطة الأنشطة الصناعية والحرفية في أرياف البايك، على غرار أرياف جيجل التي تفتقر الى صناعة يدوية قائمة بذاتها، بل اقتصرت فقط على محاولة توفير حاجيات السكان، في أنشطة صناعية بسيطة تتوارثها الأعراش والقبائل، وفقا لتوفر المواد الأولية اللازمة، نذكر من أهم الأنشطة، صناعة الفحم والخشب والقرميد والصابون والحدادة وغيرها، والسروج والبرادع².

- يرجع بيليسي الضعف الذي عرفته الصناعة في الجزائر الى السياسة العثمانية التي لم تشجع هذا النشاط وتوفر الدعم اللازم للجزائريين، مشيرا الى تمتعهم بالذكاء والبراعة، وهو ما جاء في قوله " ما ينقص العرب والمغاربة هو العناصر والتشجيع من أجل العودة الى نقطة التقدم الصناعي لأجدادهم، فليدهم مع ذلك الذكاء والبراعة المناسبين للقيام بالأعمال الميكانيكية وكذلك روح الابتكار والملاحظة الخاصة بالإتقان"³.

- ترتبط الصناعة ارتباطا مباشرا بالنشاط الزراعي، فالضعف الذي عرفه القطاع الزراعي في الفترة الأخيرة للحكم العثماني انعكس بدوره على الجانب الصناعي والحرفي، الأمر

¹ ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر(دار السلطان) أواخر العهد العثماني(1791-1830)،

البصائر للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2014، ص302.

² علي خنوف، تاريخ جيجل...، المرجع السابق، ص 95.

³ أ. بيليسي، المرجع السابق، ج2، ص337.

الذي نتج عنه نقص في المواد الخام الزراعية والحيوانية وارتفاع لأسعارها، مع زيادة في أسعار المواد المصنعة، و تعرض هذه المنتجات للمنافسة الأجنبية¹.

- عرفت السلع المصنعة في الجزائر أواخر العهد العثماني منافسة قوية من السلع الأجنبية، لا سيما التونسية منها، الأمر الذي قلل من عدد المشتغلين في القطاع الصناعي لقلة أرباحه².

- الصناعة في الريف لم تتجاوز تلبية حاجياته سكانه، اعتمدت في عمومها على المهارات اليدوية البسيطة، ولم تستطع الانتقال الى صناعة منظمة ذات ثقل اقتصادي، وهذا لا ينفي وجود بعض القبائل التي امتهنت بعض الحرف والصناعات الدقيقة، وهذا ما ذكره صالح عباد في كلامه عن قبائل بني عباس ذاكرا أنها من أبرع القبائل في الصناعات المحلية، مشيرا إلى امتلاكها أعداد كبيرة من رحى الزيتون دلالة على ثرائها، إضافة إلى تخصصها في خياطة البرانس وترقيعها³.

ثانيا:التجارة في ريف البايك:

أ- الأسواق:

انقسمت الأسواق في بايلك الشرق الى نوعين : أسواق محلية تختار لها القبائل أيام معينة في الأسبوع، تعتبر مقصدا للجميع للتزود بحاجياتهم، أما بالنسبة للأسواق الجهوية فأهمها، سوق أولاد عبد النور، سوق الحراكتة، سوق السكينة، سوق التلاغمة، سوق ورقلة، سوق ورقلة، سوق الوادي وسوق تقرت، إضافة إلى عقد المعرض السنوي بقيادة

¹ أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني...، المرجع السابق، ، ص ص 63-64.

² يوسف صرهودة، الاقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر 1700م-1830م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2018، ص 97.

³ صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم...، المرجع السابق، ص ص 336-337.

شيخ العرب بمنطقة وادي العثمانية، استعملت فيها المقايضة كوسيلة للتبادل التجاري لسهولتها بالنسبة لمرتاديها من جهة وقلة النقود الذهبية المتداولة من جهة أخرى¹.

1- الأسواق الأسبوعية:

تعددت الأسواق في المنطقة، حيث حدد لها أيام معينة، كما تأخذ هذه الأسواق أسماء المناطق التي تعقد فيها، تعرض فيها مختلف المنتجات الفلاحية كالفواكه والخضر والحبوب والحيوان والأصواف والجلود والعسل وزيت الزيتون².

ففي بايلك الشرق ونظرا لاتساع مساحته وحيويته الاقتصادية اختصت كل منطقة بأسواقها الخاصة، فساكن قسنطينة يقيمون عدة أسواق أسبوعية في عدة أماكن تعتبر مقصدا لتجار عنابة والقل وقسنطينة، ولا بد للزائر لهذه الأسواق أن يكون على معرفة بأحد ساكن هذه الجبال ليوفر له الحماية³.

يتم عقد هذه الأسواق في القرى والمداشر، التي تأخذ أسماءها من الأيام التي تعقد فيها، يحمل السكان لها بضائعهم في وقت مبكر بغرض البيع والشراء أو المقايضة، يزدهر نشاط هذه الأسواق في الربيع والصيف والخريف وذلك لملاءمة المناخ للنشاط التجاري⁴، خاصة مع تميز المنطقة بالتضاريس الجبلية الصعبة التي تحد من سهولة تنقل السكان مصطحبين معهم بضائعهم ومواشيهم .

لعب المرابطون والشخصيات المنتفذه في البايك دورا مهما في مراقبة الأسواق وفك الخصومات، على غرار ذهاب المرابط المعروف بمنطقة جرجرة سيدي علي بن عيسى لجميع الأسواق بالمنطقة، ليعمل دور القاضي في حل جميع الخلافات التجارية، خاصة مع التقدير الكبير الذي يحظى به من الناس وسماعهم لكلماته واعتبارها مقدسة وجب

¹ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص 64-65.

² عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص 280.

³ مارمول كاريخال، المصدر السابق، ج 3، ص 16.

⁴ مزيان وشن، المرجع السابق، ص 96.

طاعتها وتنفيذها¹، كما تم إنشاء هذه الأسواق في الأماكن الإستراتيجية التي يسهل على السلطة مراقبتها، لا سيما مناطق العبور والطرق الهامة أو بالقرب من تمركز الحاميات العسكرية².

تعتبر مناطق قسنطينة مركزا تجاريا هاما، نظرا لموقعها الاستراتيجي بين الجزائر وعنابة وتونس، أسواقها عامرة بالأخشاب والثمار ومختلف المنتوجات، حيث يباع تليس القمح بريالين، والبقرة بأربعة ريالات، على عكس الفترة التي تلت بدايات الاحتلال وارتفاع أسعار مختلف البضائع وصل فيها سعر صاع القمح إلى 14 ريال وبيعت البقرة ب40 ريالا مما اضطر الباي إلى توزيع القمح والخبز والأغنام على الفقراء عدة مرات³، فالمنطقة غنية مزدهرة اقتصاديا، ينتشر بها عدد كبير من الصناع والحرفيين والتجار، إلا أن الفضل في هذه الحركية التجارية يعود إلى تجارة القوافل، فقد استطاعت من خلالها تحقيق أرباح كبيرة، مما جعل منها مركزا مميذا لتجارة القوافل، فأرسلت القوافل إلى نوميديا وإلى ليبيا تحمل معها المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية والزيت، وبالمقابل تجلب في طريق عودتها التبر والتمر والعبيد السود⁴.

أما بجاية ونواحيها على غرار بقية الإيالة تنتشر بها الأسواق، ميزها الانتظام والتنوع، إضافة إلى تخصصها في منتوجات معينة حسب طبيعة المنطقة ومقدراتها، فعلى الرغم من أن القبائل المحيطة بالمدينة عرفت بتمردتها على السلطة المركزية إلا أن حاجتها اضطرتها لارتياح أسواق التل لتصريف إنتاجها من المصنوعات الحرفية وزيت الزيتون والتين المجفف، مقابل اقتناء ما تحتاجه من الحبوب نظرا لطبيعة أراضيها الصعبة وعدم كفاية إنتاجها، إضافة إلى اقتناء المواد المستعملة في صناعاتها الجلدية والصوفية⁵.

¹ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص21.

² Carette et Warnier, *Description et...* Op.Cit, p33.

³ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص87.

⁴ مارمول كاريخال، المصدر السابق، ج3، ص11.

⁵ لخضر بوطبة، بجاية خلال العهد...، المرجع السابق، ص 254.

كما مارس سكان جرجرة تجارة التين المجفف، والذي يبلغ ذروة إنتاجه في شهور سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر، حيث تقصد القبائل المختلفة أسواق المنطقة لشراء التين المجفف، أو مقايضته مقابل الحبوب أو الملح¹. أما منطقة زمورة فيقام بها سوق أسبوعي يوم الاثنين، يتم فيه تصريف بضاعتهم، لتوفرها على المشية وإنتاج كبير من الحنطة².

أما بالنسبة لجيجل فيذكر صالح عباد أن هناك العديد من الأسواق الأسبوعية، حيث يكاد يكون لكل قبيلة سوق خاص بها، فمدينة جيجل لها سوق يوم الجمعة، بينما يعقد أولاد عيدون سوقهم يوم الثلاثاء، و تعقد قبيلة بني سيار سوقهم الأسبوعي يوم الاثنين، بينما تقيم قبيلتي أولاد عسكر وبني بني سوقهم الأسبوعي يوم الأربعاء، أما قبيلة بني يدر فسوقهم الأسبوعي يوم الخميس بالقرب من زاوية الشقفة³، كما يعقد بني عمران سوقهم يوم الاثنين بتاكسنة ، ويوم الجمعة بسيدي خليفة بالقرب من زيامة، بينما يعقد يوم السبت بسلمى لدى بني فوغال، ويوم الأحد بجيملة لدى بني عافر، تباع في هذه الأسواق الحيوانات كالبقر والخرفان ونوع من ماعز الجبل الصغير، كما يباع اللحم بالتجزئة، إضافة إلى البغال والحمير والمصنوعات اليدوية وبعض المنتجات كزيت الزيتون والصابون والشمع والصوف والقمح والشعير والذرة والفول والبصل و التين المجفف والعناب والتمر والخروب والحصر الصغيرة وخشب المحراث⁴، وما يزيد عن حاجياتهم من المنتجات الزراعية كزيت الزيتون والخضر والفواكه والحبوب التي تجلبها القوافل من الجنوب الشرقي (السرا)، إضافة إلى المواد المستوردة التي يجلبها تجار جيجل إلى مختلف الأسواق الأسبوعية كالأقمشة القطنية والحريرية والقهوة والسكر⁵.

كما أن سكان المناطق الريفية بمناطق زوواة وأمام قلة الأراضي الزراعية، يلجأ العديد منهم إلى امتهان التجارة المتنقلة، وذلك بحمل أكياس من جلود الماعز على ظهورهم

¹ C.Devaux, Les kabailles du djedjara, *Études nouvelles..* Op.cit, P124.

² مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص 383.

³ صالح عباد، مدخل إلى تاريخ جيجل ...، المرجع السابق، ص 254.

⁴ شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص62.

⁵ علي خنوف، المرجع السابق ، ص 98.

الفصل الرابع:..... الصناعة والتجارة في ريف بايلك الشرق

تحتوي بعض المواد الصيدلانية إضافة إلى أدوات التجميل، باعتبار أن هذه التجارة موجهة للنساء بشكل خاص¹، وصل هؤلاء الباعة المتنقلون حتى الأسواق التونسية حيث عرفوا بتسمية زاووة. أما في أسواق قبائل جيجل فينتشر الباعة المتجولون الذين يحملون معهم الأقمشة القطنية والتوابل²، و مواد التجميل والمحارم³.

وللاستزادة أكثر فيما يخص الأسواق ومناطق توزعها في البايك والتي حاولنا التطرق إلى أهمها في ما سبق، نورد الجدول التالي والذي أعده الباحث جيلالي بن فرج، على الرغم من الاختلاف أحيانا في زمان ومكان عقد هذه الأسواق والذي يرجعه إلى السياسة الاستعمارية غداة الاحتلال الفرنسي⁴.

الجهة	اليوم	القبيلة
عناية	الأربعاء والخميس	سوق أهراس(الحنانشة)
	السبت	زرذزة بواد العرب
	الأحد	على الساحل مع الشركة الفرنسية
	الأحد	بوحجار
	الثلاثاء	روم السوق(سوق مغطى)
	الجمعة	الطارف
	الخميس	أولاد علي عشيشة
	الخميس	ذراع القايد(الحنانشة)
	الثلاثاء والسبت	قالمة
باتنة	الخميس والجمعة	عين شدي
	الأحد	باتنة
	الأربعاء	نقاوس

¹ C.Devaux.Les kabailes du djedjera, *Études nouvelles..* Op.cit, p103.

² شارل فيرو، تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص62.

³ عبد الجليل رحموني، المرجع السابق، ص141.

⁴ جيلالي بن فرج حسين، الأسواق و الاقتصاد الريفي في الجزائر خلال عهد الدايات(1671-1830 م)، أطروحة دكتوراه ل.م.د في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2022، ص ص 276-279.

الفصل الرابع:..... الصناعة والتجارة في ريف بايك الشرق

الخميس	راس العيون	
الأربعاء	البيضة	
الاثنين والجمعة	بريكة	
الخميس	شمرة	
الجمعة	خنشلة	
الأربعاء	واد الغسلة	قسطنطينة
الأحد والثلاثاء	عامر الشراقة (برج مهيريس)	
الثلاثاء	بني قطيط (بو احمد) لدى عميرة	
الثلاثاء	البرانية: في الصيف في مخالفة، وفي الشتاء في بير بن ضياف	
الجمعة	بني حبيبي العنصر	
الجمعة	فرجيوة (واد بو صلاح)	
الاثنين والجمعة	خرارب في عين الصفية	
الاثنين والثلاثاء	ميلة	
الخميس	المويه في أنديلو	
الاثنين والخميس	أولاد عبد النور برج المعمرة	
الجمعة	أولاد الكبير في الجمعة	
الاثنين	أولاد إبراهيم في أنديلو	
الأحد	أولاد فليلن في أنديلو	
الثلاثاء	أولاد عيدون على الواد الكبير في الميلية	
الأحد والأربعاء	الصراوية في البيضة	
الجمعة والثلاثاء	السقنية في قجال السيتية	
الاثنين والخميس	الزمول: في الصيف في سلاب، وفي الشتاء في مليلة	
الاثنين والخميس	الزناتية في سيدي طمطم	
الأربعاء	زواغة في البحرة	
السبت	بومرزوق قي قرية الخوة	
الاثنين	عزابة	سكيكة
الاثنين	سمندو	

الفصل الرابع:..... الصناعة والتجارة في ريف بايلك الشرق

سوق الاثنين على واج بوزقاز	الاثنين	
سوق الثلاثاء على واد القبلي	الثلاثاء	
سوق الأربعاء لدى تمالوس على واد القبلي	الأربعاء	
سوق الخميس على واد الزهور	الخميس	
سوق الخميس على واد افلاسن	الخميس	
سوق الخميس على واد الحتة	الخميس	
القل	الجمعة	
سوق السبت في سيدي دريس	السبت	
أولاد علي	الثلاثاء	
بني مهنا	السبت	
بني بونعايم	السبت	
بني توفوت	الخميس	
ثعابنة	الخميس	
الشقة لبني يدر	الخميس	جيجل
فدول	الأحد	
بوخطاب	الاثنين	
فكسروان	الأربعاء	
المورج	الأحد	
زيامة، بسيدي خليفة	الجمعة	
بسالمة، بني فوغال	السبت	
جميلة، بني عافر	الأحد	
دهامشة (البابور)	الخميس	
بني زونداي	الأربعاء	
بني سغلال، عند مصب واد بوغريون	الاثنين	
بني سيار الطاهير	الاثنين	
أولاد عسكر	الثلاثاء	
تاكسنة، بني عمران	الاثنين	
عين البيضة	الأحد والأربعاء	تبسة

الفصل الرابع:..... الصناعة والتجارة في ريف بايك الشرق

تبسة	الأحد والثلاثاء	
زمالة دايد	الخميس	
العلمة	الاثنين والخميس	سطيف
عامر الغرابة	الأحد	
جربسة لدى أولاد تبان	السبت	
الخرسة لدى أولاد إبراهيم	الجمعة	
قصر الطير عند ريغة الظهارة	الأحد	
البير لدى سدراتة	الثلاثاء	
قنزات لدى بني يعلا	الأربعاء	
ألفا ميكيل لدى قبيلة يلولة	الجمعة	
تنساوت فرقة بني سليمان	الخميس	
أقبو قرية بني سليمان	الاثنين	
أولاد بحاري بني سليمان	السبت	
تاغمونت، لدى بني سليمان	الجمعة	
احمر خدو بقرية جرمونة	الخميس	
عين الروي، الساحل القبلي	الجمعة	
عموشة(القرقور)	الأحد	
بني عجاب(القرقور)	الخميس	
واد الذهب	الثلاثاء	برج بوعريرج
برج بو عريرج	الخميس	
مجانة	الأحد	
عياض	الأربعاء	
مسيلة	الاثنين والثلاثاء والأربعاء	
أولاد سيدي سليمان(شمال بحيرة المسيلة)	//	
أولاد عدي (شمال بحيرة المسيلة)	يوميا	
ونوغة	الخميس	
المعازيد	الجمعة	

القلعة	الخميس	
منصورة	الاثنين	

2- الأسواق الموسمية والمركزية:

تنتشر العديد من الأسواق الموسمية في أرياف البايك، حيث توزعت على امتداد جغرافية البايك، على غرار بوسعادة التي تمثل منطقة مهمة تجاريا باعتبارها ممرا لسكان الزيبان باتجاه الجزائر، ولها تواصل من الغرب مع المدينة ومن الشرق مع قسنطينة، ومن الجنوب الشرقي مع بسكرة و تقرت ومن الجنوب الغربي مع الأغواط و وادي ميزاب، فهي ليست سوقا للتبادل فقط بل مركزا للتخزين، كما أنها سوق دائم على عكس الأسواق الأخرى المؤقتة، أما في الشرق الجزائري فهناك أسواق أولاد عبد النور، والحراكتة، وسقنية، وتلاغمة، يربطهم السوق السنوي المقام بوادي العثمانية، تحت قيادة شيخ العرب¹.

تحولت بعض الأسواق مثل سوق العثمانية والخروب والسقنية والحراكتة والشريعة والنامشة إلى أسواق سنوية جمعت بين سكان القبائل وسكان المدن، الأمر الذي أسس لعلاقة تجارية متبادلة بين الطرفين فحاجة سكان ريف لقضاء حاجاتها وتصريف منتوجاتها جعلها تقصد أسواق المدن كسوق سطيف تبسة وزمورة وبسكرة وجيجل وبجاية والقل وعنابة، فاشترروا من أسواق قسنطينة الأقمشة والأدوات المنزلية والآلات الفلاحية والسروج والأثاث والسكر والقهوة والشاي والتوابل، بالمقابل يمون سكان الريف أسواق قسنطينة بالحبوب والصوف والجلود والشمع والعسل والزيتون والخشب والمواشي والبرانس والأغطية².

تقام أهم الأسواق الرئيسية في الجزائر في المناطق التالية، حيث يقوم سكان الأرياف بجلب مصنوعاتهم الحرفية، أو التي استطاعوا الحصول عليها من مناطق أخرى،

¹ إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص ص 167-168.

² فلة موساوي- القشاعي-، النظام الضريبي...، المرجع السابق، ص ص 53-54.

وبالمقابل يقتنون المنتجات التلية أو المستوردة من دول أوربية، أما بالنسبة لأهم الأسواق السنوية التي تعقد في بايلك الشرق، فنجد سوق العثمانية الواقع على بعد حوالي 60 فرسخا من قسنطينة، باعتباره مقصدا لسكان الأرياف يصرفون فيها بضاعتهم المتمثلة أساسا في: التمور، والزيت من بسكرة والمناطق الجنوبية للأوراس، والحيوانات كالخيل والجمال والخرفان، إضافة إلى اللحوم والصوف والزبدة والجبن، والسجاد المخطط الطويل، وأكياس الجمال، وأغطية للخيل و الملح والحناء(ذات الصبغة الصفراء) والكمأ و الفواكه المجففة ، وشذرات الذهب، وريش النعام، العبيد،العاج، البرنوس،الحايك، القندورة، تبغ واد سوف، بارود البنادق، اللقمي¹، والحشيش².

من جهة أخرى يقوم البدو بشراء الحبوب التي يقل إنتاجها في المناطق الصحراوية، إضافة إلى زيت القبائل المنخفض الجودة مقارنة بزيت بسكرة والمستعمل بحمامات النساء بالسودان،التوابل،السكر،القهوة، الكبريت، الإبر، الأسلحة، مستلزمات الحمام، الزعفران، أدوات الصباغة، الشب، الورق،خيوط الحرير، تبغ بلاد الشام، العطور، قبعات تونس الحمراء(الشاشية)³، الجلود القادمة من المغرب⁴.

كما يقيم أولاد عبد النور يومي الخميس والاثنين من كل أسبوع سوقا يدر عليهم الكثير من الأرباح، عرف هذا السوق بسوق المعمرة، حيث يتم استقبال القبائل المجاورة بأعداد كبيرة، يتردد على هذه الأسواق بنو ميزاب و اليهود من قسنطينة لبيع السلع القطنية والخردوات والحشيش والأواني الحديدية بينما يشتري التجار الأوربيون الحبوب والماشية والصوف⁵، كما اعتادت بعض القبائل الصحراوية جلب مواشيتها خلال شهر جوان خاصة إلى مناطق عين القرصة وبيار طاية، ومناطق تواجد السبخات، تعمل هذه

¹ للاستزادة أكثر يمكن الرجوع الى الصفحة رقم:213.

² M.Mauroy, *Du Commerce des peuples de l'Afrique septentrionale dans l'antiquite. Le Moyen-âge et les temps modernes comparé au commerce des arabes de nos jours, Ouvrage faisant suite à la question d'Alger en1844.* Au comptoir des imprimeurs-unis, Paris, 1845, p63.

³ كمة أو قلنسوة رجالية بدون حواف ناتئة، لونها أحمر في الغالب. ينظر: رشاد الإمام ، المرجع السابق، ص 48.

⁴ M.Mauroy, *Du Commerce des peuples...* op.cit, pp169-170.

⁵ Charl feraud, *Notice Historique sur le tableau ...Op.cit, p148*

القبائل على عقد اتفاقيات مع السكان المحليين للعمل في الحصاد واستغلال المراعي، إلى غاية شهر سبتمبر أو أكتوبر حيث ترجع هذه القبائل إلى مناطقها في الجنوب بسبب البرودة، قبل مغادرتها تجتمع هذه القبائل أما في ذراع طوبال أو أولاد المرابط سليمان، ليقموا سوقا كبيرا يتبادلون فيه التمور والملابس الصوفية مقابل الحبوب، إضافة إلى دفع الضرائب المستحقة عليهم، وفي أحيان أخرى القبائل التي استقبلت القبائل الصحراوية ترسل بدورها عند عودتهم إلى مواطنهم قطعان من الإبل والأغنام، كما قدرت ما تجلبه الهجرة السنوية إلى مناطق أولاد عبد النور ب820 خيمة و 3000 من الجمال و11200 من الأغنام¹.

ففي الربيع من كل سنة تنتقل القبائل الصحراوية القاطنة بالواحات من مناطقها إلى الجهات الداخلية، للاستقرار بالمنطقة طوال فصل الصيف لملاءمة المناخ وتوفر الغطاء النباتي لحيواناتها، إضافة إلى ارتفاعها لأسواق المنطقة يبيعون لنتاجهم من التمور مقابل شرائهم لحاجياتهم من الحبوب²، تقوم هذه القبائل المعروفة بالنجع بنقل البضائع من الشمال إلى الجنوب والعكس، في أوقات معينة من السنة كما ذكرنا سابقا، ومن أكثر هذه القبائل التي عرفت بهذا النشاط قبيلة أولاد نايل المكونة خمسة فروع : مولات، الطيبات، وأعراب الغرابة، وأولاد السايح وأولاد سعيد بن عمر³.

أما الأغواطي فيذكر أن لتقوت سوق كبير، تباع فيه مختلف المنتوجات" فهي تنتج التمر والتين والعنب والرمان والتفاح والمشمش، وغيرها من الفواكه، وسوقها كبير جدا"⁴.

يذكر الباحث جيلالي بن فرج استنادا إلى تقرير روسو الخاص بقسنطينة سنة 1838م، أهم الأسواق التي تعقدها كبرى القبائل، مثل قيادة قرفة والتي يعقد سوقها يوم الاثنين من طرف قبيلة أولاد أحمد المقيمة بواد الزناتي، أما السوق الذي يقام بوادي

¹ M.Mauroy, *Du Commerce des peuples...*, Op.Cit. pp146-147.

² Carette et Warnier, *Description et...* Op.Cit, pp16-15.

³ يمينه بن أصغير حاضري، الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري من القرن 4 هـ / 10م إلى القرن

11هـ/17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 16، جامعة غرداية، 2012، ص224.

⁴ ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص ص99-100.

الذهب قرب ميلة يوم الاثنين، فيرأسه شيخ العرب متاع التل، كما يعقد سوق قبيلة فرجية يوم الجمعة، أما السوق الكبير لقبيلة الحنانشة فيعقد يوم الخميس¹.

فعلى الرغم من اعتبار سوق قسنطينة من أهم أسواق البايك، إلا أن هناك أسواق أخرى كسطيف وتبسة كانت مقصدا لسكان البايك ومقاطعة دار السلطان، إضافة إلى إيالة تونس، فسطيف استطاعت السيطرة على الطرق المؤدية إلى منطقة القبائل، بجاية، ووحدات بوسعادة والمسيلة، كما أنها مركز لتجارة البذور والزيوت والمواشي، إضافة إلى الأقمشة القطنية والحريية و البقوليات واللحوم، كما يقصدها سكان القبائل لمقايضة بعض الأسلحة المصنوعة محليا، والزيت والفحم والمحارث مقابل الزيوت، أما تبسة فتعتبر مقصدا سكان أرياف البايك باعتبارها مركزا تجاريا مهما، يربطهم مع البدو الرحل في مناطق السهوب التونسية².

كما تعتبر أسواق بني عباس من أهم الأسواق في المنطقة، وذلك راجع لتنوع السلع ووفرتها، حيث يتم من خلالها تصريف فائض إنتاجهم من المواد الفلاحية كالتين والزيتون وغيرها، إضافة إلى الأسلحة والأواني وآلات النسيج، إضافة إلى موقعها الاستراتيجي بتوسطها قبائل المنطقة، وتوفير الأمن لمرتادي هذه الأسواق سواء المحليين منهم أو الأجانب، ليستمر الأمر نفسه حتى بعد انتقالهم إلى سهل مجانة، فالأخيرة تعتبر نقطة التقاء بين منطقة جرجرة ومنطقة غرب مدينة الجزائر، كما تعتبر هذه الأسواق مقصدا لسكان الجنوب لمقايضة سلعهم من التمور والوبر والصوف والأغنام للحصول مقابلها على حاجتهم من الحبوب، فهي نقطة التقاء بين سكان الصحراء والسكان المستقرين وشبه المستقرين للتبادل التجاري³.

¹ جيلالي بن فرج حسين، المرجع السابق، ص 279.

² المرجع نفسه، ص 281.

³ لخضر بوطبة، أسرة أولاد مقران ...، المرجع السابق، ص 296-300.

ب- العملة:

1- العملة مع بداية التواجد العثماني:

استمر تداول العملات القديمة مع وصول العثمانيين للجزائر، فبالغرب الجزائري استعملت العملة الزيانية، بينما في مناطق الشرق الجزائري فالعملة الحفصية التي تسك في بجاية وقسنطينة والجزائر وبسكرة هي المتداولة مع عملات أخرى، ومع حالة عدم الاستقرار واستمرار التدخلات الأجنبية ظهرت العديد من العملات، مع استمرار سك العملة الزيانية بتلمسان باسم السلطان العثماني الوضع نفسه الذي عرفته قسنطينة إلى بداية القرن 17م¹، فقد اعتمدت الدولة الزيانية في تعاملاتها على الدينار الذهبي والفضي، حيث عملت على سك عملتها الخاصة تأكيداً لاستقلاليتها عن الدولة الموحدية، وأوكلت لعائلة بني ملاح القادمة من قرطبة هذه المهمة، متخذة من دار السكة بتلمسان مقراً لسك عملتها، أما قيمة دينار الدولة الزيانية فقدر ب4.48غ و4.95غ، بينما قدرت قيمة الدرهم ب1.5غ²، حيث تذكر إحدى النوازل المتعلقة بتبديل الدرهم التونسي المتداول في قسنطينة، والمؤرخة 1030هـ/1620م، والتي جاء نصها على النحو التالي "ولما وقعت نازلة تبديل السكة ببلاد قسنطينة في سنة ثلاثين وألف (1030هـ) وراج أمر فقهاءها إذ ذاك فكل هذا حذو نفسه، وما ظهر له رغب منه من له قدم صدق في المباحث العلمية، لن يفي ختام المسألة بما عنده في الواقعة"³.

أما مع نهاية عشرينات القرن التاسع عشر، أمر الداوي علي خوجة ببناء دار سكة في القصبية وهذا ما يذكره أحمد شريف الزهار بالقول "وفي هذه السنة أمر الأمير ببناء دار السكة داخل القصبية.....أمر بصنع قطع السلطاني الذهب، عوض الدينار، وميزان السلطاني عشر نواية، وصنع نصف السلطاني وربع السلطاني، أما قطع الدورو الفضة

¹ المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص ص32-33.

² خالد بلعربي، الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة كان التاريخية، السنة الثانية، ع 06، ديسمبر 2009، ص34.

³ محمد ابن عبدالكريم الفقون، المصدر السابق، ص121.

فقد أمر بصنع أنصاف لها واسم النصف:ريال بجة.(بوتشو) كما صنع أرباعا لها، وصنع سكة النحاس... وأمر بأن يدفع من السكة الجديدة الرواتب لكافة العسكر ولأصحاب العملات¹.

يشار إلى أن أهم العملات العثمانية خلال القرن 16م ، السلطان الذهبي، والأقجة الفضية(الأسبر الجزائري)، والمجير النحاسي، أما مع بداية العشرية الثانية من القرن 16م فبدأ سك النقود والعملات كشكل من أشكال السيادة²، حيث أخذت المواصفات العثمانية، كالشكل، والوزن، والأسلوب، مع الكتابة عليها باللغة العربية، لتضرب النقود بأسماء السلاطين العثمانيين³.

حملت النقود الكبيرة في الجزائر سواء الذهبية أو الفضية منها اسم السلطان العثماني، حيث نقش على وجه العملة بعد -سلطان البرين والبحرين- اسم السلطان وفي أحيان أخرى اسم أبيه، مع استعمال عبارات من قبيل -خلد الله ملكه- أو -عز نصره ، أما على ظهرها فيكتب ضرب في الجزائر، مع إضافة تاريخ الصنع بعد سنة 1731م، أما بالنسبة للقطع الصغيرة فيكتب اسم السلطان وتاريخ التولية وتاريخ الضرب فقط⁴.

2- القيمة النقدية للعملة:

أما في ما يخص القيمة النقدية فكانت البدقة شيك أو ريال درهم⁵ الوحدة الحسابية للمبادلات المالية، إلا أنها بالنسبة للعملة الجزائرية لا تتعدى الجانب النظري لإجراء العمليات الحسابية لا غير، حيث أصبحت المواد الأولية أساسا لقياس العملة، كمقارنتها بقيمة سعر الزيت باعتباره مادة ضرورية كثيرة الاستعمال، أما قيمتها من حيث المعدن

¹ أحمد توفيق المدني، مذكرات أحمد ...، المصدر السابق، ص 147.

² ينظر الملحق رقم: 16.

³ توفيق دحماني، المرجع السابق، ص 112-113.

⁴ المنور مروش، المرجع السابق، ج1 ، ص 65.

⁵ تعتبر البدقة شك أو الريال درهم استثناء العملة الوحيدة الثابتة تعادل قيمة درهم 232 أسبر، فهي عملة نظرية على غرار الفرنك والجنيه الفرنسي والتي تساوي دوما عشرون سولا ، يزيد وزنها أو ينقص حسب رغبة الداوي. ينظر:

Mr. Le Roy, *État général et particulier du Royaume et de la Ville d'Alger*, La Haye, 1750, p81.

فقسمت إلى عملات ذهبية أو فضية أو نحاسية، فبالنسبة للعملة الذهبية فتشمل السكة أو السلطاني، ونصف السلطاني، وربع السلطاني، أما بالنسبة للعملة الفضية، فتشمل ريال بوجو أو بدقة قوردة، وزوج بوجو أو دورو الجزائر، والصائمة، وربع بوجو، وثمن بوجو، وموزونة¹ وزوج موزونة، والأسبر الفضي²، أما بالنسبة للعملة النحاسية البرونزية فتشمل الخروبة، دراهم صغار³، وخمس دراهم صغار، والدرهم، تنقسم هذه النقود بدورها إلى نوعين المستدير والمربع وكل منهما يحمل كتابات وزخارف نباتية وهندسية⁴.

يذكر هايدوا أن العملات المعدنية باختلاف أنواعها سواء المحلية منها أو الأجنبية، لم تكن لها قيمة مؤكدة وبالتالي لا يمكن تحديد قيمتها بشكل دقيق، نظرا لأن الحكام العثمانيين هم المسؤولون عن ارتفاع وانخفاض قيمتها وذلك تبعا لمتطلبات الأوضاع التي يمر بها البلد⁵، كالأمر الذي أصدره علي باشا 1 رجب 1226هـ (23 جويلية 1811م) بتخفيض العملة الجزائرية، وبعده فيما بعد أمر الداوي حسين في 1 ذي القعدة 1238 (09 أوت 1823م)، الوضع الذي ساهم في انخفاض وزنها وقيمتها مقابل العملات الأخرى⁶.

¹ عملة نقدية فضية صغيرة الحجم، تعتبر من العملات الحسابية ينظر: سمير مشوشة، النشاط التجاري بين الجزائر وتونس في القرن 12هـ/18م من خلال رحلات المغاربة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2014، ص 42.

² ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص 192.

³ دراهم صغار: الدرهم الشرعي وزنه 97.2 غ، عرفت بدراهم صغار بعد استحداث العملة، وهي قطع نحاسية مطلية أو ممزوجة تزن 12.3 غ. أي 8 موزون أو 22 صوردي أو 0.80 فرنك... لها مضاعف هو زوج دراهم صغار أي 0.15 ف. ينظر: عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص 115.

⁴ يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، ص ص 135-136.

⁵ Diego De Haedo, *Topographie et histoire générale d'Alger*, Traduit de l'espagnol par Monnereau et A. bberbrugger, in *RV*, T15.1871.P96.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص ص 198-199.

3- العملة في عهد أحمد باي:

أمر أحمد باي بضرب سكة جديدة سنة 1833 م، متمثلة في قطعة نحاسية تساوي في حجمها وقيمتها، كما قام بشراء المراحل القديمة، وضرب منها السكة، وعمل على استعادة القطع الفضية مقابل النحاسية منها¹، القطعة الفضية المقصودة هي السلطاني ذو الخمس ريالات ونصف السلطاني ذو 2.5 ريال (عادة ريال واحد)²، حيث تنوعت العملة في فترة حكمه لبايك قسنطينة، بين الذهبية والفضية والبرونزية.

- العملة الذهبية:

- **المحبوب:** ضرب في عهد أحمد باي المحبوب الذهبي والذي تقدر قيمته ب3 بوجوات وثلاث، لترتفع قيمته إلى 5 بوجوات بعد سيطرة الفرنسيين على قسنطينة سنة 1838³.

تم في سنة 1831 ضرب بعض أرباع الكادروبل من قيمة أربع قروش، من الذهب القادم من الصحراء، لم يكد التمييز بينها وبين النقود المضروبة في اسبانيا.

- **العملة الفضية:** الريال بوجو قيمته في البداية تساوي البوجو المضروب في الجزائر (1.80ف)، إلا أنه وأمام شح الفضة مع تهريب اليهود لها إلى تونس انخفضت قيمته سنة 1833م، واستمر الوضع إلى غاية سقوط قسنطينة حيث وصل إلى 1.06 فرنك، ينقسم إلى نوعين النصف والربع.

- العملة النحاسية:

- **الثلث:** قطعة من النحاس مطلية بالأبيض، تساوي قيمتها انذاك 09 سنتيمات.

- **البارا (Le Para):** قطع من النحاس متداولة بأعداد قليلة، قدرت قيمتها بسدس قيمة الثلث¹.

¹ فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 80.

² المصدر نفسه، ص 88.

³ فلة قشاعى، الريف القسنطيني...، المرجع السابق، ص 219.

كما تناولت العديد من كتب الرحلة العربية والغربية العمل المتداولة في ريف البايك نحاول ذكر بعضها:

يذكر الزياني العملة المتداولة في هذه الفترة عند كلامه عن العطية التي قدمت له من الباشا بالقول " وقالوا إن مولانا الباشا يقرؤك السلام ويطلب منه الدعاء في الحرمين الشريفين، فاستعن على سفرك بهذا النزر القليل الذي هو ستمائة سلطاني وهذين المكتوبين الطبعين، أحدهما لباي قسنطينة، والثاني لوكيله بتونس"².

لفت انتباه العياشي عند دخوله إلى ورقلة العملة التي يستعملها السكان في تبادلاتهم التجارية بالقول " ولأهل هذه البلدة دراهم يتعاملون بها يكثر فيها النحاس، أربعة وعشرون في ربع ريال. وقد أضاف أهل المدينة الركب أربع ليل ضيافة لا بأس بها"³.

كما يذكر العياشي في موضع ذكره لحكام تقرت، وصف العملة المتداولة وقيمتها بالقول " وأما دراهمهم فقراريط صغيرة اثنان وثلاثون منها في ربع ريالة"⁴.

أما فيرو فيشير إلى العملة المتداولة في المنطقة تقرت عند تناوله قيمة الضريبة التي سلطها أحمد باي خلال حملته الرابعة ضد تقرت سنة 1818م، والتي اضطر من خلالها محمد بن جلاب إلى دفع ضريبة قدرت ب 100 ألف ريال بسيطة⁵.

كما يذكر كاريت تداول القرش التونسي و هو العملة المتداولة في وادي ميزاب وتوات⁶، بينما استخدمت في بعض مناطق الجنوب عملة تسمى "الكوري"، تسمى لدى العرب الودعة، والتوارق تميجلة، تساوي قيمة هذه العملة نصف سنتيم⁷.

¹ ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري ...، المرجع السابق، ص ص347-348.

² أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، حققه وعلق عليه عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الرباط، 1991، ص 151.

³ عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ج1، ص 118.

⁴ المصدر نفسه، ص 122.

⁵ charl Féraud, *Le Sahara de Constantine, Notes...*op.cit, p82.

⁶ إ. كاريت، المصدر السابق ج6، ص 177.

⁷ المصدر نفسه، ص 178.

4- العملات الأجنبية الرائجة في الجزائر:

أما فيما يخص العملات الأجنبية فيذكر هايدو أن العملات الأوروبية على غرار اللغات المسيحية منتشرة في الجزائر، لاسيما العملات الإسبانية والإيطالية. إضافة إلى مقال فارس، وسلطاني تركيا، إلا أن العملة التي يفضلها الجزائريون ويجنون من خلالها فوائد كبيرة هي العملة الإسبانية، المتنوعة بين أربع وثمانية ريالات، فهي مضمونة الفائدة، فليست هناك سلعة تجلب إلى الجزائر وبلاد البربر أفضل و أعلى ثمن من الريال الإسباني¹.

أ- العملات الإسبانية وأسباب انتشارها:

يعود أسباب انتشار العملة الإسبانية في الجزائر الى عدة نقاط أهمها:

- الرواج الذي شهدته في العالم بسبب تشبع أسواق إسبانيا من الذهب والفضة القادم من المناجم الأمريكية، حيث وصلت قيمتها سنة 1605 إلى 14500.000دوقة.

- استقرار الكثير من الأندلسيين واليهود على السواحل الجزائرية، ومساهماتهم في النشاط الاقتصادي للدولة مستغلين الأموال التي جلبوها معهم في النشاط التجاري، وتفضيلهم لعملتهم الأصلية في تسديد القروض والإتاوات.

- حاجتهم لتزويد حامياتهم بالمواد الأولية الجزائرية، إضافة إلى عملهم على اقتداء الأسرى وعقد الاتفاقيات مع الجزائر لخدمة مصالحها كاتفاقية 1785م.²

كما يظهر التعامل بالبياستر الإسباني في بايلك الشرق حيث يذكر دو بارادي أن الباي منح لداي الجزائر 10 آلاف سكة جزائرية و 10 آلاف محبوب و 5 آلاف بياستر³، إضافة إلى إشارته أن قيمة القرش الإسباني تساوي 39 موزونة أو 40 موزونة،

¹ Diego De Haedo, *Topographie et histoire ...*, Op.cit, p95.

² ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي....، المرجع السابق، ص 184.

³ فونتير دو بارادي، المصدر السابق، ص143.

موزونة، ولتثبيتها اعتمدوا 43 أو 44 موزونة، على الرغم من أن الداى وحده من يملك حق هذا الامتياز¹.

أما بالنسبة لأهم العملات الاسبانية المستعملة في الجزائر نذكر:

- **الدبلون (El Doublon):** عبارة عن دينار مصنوع من الذهب، يعرف عند الأهالي بالضبلون والدبلون والدينوني.

- **الدوكة (Ducat):** تعادل قيمتها الدينار الذهبي.

- **الكرونة (La Corana):** عرفت في بلدان البحر الأبيض المتوسط الغربي، مصنوعة من الذهب الخالص، كما ذكرت في العديد من العقود مع بداية التواجد العثماني.

- **الدورو الإسباني (Douoro):** أصبحت قيمته مع مرور الوقت أقل من المحبوب الذهبي².

- **الدرهم أو الريال الاسباني (Rial):** أطلق هذا الاسم في الأصل على القرش الاشبيلي المتكون من ثمانية ريالات، سيطر على المبادلات التجارية في الجزائر منذ بداية الوجود العثماني، لا سيما أن هذه العملة تعتبر أساسا للمبادلات التجارية في مناطق كثيرة من العالم من القرن م16 الى القرن م19³.

ب- العملات التونسية:

كما انتشرت العديد من العملات التونسية التي استعملت في المبادلات التجارية خاصة في المناطق الشرقية⁴، كالدرهم الناصري⁵ الذي ضربه السلطان الحفصي أبو عمر

¹ فونتير دو بارادي، المصدر السابق، ص90.

² ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي....، المرجع السابق، ص 185.

³ المنور مروش، المرجع السابق، ج1 ، ص ص41-42.

⁴ ينظر الملحق رقم: 17.

⁵ عملة فضية سكت أواخر العهد الحفصي وبداية الوجود العثماني، حيث يساوي 32 ناصري دينارا واحدا، تداولت في الأسواق التونسية والمناطق الشرقية للجزائر. ينظر: سمير مشوشة، المرجع السابق، ص 54..

عثمان، ومن بعده الناصري الحيدري سنة 1574م لحيدر باشا حاكم القيروان، إلا أن ظهور الريال التونسي مع الربع الأول من 17م جعل منه العملة الغالبة في التعاملات التجارية، خاصة مع زيادة تونس لوزنه من الفضة بنسبة 65 بالمائة سنة 1725م، وعقد عديد المبادلات التجارية بين الطرفين، الأمر الذي أدى إلى تعزيز مكانته ببيلك الشرق حيث وصلت قوته الشرائية إلى 85 بالمائة غداة الاحتلال، مما شجع على تهريب العملة نحو تونس في عهد أحمد باي¹، عطفًا على ما ذكر سابقًا في ما يخص الدرهم الناصري تشير إحدى النوازل لابن الفكون، فيما يخص استبداله، بحكم تداوله في بايلك الشرق بكثرة بالقول "القصد من سيادتكم الإفادة فيما أشكل على كثير من الناس، بما سبق بين الناس من الديون والمعاملات قبل حرق الدرهم، هل يكون قضاؤه مما سبق من الدرهم الرديء الذي وقع عليه أو يقضى من هذا الجيد الذي حدث حرقه الآن"².

كما يذكر الباحث مشوشة أن أهم العملات المتداولة بين إيالتي تونس والجزائر والتي تمت الإشارة لها خلال رحلات المغاربة، نجد عملة الريال³ والتي سجل الإشارة لها تسع مرات باعتبارها عملة مشتركة للتداول في المناطق الحدودية بين الإيالتين، بينما يأتي ذكر عملة الموزونة والناصرية أربع مرات لكل منهما، إضافة إلى ذكر عملة المحبوب ثلاث مرات وهذا لا يقلل من أهمية هذه المعاملات في التبادل بين الإيالتين، أما الريال بوجو والسلطاني⁴ فتمت الإشارة له مرة واحدة، فعلى الرغم من تداوله بين التجار، إلا أنه يبقى الأقل استعمالًا في النشاط التجاري مقارنة بالعملات الأخرى⁵.

¹ ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي....، المرجع السابق، ص ص 186-187.

² محمد ابن عبدالكريم الفقون، المصدر السابق ، ص 114.

³ الريال أو مادون القرش يصنع من الفضة، كتب على أحد وجوهه "سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان محمد خان عز نصره"، بينما كتب على الوجه الثاني "ضرب في تونس سنة 1243هـ". ينظر: عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص 658.

⁴ عملة نقدية ذهبية، لها عدة أجزاء بمقدار الربع والنصف. ينظر: عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص 658.

⁵ سمير مشوشة، المرجع السابق، ص 147.

1- أسباب انتشار العملة التونسية في الجزائر:

يمكن تقسيم الأسباب التي أدت إلى انتشار العملة التونسية في الجزائر إلى ثلاث نقاط:

أ- التجارة:

تعتبر التجارة العامل الرئيسي لانتشار العملات التونسية في الجزائر ومنافستها للعملات المحلية، لاسيما الريال الفضي التونسي الذي عرف رواجاً كبيراً بمناطق الشرق الجزائري، وذلك نتيجة لازدهار حركة التبادل التجاري بين البلدين، على غرار استيراد الجزائريين لكميات كبيرة من البارود والحبوب، وبالمقابل تستورد تونس مواد مختلفة كالشمع وغيرها¹، و سيتم تناول طبيعة المبادلات التجارية بين الجزائر وتونس بنوع من التفصيل لاحقاً.

ب- الاضطرابات بين البلدين:

عرفت العلاقات التونسية الجزائرية مع مطلع القرن الثامن عشر العديد من الصراعات التي ساعدت على انتشار العملة التونسية في البايك، لاسيما سيطرت الجيش الجزائري على الخزينة التونسية سنة 1755م، إضافة إلى إتاحة سنوية مفروضة على تونس مما ساهم في انتشار تداول هذه العملة².

كما حصل الجزائريون على غنائم كبيرة مقابل تدخلهم في الصراع على الحكم في تونس، خاصة الصراع على السلطة بين محمد باي وأخيه علي، هذا الأخير الذي هزم بمساعدة الجزائريين، ليضطر الأخوين للوفاق أمام الخطر الداهم للداي احمد شلبي، ويستتجدا مجدداً بإبراهيم خوجة، ليتمكن الأخوان بمساعدته من هزيمة الداوي وأنصاره

¹ احميدة عميراي، المرجع السابق، ص 55.

² ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص 186.

سنة 1096هـ/1685م، ليتجدد الصراع بين الطرفين ويقتل علي في نفس السنة لينفرد محمد بالسلطة، ويرجع الجزائريون بعد أن استتب الوضع محملين بالغنائم المختلفة¹.

دخول إبراهيم الشريف في صراع مع حكام الجزائر، وهو الذي أعطي لقب الباشا من الدولة العثمانية، هذا الصراع الذي انتهى بمعركة بالقرب من مدينة الكاف سنة 1705م، واستطاع الجزائريون دخول الكاف و الحصول على غنائم وأموال كثيرة².

كما دخل شعبان باي في صراع مع محمد باي تونس، بسبب تحالفه مع المغرب، ورفض الجزية التي قدمها الأخير كدليل على الخضوع، ليلتقي الجيشين بمنطقة الكاف، وإجبار شعبان باي خصمه إلى التراجع ومطاردته إلى تونس، والاستيلاء عليها، وتعيين احمد بن شكري خلفا لمحمد باي، ومن ثم العودة منتصرا في 16 فيفري 1695م، حاملا معه الكثير من المدافع ، إضافة إلى 120 بغلا محملة بالذهب والفضة، وأعداد كبيرة من العبيد³، يشار إلى أن للقبائل الحدودية بين البلدين دور كبير في نجاح هذه الحملة، لا سيما قبيلة الحنانشة، بني مسار، وغيرها⁴.

كما أن من نتائج الحملة التي قادتها الجزائر ضد باي تونس الحسين بن علي سنة 1735م، انسحاب هذا الأخير من مدينة تونس، ودخولها بسهولة من مناوئه على السلطة ابن أخيه على باشا، لينصب بايا على تونس، كما بقي الجيش الجزائري معسكرا على تخوم المدينة لعشرة أيام، ليعود بعدها بحمولة 35 بغلة من الأموال⁵.

يجدر الذكر أن الفترة الممتدة من سنة 1756م إلى بداية القرن التاسع عشر، تميزت بسيطرة داي الجزائر على تونس، حيث فرض على أبناء الحسين بن علي سنة 1756م،

¹ حسن حسيني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، دار الكتب العربية الشرقية، ط3، تونس، 1373هـ، ص 143-144.

² المرجع نفسه، ص 146-147.

³ H.D.De Grammont, *Histoire D'Alger*..Op.cit, p65.

⁴ A. Devoux, *Tachrifat, Recueil de notes historiques* ..Op.cit, p10.

⁵ صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم...، المرجع السابق، ص 159.

تحطيم حصن الكاف وإرسال أموال كثيرة سنويا، قدرت سنة 1781م بـ 750000 ريال، دفع منها فعليا حوالي 200 ألف ريال¹.

كما تباحث باي تونس مع مبعوث باي قسنطينة مع بداية النصف الثاني من القرن 18م ، ليدفع مئة ألف بياستر مقابل أن يبقى منافسه على الحكم إسماعيل سجيناً في الجزائر، كما أعطى لوكيل الحرج بالجزائر، بعد مجيئه لتونس تسعة آلاف ريال له ولمرافقيه، كما أرسل معه للداي ومساعديه وباي قسنطينة العديد من الهدايا².

استطاع الجزائريون في عهد علي باي والد حمودة باشا سنة 1756م، السيطرة على كل مقدرات تونس من الذهب ونقلها إلى الجزائر، لا سيما الذهب القادم مع القوافل التجارية الإفريقية إلى تونس³، كما ألزمت الأخيرة بدفع أموال كثيرة قدرت بنصف مدخول الباي من الضرائب، إضافة إلى إرسالها للكثير من الملابس، وكميات كبيرة من زيت الزيتون⁴.

وعلى الرغم من ذكرنا للأوضاع السياسية بين الجزائر وتونس لتوضيح طبيعة العلاقة، إلا أن الذي يهمنا هو الجانب الاقتصادي في الأمر، وحصول الجزائر على غنائم كبيرة سواء عبر الاتفاقيات، أو عن طريق مصادرتها بعد الانتصارات العسكرية المحققة على بايات تونس، والتي كانت سببا في انتشار العملات التونسية في الجزائر.

ج- الإحسانات والودائع:

اعتبرت الجزائر تونس تابعة لها سياسيا خاصة مع حالة الضعف التي عرفتھا البلاد منذ سنة 1756م، حيث فرض على باي تونس تقديم الهدايا الثمينة في جميع المناسبات

¹ عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال، منشورات أوتار تير الزمان، ط2، تونس، 2016، ص 185.

² زهيرة سحابات ، الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني 1628-1830م، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس -سيدي بلعباس-، 2020، ص60.

³ رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 322.

⁴ المرجع نفسه، ص 409.

إلى الجزائر، كما قامت باستقبال الوفود و الضيوف الجزائريين على حساب الخزينة التونسية، وهذا ما ذكر في وصية علي باشا لولده حمودة باشا بعد توليه الحكم سنة 1782م، مشبها تونس بالرغيف المقسم إلى أربعة قطع، لتونس واحدة، بينما تأخذ الجزائر ثلاث قطع الأخرى¹، وهو الأمر الذي انعكس على تقديم بايات تونس الكثير من الإحسانات إرضاء للجزائريين نذكر منها:

تم تقديم إحسان للحاج بوعلام سنة 1221هـ/1806م الذي قدم مبشرا بانضمام الإنجليز مقدرا ب300 ريالاً، وتم زيادة 1000 ريال أخرى له، إضافة إلى 100 ريالاً لاثنتين من الدواير معه و 80 ريالاً لاثنتين من الدواير قدموا معه من قسنطينة و25 ريالاً إحسان لمبعوث شيخ الحناششة القادم معه².

كما يذكر الأستاذ بن زردة قيمة الإحسانات المقدمة، لحناششة إبراهيم، والتي جاء فيها على سبيل الذكر تقديم :

"10 ريال كإحسان لأحمد بن القاشي الحناشي على يد خزندار في ربيع الأول سنة 1170هـ.

20 ريال كإحسان لأحمد القروي الحناشي من التلمود في ربيع الأول.

90 ريال إحسان قدمت لستة أنفار سيارت الشيخ إبراهيم بن بوعزيز في ربيع الثاني للواحد 15ريال.

70 ريال إحسان لزوج نسوة النسوة مع المذكورين عبده والحاجة أم النور في ربيع الثاني"

"170 احسان لقطمان التركي قائد الحناششة ولرجل معه 30 ريال في ربيع الثاني"³.

¹ رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص 410-411.

² الأرشيف الوطني التونسي: الصندوق 223 الملف 384، وثيقة 124. ينظر الملحق رقم: 18.

³ توفيق بن زردة، الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال دفاتر الأرشيف الوطني التونسي، منشورات ألفا للوثائق، ط1، الجزائر، 2021. ص 132.

كما أرسل من تونس في فترة حكم الحاج شعبان سنة 1103هـ/1692م مبلغ من المال ليحفظ كوديعة في القصر، ضمت هذه الوديعة، 171 بوجو، 255 ريال صغار، 54 سلطاني ذهبي¹.

ج: المكايل والموازين والمقاييس في ريف البايك:

1- المكايل:

- القفيز: يذكر مروش أن القفيز مكيال طافح في رحبة عنابة يقدر بحوالي 4.50 من أحمال مرسيليا، ترتفع قيمته أحيانا إلى 5 أحمال وتتنخفض أحيانا أخرى إلى 4 أحمال، فهو مكيال التجارة الخاص بالمدينة²، أما القفيز المطفف الخاص بكيل حبوب البايك فيقدر قيمته ب 3.5 أحمال مرسيلية فهو الأكثر تعاملًا في الرحبة، هناك اختلاف في تحديد قيمة القفيز الذي يعتبر من أحد المكايل المعروفة في بايلك الشرق لوزن الحبوب، يذكر في إحدى النوازل "وساء في ذلك على السعر كما في عامنا هذا في ببلدنا، فان القفيز من القمح ثمنه اثنا عشر دينارا ذهبًا قائمة بأعيانها ذهبية، والرطل من الزيت والسمن باثنين وثلاثين قفصي، وقد كان في غيره من السنين ثمن القفيز المذكور نصف دينار ذهبًا، وبيع بذلك أعواما وانحط في بعض السنين ثمن القفيز المذكور إلى ثلاثة أثمان دينار ذهبي"³.

- الصاع: وهو الاسم الذي يطلق على وحدة الكيل المتعامل بها لبيع الحبوب والتمور في الجزائر ووحدات الزيبان ووادي ريغ ووادي سوف، إلا أن مقدار الصاع يختلف بين منطقة وأخرى، فبالنسبة لصاع الجزائر يساوي نصف صاع قسنطينة ويعادل صاع الزيبان، وصاع تقرت أو وصاع وادي سوف فكل واحد منهما له نفس مقدار صاع قسنطينة⁴، أما

¹ A. Devoux, Tachrifat, Recueil de notes historiques ..Op.cit, p78.

² المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص411.

³ محمد ابن عبدالكريم الفقون، المصدر السابق، ص104.

⁴ إ. كارييت، المصدر السابق، ج6، ص 178.

المغلي فيذكر أن الصاع يساوي أربعة أضعاف المد أي حوالي ثلاث لترات تقريبا¹، من خلال ما سبق نلاحظ التمايز والاختلاف الواضح في تحديد قيمة الصاع بين منطقة وأخرى أي أن قيمته عرفته تغيرا بين الفترة التي سبقت الوجود العثماني أو فترة وجودهم بالجزائر وصولا إلى بدايات الاحتلال الفرنسي.

كما تستعمل بورقلة ووادي ميزاب وحدة كيل تسمى الحثية، إلا أن حثية ورقلة، لا تساوي إلا ربع حثية وادي سوف و ثمن صاع الجزائر، كما تساوي حثية ورقلة ثمن صاع الجزائر، بينما يباع سمن ورقلة بكيلة الربع، وهي عبارة عن إناء من طين سعته أربعة أرتال، ويباع الصوف بالزجة والذهب بالمتقال².

جدول بين أهم المكاييل المتداولة مقارنة بصاع الجزائر واللتر³

بصاع الجزائر	باللتر	
2	120	صاع قسنطينة
1	60	صاع الزيبان
2	120	صاع وادي ريغ ووادي سوف
1/8	7 1/2	حثية ورقلة (1/16 من صاع وادي ريغ)
1/2	30	حثية وادي ميزاب

يشار إلى الاختلاف في تحديد القيمة الحقيقية للصاع وذلك حسب المكان والعرف والمواد حيث تشير الأستاذة القشاعي إلى أنها تساوي في المتوسط حوالي الخمسين لتر (48.80)، كما تنقسم إلى الربع والثلث⁴.

¹ مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، [د.ط.]، وهران، 2006، ص 58.

² تساوي درهما ونصف الدرهم، أي أربعين قيراطا، وهو يساوي 4.8 جراما وقيل يساوي عشرين قيراطا وهو درهم واحد ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 201.

³ إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص 179.

⁴ فلة موساوي- القشاعي-، النظام الضريبي...، المرجع السابق، ص102.

- القلة: يعرفها شالر على أنها مكيال الزيت، تساوي أربع جالونات إنجليزية أو 18 لتر¹، وهذا ما يؤكد الأستاذ سعيدوني في كونها مخصصة كمكيال للسوائل وخاصة الزيت مقدرا سعتها ما بين 12 و16 و18 لتر، مشير إلى أن أكثرها انتشارا سعتها 16 لتر²، كما يذكر أن عشرة جرار في عناية تساوي 63.50 لتر³.

- المزود: مقدار ما يحمله العبد في كيس مصنوع من الجلد⁴.

- المطر: وحدة كيل الزيت يختلف مقدارها حسب المناطق⁵، إحدى المكيال المستعملة في تونس لتصدير زيت الزيتون نحو أوروبا والدول المغاربية، وخاصة إلى ميناء القالة بالنسبة للجزائر بحكم قربها الجغرافي لمدينة تونس، يساوي المطر ما قيمته قلتان⁶.

2- الأوزان:

- الرطل: من الأوزان المتداولة في بايلك الشرق، يستعمل في وزن الزيت والسمن، وهو ما جاء ذكره في إحدى النوازل بالقول " والرطل من الزيت أو السمن باثين وثلاثين قفصي"⁷، كما أن هناك ثلاثة أنواع من الرطل هي: الرطل العطاري ويساوي 546 غرام، الرطل الفضي ويساوي 497 غرام، الرطل الخضاري ويساوي 614 غرام، الرطل الكبير يساوي 921 والمستعمل في مناطق الواحات⁸، خصص كل واحد منها لزنة سلعة معينة.

¹ ويليام شالر، المصدر السابق، ص260.

² ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية...، المرجع السابق، ص305..

³ عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص 284.

⁴ مبروك مقدم، المرجع السابق، ص 58.

⁵ المنصف الفخفاخ، موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشفيف الوطني التونسي، منشورات الأرشيف الوطني التونسي، تونس، 1990، ص 76.

⁶ سمير مشوشة، المرجع السابق، ص 110.

⁷ محمد ابن عبدالكريم الفقون، المصدر السابق، ص104.

⁸ إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص ص 179-180.

- القنطار: تقدر قيمته بمائة رطل، له عدة أنواع حسب المواد المراد وزنها كالقنطار العطاري، البقالي¹.

- الأوقية: يختلف مقدارها بين مكان وآخر، تعتبر الوحدة الأساسية للوزن عند الحفصيين، حيث بلغ وزنها 31.48 غرام، استعملت إلى فترات متأخرة في المناطق التونسية، كما عرفت أيضا بمناطق الشرق الجزائري².

- المنقال: يعتبر من الوحدات المخصصة لوزن المعادن الثمينة كالذهب وغيرها³.

3- وحدة قياس الأطوال:

تنقسم إلى نوعين:

الذراع التركي(الكبير): يستعمل لقياس الأغطية والستائر والأقمشة الحريرية والذهبية، يقدر بحوالي 0.67 متر⁴، وهذا يقارب ما ذكره الأستاذ المنور مروش حيث قدر طوله بحوالي 0.636م مترا⁵.

الذراع العربي(الصغير): يستعمل لقياس الأقمشة القطنية والحبال والدونتيل الذهبية والفضية، يقدر 0.52 متر⁶، أما الأستاذ المنور مروش فيقدر قيمته ب 0.47 مترا، ذكرا ذاكرا أنه مخصص لقياس الأقمشة القطنية والكتانية⁷، الأمر نفسه الذي أشارت له

¹ مسعود كربوع، نوازل النقود والمكايل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي-جمعا ودراسة وتحليل-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العصر الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة باتنة، 2013، ص155.

² المرجع نفسه، ص 149.

³ المرجع نفسه، ص150.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص284.

⁵ المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص 410.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص284. ينظر أيضا المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص 410.

⁷ المرجع نفسه، ص 410.

الأستاذة صرهودة أي 0.47م، مضيضة إلى استعمال وحدتي "البالة" و "الشكارة" في قياس الصوف المصدر إلى مرسليليا في الفترة ما بين 1747-1778م¹.

4- مقياس المساحة:

- **الزويجة:** وهي وحدة قياس مساحة الأرض المستغلة، ينسب اسمها إلى استعمال زوج من الأبقار، تعرف أيضا بالجابدة أو السكة، وهي مقدار ما يمكن حرثه باستعمال زوج من البقر خلال موسم الحرث، تتحكم عدة أسباب في تحديد قيمتها كصعوبة الأرض ونوع التربة، إلا أن قيمتها تتراوح باختلاف المناطق ما بين 6 و 18 هكتار².

أما بالنسبة لبايلك الشرق فتذكر الأستاذة القشاعي أنها تختلف حسب طبيعة الأرض حيث تصل إلى 12 هكتار في المناطق السهلية بينما لا تتعدى 8 هكتار في المناطق الجبلية³.

كما يذكر الأستاذ المنور مروش أن مقدارها يتراوح ما بين 8 و 10 هكتارات حسب طبيعة المنطقة ونوعية التربة، مضيضا أن هناك وحدة أخرى يطلق عليها الفرد أي مقدار ما يحرثه ثور واحد. أما بالنسبة للبساتين فيستعمل الفدان والحبل، هذا الأخير الذي يساوي 50 خمسون ذراعا نقلا عن محمد بن شنب و40 ذراعا عند آخرين⁴.

ثالثا: الريف ودوره في التعاملات الخارجية للبايلك:

1- التجارة مع تونس:

عرفت العلاقات التجارية بين الجزائر وتونس حركة كبيرة نظرا للتداخل السكاني بين البلدين، بسبب القرب الجغرافي وحركة القبائل على طول المناطق الحدودية، الأمر

¹ يوسف صرهودة، المرجع السابق، ص156.

² ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية...، المرجع السابق، ص307.

³ فلة موساوي- القشاعي-، النظام الضريبي...، المرجع السابق، ص102.

⁴ المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص 410.

الذي ساهم في ازدهار العلاقات التجارية، حيث يقوم تجار قسنطينة بزيارة الأسواق التونسية، وبيع مختلف المنتوجات، كالتمر والصوف، والجلود وريش النعام واللبان ومسحوق الذهب وبالمقابل يجلب التجار الأقمشة المطرزة والشالات والعمائم والجواهر والأسلحة¹، كما أن أهالي سوف يحملون إلى الأسواق التونسية الأقمشة الصوفية، التمور، المظلات، التبغ، وبالمقابل يجلبون في طريق عودتهم المنتجات التونسية والأوربية، البزارة والمواد العطرية، والأقمشة الحريرية، الأسلحة والكبريت².

تتحرك القبائل الحدودية بين الجزائر وتونس في المناطق الريفية بكل حرية متوزعة على المجال الجغرافي بين البلدين، حيث شكلت منطقة للتبادل التجاري خاصة مع الشرق الجزائري، حيث ينتقل الجزائريون إلى أهم الأسواق التونسية على غرار السوق الأسبوعية لمدينة الكاف المنعقد كل يوم خميس، إضافة إلى كونها نقطة التقاء لعدة طرق، أهمها الطريق العابر لتبسة والقالا وقسنطينة³. أما سوق أهراس فترتاده القبائل التونسية كشارن وورغة وأولاد بوغانم، لتداول الأغنام والحبوب والحلفاء إضافة إلى الحصير والسجاد والققف، الأمر نفسه بالنسبة لسوق تبسة الذي يرتاده قبائل الفراشيش والهمامة، بالمقابل يقصد سكان واد سوف تونس مرورا عبر تبسة أو قسنطينة⁴.

كما عمل بعض الجزائريين في تونس، في حراسة الأسواق حيث أسندت إلى أهل ورقلة بالدرجة الأولى، وكلف لهم شيئا يستلم مرتباتهم، وينوب عنهم في التعامل مع التجار ومسؤولي الأسواق⁵.

¹ M. Mauroy, *Du Commerce des peuples* ..Op.cit, p63.

² محمد العربي الزبيري، *التجارة الخارجية...*، المرجع السابق، ص155.

³ إدريس رايسي، المرجع السابق، ص ص 76-77.

⁴ المرجع نفسه ، ص 79.

⁵ محمود فروة، *التجارة والتجار في تونس (1881-1956)*، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2009، ص ص 136-137.

أما بالنسبة لمناطق الصحراء فالقوافل بين توقرت والجنوب التونسي كانت بشكل يومي، حيث يحمل تجار المنطقة التمور والأقمشة الصوفية إلى الأسواق التونسية وبالمقابل يقتنون من الأسواق التونسية الأقمشة القطنية والاعطور المستوردة من أوروبا¹.

ومن الجدير بالذكر، أن الجزائر وبعد دعمها لعلي باي لتولي السلطة في تونس سنة 1167هـ/1753م، عقدت معه عدة اتفاقيات من أهمها في الجانب الاقتصادي، تعهد هذا الأخير بدفع ضريبة سنوية إلى الجزائر، متمثلة في حمولة من الزيت، إضافة إلى العديد من الهدايا المنتجة محليا، أو القادمة إلى تونس عن طريق التجارة².

كما شجع حمودة باشا³ التجارة الخارجية مع الجزائر على الرغم من الصراعات القائمة بين الطرفين في هذه الفترة، حيث استقبلت تونس بين الثماني والعشر قوافل سنويا قادمة من قسنطينة، إلا أن عدد القوافل الوافدة ارتفع سنة 1809م إلى ما يقارب ذلك العدد شهريا، حيث تجلب هذه القوافل الأغنام والبرانس، وبالمقابل تشتري الشالات والأدوات المعدنية، والأقمشة والحلي ومواد البقالة و الشواشي، كما عمل تجار تونس على شراء الشمع وجلود والحيوانات وبيعها في الأسواق الخارجية، مقابل جلبهم للمنتجات المستوردة وبيعها للجزائريين، الأمر الذي ساهم في إعطاء حركية كبيرة للنشاط التجاري بين البلدين على الرغم من تأثير الأوضاع السياسية على هذا النشاط⁴، الأمر الذي يؤكد الأستاذ سعيدوني بالقول أن هناك قوافل تجارية تربط بين تونس والجزائر لعل من أهمها القافلة الشهرية المنطلقة من قسنطينة إلى الأسواق التونسية و التي تضم ما بين 200 إلى

¹ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص 156-157.

² حمدان بن عثمان خوجة، المرأة..، المصدر السابق، ص 130.

³ ولد حمودة باشا سنة 1759م لجارية من القرع تسمى محبوبة، له خمسة إخوة، اهتم والده بتربيته، تعلم علم الكلام والفقاه الحنفي على يد أبو محمد حمودة بكير، عرف بحزمه وحكمته، وعدله مع الرعية والأجانب، توفي سنة 1813م. ينظر: كمال مايدي، علاقات تونس مع دول غرب أوروبا الغربية المتوسطة وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782 إلى 1814م، مذكرة شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث، قسم التاريخ معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، غرداية، 2012. ص ص 41-52.

⁴ رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص 319-320.

300 بغل محملة ببضائع تصل قيمتها إلى مليون فرنك، محققة أرباحا تقدر بنصف مليون فرنك¹.

كما يجدر الذكر استنادا إلى الأرشيف الوطني التونسي أن الجزائريين حصلوا على العديد من المواد كالبارود والرصاص عن طريق الإحسانات المقدمة من بايات تونس، لا سيما حصول علي بوعكاز الحناشي على أربعة أرتال من الثقيل² و أربعة أرتال من البارود³.. كما تحصل الدواير و مبعوثوا الحنانشة إلى تونس مع كاتب الخليفة على 10 أرتال من البارود و 15 رطل من الثقيل، إضافة الى 4 أرتال من البارود و 4 من الثقيل إضافة بعد مغادرة كاتب الخليفة⁴، كما قدمت السلطات التونسية العديد من الهدايا إلى حكام الجزائر، على غرار الألبسة التي جاء ذكر العديد منها، لا سيما البرانس الجريدية (من بلاد الجريد⁵)، السفساري⁶ الجريدي، الشواشي، البرانس الجريدية(من بلاد جربة)، المحازم⁷.

كما دخلت الجزائر كميات كبيرة من الزيت قادمة من تونس سنة 1781م، وذلك كالتزام مفروض من داي الجزائر على باي تونس، على أساس استعمالها في إنارة المساجد ومقامات الصالحين، كما فرض على بايات تونس منذ 1795-1796م، استقبال المواشي الجزائرية وتسديد ثمنها نقدا وإعادة بيعها في الأسواق التونسية، وإرسال

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص186.

² يقصد به معدن الرصاص. ينظر: المنصف الفخفاخ، موجز الدفاتر الإدارية...، المرجع السابق، ص 72.

³ الأرشيف الوطني التونسي: الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر 100، وثيقة 13. ينظر الملحق رقم: 19.

⁴ الأرشيف الوطني التونسي: الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر 100، وثيقة 19.

⁵ يمتد هذا الإقليم من تخوم بسكرة إلى تخوم جزيرة جربة، ويبعد جزء منه كثيرا عن البحر الأبيض المتوسط، كقفصة وتوزر الواقعتين على مسافة ثلاثمائة ميل بالداخل، ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 142.

⁶ يطلق اسم السفساري عل الحايك بالشرق الجزائري، والذي وصل الى شمال افريقيا مع لجوء النساء الأندلسيات، حتى حتى أصبح لباس نساء حواضر تونس القيروان وقسنطينة، يصنع من الحرير والقطن، يأخذ عدة ألوان كالأسود والأبيض. ينظر الموقع الالكتروني: <https://www.independentarabia.com/node/376061> /اليوم: 2024/02/04 الساعة: 18:15.

⁷ الأرشيف الوطني التونسي: الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر 269، وثيقة 65. ينظر الملحق رقم: 20.

ثمنها على الرغم من الخسارة التي يتكبدها حمودة باشا، كشكل من أشكال التبعية¹، خاصة مع تعطيل بيع مواشي البلاد حتى تباع المواشي القادمة من الجزائر أو قسنطينة، مع إدعاء الرعاة بسرقة مواشيهم في الطريق عند نفوقها، بغية تعويضها برفع ثمن المواشي في الأسواق التونسية، الأمر الذي ضاق به هذا الأخير مع ازدياد قدرته على المواجهة²، وهذا ما جاء في إحدى وثائق الأرشيف الوطني التونسي، حيث تذكر الوثيقة وصول أعداد كبيرة من رؤوس الأبقار قدرت ب 1488، على يد وكيل الجزائر في تونس علي فريخ سنة 1172هـ/1758م، لبيعها في الأسواق التونسية، ليتم توزيعها على أسواق الأوطان على النحو التالي:

149 رأس بقر لكل من أوطان، قليبية، المنستير، سوسة، صفاقس، ماطر، باجة، رباح، و أمنا جزارات تونس والجلابة.

150 رأس بقر لوطن بنزرت وقائد رأس الجبل، و124 رأس لوطن تبرسق .

بينما حصل على الجزيري على 20 رأس بقر، كما حصل محمد بن الغريب، والفقير عبد الستار على رأس بقر واحد لكل واحد منهما، كما وصل لجزارة تونس والجلابة في نفس السنة 223 رأس من البقر على يد قاسم عزاز أمين الجزارة، قبض ثمن هذه الأبقار من طرف محمد بن الساهل³.

كما زودت الجزائر تونس بحوالي 12 ألف من الجلود سنويا، وذلك بعد قرار بايلك قسنطينة سنة 1793م بإنشاء مدابغ بعناية لتلبية حاجات الأهالي، و فقدان المؤسسات الفرنسية لهذا الامتياز، كما أن الفترة مابين 1807-1817م، عرفت تسليم المؤسسات

¹ عبد الحميد هنية، المرجع السابق، ص 185. ينظر أيضا: رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص 415-420.

² أحمد ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، مج 02، ج 03، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ص 40.

³ الأرشيف الوطني التونسي: الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر 100، وثيقة 65. ينظر الملحق رقم: 21.

للانجليز، الأمر الذي مكن اليهود والأهالي من السيطرة على هذا النشاط التجاري وتوجيه هذه الأخيرة إنتاجها من الجلود نحو تونس¹.

يجدر الذكر أن هناك بعض المواد أرسلت إلى تونس بناء على طلب وكيل طبرقة² إلى قائد القالة، حيث جاء في مضمون رسالته الموجهة لهذا الأخير سنة 1197هـ/1783م، الطلب منه إرسال الخل من النوع الجيد، إضافة إلى الورق (الكاغظ)، حيث جاء في نص الرسالة "...وأرسل لنا شوية خل مريح وأرسل لنا شوية كاغظ..."³.

كما عمل الباعة المتجولون الذين يعود أصلهم إلى أهل زاوية، على التنقل بين القرى والأرياف التونسية، حاملين بضائعهم على الخيل والبغال والحمير، لبيعها مقابل الدراهم، أو مقايضة سلعهم مقابل ما يتوفر لذي هذه القبائل من دجاج وبيض وصوف، ليعيدوا بيع ما يحصلون عليه في أسواق المدن، ويشتروا سلع جديدة⁴.

كما أن الكثير من التجار التونسيين استقروا في البايك، وهذا ما يذكره محمود فروة، عند إحصائه للتجار الجربيين⁵، حيث أشار إلى أنه من أصل أربعة آلاف تاجر جربي، يوجد هناك 548 تاجر خارج تونس، تستقر الأغلبية الساحقة منهم والمقدرة ب411 بالشرق الجزائري، يشتغل معظمهم في العطار، على الرغم من المنافسة الشديدة للميزابيين لهم، بينما العدد المتبقي منهم والمقدر ب137 تاجرا فيتوزعون بين المغرب وطرابلس ومصر واسطنبول⁶.

¹ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص99.

² ميناء تجاري، عرف بأهميته الكبيرة للنشاط التجاري لتونس مع بلدان جنوب أوربا، يقع بالشمال الغربي للبلاد، كما عرف أيضا بالمرجان ذو النوعية الجيدة. ينظر: رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 59.

³ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 45. ينظر الملحق رقم: 22.

⁴ محمود فروة، المرجع السابق، ص118.

⁵ يقصد بهم تجار جزيرة جربة التونسية، هذه الجزيرة التي تمتد على مسافة ستون ميلا من الغرب الى الشرق وعرض الرأس الشرقي خمسة عشر ميلا، ومن هذا الطرف الى البر الكبير عشرون ميلا، يسمى هذا الطرف الضيق رأس كرين ويسمى الواسع منه بانتيجان. ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، [د.ط.، القاهرة، 2002، ص305.

⁶ محمود فروة، المرجع السابق، ص178.

من خلال هذه الأرقام نلاحظ حيوية العلاقات التجارية بين البلدين، و أن اغلب التجار التونسيين ينشطون بالأسواق الجزائرية عامة، وبأسواق الشرق الجزائري خاصة، وذلك نظرا للارتباط الجغرافي بين البلدين، والانتماء المشترك للقبائل القاطنة للمناطق الحدودية الأمر الذي ساهم في ازدهار النشاط التجاري بين الشرق الجزائري وتونس.

لعبت المدن الحدودية دورا كبيرا في تنشيط التبادل التجاري، حيث نجد مدينة الكاف التي كانت للجزائريين قبل تأسيس مدينة سوق أهراس سوقا تجاريا، إضافة إلى مدن توزر ونفطة باعتبارها مناطق جذب للجزائريين، بالمقابل استقبلت وادي سوف ونقرت الكثير من التونسيين، ففي العموم استطاعت المدن الحدودية، أن تمكن لتطور العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين البلدين¹، الأمر الذي ساهمت في توطيده القبائل المستقرة على حدود البلدين، على الرغم من حالة عدم الاستقرار التي عرفتها المنطقة في فترات مختلفة بسبب تقلب ولاء هذه القبائل.

أما من أهم القبائل القاطنة من جهة الجزائر والتي لعبت دورا في تحديد طبيعة العلاقة بين البلدين العلاقة فنذكر قبائل، مرداس، بنو صالح، والحناشنة، وسيدي يحي بوطالب، والنمامشة، والشعانبة، والربايح، والممتدة إلى غاية وادي سوف، أما من جهة تونس فنذكر ثلاث فروع للهمامة وهي: أولاد عزيز، أولاد رضوان، وأولاد معمر، إضافة إلى عروش، الزغالمة، وورغة، الفراشيش هذه الأخيرة التي تنقسم إلى ثلاث فروع: أولاد ناجي، أولاد علي، أولاد غزاز².

أ- الطرق البرية بين الجزائر وتونس:

عرفت المبادلات التجارية بين تونس والجزائر حيوية كبيرة خلال العهد العثماني، يمكن إرجاعها الى القرب الجغرافي بين البلدين مما جعل حركة نقل البضائع أقل كلفة وأكثر فائدة، خاصة مع التداخل الحدودي بين البلدين واستقرار العديد من القبائل على طرفي الحدود، كما أن سيطرة السلطة في الجزائر على القرار السياسي في تونس خلال الفترة

¹ احميدة عميراي، المرجع السابق، ص 53.

² المرجع نفسه، ص 52-53.

العثمانية ساهم في تشجيع التجار على تبادل السلع بين الطرفين مع توفر الأمن الى حد كبير على طول الطرق التجارية بين البلدين، الأمر الذي أدى إلى تضاعف أعداد القوافل التجارية طوال السنة، ومن أهم الطرق الرابطة بين الإيالتين¹ :

- طريق تونس وذلك انطلاقا من مدينة قسنطينة باتجاه الجنوب مرورا بالخروب، ليتجه نحو الشمال الشرقي عبر قرى زناتي ومجاز عمر، وسوق أهراس وصولا إلى مدينة الكاف التونسية ومنها إلى العاصمة تونس، يستغرق قطع هذا الطريق مدة طويلة تقدر بـ 25 يوما، إلا أن طول المدة لا يعتبر عائقا بسبب توفر مرافق السير، وربحية النشاط التجاري عبره، مع اعتدال كراء البغال المخصصة لنقل البضائع بين الإيالتين².

- طريق نفطة وغدامس، انطلاقا من تقرت نحو الشمال مرورا بمحطة الفيض، حيث ينضم إليه تجار بسكرة، لتأخذ القافلة إتجاهين رئيسيين أولهما نحو مدينة نفطة، والثاني نحو الجنوب إلى سوق غدامس ببئر الحديد³.

- طريق قفصة ونفطة، انطلاقا من الوادي نحو قمار شمالا، لينقسم إلى اتجاهين الأول مباشرة نحو مدينة نفطة مستغرقا ثلاثة أيام، بينما يتجه الثاني نحو قرية فرن، لينضم له تجار بسكرة، ويأخذ بعد ذلك إتجاهه نحو الشرق متوقفا بقفصة، بعد خمسة أيام من المسير، يتميز هذا الطريق بالأمن ووفرة المياه، على الرغم من الكمائن المتبادلة بين سكان واحة غدامس وسوف⁴.

- طريق غدامس انطلاقا من ورقلة نحو الشرق وصولا إلى مدينة غدامس، التي تعتبر ملتقى لتجار تونس والجزائر وطرابلس لتبادل السلع، يستغرق قطع هذا الطريق عشرة أيام متواصلة، بسبب صعوبة الطريق وحركة الكثبان الرملية المتنقلة، تقطع خلالها القوافل

¹ ينظر الملحق رقم: 23.

² محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص152.

³ يمينه بن أصغير حاضري، المرجع السابق، ص227.

⁴ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص154.

التجارية مئة وستون ميلا، يفتقد الطريق على طول مسلكه لمواطن المياه إلا على مسيرة ثلاثة أيام من الانطلاق¹.

2- التجارة مع المغرب:

تميزت العلاقات التجارية بين بايلك الشرق والمغرب بالضعف، لم تخرج عن المنتجات الكمالية، نظرا لبعدها المسافة، وعدم جدوى تنقل القوافل بصفة مستمرة، فبالنسبة لمدينة قسنطينة فتحمل القوافل إلى مدينة فاس الأقمشة الصوفية والقطنية وتجلب الأحذية الجلدية والجلابيب والبراقع، أما طريق الشمال الذي يربط المدينتين، فيمر عبر سطيف وحمزة والجزائر ووهران وتلمسان ووجدة²، كما قدر حجم المعاملات بحوالي 400 ألف فرنك³ سنويا. أما قوافل بسكرة فتسلك طريق الوسط وصولا إلى واحة فكيك مروراً بالأغواط والبيض والشلالة حاملة معها الحرير المستورد من تونس، وبالمقابل ترجع محملة بالمشاط والأقمشة، والخيل ومواد البزازة والأسلحة. أما طريق الجنوب فيمتد من ورقلة إلى تافلات مروراً بالقرارة وغرداية ومثلي ففكيك وصولاً إلى تافلات⁴، تنقل القوافل المصنوعات الصوفية وريش النعام وبعض المنتجات القادمة من تونس، لتعود محملة بالخيل والأسلحة⁵.

¹ رضا حوجو، شبكة الطرقات الفرنسية في جزائر القرن التاسع عشر ظاهرة حضارية أم أداة عسكرية 1830-1900م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2018، ص35.

² مدينة قديمة بناها الأفارقة في سهل فسيح جدا، على بعد 40 ميلا جنوب البحر المتوسط، و تبعد نفس المسافة تقريبا عن مدين تلمسان، عرفت بخصوبة أراضيها وغزارة إنتاجها. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص ص 12-13.

³ عملة فرنسية عوضت الجنيه الفرنسي بعد الثورة الفرنسية سنة 1789م، تستعمل لتسديد الاحتكارات الفرنسية قدرت قيمتها بربع الريال الإسباني أو ما يساوي 1.86 من الريال الجزائري، ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس-طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الربع الهجري (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)، حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية، ع 31، الكويت، 2010، ص99.

⁴ ينظر الملحق رقم: 25.

⁵ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص ص 175-176.

3- التجارة مع ليبيا:

لم تكن التجارة مع الإيالة الليبية ذات شأن كبير، لأن أهم أسواقها في غاط لا ينعقد إلا مرة واحدة في السنة، تقصده من الجزائر القوافل المنطلقة من تقرت وورقلة والوادي لتتضم الى القوافل التونسية في غدامس، كما يرتحل إلى هذا السوق التجار من مناطق مختلفة لا سيما من مصر والسودان وشمال افريقيا¹.

معظم تجارة أهالي وادي سوف مع غدامس حسب ما ذكره الأغواطي، حيث عمل السكان في تجارة العبيد بمرافقتهم للقوافل التجارية المتجهة من غدامس² للسودان لشراء العبيد وإعادة بيعهم في المدينة³، فتجار الجنوب الشرقي يقصدون هذه الأسواق في شهر أكتوبر لبيع منتوجاتهم المحلية و القارية والمتمثلة في المواد العطرية والحريير والجواهر والكاغط والتوابل والمنتوجات الأوربية المستوردة، بالمقابل يجلبون معم في رحلة العودة الحمير المصرية والتبر وغيرها، ومنهم من يواصل مسيره إلى مرزوق لبيع بضائعهم بسعر أعلى، ليعودوا الى الإيالة عبر سوق غدامس، بعد أن يشتروا الجمال والغزائر⁴ من مدينة طرابلس⁵.

4- التجارة مع السودان:

يذكر الأستاذ الزبيري بأن التسمية تطلق على مناطق مالي والنيجر وشمال نيجيريا، هذه المنطقة التي عرفت تبادلا تجاريا مهما مع بايلك الشرق⁶، حيث تنتقل القوافل محملة بالسلع في الطريق الفاصل بين الجزائر وتمبكتو على مسافة ستمائة فرسخ، تقوم قبائل

¹ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص179.

² مدينة ليبية، تحوي العديد من القصور والقرى المأهولة بالسكان، تبعد حوالي ثلاثمائة ميل من البحر الأبيض المتوسط، عرف سكانها بالثراء وامتلاكهم الكثير من البساتين، بسبب تجارتهم مع بلاد السودان. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 146.

³ ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص96.

⁴ أكياس من الحجم الكبير، تصنع من الوبر أو شعر الماعز، تستعمل لنقل السلع على ظهر الجمال.

⁵ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص180.

⁶ المرجع نفسه، ص161.

أولاد نايل بتوفير الحماية لها، هذه القبائل التي تقطن مناطق بسكرة، الاروات، بوسعادة، بعد أن تصل هذه القوافل إلى منطقة متليلي، تسلم السلع إلى الشعانبة الذين ينقلونها بدورهم باتجاه القليعة ومن ثم تيميمون السوق الرئيسي لتوات¹.

يجدر الذكر أن غدامس وواحة القليعة ومدينة العريب في المغرب الأقصى، تعتبر نقطة الوصل بين إفريقيا البيضاء وإفريقيا السوداء، كما أنها منطلق السلع القادمة من الجنوب نحو توات باعتبارها ملتقى الطرق التجارية، كما تتصل هذه المدن بعدة مناطق على غرار إتصال العريب بقيق وتافيلالت على الحدود الجزائرية، وخدامس بطرابلس الغرب ونفطة وقابس، بينما ترتبط القليعة بمتليلي وورقلة، وتوقرت وواد سوف هذه الأخيرة التي لها علاقات تجارية مع تونس وليبيا عبر مدينة غدامس²، كما تنطلق القوافل من القليعة باتجاه توات حاملة معها الأغنام والشحوم والقمح و الفاصولياء والزيت، هذه السلع التي تتولى نقلها نحو مدينة تمبكتو³ قبائل الخنافس، كما تجلب القوافل في طريق عودتها من توات الحنة والشب والملح الصخري، إضافة إلى الإبل والزنوج ومسحوق الذهب والبخور⁴، هذه الأخيرة التي تتفرع منها ثلاث طرق تجارية مهمة باعتبارها مركزا أساسيا للتجارة بين المناطق المغربية والسودان⁵، الطريق الأول يتجه الى غدامس بالنسبة بالنسبة لتونس وطرابلس، والثاني إلى القليعة بالنسبة للجزائر، بينما الطريق الثالث إلى

¹ اسمهان لعربي، الحياة الاقتصادية في بايلك الشرق خلال العهد العثماني (1713-1792م)، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، شعبة التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، سيدي بلعباس، 2013، ص 257.

² المرجع نفسه، ص 255.

³ تقع المدينة على بعد اثني عشر ميلا من أحد فروع النيجر، بنيت سنة 610هـ على يد ملك يسمى منسا سليمان، تتميز المدينة بحيويتها الاقتصادية، وانتشار الصناعات والتجار بها، لاسيما حائكي الأقمشة القطنية، تصلها العديد من البضائع الأوربية التي يحملها التجار البربر. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص ص 165-166.

⁴ إ. كاريت، المصدر السابق، ج6، ص 91.

⁵ ينظر الملحق رقم: 24.

عريب بالمغرب، لتتفرع منها بالمقابل وجهات تجارية أخرى نحو تافيلالت بالمغرب الأقصى، ومثليي وورقلة وتوقرت وواد سوف بالجزائر، وقابس ونفطة بالنسبة لتونس¹.

تصدر من بايلك الشرق الى بلاد السودان العديد من السلع، لاسيما الحبوب المتمثلة أساسا في القمح والشعير والبقول والحمص، إضافة إلى الزيوت ذات النوعية الجيدة المنتجة في بسكرة، والتي يستعملها نساء السودان للمداواة والزينة، كما تمون أسواق الوادي وتوقرت بلاد السودان بالتمور²، وريش النعام الأسلحة والسيوف، حيث تباع البندقية الواحدة بواحد وعشرون فرنك، كما تستقبل المنطقة بعض السلع الأوربية المستوردة كمواد الزينة، والأقمشة الصوفية والحريية، والمناديل الحريية والشوواشي الحمراء³.

كما أن من أشهر السلع المستوردة من بلاد السودان، الذهب الذي عرف بالمنطقة منذ القدم، أما مع دخول الإسلام الى المنطقة فقد سيرت العديد من القوافل لهذه التجارة تحت حماية قبائل التوارق والخنافسة والشعانية، هذه التجارة التي مهدت لاستيراد الملح من مناطق أوليل وتاكازا وتاودني⁴. وهو ما يذكره العوامر عن تواجد قطع صغيرة من الذهب، يقوم الأهالي ببيعها في بلاد الجريد⁵، والتي يختلف في مصدرها، هل هي من تراب منطقة سوف، أو جلبتها الرياح من أراضي أخرى كأرض السودان⁶، إضافة إلى العبيد حيث وصلت المنطقة أعداد كبيرة منهم، تعتبر منطقة ورقلة نقطة تجمعهم ليوزعوا على أنحاء البلاد، كما تستورد توقرت لوحدها حوالي خمسمائة عبد، إضافة الى ما سبق

¹ اسمهان لعربي، المرجع السابق، ص 256.

² محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص 165.

³ يمينه بن أصغير حاضي، المرجع السابق، ص 229.

⁴ المرجع نفسه، ص 228.

⁵ تعني الكلمة البلاد الجافة أو القاحلة، تمتد من مدينة الوشت (فزان) من الشرق وتتوسع الى الغرب حتى مدينة سوسة وحتى رأس نون من جهة المحيط الغربي، ومن الغرب تصل حتى جبال الأطلس ومن الجنوب مع الصحراء. ينظر: إ. كاريت، المصدر السابق، ج 6، ص 83.

⁶ إبراهيم محمد الساسي العوامر، المرجع السابق، ص 49.

تصل أسواق البايك من بلاد السودان الكثير من المنتجات كالعاج والتبر والأقمشة القطنية والكورو¹ والزبد² والحشيش³.

رابعا- طبيعة العلاقة بين القوافل التجارية و أهالي ريف البايك:

تصل المدن الجزائرية الكثير من القوافل الصحراوية، حيث تمر قوافل الجمال بمعدل المليون والنصف في الساعة لمدة خمسة عشر أو ستة عشر ساعة في اليوم، حاملة معها غبار الذهب وريش النعام والتمور، والكثير من العبيد السود ليستغلوا في أعمال السخرة كخدم في منازل الأغنياء وأصحاب النفوذ⁴، كما تعتبر مناطق بني ميزاب نقطة تواصل تجاري يلتقي فيها تجار الجزائر وبجاية بتجار أرض السودان⁵. كما عرفت أسواق ورقلة مقايضة السلع التي يأتي بها تجار تونس وقسنطينة من منتجات بلاد البربر مقابل السلع القادمة من بلاد السودان⁶.

كما يذكر العياشي تصادف دخولهم إلى ورقلة مع دخول قافلة من عرب الأرباع تبيع سلعها في سوق المدينة، وهو ما جاء في قوله " وكان من لطف الله بالحجاج أن صادف دولهم دخول قافلة من أعراب الأرباع قدمت بسمن كثير وغنم وإبل وزرع، اشترى الناس ما احتاجوا إليه بأرخص ثمن، وقدمت أخرى بعدها بيوم تحمل مثل ذلك وأكثر، فتنعم الناس في اللحم والتمر والسمن، واشترى الحجاج غنما كثيرة حتى كأن تلك الليالي الثلاث التي أقاموها ليالي منى من كثرة اللحم"⁷.

¹ فاكهة مالحة يستعملها الأفارقة بمثابة القهوة، تزن حوالي العشر غرامات.

² يباع في أسواق الشرق الجزائري بحوالي ثمانون فرنكا، يستخرج من القطط البرية التي تتغذى باللحم باستمرار، وهو العرق الذي تفرزه هذه القطط بعد أن تتعرض للتهيج والمضايقة.

³ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص168-169.

⁴ وليم سبنسر، المصدر السابق، ص143.

⁵ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف أفريقيا، ج2، المصدر السابق، ص135.

⁶ المصدر نفسه، ص136.

⁷ عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ج1، ص114..

تتوجه القوافل التجارية المعروفة بالنجع خلال شهر أكتوبر نحو الصحراء لتقايض سلعها المتمثلة خاصة في الصوف الخام والزيوت والأغنام والزبدة مقابل التمور والأنسجة الصوفية المصنوع من طرف النسوة، لتوضع التمور في المخازن لتنتقل لاحقا، بعد أن تقضي هذه القبائل مع قطعانها فصلي الشتاء والربيع تتبعا لمواطن الكلاً والماء، لتعاود التوجه نحو الشمال مع نهاية الربيع محملة بالتمور تزامنا مع موسم حصاد القمح¹.

يضيف العياشي أن توات تعتبر منطقة تجمع للقبائل المختلفة بالقول " هي مجمع القوافل الآتية من بلاد "تنبكت" ومن بلاد "اقيرز" من أطراف السودان ويوجد فيه من البضائع والسلع التي تجلب من هناك شيء كثير والسلع التي تجلب من الغرب مما هو خارج السودان نافقة في هذه البلاد كالخيل وملابس الملف والحريز، فإذا قدم الراكب إليها كان فيها سوق حافل"، كما باعت قافلة الراكب بسوقها بعض الخيول وما ضعف من الإبل، واشترت حاجتها من التمر، كما عرفت أسواقها برخص الذهب والتمر والقوت².

يذكر السجلماسي أن سكان أولاد جلال يقصدون موكب الحج لبيع سلعهم بالقول " فقد خرجوا زائرين للراكب ومتسوقين بالتمر والشعير و الدلاع وهم يخزنونه ليبيعه للحجاج". الأمر نفسه بالنسبة لأهالي سيدي خالد وقصدهم موكب الحج عند مروره بالقرب منها، لبيعهم التمور التي تعرف بها المنطقة وتنتج منها الكثير" وتسوقوا وسط الراكب رجالا ونساء وولدانا يبيعون التمر، وهو كثير عندهم ومع ذلك غال جدا، وأجوده عندهم يسمونه الحرة"³، كما يشير إلى حيوية النشاط التجاري بين الأهالي و القوافل المارة عبر المناطق الصحراوية، على غرار سكان بسكرة وتبادلهم السلع مع موكب الحجيج، باعتبارها منطقة عبور مهمة لهذه القوافل بالقول " وأقمنا في بسكرة يومين لشراء المحتاج إليه من الدقيق وإدام، والدقيق لا يوجد هنا إلا فيها لاختصاصها بوجود أرجاء الماء فيها دون غيرها. وتسوق أهلها مع الراكب، وباعوا بغالا، وهذا محل شرائها لأن هنا من قسنطينة ونواحيها لهذا الموضع يقصد التعرض بها للحجاج، وباعوا إداما ودقيقا وشعيرا، واشتروا قليلا من

¹ يمينه بن أصغير حاضري، المرجع السابق، ص 224.

² مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال الرحلات ...، المرجع السابق، ص 70.

³ أبي العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 201-206.

المجلوب من بلدنا من الثياب الرقيقة، ومن الجلد المدبوغ"¹، ومما ذكره التقاءه في طريق رحلته مع أعراب يمتنون التجارة على طريق القوافل المارة بالمنطقة، واصفا إياهم بالقول "وقد شهدت بصدق أقوالهم فإنهم يبيعون جلد البقرة بالخبرة، ويبيعون المزود بكيلة من التمر، وقد مررنا بهم عجالى، ولو وقفنا معهم للبيع لربح الناس معهم، لكن المطلوب أمام، وقد اشترى منهم رجل ناقة بجلود مدبوغة، واشترى آخر شاة فيها ذكر بشيء تافه من ورق العشبة المدمومة عند أهلها"تبغى"، وطلبوا من يشتري منهم حمارا وليس معهم دينار ولا درهم"².

خامسا:الطرق والمسالك العابرة لبايلك الشرق:

انقسمت الطرق في ريف البايلك الى طرق جهوية وأخرى سلطانية، ويقصد بالأخيرة الطرق التجارية الكبرى، والتي ساهمت في تطور المبادلات التجارية بين البايلك و كل من تونس والمغرب وليبيا والسودان نذكر منها:

-الطريق العرضاني الشمالي، والرابط بين تونس وفاس عبر مدن، الكاف، قسنطينة، سطيف، حمزة الجزائر، وهران ، تلمسان وسطيف.

-الطريق العرضاني الأوسط، والرابط بين قفصة وفكيك، يمر بمدن بسكرة، الأغواط، البيض وسيدي الشيخ.

-الطريق العرضاني الجنوبي، والرابط بين نفطة وتافيلالت، والمار بأهم الواحات في الجزائر³.

الطريق القطري الغربي، يربط سوف بالعاصمة، مرورا بمديني بسكرة وبوسعادة.

الطريق القطري الشرقي، يربط مناطق ميزاب بتونس، مرورا بالأغواط وبوسعادة، قسنطينة والكاف.

¹ أبي العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص218.

² المصدر نفسه، ص176.

³ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص ص67-68.

طريق وادي سوف غدامس، يلتقي بالطريق العرضاني في منطقة بئر جديد، يستغرق قطعه 13 يوما لصعوبته.

طريق ورقلة غدامس، يستغرق قطعه عشرة أيام، لخطورته بسبب الكثبان الرملية.

طريق غاط عين صالح الجبلي، يستغرق قطعه عشرون يوما، يتميز بصعوبته، بينما الطريق السهلي، فيقطع في أربعين يوما، يتميز بالطول والسهولة عكس الأول¹.

سادسا: علاقة أهالي الأرياف بالمؤسسات التجارية الفرنسية:

يوجد التباس كبير فيما يخص بداية التواجد والامتيازات الفرنسية في بايلك الشرق، والتنافس بين الأوربيين للسيطرة على المنطقة، بداية بشركة لانش وديديه ومنافستها الجنوبيين في مناطق استغلال الشعب المرجانية، إضافة إلى رغبتهم في ممارسة النشاط التجاري بتصدير السلع المنتجة محليا، كالقمح والجلود والشمع²، كما استطاعت إحدى الشركات الفرنسية الحصول على امتياز من السكان سنة 1450م يخص استغلال جزء من الساحل في إطار الامتيازات الإفريقية³، وهناك من نسب تأسيس القالة إلى الدوق دوبرمون، عم شارل السادس والذي قام بحملة ضد ميناء المهدية التونسي سنة 1390م، وبالمقابل يشير البعض إلى حملة خير الدين واستيلائه على عنابة وقسنطينة سنة 1530م، وتعامل البروفنسين مع قبائل الساحل، ووصولهم مقابل دفع إتاوات على امتياز صيد المرجان مجانا من طبرقة حتى عنابة، كما ينقل بول ماصون عن بلانتي قوله أن امتيازات سنة 1535م أعطت الفرنسيين الحق الحصري لصيد المرجان واستغلال الموانئ والمرافئ الواقعة على ساحل مرسى الخرز، القالة، عنابة، القل، كاب روز، الأمر الذي أكده من قبل سليم الأول سنة 1518م⁴، بينما يذكر ماصون رواية أخرى يعتبرها الأقرب إلى الواقع، بالقول أن التاجرين المرسييليان توماس لانش وكارلين ديديه، هم أول من قام

¹ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص68.

² Paul Masson, *Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque (1560-1793)*(Algérie. Tunisie. Tripolitaine. Maroc), Librairie Hachette, Paris, 1903, p12.

³ Paul Masson, *Histoire des établissements..Op.cit*, p03.

⁴ Ibid, p3-4.

بالصيد بخليج ستورة، بعد أن حصلوا امتياز الاستقرار في المنطقة من الباب العالي في نهاية عهد سليمان الثاني، وموافقة الأهالي على ذلك، ليبدأ بناء القلعة الصغيرة سنة 1561م، والتي عرفت بحصن فرنسا¹.

حصلت شركة الباستيون على امتياز شراء الشمع والصوف والجلود، إضافة إلى الحبوب التي حددت قيمة ما يمكنهم شراؤه بألفي قفيز بما يكفي لغذاء الصيادين وعوائلهم، إلا أن هذه الشركة استطاعت تصدير كميات كبيرة من الحبوب إلى فرنسا وذلك بتواطؤ عدد من المتنفذين والحكام المحليين²، الأمر الذي كان سببا في هدم الباستيون سنة 1604م بعد تعرض البلاد إلى نقص كبير في الحبوب نتجت عنها مجاعة كبيرة، واتهام الشركة بالتسبب في ذلك خاصة مع تصديرها كميات كبيرة من الحبوب من عنابة³.

تعاملت العديد من القبائل في بايلك الشرق تجاريا مع الفرنسيين⁴ الذين عملوا على تشجيعهم على الزراعة وتربية المواشي بغرض تصديرها الأمر الذي انعكس على إعادة بناء الباستيون سنة 1049هـ/1640م، ونذكر من بين هذه القبائل قبيلة مرداس بمنطقة عنابة، والتي تميزت بممارستها للنشاط الفلاحي، وامتلاكها ثروة حيوانية كبيرة من الأبقار والثيران والأغنام، إضافة إلى قبيلتي الحناشنة ونهد بمنطقة القالة وضواحيها، وقبيلة أولاد ذياب بالقل⁵.

كما استطاع القادة والمتنفذون من خلال علاقتهم بمسؤولي الباستيون لا سيما الشيوخ في المناطق المحيطة بالحصن إضافة إلى قائد عنابة، الحصول على فوائد تجارية كبيرة، بالمقابل استطاعت الشركة شراء الحبوب بمختلف أنواعها على الرغم من حظر

¹ Paul Masson, *Histoire des établissements*..Op.cit, p8.

² المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص83.

³ المرجع نفسه، ص85. ينظر أيضا: عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 286.

⁴ ينظر: الملحق رقم: 26.

⁵ الشيخ لكحل، نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م، (1013-1070هـ/1604-1659م)، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، 2013، ص106

تصديرها، مع استمرارها في تصدير السلع المسموح ببيعها كالجلود، كما دأبت الشركة على تقديم الهدايا، فإذا باعت الشركة 183 علبة من ورق مرسيليا فعليها تقديم مقابل ذلك سبعة منها كهدايا¹، كما أن من أهم المواد المتحصل عليها من الباستيون، كما ذكر في إحدى وثائق المكتبة الوطنية، الكاغط، الحبر نوعية جيدة، القمح².

عمل الفرنسيون على توظيف العناصر المحلية، مقابل رواتب بسيطة في مختلف الأعمال، كقطع الأخشاب ورعاية قطعان الماشية، وفي أحيان أخرى يستغلون في فترات الوباء في التعامل مع البضائع المشبوهة، إضافة إلى تكليفهم بنقل الرسائل إلى عنابة والقالا والى زعماء القبائل مقابل ستة عشر دينارا، كما يشير بول ماصون على أن ملحقات الباستيون³ لم تكن ذات أهمية كبيرة، بل خصصت في عمومها لتخزين القمح⁴.

كما يشتري الحصن للاستهلاك الكثير من المنتجات المحلية من الأهالي، كالخبز واللحوم والقمح بأسعار رخيصة، يذكر أنه خلال فترة تسع سنوات وأربعة أشهر أي الفترة الممتدة من 17 جويلية 1582م الى 23 جانفي 1591م، تم استهلاك 4683 قفيز من القمح في تحضير الخبز، أي حوالي 20 ألف قنطار، بمعدل 580 كغ من القمح، كما تم استهلاك أكثر من ألف قنطار من الفاصولياء الرخيصة الثمن بمعدل 30 كغ، كما احتفظت الشركة بقطيع كبير قدر بحوالي ألف رأس، و تم استهلاك في هذه الفترة 920 خروفا و5512 ثورا⁵. من خلال هذه الأرقام نلاحظ الكميات الكبيرة التي استهلكها الحصن، والتي من المرجح أنها لم تكن مخصصة فقط لقاطني الحصن.

كما يجدر بالذكر أن علاقات الباستيون مع القياد تجاوزت العلاقات التجارية المبنية على البيع والشراء، إلى استعارة بعض السلع التي يحتاجها القياد كالقمح، إذ نجد في

¹ Paul Masson, *Les Compagnies du Corail: étude historique sur le commerce de Marseille au XVIe siècle et les origines de la colonisation française en Algérie-Tunisie*, Imprimerie Barlatier, 1928, p96.

² وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 115. ينظر الملحق رقم: 27.

³ مناطق النشاط الاقتصادي التابعة للباستيون الموجودة في المنطقة الشرقية، نذكر من أهمها، القالة، عنابة، سكيكدة، القل....

⁴ Paul Masson, *Les Compagnies du Corail...Op.cit*, p91.

⁵ Ibid, pp93-94

إحدى وثائق المكتبة الوطنية، أن أحد القياد استلف من قنصل عنابة 10 أقفرة من أجل تحضير خبز النوبة¹.

من خلال ما ذكرنا نلاحظ مدى اعتماد السلطة على العوائد المأخوذة من أهالي الأرياف الممارسين للنشاط الفلاحي، فتأخرهم في إدخال القمح إلى الرحبة، إضافة إلى تعطلهم في عملية الدرس، يضطر القياد إلى استلاف حاجاتهم من الباستيون لتموين النوبة بالخبز، وهذا ما يوضح مكانة أرياف البايك زراعيًا، واعتماد السلطة بشكل كبير في دعم خزيتها على العوائد المحصلة منها.

يشار إلى اعتماد أهالي المنطقة على الباستيون في تسويق محاصيلهم الزراعية، حيث شكلت سنة 1048هـ/1638م انتكاسة لنشاطهم التجاري بسبب هدم الباستيون، وعجزهم عن تسديد الضرائب المفروضة عليهم، إضافة إلى فقدانهم للضريبة المدفوعة من الباستيون، الأمر الذي ساهم في تمرد هذه القبائل على السلطة المركزية²، هذا التمرد الذي قاده أحرار الحنانشة لسببين السبب الأول هو هدم الباستيون، بينما السبب الثاني هو رغبة شيخ العرب أحمد بن السخري الانتقام لمقتل أخيه، حيث رفضوا دفع الضريبة السنوية للسلطة، لكونهم كانوا يحصلون على أرباح جيدة من بيع بضائعهم لحصن فرنسا، والآن هم عاجزين عن دفع أي شيء، كما هاجموا قسنطينة ودمروا المناطق الريفية المحيطة بها، ليتم التوصل في الأخير إلى اتفاق من أهم بنوده إعادة بناء حصن فرنسا³.

كما جاء في إحدى الوثائق الخاصة بالمكتبة الوطنية، أن صالح باي أرسل رسالة إلى قائد الباستيون، يطالبه فيها بإرسال عوائد قبائل مرداس، مذكرا إياه بأنه من العادة إرسالها في الصيف⁴. أما في رسالة أخرى وجهها صالح باي إلى قبطان القالة⁵، مبديا عتبه

¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 118. ينظر الملحق رقم: 28.

² عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 364.

³ Charl Feraud, *Les Harar Seigneurs des hanencha*. ...Op.cit, pp199-200.

⁴ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 56.

⁵ حصن صغير بني على صخرة، يحيط به البحر من ثلاث جهات، يبعد عن العاصمة بحوالي 120 فرسخا. ينظر:

Thomas shaw, *Voyage dans la régence*...Op.cit,p346.

للتناقل في إرسال العوائد الصيفية والشتوية لقبائل مرداس، مؤكدا ضرورة العمل على إرسالها فور وصول الرسالة¹، وهو ما يدل على التزام قبائل أرياف بايلك الشرق اتجاه الباي، لا سيما قبائل مرداس، ومتابعة الباي لتسلم هذه العوائد مشددا على تسليمها في وقتها، منتقدا تباطؤهم في إرسالها و مسديا الأوامر لقادة الباستيون لتدارك الأمر.

يذكر توماس شو أن الشركة الإفريقية القديمة استطاعت تصدير 10 آلاف قنطار من الصوف، و 5 آلاف من الشمع، وخمسون ألف جلد ثور، و 100 ألف بوشل من الحنطة عبر ميناء عنابة².

كما أن السكان المحليين يستطيعون التعامل مباشرة مع الفرنسيين، وهذا وفق ما جاء في الاتفاقية المبرمة في 1038هـ/1628م بين الجزائر وفرنسا الممثلة في سانسون نابلون³، لإقامة الصلح بين البلدين، و التي كان من أهم بنودها حرية ممارسة التجار الفرنسيين لأعمالهم التجارية، كما سمح لأهالي المنطقة ببيع الجلود و الشمع والعسل للفرنسيين، مع ممارسة نشاط صيد المرجان، وبالتالي ضمن نابلون عدم اعتراضهم على إنشاء الباستيون، وتعيينه لإدارة الباستيون مادام على قيد الحياة، وتعهد المؤسسات الفرنسية بدفع ضريبة قدرت بستة وعشرون ألف دويلة⁴.

شهدت سنة 1049هـ/1639م إرسال حملة لتأديب القبائل إلا أنها فشلت وحوصرت في الجبال، ليتدخل أحد أعيان القبائل لعقد صلح بين الطرفين، من أهم ما جاء فيه إعفاءهم من دفع الضرائب والسماح بعودة نشاط الباستيون من جديد، لتعقد معاهدة جديدة بين الجزائر وممثل فرنسا المدعو جان باتيست سنة 1639م، تشبه في بنودها معاهدة

¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 55. ينظر الملحق رقم:29.

² Thomas Shaw, *Voyage dans la régence...* Op.cit, pp344-345.

³ القائد الكورسيكي جويديسيلي 1580-1633م، عرف بسانسون نابلون، وصل الى الجزائر سنة 1626م، وقام بتوقيع معاهدة الصلح معها سنة 1628، كمبعوث للملك الفرنسي، وممثل للدوق دو كيز، ساهم بحنكته في استعادة الباستيون بعد مقتل البعثة الجزائرية في مرسيليا وتدهور العلاقات بين الطرفين. ينظر: الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص46.

⁴ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص ص 336-337.

سنة 1628م، ليبدأ الباستيون بممارسة نشاطه من جديد¹، من خلال ما ذكر نلاحظ مدى الدور الذي لعبته القبائل في تحديد طبيعة العلاقة بين السلطة والمؤسسات التجارية الفرنسية، فعلى الرغم من أن الاتفاقيات التجارية بين الجزائر وفرنسا التي تعقد بين حكام الجزائر وممثلي فرنسا، إلا أن نشاطها وضمن أمنها يخضع لرضى قبائل المنطقة من عدمه.

يضيف سامح التر، أن سنة 1132هـ/1719م شهدت تنازل الفرنسيين عن أماكن مؤسساتهم التجارية في الباستيون والمناطق الأخرى في الجزائر إلى شركة الهند، ليصبح اسمها سنة 1143هـ/1730م الجمعية الإفريقية، لتأخذ تسمية الشركة الملكية الإفريقية سنة 1154هـ/1741م².

ملت الشركة الملكية الإفريقية مع نهاية القرن الثامن عشر، على شراء الجلود التي تضاعف عددها إلى ثلاث مرات مقارنة بالفترة التي سبقتها، والتي لم يتجاوز عدد الجلود التي استطاعت جمعها في البايك حوالي 26 ألف جلد، لم تتعامل فيها الشركة مباشرة مع القبائل في عملية الشراء والبيع، بل أسندت المهمة إلى وسطاء يجمعون الجلود من الأهالي انتظارا لوصول السفن بغية شحنها³.

كما قرر باي قسنطينة بناء مدايح لمعالجة الجلود بعناية، لتلبية حاجات الأهالي، وتصدير ما يقارب 12 ألف من الجلود سنويا إلى تونس، الأمر الذي أثار حفيظة الشركة، أما في الفترة مابين 1807-1817م، فعمل الأهالي على تصدير الجلود إلى تونس، بينما قامت الشركة بتصدير الجلود إلى ليفورنيا ومرسيليا⁴.

كان لليهود دور كبير في خدمة المصالح التجارية للدول الأوروبية، حيث عهد حسن باشا لليهود الإشراف على جميع الأعمال التجارية، ومع استغلال أموالهم للرشوة وشراء

¹ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 366.

² المرجع نفسه، ص 493.

³ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص 98.

⁴ المرجع نفسه، ص 99.

الذمم، استطاعوا السيطرة على الجهاز الإداري للدولة، وأصبحوا يتحكمون في تعيين وعزل البايات، ففي بايلك الشرق ساعد اليهودي بوشناق بالأموال الوزناجي مصطفى بك بعد فراره من بايلك التيطري سنة 1207هـ/1792م، وتوسط له لدى الداى ليعفو عنه، وبعد أن أصبح الأخير بايا على قسنطينة، أعطى حرية التصرف في جميع النشاطات التجارية لبوشناق، لتخضع كل مقدرات قسنطينة لسلطوته¹، كما أن اليهود استمروا في دعم فرنسا بالمواد التي تحتاجها على الرغم من تعطيل عمل الشركة التجارية الفرنسية².

استطاع الأهالي تحصيل الكثير من الفوائد من خلال تعاملهم مع المؤسسات الفرنسية في الجزائر، خاصة أصحاب الجاه والنفوذ الذين دخلوا في صراعات مع السلطة للحفاظ على هذه المكتسبات. بالمقابل هذه الأخيرة وعلى الرغم من كل علاقاتها المضطربة مع هذه المؤسسات إلا أنها استطاعت تحقيق عوائد كبيرة من التعامل معها، على غرار دفع الفرنسيين ضريبة لاستغلال مرسى عنابة قدرت بثمانية آلاف ريال³.

سابعا: نماذج عن التعاملات التجارية السائدة في ريف البايك:

تعتبر المقايضة الطريقة الغالبة في المبادلات التجارية خلال القرن الثامن عشر الميلادي، لقلة التداول بالنقود في الصحراء، خاصة مع ازدهار النشاط التجاري مع بلاد السودان الغربي، وازدياد حركة القوافل التجارية المارة بالصحراء والتي فاق بعضها حمولة أكثر من أربعمئة جمل⁴، ومن الأسباب التي شجعت على استعمالها في التعاملات التجارية تعدد واختلاف العملة في مختلف الأقطار وذلك أن لكل بلد عملته الخاصة، وبالتالي سهلت هذه الطريقة للتجار البيع والشراء وفق حاجات كل طرف، وهذا ما يذكره

¹ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 568.

² المرجع نفسه، ص 569.

³ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 3190، الوثيقة 419.

⁴ عثمان حساني، البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين الثامن

عشر والتاسع عشر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007، ص ص 53-54.

الحضيكي بالقول "...وهي مبدأ عمالة طرابلس، وقابس، وتوزر، من عمالة تونس، وبسكرة: المتقدمة ذكرها/ من عمالة الجزائر، وكل عمالة من هذه العمالات لها سكة تخصصها، لا تجاوزها، واعلم ذلك وأعرفه"¹، فالمقايضة تعتبر الأسلوب التجاري الشائع في الصحراء، أما عن المواد المستعملة فهي الملح المستخرج من السبخات، والتمر بأنواعها تبعا لجودتها²، يضيف الوزان في معرض كلامه عن صناع قسنطينة أنهم يمارسون تجارة الأقمشة، كما يقومون بمبادلة سلعهم الممثلة أساسا في الزيت والحريز، بما يجلبه التجار الى أسواقهم من التمر والرقيق³، كما تعقد في البايك العديد من الأسواق السنوية، يقوم فيها السكان في المناطق الجبيلية بتبادل إنتاجهم مع قاطني المناطق السهلية، فسكان بني عباس ومجانة يقصدون بوسعادة لمقايضة إنتاجهم من الزيت مقابل الصوف⁴، أما رائسي فيذكر عند كلامه عن نشاط القبائل الحدودية التونسية الجزائرية، أن قبيلة الفراشيش إحدى أكبر القبائل التونسية قصدت الأسواق الحدودية خاصة سوق تبسة، ليزداد نشاطها مع المجاعة التي عرفتها القبيلة سنة 1867م، كما عمل أفرادها على عرض سلعهم على النساء والأهالي في الدواوير التي يزورونها، ومقايضتها بالصوف والقمح والشعير والبيض⁵.

كما يعتبر البيع المؤجل أحد وسائل التعامل التجاري في البايك، ويقصد به دفع التاجر جزءا من ثمن السلعة، بينما يتفق على تأجيل سداد الجزء المتبقي لمدة معينة، أو يتفق على سداد ثمن السلعة على شكل أقساط، وربما يرجع هذا النوع من البيوع للتسهيل على التاجر وإعطائه فرصة لبيع سلعته وسداد ما عليه من ديون، استفاد اليهود من هذا

¹ أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، المصدر السابق، ص 88.

² عثمان حساني، المرجع السابق، ص 2.

³ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، المصدر السابق، ص ص 56.

⁴ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم...، المرجع السابق، ص ص 339-340.

⁵ إدريس رائسي، المرجع السابق، ص 152.

النوع من البيوع لأن أسعار السلع المؤجلة الدفع ثمنها أكبر من أسعار المدفوعة نقدا¹، استعمل هذا النوع من المعاملات في بيع المواشي القادمة من الجزائر الى الأسواق التونسية، والتي كانت تعتبر أهم مصادر خزينة الدولة وبايلك الشرق، على الرغم من الخسارة التي يتكبدها التجار التونسيون من صيغة البيع المؤجل لأن أسعار بيع المواشي مرتفعة عن أسعارها الحقيقية².

ينتشر التعامل بالكراء في البايك حسب حاجة أصحابها فهناك من يكتري دابة أو بستانا، وهناك من يستأجر أشخاصا للحراسة، حيث يعتمد أصحاب رؤوس الأموال الى كراء الحيوان للتنقل وتسهيل أمورهم التجارية، إلا أن هذه المعاملات تصاحبها الكثير من المشاكل، على غرار موت الحيوان ودخول الطرفين في نزاع، يتطلب الاحتكام الى الفقهاء³، يذكر الونشريسي في هذا الجانب مسألة ضياع الدابة وهو ما جاء في قوله "...عن رجل اكرتري دابة من رجل أو استعارها فضلت منه فجعل المكتري أو المستعير جملا لمن جاء بها على من ترى الجمل"⁴، وفي موضع آخر يذكر كراء أهل إحدى القرى لمن يحرس زرعهم، وهو ما جاء في قوله "...عن أهل قرية لهم زرع يحتاج أن يحرس من الطير والخنازير فيستأجر لذلك حارس فأبى عن ذلك"⁵.

¹ محمد عمر مروان، الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1261-1331هـ / 1835-1912م، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006، ص ص 149-150.

² زهيرة سحابات، الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني 1628-1830م، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس، 2020، ص ص 159-160.

³ جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 242.

⁴ أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف المغربية، ج8، الرباط، 1981، ص267.

⁵ المصدر نفسه، ص266.

ذكرت طريقة الشراكة في المعاملات التجارية في العديد من النوازل، وتتم باتفاق عديد الأطراف على استغلال الأراضي الزراعية بالشراكة والتعاون، على غرار مساهمة احدها بالأرض والآخر بالزريعة، وهو ما جاء في إحدى النوازل بالقول " عن رجلين اشتركا في الحرث، الزريعة من عند أحدها والإفراد والآخر بالزريعة والأرض ملكا له، وزرعا القمح على السواء بينهما..."¹.

بالنسبة للوديعة فذكرت في إحدى المسائل التي طرحت على ابن الفكون، والتي ذكر فيها أن رجلا ترك بضاعة عند رجل آخر بضاعة على وجه الحفظ والأمانة، وهو ما جاء في المسألة بالقول "... رجلا ذكر وأن والده أودع عند والد رجل آخر بضاعة علة وجه الحفظ و الأمانة، وأنها باقية عنده الى وفاته..."².

أما القراض فيقصد به، أن يعطي شخص غني قدرا من المال الى رجل بغرض التجارة مقابل الاتفاق على نسبة معلومة من الربح كالنصف والثالث وغيرها، وقد يكون القراض على شكل بضاعة تقدم للرجل للاتجار بها³، كما ذكر هذا النوع من التعاملات في إحدى نوازل ابن الفكون التي تخص التفريط في مال القراض، والتي جاءت بالقول " سألني سائل عن مسألة، وهي أن رجلا أعطى لثلاث رجال دراهم على وجه القراض وسننه، فسافروا بالمال وعملوا فيه وباعوا سلعهم، فلقبهم رجل من الغصاب له بذمة المقارضين مال..."⁴.

¹ محمد ابن عبدالكريم الفكون، المصدر السابق، ص 255.

² المصر نفسه، ص 257.

³ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 241.

⁴ محمد ابن عبدالكريم الفكون، المصدر السابق، ص 266.

ثامنا: معيقات ومشاكل التجارة في ريف البايك:

- صعوبة الطرق التي تسلكها القافل التجارية وتعرضها للخطر، على غرار ما ذكره السجلماسي عند مروره بقرية من قرى الزاب تسمى مليلي، وهو ما جاء في قوله "وقعنا في سباح عظيمة تسوخ فيها قوائم الدواب، فلم نجد فيها مسلكا، فاضطررنا الى المرور بقرب مليلي مع كونه أبغض شيء إلينا"¹، كما تتعرض القوافل في الصحراء عند هبوب الرياح الى تظاير الرمال، فيعيق سيرها ويشكل خطرا حقيقيا عليها وهذا ما يذكره صاحب الصروف "إذا ثارت الرياح أطارته في الجو أعمدة قد تغطي القوافل فتدفعها"².

- الفساد الذي عرفته الإيالة وعجز ميزانية الدولة خاصة مع نهاية القرن السادس عشر، حيث لم يعد بالإمكان تغطية مختلف المصاريف لاسيما العسكرية منها، الأمر الذي يؤدي بالولاة الى فرض الضرائب على الأنشطة الحرفية وزيادة الرسوم الجمركية والاتاوات، وانتهاج سياسة الاحتكار التجاري لتحقيق أرباح مضاعفة³، هذه السياسة التي أثرت سلبا على النشاط التجاري في الجزائر عموما، وعلى بايلك الشرق خصوصا، وشكلت ضغطا على أصحاب المهن والحرف لقلّة العوائد من جهة وتضاعف الضرائب من جهة أخرى.

- على الرغم من كون الجزائر بلد يعتمد في عمومها على النشاط الزراعي والتجاري بشكل كبير، إلا أنه على حسب ما ذكر بيليسي لم يشهد النشاطين تطورا كبيرا، حيث سيطرت

¹ أبي العباس الهلالي السجلماسي، التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، دراسة وتحقيق محمد بوزيان بنعلي، [د.ط.] ، المغرب، 2011، ص201.

² إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع: الجيلالي بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، [د.ط.]، الجزائر، 2007، ص 45.

³ أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، [د.ط.]، 2013، ص ص: 49-50 .

الدولة في العهد العثماني على النشاط التجاري واحتكرت تصدير الكثير من المنتجات، كما فرضت رسوما على استيراد السلع الأجنبية، ولم تشجع التجارة مع السودان عبر تونس وطرابلس والمغرب¹.

- ظاهرة الإغارة كان لهما الأثر الكبير على النشاط التجاري في البايك، حيث أن القبائل الحدودية بيت تونس والجزائر تبادلت الإغارة على بعضهما، لاسيما قبائل الفراشيش في تونس وقبائل الغرابية في الجزائر، لتتسع الظاهرة لتشمل طول الحدود الجزائرية التونسية²، كما يشير إسماعيل العربي الى أن قبائل الرحل تحصل على دخل إضافي من الإغارة على القوافل علاوة على ما يحصلون عليه من الرعي والتجارة، فالقبائل الضعيفة تعتبر هدفا لغاراتها تحركها أحيانا الخلافات حول الرعي والماء، والرغبة في السلب والنهب أحيانا أخرى³.

- كما أن من المشاكل التي عانى منها النشاط التجاري في البايك ظاهرة اللصوصية واعتراض القوافل وسلبها، حيث تعرضت قوافل الحجيج إلى هجمات اللصوص وقطاع الطرق على طول الطريق الرابط بين الجزائر وتونس، خاصة المناطق الصحراوية التي عرفت بهجمات البدو الرحل والطوارق المثلثين⁴، وهو الأمر الذي ورد ذكره في العديد من كتب الرحلات، كالعياشي والأغواطي وغيرهم، فالحضيكبي يذكر في رحلته منطقة وادي

¹ أ. بيليسي، المرجع السابق، ج2، ص344.

² إدريس رئسي، القبائل الحدودية التونسية -الجزائرية بين الإجارة والإغارة(1830-1881)، الدار المتوسطة للنشر، ط1، تونس، 2016، ص 95.

³ إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص36.

⁴ رشيد حفيان، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية و أثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين

11-12هـ/17-18م، مذكرة لنيل ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة قسنطينة، 2014، ص 48.

الناموس باعتباره مكمنا لقطاع الطرق، كما يضيف أن سكان وادي عسران يقطعون الطرق وينهبون قوافل الحج¹.

- سيطرة الأجانب على التجارة الخارجية للبلاد وخاصة اليهود، خدمة لمصالحهم دون مراعاة مصلحة البلد، أدى إلى تراجع أسعار المواد المصدرة مقابل ارتفاع أسعار المواد المستوردة، وهو الأمر الذي أثر على معيشة السكان عموما، وبايلك الشرق بشكل خاص².

- من المشاكل التي عانى منها النشاط التجاري في البايك، صعوبة المعاملات التجارية في البيع والشراء بسبب اختلاف قيمة الأوزان والمقاييس والعملة، والذي يرجع الى تنوع مصادر السلع فالبايلك يعد ملتقى لأهم الطرق التجارية، تمر به العديد من القوافل الحجازية والتجارية التي تختلف تعاملاتها عن ما هو موجود في البايك بسبب تعدد انتماءاتها، وحتى داخل البايك عرفت العملات الأجنبية انتشارا واسعا لا سيما الاسبانية والتونسية منها، إضافة الى العملات المحلية المتداولة.

ومن خلال ما سبق يمكن القول:

- تميزت الصناعة في الجزائر ببساطتها، فهي لم تخرج عن إطارها التقليدي الذي يجعل منها وسيلة لتغطية حاجيات السكان، وإن لم تكن كافية لسد كل متطلباتهم، ففي البايك اشتهرت بعض القبائل بصناعات معينة، وذلك حسب طبيعة التضاريس ومدى توفر المواد الأولية، وهذا ما يظهر على العموم طابع التخصص في أرياف البايك.

- لعبت المؤسسات التجارية الفرنسية دورا كبيرا في ازدهار العلاقات التجارية بين فرنسا والجزائر، حيث استطاعت التعامل مباشرة مع سكان أرياف البايك، إلا أنها ارتبطت دائما

¹ أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي ، الرحلة الحجازية ، ضبط وتعليق: عبد العالي لمدير، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، ط1، المغرب، 2011، ص86.

² محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص84.

بطبيعة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، ففي حالة الوفاق تمارس نشاطها بكل حرية، بينما يتم إغلاقها أو حتى تدميرها عند توتر العلاقات.

- على الرغم من الفوائد التي حققها سكان أرياف البايك، في علاقاتهم التجارية الخارجية خاصة مع تونس، حيث استطاعوا تغطية العجز في الكثير من المواد، وتصدير الزائد عن حاجتهم، على غرار التمور والحيوانات، إلا أن الانفتاح على هذه الأسواق واستيرادهم المنتوجات التونسية والمستوردة من أوروبا خلق منافسة كبيرة للإنتاج المحلي، الأمر الذي انعكس سلبا على تطور وانتشار الأنشطة الحرفية في البايك.

-كان للمناطق الريفية في بايلك الشرق الأثر البالغ في تحديد طبيعة العلاقة بين تونس والجزائر، فالقبائل الحدودية وبحكم حالة عدم الاستقرار التي عرفت العلاقات بين البلدين، وعمل كل طرف على استمالتها خدمة لمصالحها، الأمر الذي ظهر جليا بتقلب ولاءاتها وفق مصالحها، على غرار قبيلة الحنانشة.

-حالة عدم الاستقرار التي عرفت البايك كان لها الأثر الكبير على الجانب الصناعي والتجاري في الريف.



خاتمة

وختاماً لدراستنا الموسومة بـ "الريف في بايلك الشرق خلال العهد العثماني (1519-1830). دراسة اجتماعية اقتصادية"، توصلنا لجملة من الاستنتاجات تتمثل فيما يلي:

- تعتبر الرحلات من أهم مصادر التأريخ في الجزائر خلال العهد العثماني، فقد زودتنا بالكثير من المعلومات التي تخص أرياف بايلك الشرق، باعتبار أن الصحراء كانت نقطة عبور لمختلف القوافل، كما أعطت لنا تصوراً عن مسالك القوافل، وأمدتنا بمعلومات مهمة فيما يخص الجانب الاجتماعي فدونت طرق العيش في المناطق التي مرت بها، والتي كان للمناطق الريفية في بايلك الشرق نصيب كبير منها، كما أعطتنا فكرة عن أهالي الأرياف عاداتهم وتقاليدهم، الأنشطة الاقتصادية الممارسة كالزراعة والتجارة، والصناعات الحرفية الموجودة في هذه المناطق، هذه المعلومات التي لم تكن لتصلنا لولا هذه الرحلات، مع الإشارة إلى مصداقية هذه الكتابات إلى حد كبير لأن الدوافع للكتابة، لم ترجع إلى دوافع شخصية، أو إيديولوجية على غرار ما لمسناه في الكتابات الغربية، إلا أن هذا لا ينفي بعض المبالغة والغلو والاجتهادات التي جانبت الصواب في بعض هذه الكتابات.

- تميز العمران في ريف بايلك الشرق بالتنوع حسب طبيعة كل منطقة، وارتبط بنوع النشاط الذي يمارسه الأهالي، فبعض القبائل وبحكم حاجتها فهي متنقلة بشكل مستمر هروبا من الظروف المناخية أو طلبا للمياه ومواطن الكأ، يفرض عليها الاستقرار بالخيام لسهولة نقلها من مكان إلى آخر، أما بعض المناطق شبه المستقرة فيتم إقامة أكواخ بسيطة من القش، إضافة إلى وجود مناطق أخرى تجمع ما بين الأرياف والمناطق الحضرية، على غرار القرى الموجودة في المناطق الجبلية والقصور الموجودة بالمناطق الصحراوية.

- أما المرأة في المجتمع الريفي، فقد كان لها دور كبير في الحياة الأسرية على عكس المناطق الحضرية، فالمرأة في الريف يوكل لها القيام بأغلب الواجبات المنزلية من تربية الأطفال، إلى الإعتناء بالمواشي، إضافة إلى القيام بالواجبات المنزلية، إلا أن هذا الأمر

لا يمكن أن يكون صورة عامة للمرأة في الأرياف، فكتب الرحلات تذكر في العديد من المرات ممارسة المرأة للتجارة مع القوافل، إضافة إلى سفور بعض النساء وتبرجهن.

- المجتمع الريفي في بايلك الشرق، كبقية المجتمعات تميز بالتنوع في العادات والتقاليد التي حاولنا إبرازها خلال هذه الدراسة، فمنها المذموم ومنها المحمود، والتي ارتبطت في عمومها بخصوصية كل منطقة، كالاحتفال بالمناسبات الاجتماعية والدينية، الإيثار والكرم، كما عرفت من جهة أخرى انتشار بعض المظاهر كاللصوصية، الخرافات والاعتقاد بالكرامات.

- يتمتع بايلك الشرق بمساحة مترامية الأطراف، وفرت بيئة جغرافية مناسبة للقبائل الجبلية والصحراوية للتمرد على السلطة، ساعدها في ذلك بعدها عن مركز السلطة، وصعوبة تنظيم حملات العسكرية لإخضاعها نظرا لمشقتها وارتفاع تكلفتها، هذه الأسباب وغيرها جعلتها في أحيان كثيرة ترفض دفع الضرائب المستحقة عليها.

- ارتكبت السلطة الحاكمة في البايك الكثير من الأخطاء في علاقاتها مع القبائل، باعتمادها على القوة العسكرية والتتكيل بمعارضيتها، الأمر الذي ساهم إلى حد كبير في اتساع الفجوة بين السلطة والقبائل الريفية في البايك، هذه الأخيرة التي كانت تترصد أي فرصة للثروة على سلطة البايك.

- على الرغم من كل ما قيل عن الحكم العثماني في الجزائر، إلا أنه استطاع أن يستمر في حكم البلاد لفترة تجاوزت الثلاث قرون، متجاوزا في ذلك كل الصعوبات التي واجهته، لاسيما في بايلك الشرق خاصة مع اتساع مساحة البايك، إضافة إلى تنوع تركيبة السكان وتعدد ولاءاتهم، وتأثر المنطقة بالعوامل الخارجية، لا سيما المناطق الحدودية وما شكلته القبائل الحدودية من عائق لبسط نفوذ الدولة، على الرغم من كل هذه التناقضات استطاعت السلطة العثمانية ومن ورائها النظم الإدارية والعسكرية الحفاظ على استقرار البايك لفترات طويلة.

- إن قلة عدد العثمانيين في البايك والاعتماد بشكل كبير على القبائل الموالية، لبسط النفوذ البايك وتطبيق سياسته الجبائية، ساعد هذه القبائل في تكوين ثروة طائلة، واقتطاع

مناطق كبيرة مارست فيها نوع من الاستقلال الذاتي، الأمر الذي انعكس على السلطة وأسس لعلاقة ندية، اضطر معها حكام البايك في أحيان كثيرة إلى تقديم تنازلات لها للحفاظ على استقرار البايك، بالمقابل هذا الوضع لم يكن سلبيا دائما، فعلاقة الوفاق بين البايك وهذه القبائل القوية، جعلت منها وسيلة لفرض سياستها الجبائية، كما أنها استغلت هذه القبائل لمساعدتها في إخماد الثورات والتمردات في البايك.

- من أهم الأسباب التي أدت إلى تراجع الحكم العثماني في الجزائر بشكل عام والبايك بشكل خاص، السياسة التي انتهجتها السلطة العثمانية مع تناقص عائدات الجهاد البحري والتوجه نحو المناطق الداخلية لتعويض هذا العجز، هذه النزعة الجبائية البحثية التي لم ترع في أحيان كثيرة ظروف الأهالي على غرار حالات عدم الاستقرار التي تؤدي حتما إلى انخفاض الموارد، إضافة إلى مرور المنطقة أحيانا بموجات من الجفاف، كما تتعرض المنطقة إلى الكوارث الطبيعية كالجراد وغيرها، كل هذا أدى في الأخير إلى تكون نزعة عداوية تجاه الحكم، خاصة من القبائل في المناطق الجبلية والصحراوية.

- إن نظام ملكية و استغلال الأراضي، أسس لوجود فوارق كبيرة بين القبائل الريفية، وظهور نوعين من القبائل الأول يمتلك السلطة والجاه، ويتمتع بعلاقات حسنة مع السلطة، مكنته من السيطرة على أغلب الأراضي الصالحة للزراعة، بينما استغلت الفئة الثانية أسوأ استغلال من طرف البايك وهذه القبائل المتنفة، وذلك بتوجيه أبنائها إلى أعمال السخرة في هذه الأراضي مقابل عائدات بسيطة، كما أنها تمتلك نسبة قليلة من الأراضي، زاداها خضوعها لسياسة ضريبية جائرة أثقلت كاهل أهالي هذه القبائل.

-إن النظام الجبائي الذي طبقه البايك خاصة على المناطق الريفية، ساهم إلى حد كبير في تغيير نظام عيش الأهالي، فمن مجتمع يعتمد في عمومته على النشاط الزراعي، إلى مجتمع يعتمد على الرعي، فهذه السياسة الجبائية، جعلت الفلاح يعجز في أحيان كثيرة عن توفير قوت يومه، فما بالك بدفع قيمة الضرائب المستحقة اتجاه البايك، الأمر الذي جعله يهجر الأراضي الفلاحية إلى الرعي كنشاط بديل، إلا أن هذا الوضع مع مرور

الوقت انعكس سلبا في قلة الإنتاج الزراعي، وتحول الأراضي الزراعية إلى أراضي جرداء، وبالتالي توسع مساحة الأراضي الرعوية على حساب الفلاحية .

- استغلت السلطة في أحيان كثيرة المحاصيل الفلاحية في الأرياف كوسيلة ضغط على الأهالي، فأمام تعرضها إلى الكثير من الثورات والتمردات، من القبائل المتركة عموما في المناطق الجبلية والصحراوية، خاصة في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، لجأت السلطة إلى معاقبة القبائل بإتلاف هذه المزروعات وحرقتها في أحيان أخرى، وقطع أشجار النخيل كما حدث في بعض المناطق الصحراوية. الأمر الذي وإن نجح في تأديب بعض القبائل الثائرة، إلا أنه ساهم إلى حد كبير في التأثير على صورة الحكم العثماني في الجزائر، حتى وإن رجعت أحيانا إلى تصرفات فردية لبعض البايات.

- غنى المناطق الصحراوية الجبلية في أرياف البايك، بالإمكانات الاقتصادية، إلا أن حالة عدم الاستقرار التي عرفت هذه المناطق، لم تساعد في استغلالها، بل حولتها إلى مجال للصراع مع السلطة.

- كما أن للكتابات الأوروبية، دور كبير في تدوين تاريخ البايك، خاصة المناطق الريفية موضوع دراستنا، حيث تناولت هذه الرحلات العديد من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، فالتاريخ العثماني يرجع الفضل في كتابته إلى حد كبير لكتب الرحلات، إلا أنه من الواجب التعامل بحذر مع الكتابات الغربية، لكونها تجافي الحقيقة في مرات كثيرة، والتي ترجع في العادة إلى أسباب إيديولوجية أهمها محاولتها تشويه الوجود العثماني في الجزائر، تحركها أحيانا النزعة الدينية، خدمة لمشاريعهم الاستعمارية.

- ساعد اتساع البايك وخصوبة أراضيه، بازدهار النشاط الزراعي، وتنوع المحاصيل الزراعية، فالمناطق التلية عرفت بزراعة الحبوب والبقوليات والأشجار المثمرة، إضافة إلى انتشار المناطق الرعوية، والتي تقصدها قبائل الرحل لاستغلالها في رعي مواشيهم، الأمر الذي يشير إلى انتشار تربية الحيوانات في أرياف البايك، بينما المناطق الصحراوية فزراعتها محدودة، ماعدا زراعة النخيل التي أدت على ساكنتها مداخيل معتبرة، فاستغلت

تمورها للمعيشة من جهة وللتجارة من جهة أخرى، كما تم استغلال النخيل لاستخراج العسل (اللاقيمي) ، واستفادوا من سعفها وجذوعها في تشييد منازلهم.

- كما أن المصادر المختلفة، تذكر أن الزراعة في البايك بدائية إلى حد كبير، فالوسائل المستعملة في الحرث والحصاد والسقي والتخزين، بسيطة وبالتالي فهي قليلة الإنتاجية مقارنة مع يبذله الفلاح من جهد، هذا الأخير الذي يعمل لسد حاجيات أسرته، ودفع الإتاوات المفروضة عليه من السلطة، الأمر الذي أبقى هذا النوع من الزراعة في مجالها المعيشي بعيدا عن الجانب التجاري، بينما هي مربحة بالنسبة لملاك الأراضي وكبار الأعيان، الذين استطاعوا تحقيق أرباح طائلة، ويظهر ذلك جليا في تعاملهم مع المؤسسات التجارية الفرنسية في البايك.

- أما بالنسبة للنشاط الصناعي في أرياف البايك، فهو أقرب للنشاط الحرفي منه للصناعة، لأن النشاط فرضته حاجة السكان لبعض الوسائل، لا سيما الوسائل المستعملة في الزراعة، كالمنجل، المحراث وغيرها، كما أن هذا النشاط ساعده في ذلك توفر المواد الأولية في أرياف البايك، إضافة إلى حاجة السكان لصناعة الأسلحة الدفاعية كالبنادق والبارود، كما انتشرت بعض الصناعات التحويلية، كمطاحن الحبوب ومعاصر الزيتون في الأرياف، تلبية لحاجة السكان الغذائية، كما عرفت بعض المناطق بعض الأنشطة الحرفية التي تحتاج إلى مهارات خاصة، على غرار تزوير العملة الذي اشتهرت بها بلاد زلوة.

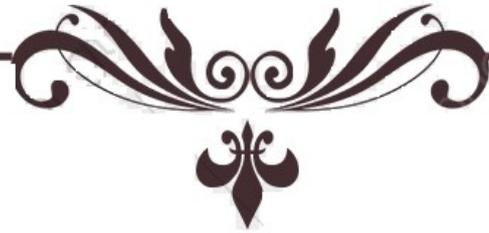
- كما عرفت مناطق ريف بايك الشرق ازدهارا كبيرا من الناحية التجارية، باعتبارها منطقة عبور للقوافل التجارية، حيث تعامل سكان الأرياف بالبيع والشراء مع هذه القوافل مما أدر عليهم أموال كبيرة، ونشط الحركة التجارية في الأرياف، إضافة إلى تعامل سكان أرياف المناطق الشرقية مع الشركات التجارية الفرنسية، وللدلالة على أهمية التجارة مع هذه المؤسسات دخول بعض القبائل في صراع مع السلطة في حال قررت الأخيرة وقف نشاطها في البايك، كما أن المناطق الحدودية مع تونس عرفت أيضا نشاطا تجاريا مميزا، بحكم أن المنطقة الحدودية مناطق شبه مفتوحة ، تقطنها قبائل تنتشر على طول

الحدود بين البلدين، تداولت هذه القبائل العديد من السلع في حركة نشطة على طول الحدود، ساعدها في ذلك التدخلات السياسية الجزائرية في تونس وإملائها للعديد من الشروط للتعامل بين البلدين، لا سيما الاقتصادية منها، مثل فرضها على النظام التونسي استقبال المواشي من البايك وبيعها في الأسواق التونسية، لتباع في أحيان كثيرة قبل مواشي التونسيين وتعاد عوائدها إلى البايك.

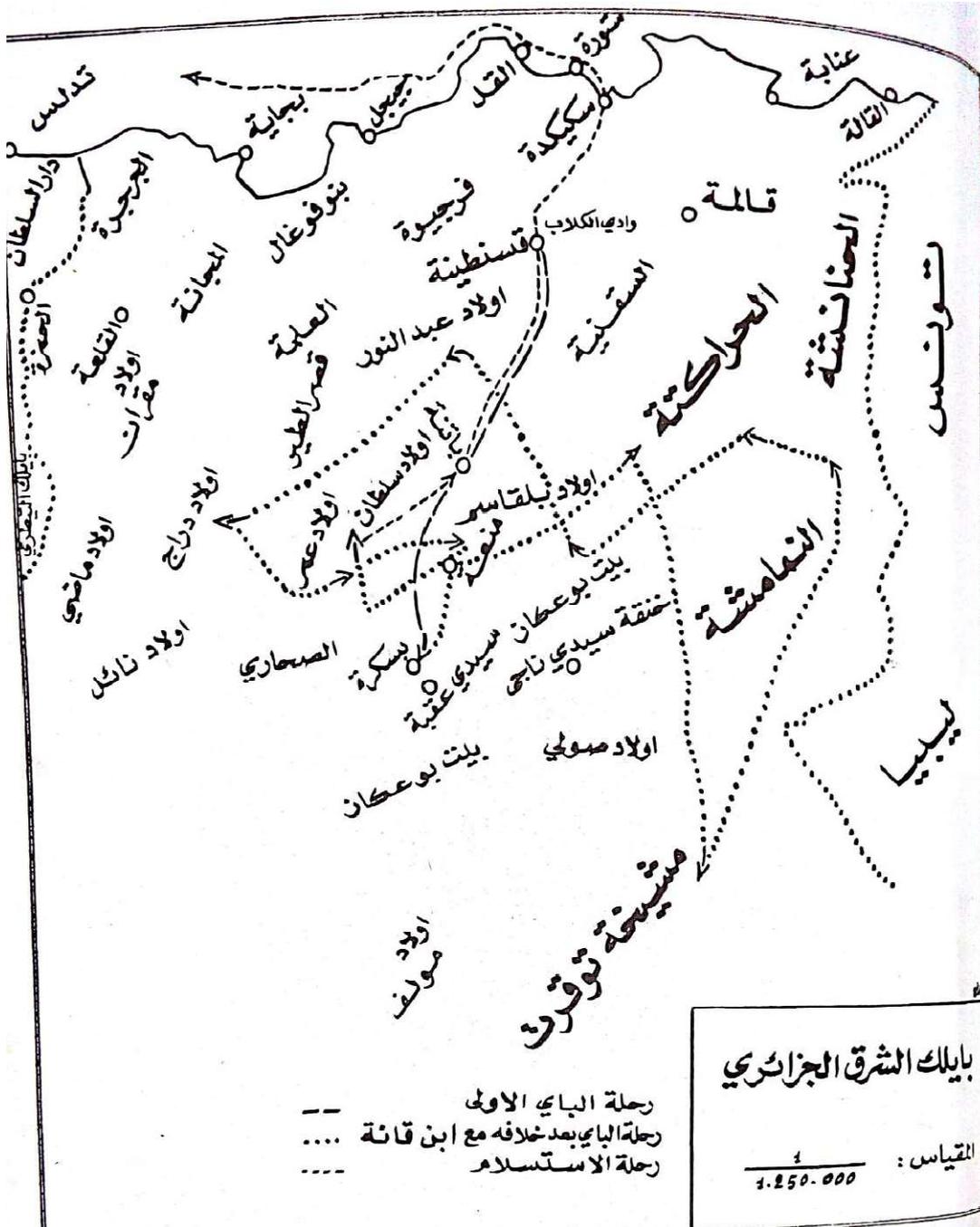
وفي الأخير لا ندعي أننا استطعنا تغطية موضوع دراستنا بشكل كامل، فهي لا تخلوا من النقائص والثغرات، إلا أننا حاولنا بما توفر من إمكانيات أن نساهم ولو بالجزر القليل كمبتدئين في إعطاء تصور للوضع الاجتماعي والاقتصادي للريف في بايك الشرق خلال الفترة العثمانية، ليبقى الموضوع بحاجة إلى الدراسة والتعمق للإجابة على الكثير من التساؤلات من طرف الباحثين، و لعل دراستنا تتبع دراسات أخرى تنطلق من مادة علمية جديدة تساهم في كشف الغموض وتعطي بعدا آخر لدراسة أرياف البايك .



الملاحق



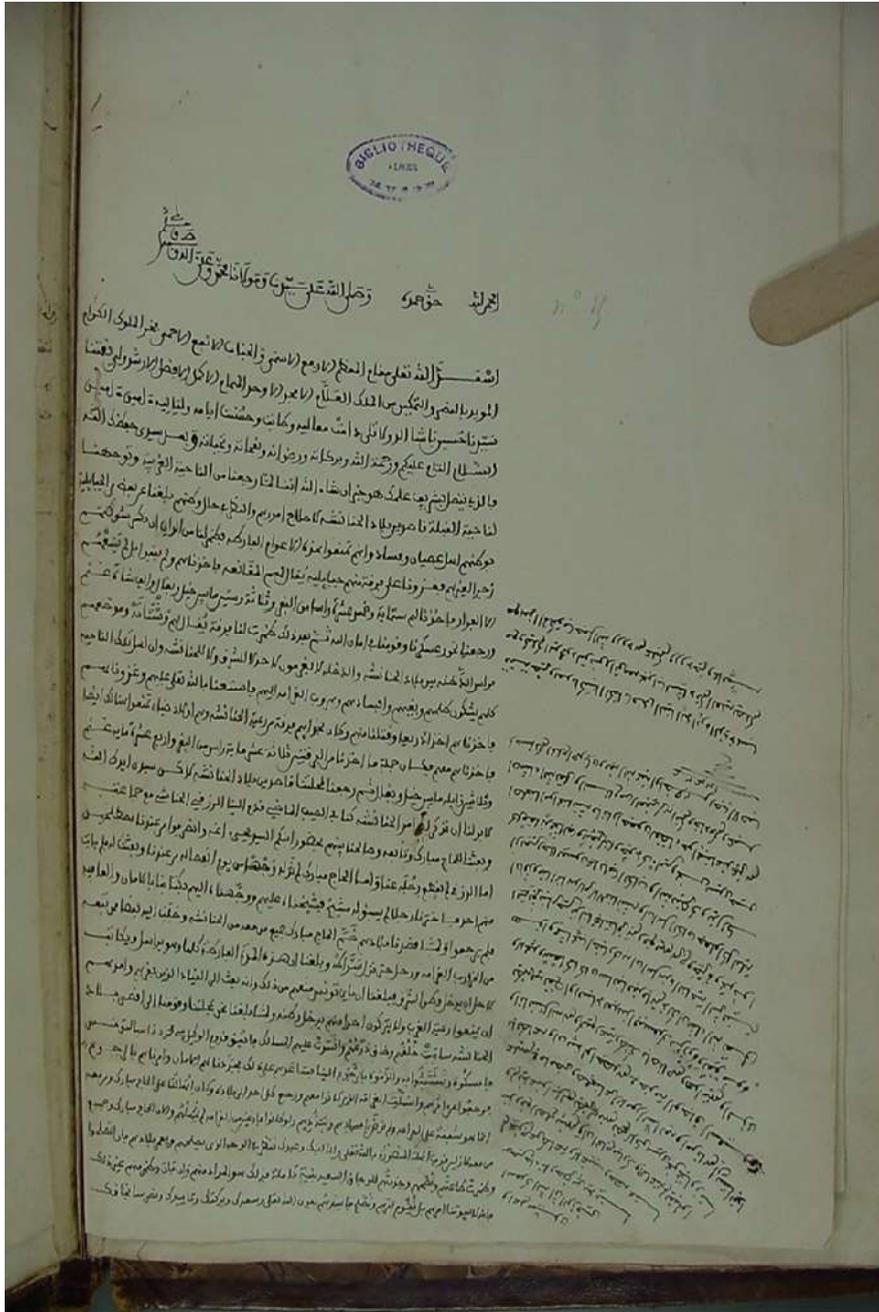
الملحق رقم 02: القبائل في بايلك الشرق¹.



¹ محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي...، المرجع السابق، ص 202.

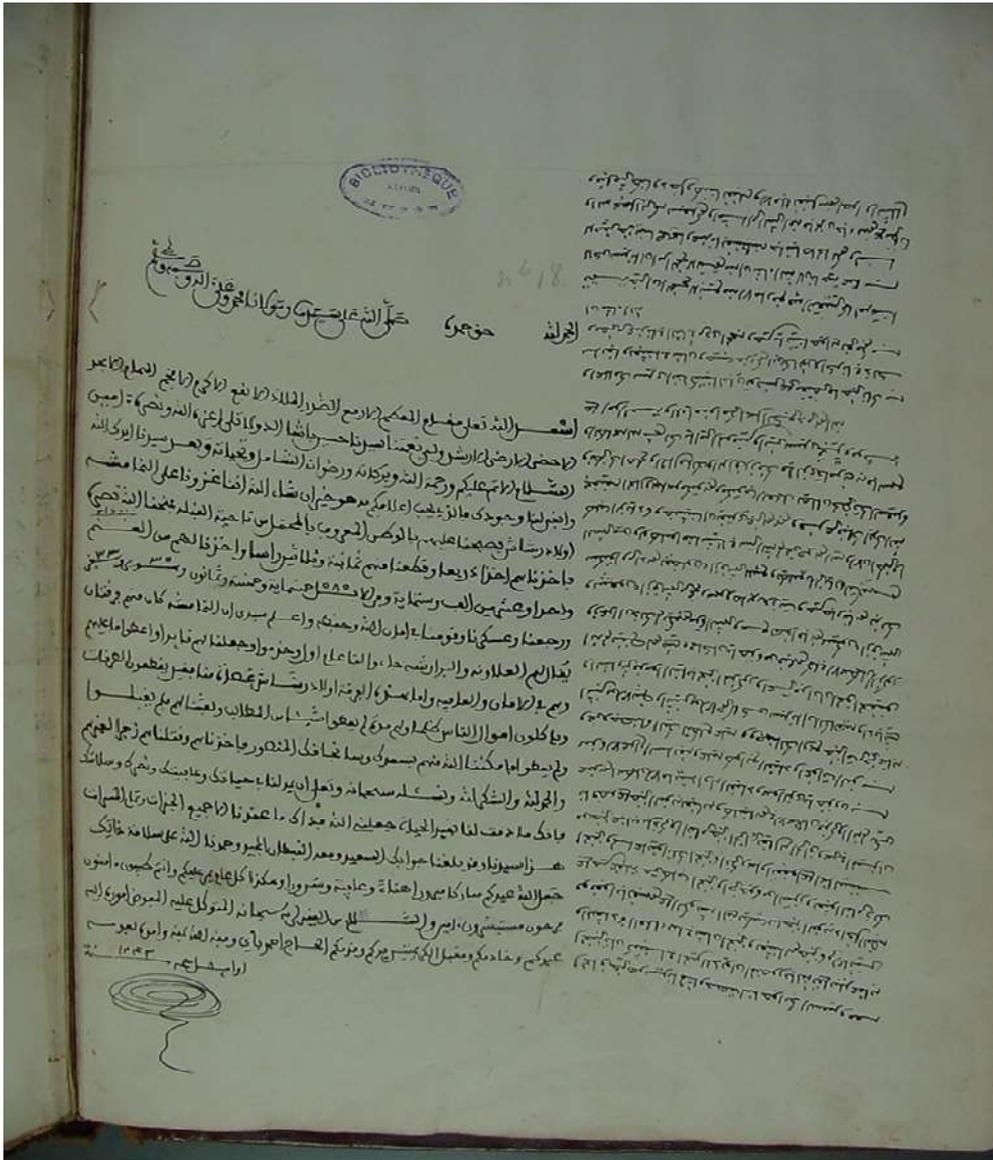
الملحق رقم 03: تمرد القبائل الجبيلية في بلاد الحانشة وإرسال حملات لتأديبها

ومصادرة أملاكها¹



¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1642، الوثيقة 15.

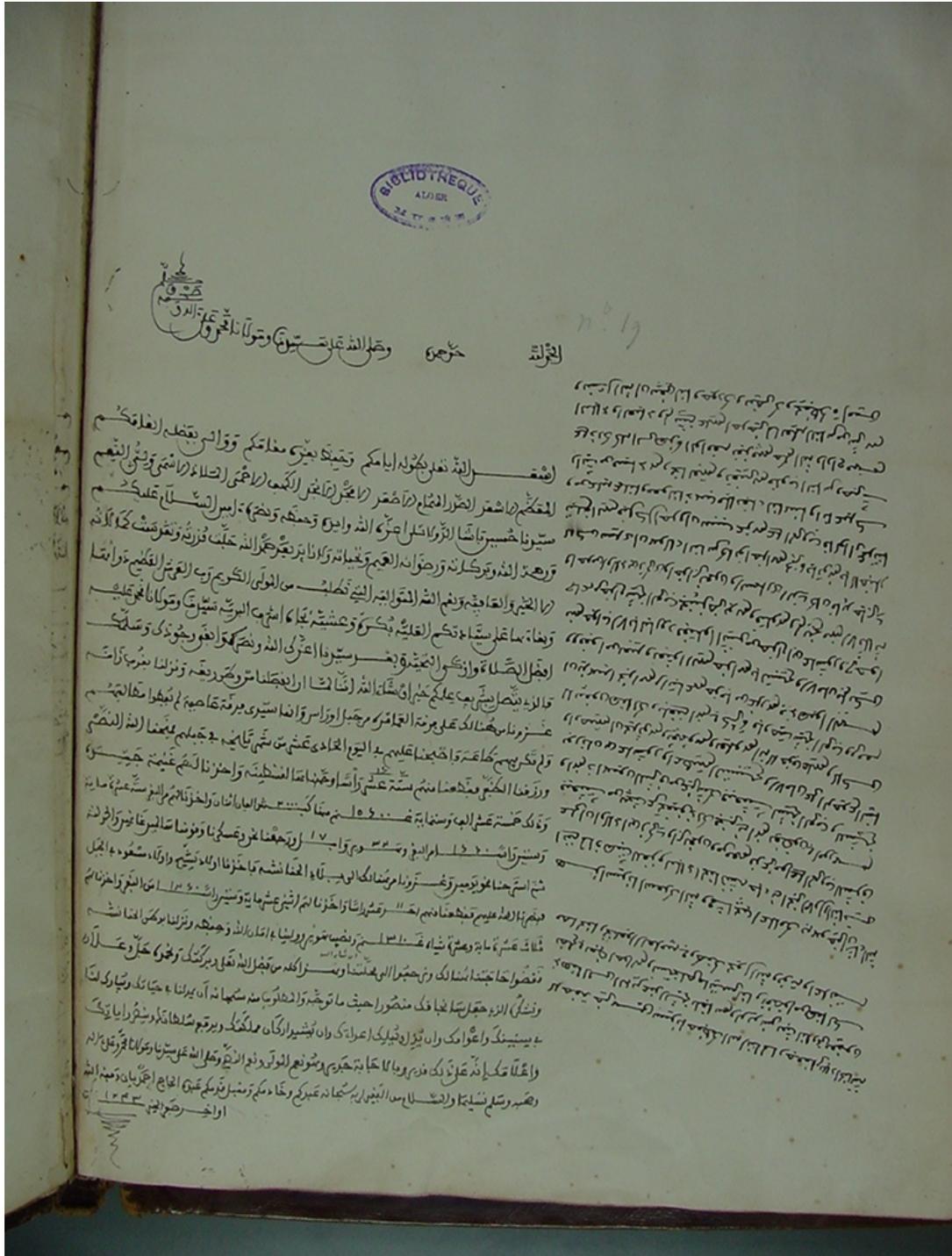
الملحق رقم 04: تمرد قبائل أولاد رشاش بمناطق النمامشة و إرسال حملات لتأديبها ومصادرة أملاكها¹.



¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1642، الوثيقة 18.

الملحق رقم 05: تمرد فرقة العمامرة بجنال الأوراس و إرسال حملات لتأديبها ومصادرة

أملأها¹.



¹ وثائق المكتبة الوطنية المجموعة 1642، الوثيقة 19.

الملحق رقم 06: مصادرة يحيى آغا العرب لأملاك عرب مرداس بغنابة واستلامه يطغان

من الذهب من الباشا¹.

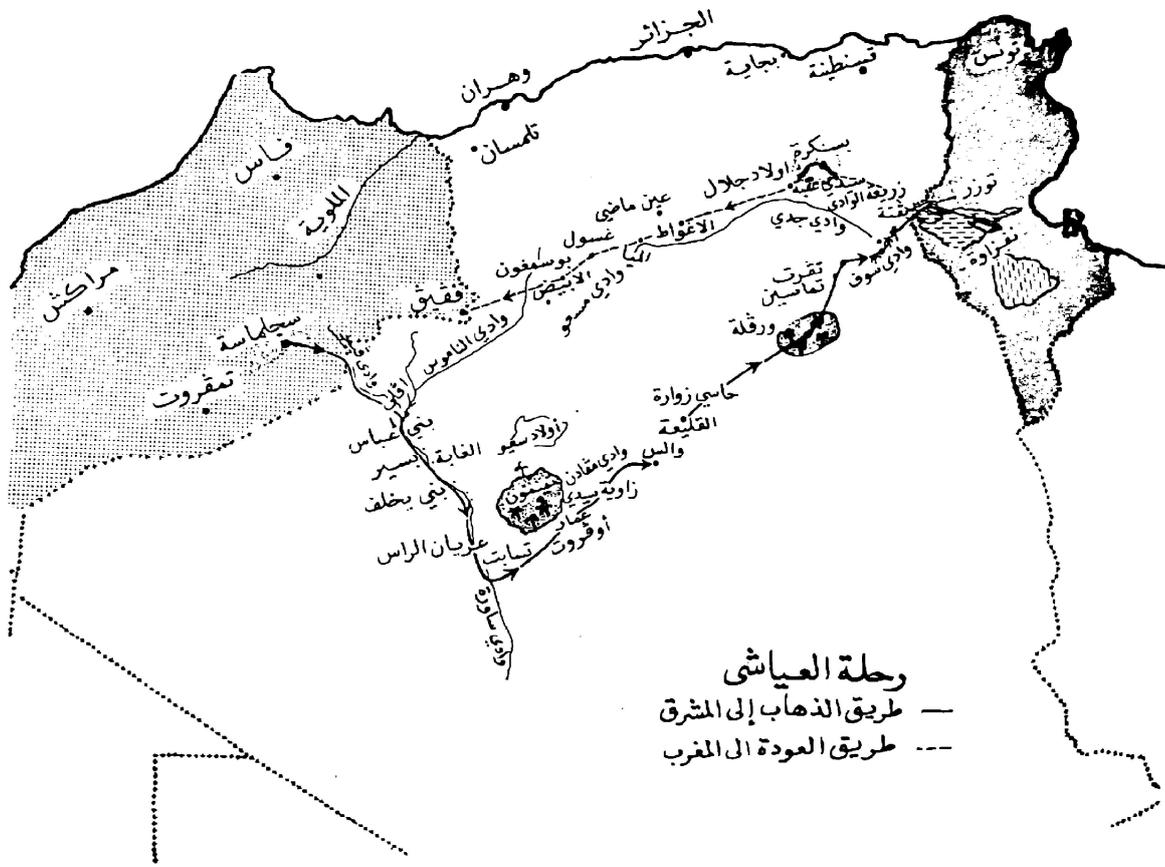
٨٤٥

دولتنا عننا بطور عظم بطور اجتناب وليرالنع سبني النعم ابدع سلافا تم
دولة اخبار سعاده اجلان تلم الصحة بالكمال تحمى حال عمير الحكيم مستند الو
السلاح وثنا الدعاء وتقبيل اليد الشريفة بنم دولتنا ابدع موشحة اعادة البيان
بعض الدبعة من كوكب العالم ووردت بغناب من الذهب الخالص اهدا
والكرام بوصوله الحفنى زيادة النسر ورجا الحفنى جبار علا يكافيك على
احسن نك ويكشى خبيرك ووجس لك العكما بنم ابدع مخدم ما صدور
دبعة او اثنين من الغوازي ولم نباشني هم بنعسي بسبب مخدمتي
جا علمك الان بعد المباشرة ليللا نغمن ان لذلك سبب مخدمتي
نغسي ووجب لمي موهن صحت باعلام نغنا من فطر العدو على قدر
غيب تا وبقطر الدعوة فركت غيب نغسي بسبب برسات د غايد مخدمتي
المنصور بسا فية غيب نغسي وانشيا وانا اللازمة واخذت معي هاية
مقدار من العسكر وكفاية مقدار من القومان وكان ذلك اليوم برالنع
عصيت غازي امي ذكر مع صبيحة يوم الاثنين صجنا على قبيلة من
قبائل بلاد غنابة مسما على ب مرداس وطمعنا عليه واخذت منهم ثلاثة
الف وامن البغري على الوكازب وطمعنا الارب خمسين الف من الغنم
وثلاثين صيوان كبادر وواصات ومائة من الابل مع مخلص اخذتنا الجمع
غيب نغمان صبيحنا اخذتنا بالجميع ووفعت الابل الف مصلحتنا بالجميع
واعلم بنم ابدع ان شاء الهوى يوم الاربعاء نغسي حوازي لوب غنابم ونحو بسبب
السيار دواور غيب نغنا واستخاري منهم ما سبب خلاه الوهن هار بسبب القل
او غيبه ورتبتم ترتيب حسن بين نغنا نك ورتبات د غايدك وغيب نك ووسم
انك الحاج القراي فداعني كانيك ابدع الف ومائة الف من الاغنام مع الف
رأس غرات من اطلاق الصنب هدية منه لك وقد ابدع ما استوجب لنا ان سلبط
الذي وجدنا بطور من الباشا نغسي د وار من اثنين من قراب بسبب غناب
ويجبني ابدع نغمن خمسة وعشرون الف الف الف الف الف الف الف الف الف
ما نغسي عظم وقلنا ابدع مالا وكر الشرب الف الف الف الف الف الف الف الف الف
بان طابى وادرك العمار ما نغنا لاجور العماره ونحو النغني من مشاورة السمل
البلاد الذمركه ومدامعهم وقرابهم ايضا فميجتتم على احسن حاله على منوالنعم
الاول باقى الدعاء ماحقة خبير وقد اخذتنا بالاعازيب مقدار من الباشا
صغرى

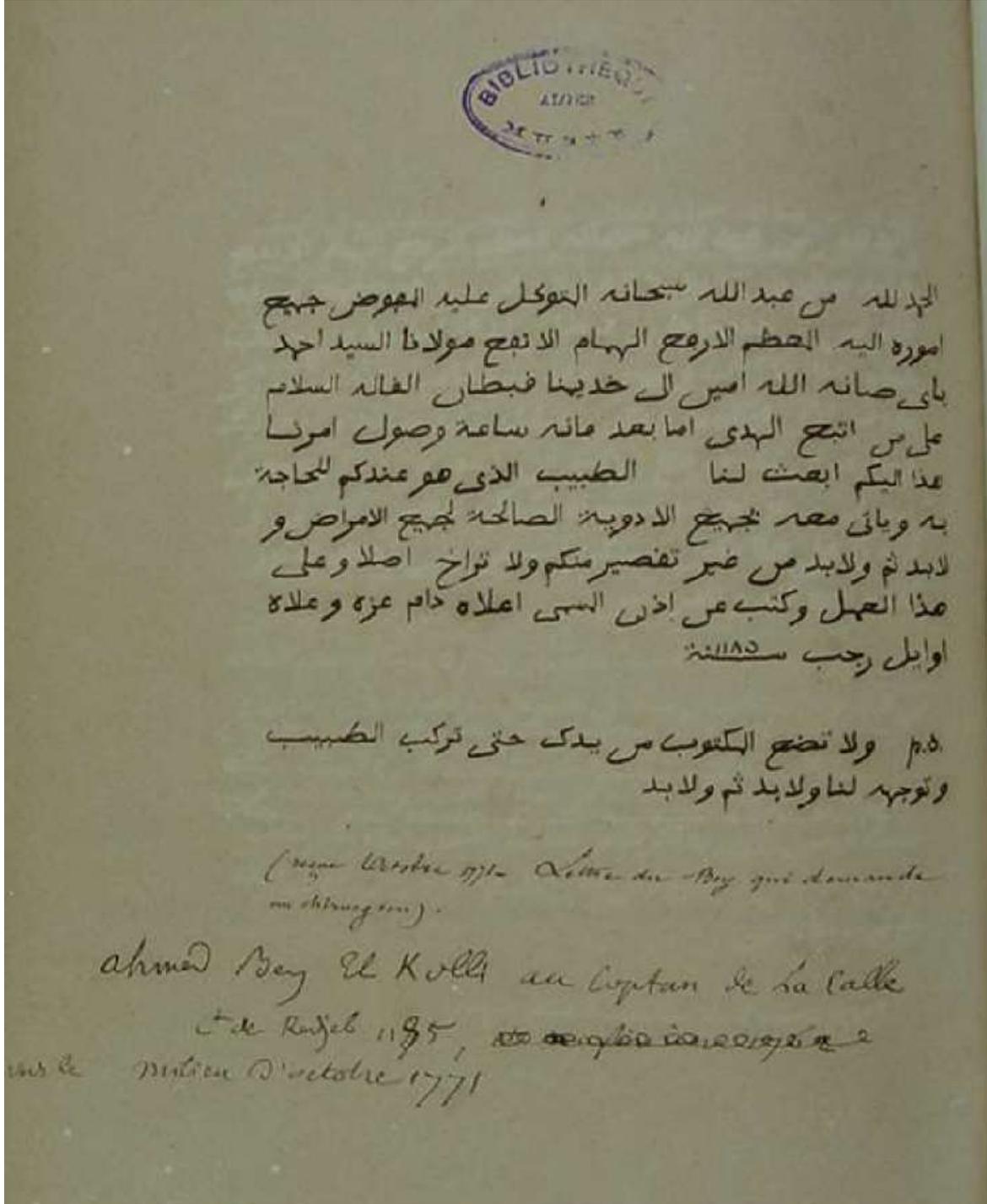
المهوى
الشيخ يحيى آغا
الغنى
عمره الحجازي

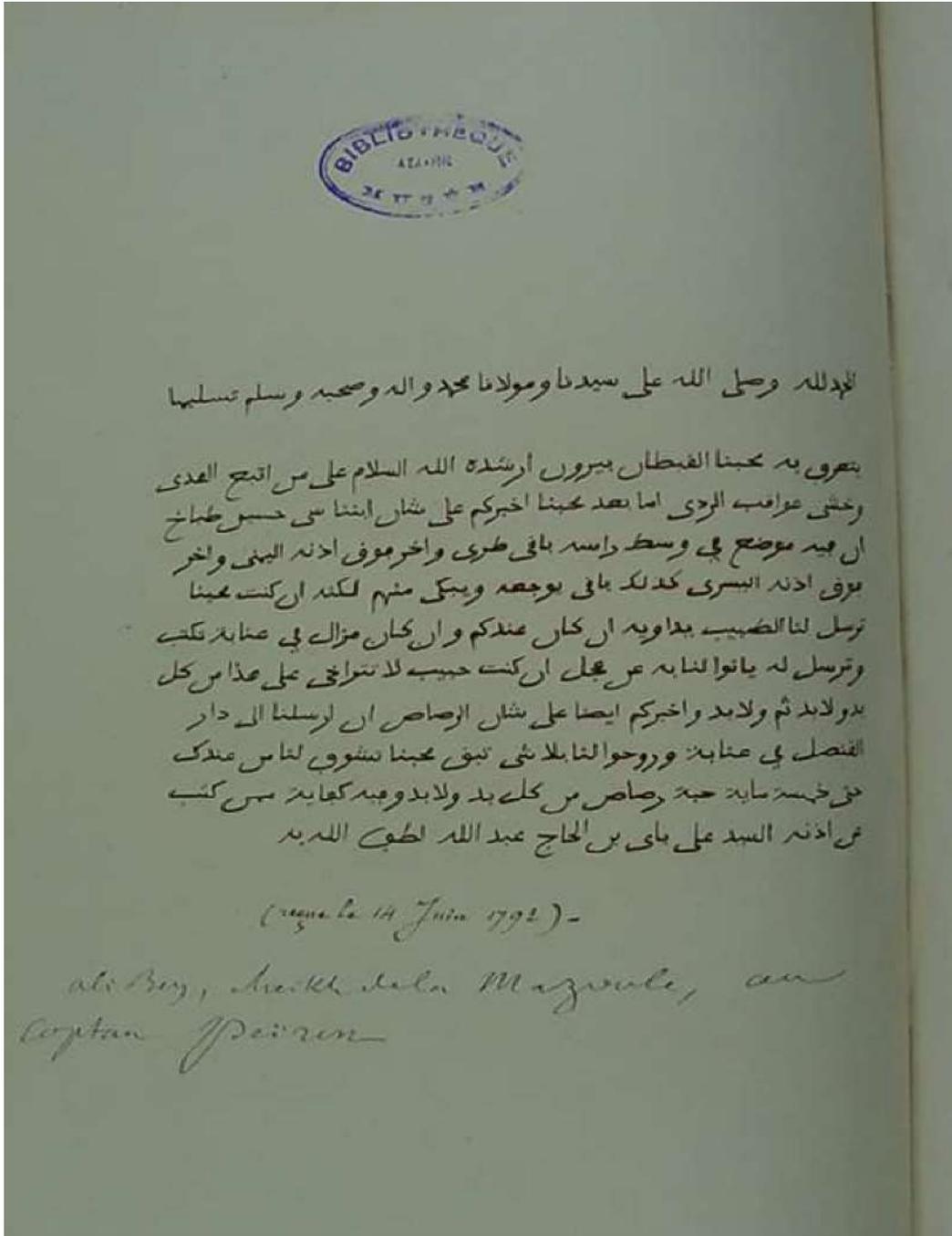
¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 3190، الوثيقة 180.

الملحق رقم 09: رحلة العياشي وأهم محطاتها في البايك¹.

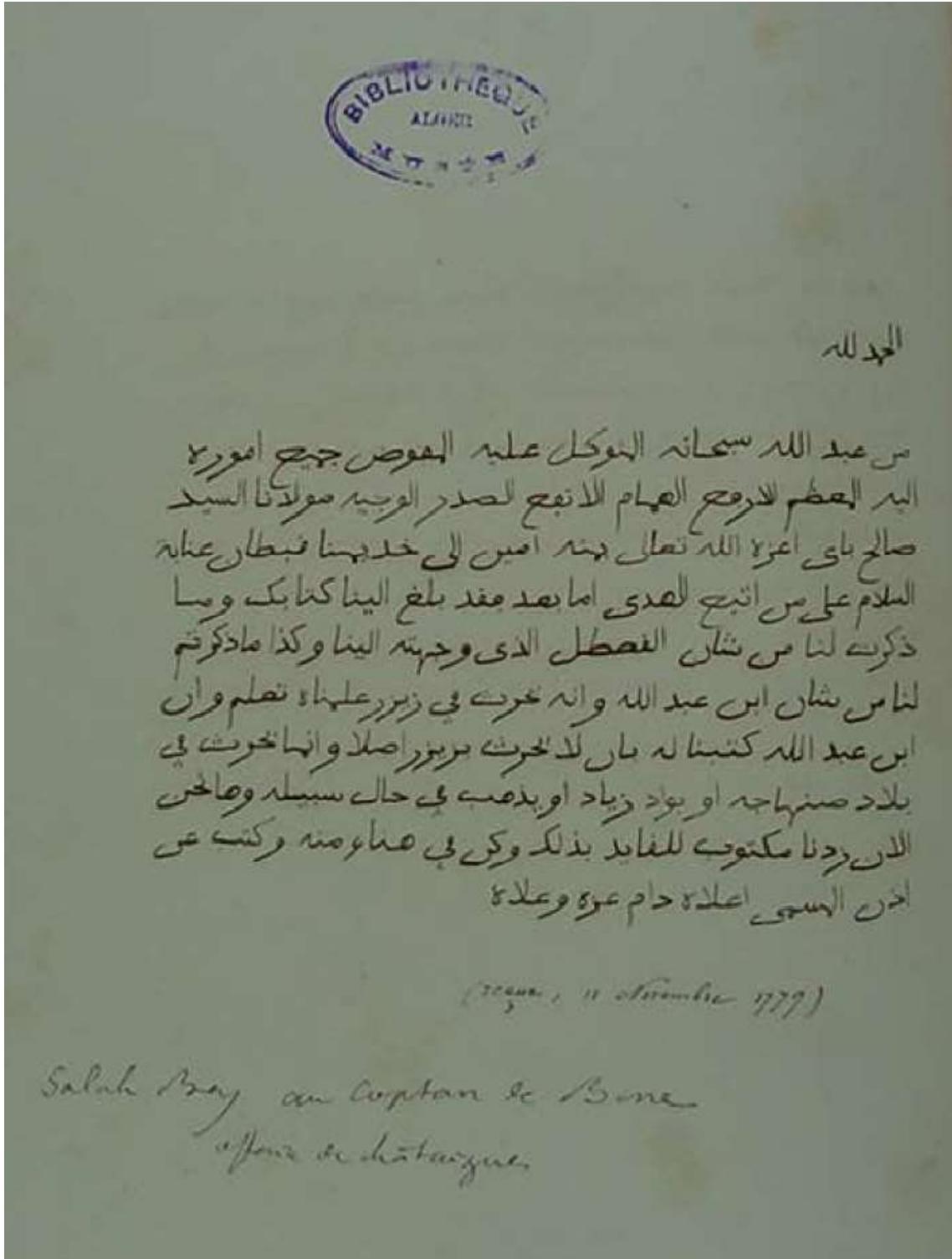


¹ مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات.....، المرجع السابق، ص 95.

الملحق رقم 10: رسالة من أحمد باي الى قبطان القالة¹.¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 42.

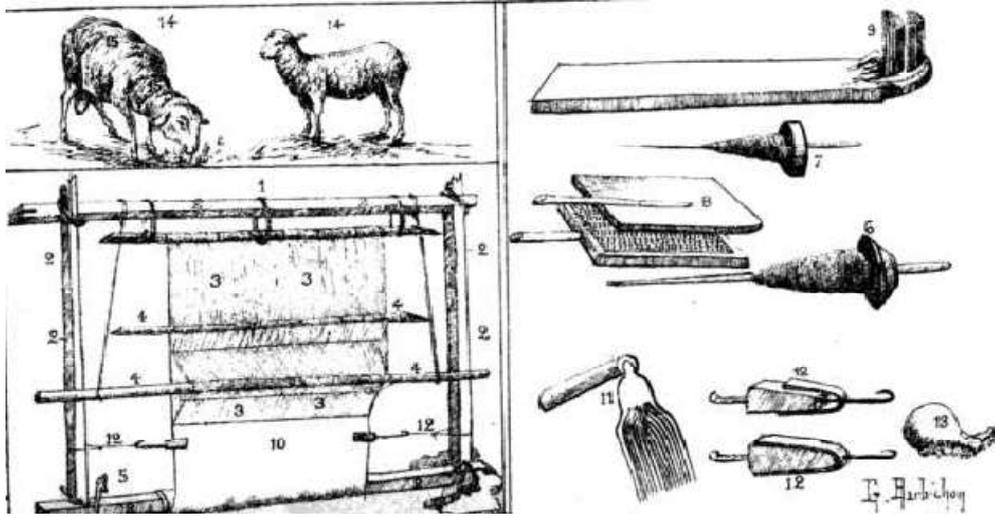
الملحق رقم 11: رسالة من علي باي الى القبطان بيرون¹.¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 103.

الملحق رقم 12: رسالة من صالح باي إلى قبطان عنابة¹.



¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 69.

ملحق رقم 14: بعض الصناعات الحرفية¹.



الأدوات المستعملة لحياكة البرنوس: 1- المنسج،

2. المرمة، 3. القيام، 4. القصبة، 5. الحاذق، 6. المغزل، 7. المغيظة، 8. القرداش، 9. المشطة، 10. النسيج، 11. الخلاطة، 12.

الجبادة، 13. العظم، 14. الكيش، 15. الصوف



¹ جيلالي بن فرج حسين، الأسواق و الاقتصاد ...، المرجع السابق، ص 373-374..

الملحق رقم 15: بعض الهدايا المقدمة من حكام تونس إلى باي قسنطينة¹.



¹ الأرشيف الوطني التونسي: الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر 269، وثيقة 36.

الملحق رقم 16: نماذج من العملة الجزائرية المضروبة بدار السكة من 1144 إلى
1240هـ (1731-1824)¹



ريال بوجو « فضة » ضرب
بالجزائر سنة 1238

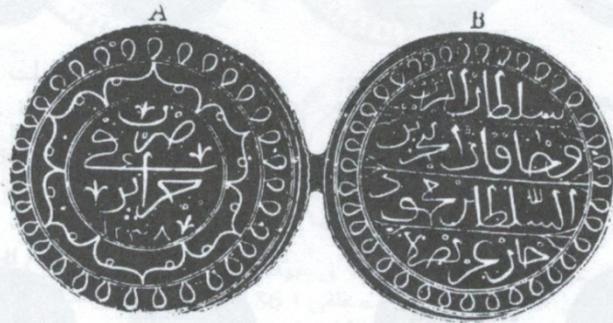
بدقة شيك « ربع بوجو »
النوع القديم « فضة » ضرب
بالجزائر 1185 هـ



زوج دراهم صفار
« اثنين : اسير شيك »
نجاس ، الجزائر 1237



خروبة « نحاس مفلح
بالفضة » مضروبة
بالجزائر 1237 هـ



زوج بوجو «دورو في الجزائر»
(فضة) ضرب بالجزائر 1238هـ

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 337.

الملحق رقم 17: نماذج من العملة التونسية المتداولة بالإيالة الجزائرية¹



1 - نقود تونسية مضروبة في عهد الباي علي بن حسين ، 9 : فلس « نحاس » باسم السلطان مصطفى (1186 هـ) 106 - سلطاني « ذهب » باسم السلطان مصطفى (1181) ، الفليس « نحاس » باسم السلطان مصطفى (1191 هـ) .

ب - نقود تونسية مضروبة في عهد حمودة باشا (1782 - 1814) من نوع القروش الفضية ، 1 - باسم السلطان عبد الحميد « 1198 هـ » .
2 - باسم السلطان محمود « 1228 هـ » . 3 - باسم السلطان سليم « 1221 » . عن : Hugon (H). Les Emblèmes des Beys de Tunis, E. Leroux, Paris 1913, p. 19 et 21.

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 339.

الملحق رقم 18: إحسان مقدم من باي تونس للحاج بوعلام وبعض مرافقيه، القادم من الجزائر مبشرا بانتهاء الانجليز¹.

٦
الحمد لله رب العالمين
٥٧٨
٧٠٤
١٢٣
شاه علي دافه
ارت ١٨٤٤
ريالات
١٠٠٠
احسان للحاج بوعلام فريح بجوابه حوله تلي الجزاير مبشرا بانتهاء
الانجليز
١٠٠٠
زيادة احسان له
١٠٠٠
احسان تزوج دوايم مع
٠٠٨٠٠
احسان تزوج دوايم فدا فسكنينه مع
٠٠٢٥٤
احسان لسيار شيخ الحناش فريح مع
١٥٠٥٤

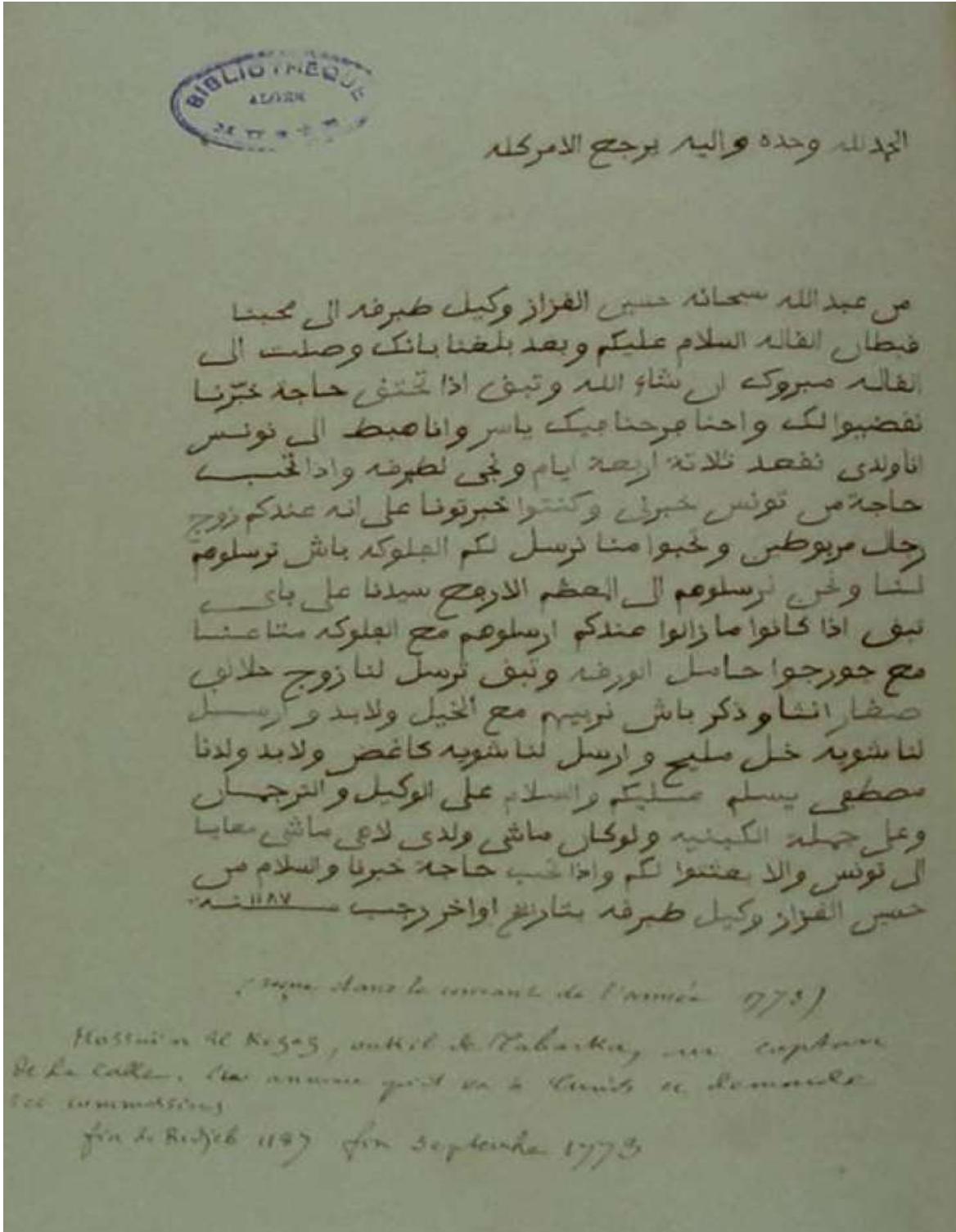
¹ الأرشيف الوطني التونسي: الصندوق 223 الملف 384، وثيقة 124.

الملحق رقم 19: الإحسانات المقدمة من بايات تونس للجزائريين لأفراد بعض القبائل¹.

ثمين	بارود
٤٨٥٥٦٧	نفقات
٠٠١٦٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٠٣٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٠٤٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٠٥٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٠٦٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٠٧٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٠٨٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٠٩٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠١٠٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠١١٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠١٢٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠١٣٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠١٤٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠١٥٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠١٦٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠١٧٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠١٨٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠١٩٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٢٠٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٢١٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٢٢٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٢٣٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٢٤٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٢٥٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٢٦٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٢٧٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٢٨٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٢٩٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٣٠٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٣١٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٣٢٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٣٣٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٣٤٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٣٥٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٣٦٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٣٧٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٣٨٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٣٩٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...
٠٠٤٠٠٠	تخرج مواد ما نسبته ١٠٠٠٠ من بايات تونس...

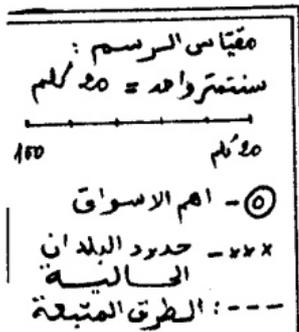
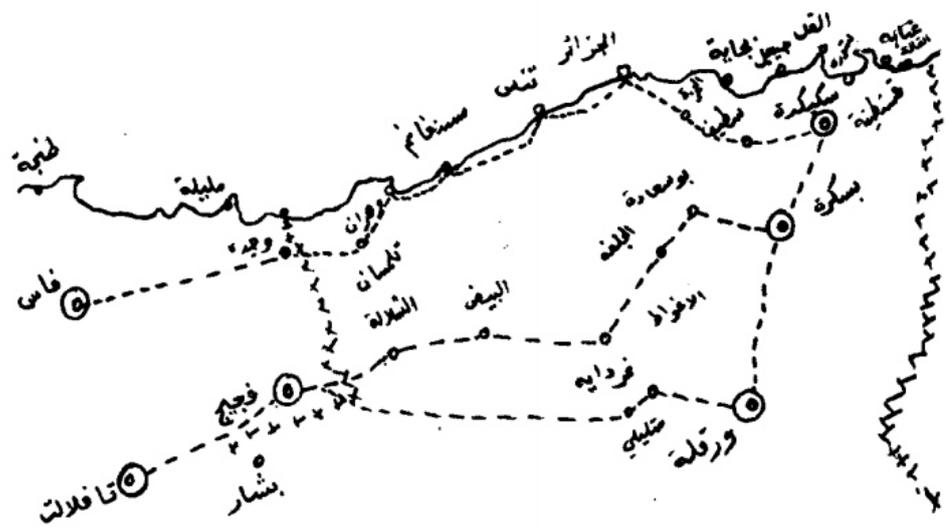
¹ الأرشيف الوطني التونسي: الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر 100، وثيقة 13.

الملحق رقم 22: رسالة من حسين القزاز وكيل طبرقة إلى قبطان القالة¹.



¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 45.

الملحق رقم 25: الطرق الرابطة بين الأسواق الجزائرية والمغربية¹



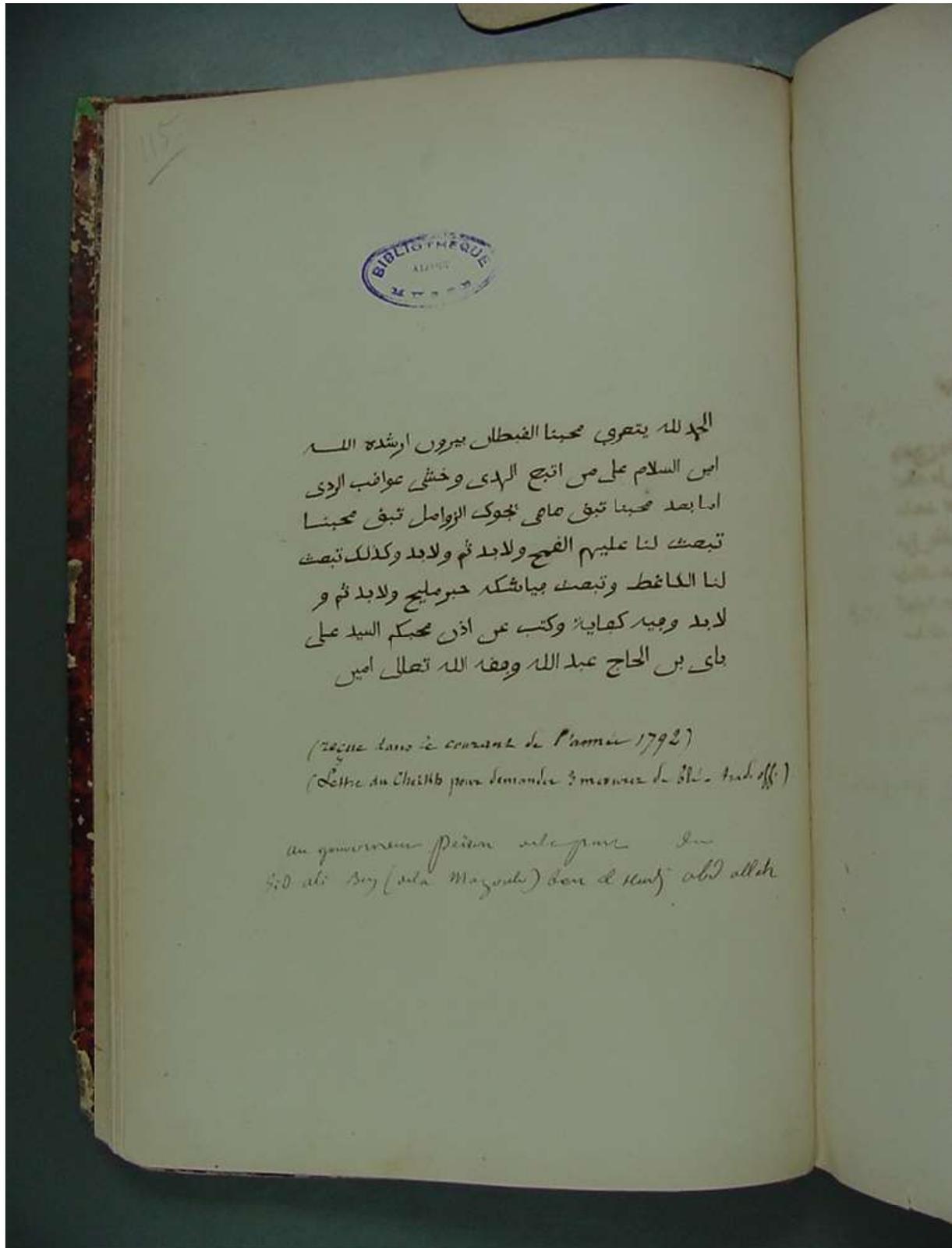
- اهم الطرق الرابطة بين أسواق الشرق الجزائري والاسواق المغربية

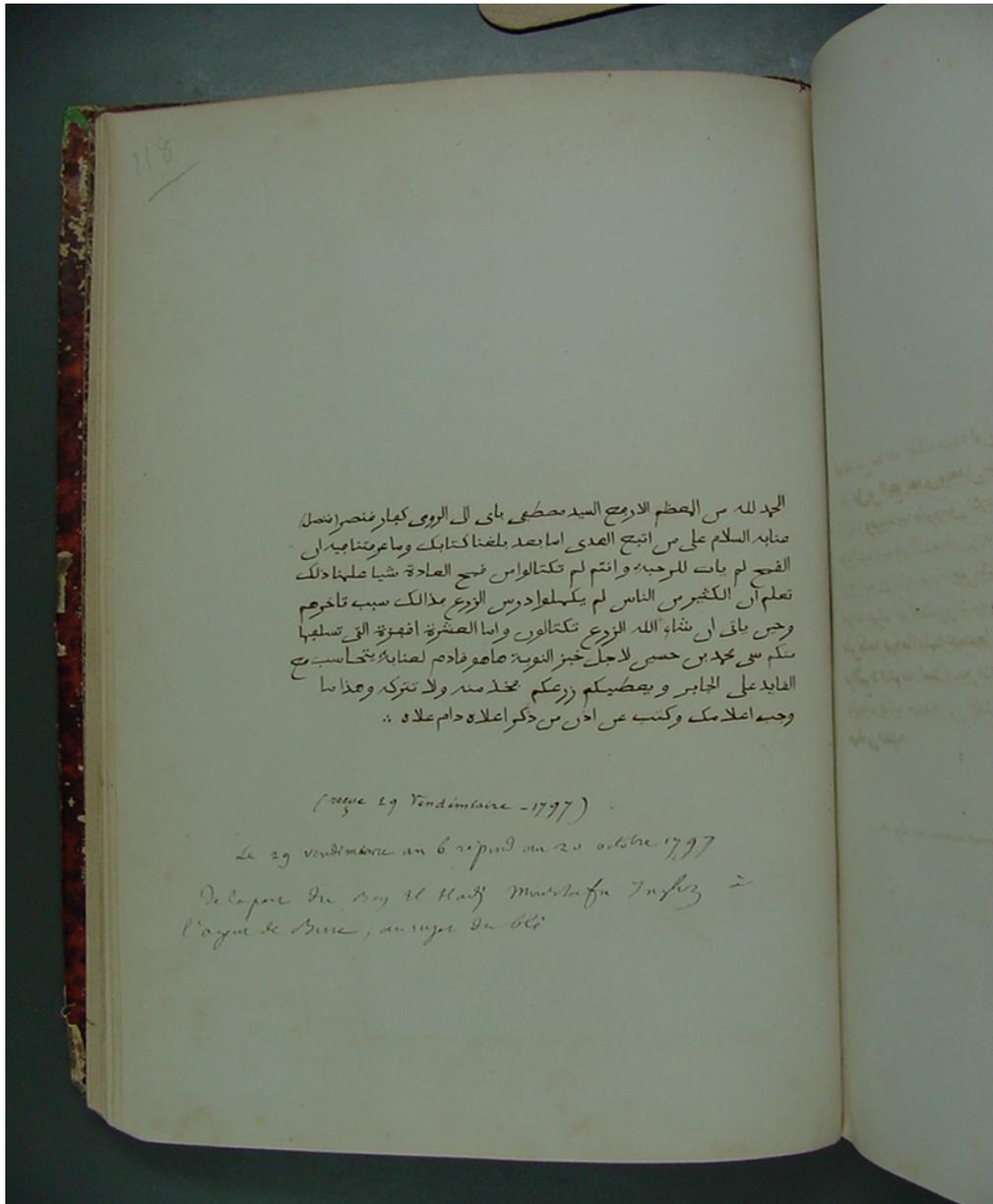
¹ محمد العربي الزيبي، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص 181.

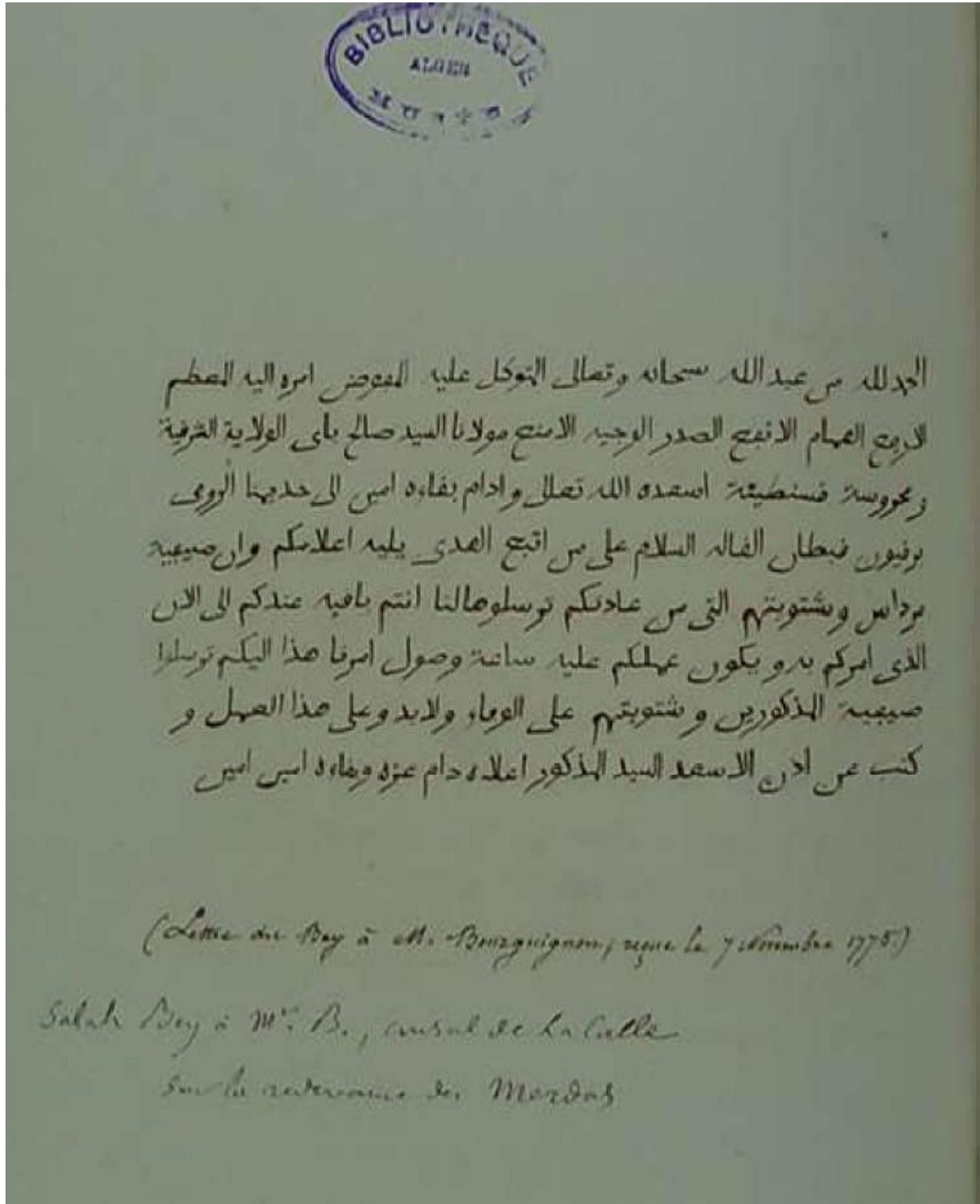
الملحق رقم 26 : أهم القبائل المحيطة بمناطق الامتيازات الفرنسية¹

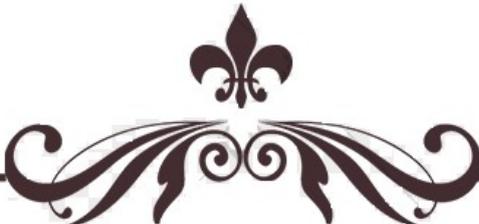


¹ يوسف صرهودة، الاقتصاد والمجتمع ...، المرجع السابق، ص 416.

الملحق رقم 27: رسالة من علي باي إلى القبطان بيرون¹.¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 115.

الملحق رقم 28: رسالة من مصطفى باي إلى قنصل عناية¹.¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 118.

الملحق رقم 29: رسالة من صالح باي إلى قبطان القالة¹.¹ وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641، الوثيقة 55.



قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

1. المخطوطات والوثائق الأرشيفية:

أ- أرشيف المكتبة الوطنية:

وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1641.

الوثيقة 103، الوثيقة 115، الوثيقة 118، الوثيقة 42، الوثيقة 45، الوثيقة 55، الوثيقة 56، الوثيقة 66، الوثيقة 69، الوثيقة 96، الوثيقة 97، الوثيقة 98.

وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1642.

الوثيقة 15، الوثيقة 18، الوثيقة 19.

وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 3190.

الوثيقة 419، الوثيقة 180.

ب- أرشيف ولاية قسنطينة:

وثائق المحاكم الشرعية، السجل 01.

الوثيقة 202، الوثيقة 199، الوثيقة 122، الوثيقة 121، الوثيقة 75، الوثيقة 134، الوثيقة 199، الوثيقة 202.

ج- الأرشيف الوطني التونسي:

1- الدفاتر الإدارية والجبائية.

الدفتري 100: الوثيقة 13، الوثيقة 19، الوثيقة 65.

الدفتري 269: الوثيقة 07، الوثيقة 36، الوثيقة 65.

2- السلاسل التاريخية:

الصندوق 223، الملف 384، الوثيقة 124.

2. المصادر باللغة العربية:

1. ابن العطار أحمد بن المبارك، تاريخ بلد قسنطينة ، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، [د.ط.]، قسنطينة، 2011.

2. ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التريكي ، الدار التونسية للنشر، [د.ط] ، تونس ، 1968 .
3. ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- تاريخ ابن خلدون-، بيت الأفكار الدولية، [د.ط]، الأردن.
4. ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج6، [د.ط]، لبنان، 2000.
5. أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي ، الرحلة الحجازية ، ضبط وتعليق: عبد العالي لمدير، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، ط1، المغرب، 2011.
6. أحمد ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، ، المجلد الثاني، الجزء الثالث، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، [د.ط]، تونس، 1999.
7. الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، [د.ط]، القاهرة، 2002.
8. الأغواطي ابن الدين، رحلة الحاج الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، ترجمة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، [د.ط]، الجزائر، 2011.
9. البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ، المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه جمال طلبة، ، دار الكتب العلمية، ج1، [د.ط]، بيروت، 2003.
10. بن يوسف الصغير، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي التركي، تقديم وتحقيق احمد الطويلي، المطبعة العصرية، ج4، [د.ط]، تونس، 2009.
11. بيليسي، حوليات جزائرية، ترجمة بن تركي نصيرة، ج2، [د.ط] ، دار الأصالة، الجزائر، 2013 .
12. بيليسي، حوليات جزائرية، ترجمة دليلة حباني، ج1، [د.ط]، دار الأصالة، الجزائر، 2013.

13. جون اندري بايسونال، رحلة الى إيالة الجزائر ، ترجمة وتعليق لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2022.
14. حشلاف عبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، [د.ط.]، تونس ، 1929.
15. خوجة حمدان بن عثمان ، المرأة (لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر)، عربيه و قدم له وعلق عليه وفهرسه محمد بن عبد الكريم، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2017.
16. خوجة حمدان بن عثمان الجزائري، رحلة من مدينة الجزائر الى مدينة قسنطينة سنة 1832م، ترجمة وتعليق فارس كعوان، دار خيال للنشر والترجمة، [د.ط.]، 2023، الجزائر.
17. الدرعي أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر ، الرحلة الناصرية 1709-1710م، حققها و قدم لها عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2011.
18. الراشدي احمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013.
19. الزبيري محمد العربي، مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 1981.
20. الزهار الحاج احمد شريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1168-1246هـ/1754-1830م، تحقيق وتقديم أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، [د.ط.]، 1974.
21. الزيانى أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، حققه وعلق عليه عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الرباط، 1991.
22. سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زيادية، دار القصة للنشر، [د.ط.]، الجزائر، 2006.

23. شالر ويليام، مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تعريب وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 1982.
24. شلوصر فندلين، قسنطينة أيام احمد باي 1832-1837، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، طبعة خاصة بالجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.
25. طوماس شو، رحلة الى إيالة الجزائر، ترجمة وتعليق لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والإشهار، ط1، الجزائر 2022.
26. عبد الله بن محمد الشويهد ، قانون أسواق مدينة الجزائر لمتولي السوق عبد الله بن محمد الشويهد، تقديم وتحقيق وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2014.
27. العدواني محمد بن عمر، تاريخ العدواني ، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1996.
28. العنثري صالح، مجاعات قسنطينة، تقديم وتحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 1974.
29. العنثري محمد الصالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، مراجعة وتحقيق يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2009.
30. العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ج1، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2006.
31. العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ج2، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2006 .
32. فايسات أوجان، تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية 1517-1837، تر: أحمد سيساوي، دار كنوز يوغرطا للنشر والتوزيع، ط1، قسنطينة ، الجزائر، 2019.

- 33.الفقون محمد ابن عبدالكريم ، كتاب نوازل قسنطينة، تحقيق وتقديم هواري تواتي، عائشة بلعابيد، دار الزيتون للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2018.
- 34.فونتير دو بارادي، الجزائر خلال القرن الثامن عشر، ترجمة وتعليق الدكتور لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2022.
- 35.كاربخال مارمول، افريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، ج2، [د.ط.]، الرباط، 1989.
- 36.كاربخال مارمول، افريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، ج3، [د.ط.] الرباط، 1989.
- 37.كاربخال مارمول، افريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعرفة، ج1، [د.ط.]، الرباط، 1989.
- 38.كاريت إرنست، الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1842، 1840، 1841، أبحاث حول الجغرافيا والتجارة في الجزائر الجنوبية، تر:حمزة الأمين يحيوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، ج6، [د.ط.]، الجزائر، 2016.
- 39.كاريت إرنست، الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1842، 1840، 1841، دراسة بلاد القبائل-1-، ترجمة حمزة الأمين يحيوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ج3، طبعة خاصة، الجزائر، 2016.
- 40.كاريت إرنست، الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1842، 1840، 1841، دراسة بلاد القبائل-2-، ترجمة حمزة الأمين يحيوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ج4، طبعة خاصة، الجزائر، 2016.
- 41.مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، [د.ط.]، وهران، 2006.
- 42.المكناسي محمد بن عبد الوهاب، رحلة المكناسي احراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785، حققها وقدم لها محمد بوكبوط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2003.

- 43.الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2،[د.ط.]، الجزائر .
- 44.هابنسترايت، ج.او. رحلة العالم الألماني ج. او. هابنسترايت. الى الجزائر وتونس وطرابلس، تقديم وتعليق وترجمة ناصر الدين سعيدوني، البصائر للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2014.
- 45.الهاللي السجلماسي أبي العباس،التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، دراسة وتحقيق محمد بوزيان بنعلي، [د.ط.]. المغرب، 2011.
- 46.الورثيلاني الحسين بن محمد ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، مطبعة ببير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908.
- 47.الوزان الفاسي الحسن بن محمد ،وصف إفريقيا، تر محمد الحجي، محمد الأخضر،ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- 48.الوزان الفاسي الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، تر محمد الحجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- 49.الونشريسي أحمد بن يحي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف المغربية، ج8، الرباط، 1981.

3. المراجع باللغة العربية:

- 1.أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، فاغرن، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 1975.
- 2.اندري نوشي، ايف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر،تر: اسطمبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، [د.ط.]، الجزائر، 1984.
- 3.بعلي حفناوي، صورة الجزائر في عيون الرحالة وكتابات الغربيين، دار دروب للنشر والتوزيع، [د.ط.]، عمان، 2016.

4. بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 1981.
5. بن زردة توفيق، الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال دفاتر الأرشيف الوطني التونسي، منشورات ألفا للوثائق، ط1، الجزائر، 2021.
6. بوطبة لخضر، أسرة أولاد مقران خلال العهد العثماني 1518-1837، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2021.
7. بوطبة لخضر، بجاية خلال العهد العثماني، 1555-1833، دار كوكب العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر.
8. بوعزيز يحي، ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد عام 1871، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2009.
9. بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، [د.ط.]، الجزائر، 1999.
10. التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1989.
11. جاد الرب حسام الدين، جغرافية الوطن العربي، كتب عربية، [د.ط.]، مصر، 2005.
12. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
13. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، ج2، ط2، بيروت، 1956.
14. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ج3، ط7، الجزائر، 1994.
15. حرز الله محمد العربي، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830-1930)، دار السبيل، [د.ط.]، الجزائر، 2009.
16. حللمي عبد القادر، جغرافية الجزائر طبيعية - بشرية - اقتصادية، مطبعة الإنشاء، ط2، دمشق، 1968.

- 17.خنوف علي، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس، ط2، الجزائر، 2011.
- 18.خياطي مصطفى، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، ترجمة حضرية يوسف، منشورات ANEP، [د.ط.]، الجزائر، 2013.
- 19.خير الدين محمد، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، ط2، الجزائر.
- 20.دوبالي خديجة ، علاقة السلطة العثمانية بالقبائل من خلال ملفات الوثائق العثمانية رقم: 1642 (1241-1245هـ/1826-1830م) بايلك الشرق أنموذجا، دار ومضة للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2022.
- 21.رائسي إدريس ، القبائل الحدودية التونسية -الجزائرية بين الإجارة والإغارة(1830-1881)، الدار المتوسطية للنشر، ط1، تونس، 2016.
- 22.الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792و1830، دار الحكمة، ط3، 2014.
- 23.زردوم عبد الحميد، تاريخ بسكرة في عهد الأتراك 1660م-1844م، مطبعة المنار، [د.ط.]، بسكرة، 2003.
- 24.زكية زهرة، الدولة الجزائرية الحديثة -ومؤسساتها-، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، إشراف، عائشة غطاس، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر.
- 25.زوزو عبد الحميد، النظام الجبائي والإداري في بايلك الشرق خلال حكم أحمد باي، موفم للنشر، [د.ط.]، الجزائر، 2017.
- 26.الزوكة محمد خميس، جغرافية العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، ط2، مصر، 2000.
- 27.سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، ج2، ط1، الجزائر، 1998 .
- 28.سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط1، الجزائر، 1998.

29. سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، ط1، الجزائر، 1986.
30. سعيد إبراهيم أحمد، أسس الجغرافية البشرية والاقتصادية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، [د.ط.]، جامعة حلب، 1997.
31. سعيدوني ناصر الدين، الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر(دار السلطان) أواخر العهد العثماني(1791-1830)، البصائر للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2014.
32. سعيدوني ناصر الدين، الشرق الجزائري بايليك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، البصائر للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2014.
33. سعيدوني ناصر الدين، الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2014.
34. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1830)، البصائر للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 2014.
35. سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2014.
36. سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، [د.ط.]، الجزائر، 1986.
37. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2014.
38. شارل روبير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، دار منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1982.
39. شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م-1830م، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2011.
40. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة، [د.ط.]، الجزائر، 2012.
41. عباد صالح، مدخل إلى تاريخ جيجل من قبل التاريخ الى 1871، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، [د.ط.]، الجزائر، 2013.

42. عبد الوهاب حسن حسيني، خلاصة تاريخ تونس، دار الكتب العربية الشرقية، ط3، تونس، 1373هـ.
43. العربي إسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
44. عمر بلوط، الورشات الحرفية في مدينة قسنطينة العثمانية، دار ومضة، [د.ط.]، الجزائر، 2022.
45. عميرايو احميدة، علاقة بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي ، دار البعث، [د.ط.]، الجزائر ، 2002.
46. عميرايو حميدة ، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري(بداية الاحتلال)، دار البعث،[د.ط.]، قسنطينة، 1984.
47. العوامر إبراهيم محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلالي بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، [د.ط.]، الجزائر، 2007.
48. الفخفاخ المنصف، موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشفيف الوطني التونسي، منشورات الأرشفيف الوطني التونسي، [د.ط.]، تونس، 1990.
48. فركوس صالح، إدارة المكاتب العربية و الاحتلال الفرنسي للجزائر، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 2013.
49. فروة محمود، التجارة والتجار في تونس (1881-1956)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، [د.ط.]، تونس، 2009.
50. فيرو شارل ، تاريخ جيجلي، ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، [د.ط.]، الجزائر، 2010.
51. فيرو شارل، تاريخ المسيلة وبوسعادة، ترجمة وتعليق لخضر بوطبة، دار الباحث، ط1، الجزائر، 2023.
52. فيرو شارل، تاريخ برج بوعريريج، ترجمة وتعليق لخضر بوطبة، دار الباحث، ط1، الجزائر، 2023.
53. فيرو شارل، تاريخ سطيف، ترجمة و وتعليق لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والإشهار، ط1، الجزائر، 2022.

- 54.قشي فاطمة الزهراء، الزواج والأسرة في قسنطينة، دار القصة للنشر، [د.ط.]، الجزائر، 2007.
- 55.قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، طبعة خاصة، الجزائر، 2007.
- 56.مالتسان هاينريش فون، ثلاث سنوات ثلاث سنوات في غرب شمال إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ج2، ط1، الجزائر، 2008.
- 57.محرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، [د.ط.]، 2013.
- 58.المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، المطبعة العربية، [د.ط.]، الجزائر، 1948.
- 59.المدني توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، [د.ط.]، الجزائر، 1931.
- 60.مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني- العملة والأسعار والمداخل، دار القصة للنشر، ج1، [د.ط.] الجزائر، 2009.
- 61.معاشي جميلة، الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2019.
- 62.ميليشيور جوزيف أوجان دوماس، المرأة العربية [دراسة وصفية لحياة المرأة الجزائرية 1870]، تر: بن حرز الله بن مويزة، دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2024.
- 63.ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، [د.ط.]، الجزائر، 1984 .
- 64.نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، [د.ط.]، الجزائر، 2006 .
- 65.هانوتو لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، [د.ط.]، الجزائر، 2013.
- 66.هانوتو لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، [د.ط.]، الجزائر، 2013.

67. هلايلي حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2008.
68. هلايلي حنفي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني ، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2007.
69. هنية عبد الحميد، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال، منشورات أوتار تير الزمان، ط2، تونس، 2016.
70. الهيبي صبري فارس ، التصحر مفهومه - أسبابه - مخاطره - مكافحته ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، [د.ط.]، عمان ، الأردن، 2011.
71. وشن مزيان، مجانة عاصمة إمارة المقرانيين، دار الكتاب العربي، [د.ط.]، الجزائر، 2007.

4- المقالات باللغة العربية:

1. اسعيد عليوان، أوقاف الجزائر في العهد العثماني ومساهماتها الاجتماعية والثقافية، مجلة الإحياء، المجلد 09، العدد 01، جامعة باتنة، 2007.
2. بلحميسي مولاي، صناعة السفن أيام الأتراك (ق16-19)، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد 02، العدد 01، الجزائر، 1995.
3. بلعربي خالد، الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة كان التاريخية، السنة الثانية، العدد السادس، ديسمبر 2009.
4. بن معمر محمد، علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 09، العدد 12، جامعة وهران، 2005.
5. بوسعد الطيب، الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجاً)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد، العدد 15، الجزائر، 2011.
6. بوطبة لخضر، قيام إمارة أولاد مقران بقلعة بني عباس في مطلع القرن 16، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد 08، العدد 01، جامعة سطيف، 2011.
7. بوغزيز يحي، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، العدد 80، الجزائر، 1984.

8. جرایة حمد رشدي، الصحراء الجزائرية: دراسة في الجغرافيا، مجلة البحوث والدراسات، المجلد 14، العدد 02، جامعة الواد، الجزائر، 2017.
9. حاضري يمينه بن أصغير ، الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري من القرن 4 هـ / 10 م إلى القرن 11 هـ/17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 16، جامعة غرداية، 2012.
10. حيمي عبد الحفيظ، من صحراء الجزائر في الكتابات الجغرافية ومدونات الرحالة المغاربة، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد 03، العدد 01، جامعة تيارت، 2020.
11. روابحي العياشي، الاحتلال الفرنسي لقسنطينة عاصمة بايلك الشرق الجزائري عام 1837م و ردود فعل أعيان أريافها، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 04، العدد 02، جامعة قالمة، 2010.
12. سعيدوني ناصر الدين، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس-طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الربع الهجري (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)، حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية، العدد 31، الكويت، 2010.
13. سعيدوني ناصر الدين، ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية، مجلة الثقافة، العدد 78، الجزائر، ديسمبر 1983.
14. سعيدوني ناصر الدين، مذكرة حول إقليم قسنطينة (Notice sur la province de Constantine)، تحت رقم: A.M.G. H. 227، مجلة الأصالة، العدد 71/70، جوان-جويلية 1979.
15. شافو رضوان، العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصحراوية في الجزائر (إمارة بني جلاب بوادي ريغ أنموذجا 1531-1854)، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، المجلد 03، العدد 01، جامعة تلمسان، 2015.
16. شترة خير الدين، المبادلات التجارية بين إقليم التوات وحوضر المغرب الإسلامي والسودان الغربي ، العدد 33، مجلة كان التاريخية، 2016.

17. طالب صالح محمد، دور الوقف في الحركة الثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني وموقف الاحتلال الفرنسي منه، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 03، العدد 02، جامعة تيارت، 2020.
18. عطية محمد، ثورة ابن الصخري في الشرق الجزائري، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة- الأغواط-، المجلد 07، العدد 01، جامعة الأغواط، 2022.
19. عقيب محمد السعيد، عمر لمقدم، قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة العثمانية بالسكان (إيالة الجزائر)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 09، العدد 02، جامعة الواد، 2018.
20. كحول عباس، حمزة بوقادوم، مشيخة العرب بالزاب والصحراء الشرقية بين سلطة البايلك العثماني والإدارة الاستعمارية الفرنسية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 7، العدد 4، جامعة الوادي ، 2022.
21. كشرود حسان، بايلك الشرق دراسة طبيعية وزراعية من خلال الرحالين بايسونال ودي فونتين وتوماس شو، مجلة قضايا تاريخية، المجلد 02، العدد 06، الجزائر، 2017.
22. كعوان فارس، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر مصطلحات : الباشا- الدنوش- البايلك كنماذج، مجلة مدارات تاريخية، المجلد الأول، عدد خاص، الجزائر، 2019.
23. محجوبي زهرة، المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر (1741م-1830م)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، العدد 01، المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري للجزائر، 2020.
24. موساوي الفشاعي فلة، وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 01، العدد 01، الجزائر، 2001.

5- الرسائل والأطاريح الجامعية:

أ- الدكتوراه:

1. الإمام رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814، أطروحة دكتوراه، دائرة التاريخ، الجامعة الأمريكية، بيروت.
2. أوغيل خالد، النشاط الفلاحي للجزائر العثمانية خلال حكم الدايات 1671-1830م -مقاربة سوسيو اقتصادية-، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 02، 2021.
3. بكاي عبد المالك، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2014.
4. بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008.
5. حسين جيلالي بن فرج، الأسواق و الاقتصاد الريفي في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830 م)، أطروحة دكتوراه ل.م.د في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2022.
6. حوحو رضا، شبكة الطرقات الفرنسية في جزائر القرن التاسع عشر ظاهرة حضارية أم أداة عسكرية 1830-1900م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2018.
7. دحماني توفيق، الضرائب في الجزائر (1206-1282هـ/1792-1865م) دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008.
8. درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988.

- 9.روابي العياشي، الإدارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837م -1871م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، الجزائر،2015.
- 10.سحابات زهيرة، الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني 1628-1830م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس -سيدي بلعباس-، 2020.
- 11.شافو رضوان، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844-1962م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2012.
- 12.شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006.
- 13.صرهودة يوسف، الاقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر 1700م-1830م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية،جامعة قسنطينة،2018.
- 14.عمراني معاد، منطقة وادي ريغ قي ظل الاحتلال الفرنسي(1854-1962م) دراسة سياسية، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، الجزائر.
- 15.قشوان عبد الرزاق، الواقع الاقتصادي و الاجتماعي في الشرق الجزائري(1219-1282هـ/1804-1871م)(دراسة مقارنة)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2018.
- 16.لعريبي اسمهان، الحياة الاقتصادية في بايلك الشرق خلال العهد العثماني (1713-1792م)، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، شعبة التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، سيدي بلعباس، 2013.

17. مروان محمد عمر، الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مدينة غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1261-1331هـ / -1835-1912م، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006.

18. يعقوب خديجة، شيوخ القبائل و مؤسسة المشيخة في بايلك الشرق الجزائري والوسط الغربي التونسي من 1700 إلى 1860. أطروحة دكتوراه الطور الثالث في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر: تاريخ وحضارة، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2018.

ب- الماجستير:

1. بحري أحمد، الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 171-1830 م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003.

2. بركات اسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى بن يحيى المغيلي المازوني (ت883هـ/1478م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة قسنطينة، 2010، ص41.

3. بلخضر نفيسة، مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، 2016.

4. بن زردة توفيق، الكنفدراليات القبلية الحدودية ودورها في العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني - الحنانشة أنموذجاً-، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2013-2014.

5. بهلول ربيعة، النظام الإداري العثماني في الجزائر ومراحل تطوره 1519-1830م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2، 2016.
6. بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم (1826-1848)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1991.
7. بوعزيز جهيدة، الصراعات الداخلية و أثرها على المجتمع الريفي في بايك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني(1771-1837م/1185-1253هـ)، أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2012.
8. حساني عثمان، البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007.
9. حفيان رشيد، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية و أثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، مذكرة لنيل ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة قسنطينة، 2014.
10. الحناشي العربي، الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس من 1640-1740، شهادة الكفاءة المهنية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس، 1987-1988.
11. رحموني عبد الجليل، اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية(1520م-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، سيدي بلعباس، 2015.
12. القشاعي فلة، الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني (1792-1837)، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، دائرة الدراسات التاريخية والآثار، الجزائر.

13. القشاعي فلة، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، الجزائر، 1990.
14. قشوان عبد الرزاق، السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (936-1253هـ/1592-1837م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2010.
15. كربوع مسعود، نوازل النقود والمكايل والموازين في كتاب المعيار للونشريسبي- جمعا ودراسة وتحليل-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العصر الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة باتنة، 2013.
16. لكحل الشيخ، نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م، (1013-1070هـ/1604-1659م)، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، 2013.
17. مايدي كمال، علاقات تونس مع دول غرب أوروبا الغربية المتوسطة وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782 الى 1814م، مذكرة شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث، قسم التاريخ معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، غرداية، 2012.
18. مشوشة سمير، النشاط التجاري بين الجزائر وتونس في القرن 12هـ/18م من خلال رحلات المغاربة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2014.

6- القواميس والموسوعات والمعاجم:

1. ابن منظور الإفريقي المصري أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد التاسع، دار صادر، بيروت.
2. بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.
3. صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

4. الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم 190. العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1998.
5. الكافي بدر الدين بن محرز، معجم قبائل العرب و الأشراف في تونس القديمة والمعاصرة، مطبعة جمعية الندوة التعليمية، إسلام آباد، 2015.
6. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004.
7. مركز رواد الترجمة، موسوعة المصطلحات الإسلامية، ج4، الرياض، 2019.

7-المواقع الالكترونية:

1.الموقع الالكتروني:

<https://mhtwyat.com/%D8%A8%D9%88%D8%B4%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%85%D8%AD-%D9%83%D9%85-%D9%83%D9%8A%D9%84%D9%88>

اليوم: 2024/02/07، الساعة 12:03.

2.الموقع الالكتروني:

<https://3arf.org/wiki/%D8%A2%D9%83%D8%B1>

اليوم: 2024/02/06، الساعة: 16:35.

3.الموقع الالكتروني:

<https://sehaweghethaa.com/%D8%B4%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%83%D8%A9-%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%AA%D8%A8%D9%83%D9%8A%D8%9F>

اليوم: 2024/02/10، الساعة 16:25.

4.الموقع الالكتروني

[/https://www.independentarabia.com/node/376061:](https://www.independentarabia.com/node/376061)

اليوم:2024/02/04، الساعة: 18:15.

7- المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- 1.A. Devoux, Tachrifat, **Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger**, Alger, 1852.
- 2.A. M. Perrot. Alger, **Esquisse topographique et historique du royaume et de la ville**, Librairie ladvocat, Paris, 1830.

3. André Nouschi, **Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1919**, Presses universitaires de France, Paris, 1961.
4. Berbrugger. A, **Les époques militaires de la grande kabylie**, Bastide libraire éditeur, Paris, 1857.
5. C. Devaux, **Les kabailes du djedjera, Études nouvelles sur les pays vulgairement appelés la grande kabylie**, camoin frère, Libraires éditeurs, Paris, 1859.
6. Carette et Warnier, **Description et division de L'Algérie**, Librairie de L. Hachette, Paris, 1847.
7. Charle feraud, **Notice Historique sur le tableau des Oulad Abd En Nour**, Typographie et lithographie Alessi et Arnault Constantine, 1864.
8. Chotard Henry, **La mer intérieure du Sahara**. Imp. de D. Mont-Luis, 1879.
9. Daumas et Fabr, **La grande Kabylie études historique**, Alger, 1847.
10. De M. Le Lieutenant-colonel Daumas, **Le Sahara Algérienne Etudes Géographiques, Statistiques et Historiques sur La Région au Sud des Etablissements Français en Algérie**, Paris, 1845.
11. Dr Shaw, **Voyage dans la régence d'Alger**, Trad. J. Mac Carthy. Chez Marlin, Paris, 1830.
12. Ernest Mercier, **Histoire de Constantine**, Imprimeurs-Editeurs .51, Constantine, 1908.
13. ERNEST MERCIER, **Histoire de L'Afrique Septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus recules jusqu'a la conquête française (1830)**, Ernest Leroux éditeur, T3, Paris, 1868.
14. F. Gourgeut, **Les sept plaies d'Algérie**, Imprimerie pierre Fontana. Alger, 1891.
15. Feraud charl, **Le Sahara de Constantine, Notes et Souvenirs**. Adolphe Jordan, Alger, 1887.

16. Georges. Robert, **Voyage à travers l'Algérie: notes et croquis.** Paris, 1891.
17. H.D. De Grammont, **Histoire D'Alger sous la domination turque (1515-1830),** Paris, 1887.
18. J.-L.-G. Guyon, **Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique depuis les plus recules jusqu'a nos jours.** Imprimerie du gouvernement, Alger, 1855.
19. Labbe Edmond Lambert. **A Travers l'Algérie. Histoire, Mœurs et légendes des arabes,** René Haton Libraire-éditeur, Paris, 1884.
20. Laplaiche Alexander, **Algérie et Tunisie esquisse géographique** Henri Charl La Vauzelle, Paris, 1885.
21. Laugier de Tassy, **Histoire de royaume d'Alger,** Amsterdam chez Henri du sauzet, 1725.
22. Le Baron Henri Aucaptaine, **Etudes sur le passe et l'avenir des kabyles. Les kabyles et la colonisation de l'Algérie,** H, Bastide. 1864.
23. M. Ch. Depincé, **Congres de l'Afrique du nord,** Tenu à paris, Du 6 ou 10 octobre 1908, Compte- rendu des travaux, T1, Paris, 1909.
- 24 . M. Ville, **Voyage D'exploration dans Les Bassins du Hodna et du Sahara,** Imp. Impérial ,Paris.
25. M. Mauroy, **Du Commerce des peoples de l'Afrique septentrionale dans l'antiquite. Le Moyen-âge et les temps modernes comparé au commerce des arabes de nos jours. Ouvrage faisant suite à la question d'Alger en 1844,** Au comptoir des imprimeurs-unis, Paris, 1845.
26. Martin. A. G. P, **Géographie Nouvelle de l'Afrique du Nord Physique, Politique et Economique,** Porgeot Editeurs, Paris, 1912.

2- المقالات باللغة الفرنسية:

- 1.Baruch, **Note Sur le Cours d'eau Appelé "Mafrag"**. in R.V, N25, 1881, Adolphe Jourdan, Alger.
- 2.Berbrugger Adrienne, **Notes relatives a la révolte de Ben Sakhri**, in R.A, N 59,1866.
- 3.Charl Feraud, **Les corporation de métiers a Constantine avant la conquête française**, In R.V, N 96,1872, Alger.
- 4.Charl feraud. **Exploitation des Forets des Forets de la karasta dans la Kabilie Orientale sous la domination Turque**.in R.V, N71, 1868.
- 5.Charl Féraud. **Les Harar Seigneurs des Hanencha. Etude historique sur la province Constantine**, In R.V, N18, 1874.
- 6.Commandant Seroka, **Le sud Constantinois de 1830 a 185**. in R.V, N 56,1912.
- 7.Diego De Haedo, **Topographie et histoire générale d'Alger**. Traduit de l'espagnol par Monnereau et A.bberbrugger, in R.V, T15, 1871.
- 8.E.Vayssettes. **Histoire des dernières Beys de Constantine**, In R.V, T3, 1858.
- 9.Feraud Charl, **Epoque de L'établissement des turcs a Constantine**, in R.V, N57.1866.
- 10.Feraud charl, **Les Ben djallab de Touggourt, Notes Historiques sur La province de Constantine**, in R.A, N23, 1879.
- 11.Fray Diego de Haedo, **Histoire des Rois D'Alger**, Traduite et Annotée Par H.D de Grammont.in R.V, N 24,1880.
- 12.Henri Federmann, Bon Aucaptaine, **Notices sur L'histoire et l'administration du beylik de titteri**, in R.V, N11, 1867.
13. Le Baron Henri Aucaptaine, **Les colonies noires en kabilie**, R.V, N04, Alger,1859.
- 14.Le Baron Henri Aucaptaine, **Une expédition turque aux beni raten**, R.A, N02, Alger, 1859.

15. Luiss Rinn. **Le Royaume d'Alger sous le dernier dey**. Chapitre 5. Beylik Qsantina. in R.V, N 43, Alger, 1899.
16. M. Emirit, **Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIXe siècle**, Annale Histoire. Sciences social. num 21, N 01, 1966.
17. Mercier Ernest, **Histoire l'Afrique septentrionale (Berbère) depuis les temps les plus recules jusqu'a la conquête française (1830)**, Ernest Leroux éditeur, T3, Paris, 1891.
18. Mr. Le Roy, **État général et particulier du Royaume et de la Ville d'Alger**, La Haye, 1750.
19. Odilon Niel, **Géographie de la L'Algérie**, 2 éditions, T1, Legendre libraire, Bône, 1876.
20. Paul Masson, **Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque (1560-1793) (Algérie. Tunisie. Tripolitaine. Maroc)**, Librairie Hachette, Paris, 1903,
21. Paul Masson, **Les Compagnies du Corail: étude historique sur le commerce de Marseille au XVIe siècle et les origines de la colonisation française en Algérie-Tunisie**, Imprimerie Barlatier , 1928.
22. Peyssonnel et Desfontaines, **Relation d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger**, t1, Libraire de Gide , Paris, 1838 .
23. Peyssonnel et Desfontaines, **Voyage dans les régences de Tunis et D'Alger**, T2, Librairie de Gide, Paris, 1838.
24. Pierre d'avity, **Description générale de l'Afrique. Seconde partie du monde. Avec tous ses empires. Royaumes. estats et républiques**, Paris, 1637.
25. Piesse. Louis, **Algérie et Tunisie**, Hachette, Paris, 1898.
26. Rinn Luiss, **Le Royaume d'Alger sous le Dernière Dey**, R.V. N41, Alger, 1897.
27. Robin. N . **Note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande kabylie**, in RV, N17, 1873.

28.Shaw Thomas, **Voyage dans plusieurs provinces de la barbarie et du levant. Contenant des observations géographiques. philologiques et mêlées sur les royaumes d'Alger et de tunis.sur la Syrie .l'Egypte et l'Arabie pétrée. Avec des carte et figure traduits de Langlais**, la hâte, t1, Paris,1830.

29.Souhib Chenouf, **La propriété Foncière en Algérie (1830-1871)**, Revue des Médias et Société, Volume 02, N03, Algérie. 2018.

30.Syndicat D'initiative de Bougie, **Bougie et La Petite Kabylie (Livret-Guide)**, Algérie, 1914.

31.Thomas shaw, **Voyage dans la régence d'Alger**, traduit par Mac Carthy,1830.

5-2. الرسائل باللغة الفرنسية:

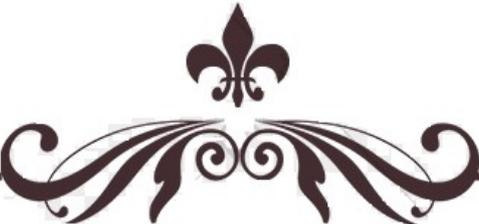
1. Marchika jean, **La peste en Afrique septentrionale, Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830**, Thèse pour le doctorat en médecine. Faculté mixte de médecine et de pharmacie d'Alger, Imprimeur de l'université, Alger.1927, P149.

الفهارس

1- فهرس الأعلام.

2- فهرس الأماكن و البلدان.

3- فهرس القبائل و الجماعات.



فهرس الأعلام

- إبراهيم الشريف: ص 277.
- إبراهيم باي الغربي: ص 32.
- إبراهيم باي: ص 27.
- إبراهيم بن بوعزیز: ص 29.
- إبراهيم بوصبع: ص 27، 30.
- إبراهيم خوجة: ص 277.
- ابن الشريف الدرقاوي: ص 90.
- ابن الفكون: ص 23، 88، 117، 122، 124، 126، 146، 188، 190، 235.
- ابن القاضي: ص 54، 68، 72.
- ابن زعمون: ص 97، 126.
- أحمد الزواوي بن جلول: ص 29.
- أحمد الشاوش: ص 93.
- أحمد القلي: ص 26، 27، 29، 64، 65، 182.
- أحمد باي مملوك: ص 27، 87.
- أحمد باي: ص 25، 27، 28، 32، 51، 52، 54، 154، 182، 226، 251، 261، 271، 273، 275.
- أحمد بن السخري: ص 91، 92، 299.
- أحمد بن جلاب: ص 78.

- أحمد بن عبد الرحمان: ص 67، 68.

- أحمد بن علي بوكاز ابن السخري: ص 63.

- أحمد بن عمر بن بوختوش: ص 54.

- أحمد بن عمر: ص 60.

- أحمد بن محمد الفاسي: ص 79.

- أحمد طوبال: ص 93.

- أحمد مقران: ص 69، 70، 71.

- أوزن حاجي باي: ص 27.

- (ب) -

- باسكال قاميزو: ص 154.

- الباي حسين بوكمية: ص 154.

- الباي عثمان: ص 84، 88، 89، 90، 157.

- بربروس: ص 23، 60.

- بشتارزي: ص 188.

- بن عيسى الفرقاني: ص 32.

- بوشناق: ص 158، 302.

- بوغكاز بن السخري: ص 23.

- (ت) -

- توماس لانش: ص 297.

- (ج) -

- جعفر باي: ص 220.

- جون باتيست: ص 301.

- (ح) -

- الحاج بن بوزيد: ص 140.

- الحاج بن قانة: ص 65.

- الحاج بوزيد المقراني: ص 27.

- الحاج شعبان: ص 280.

- حسن باشا: ص 188.

- الحسن بن خير الدين: ص 22، 54.

- الحسن بن علي: ص 278.

- حسين الطباخ: ص 155.

- حسين باي: ص 27.

- حسين داي: ص 271.

- حمودة باشا: ص 279.

- (د) -

- داود بن مرداس: ص 58.
- الداى أحمد شلبى: ص 277.
- الداىة بنت المقرانى: ص 27، 29.
- الدوق دوبرمون: ص 296.

- (ر) -

- رمضان باى: ص 23.

- (س) -

- سانسون نابلون: ص 300.
- سانسون: ص 154.
- السخرى بن عيسى: ص 61.
- السخرى بن يعقوب: ص 62.
- السخرى بن يعقوب: ص 80.
- السلطان الحفصى أبو عمر عثمان: ص 275.
- السلطان عبد العزيز: ص 72.
- سليمان الجلابى المرينى: ص 77، 78، 79.
- سليمان بن قانة: ص 27، 60، 64، 65.
- سولومون دى موسى: ص 140.

- سي أحمد الزواوي: ص28.
- سي الحاج بن بوزيد: ص 133.
- سي بركات الشريف: ص22.
- سي محمد بن حمزة: ص22
- سيدي أحمد بن خليفة: ص 104.
- سيدي بتقة: ص 71.
- سيدي بلقاسم بوحجار: ص190.
- سيدي علي بن عيسى: ص 97.
- سيدي محمد بن الحاج العشباني: ص 138.
- سيدي محمد لغراب: ص28.

- (ش) -

- شارل السادس: ص 296.
- شبل بن موسى: ص 59.

- (ص) -

- صالح باي: ص26، 27، 29، 28، 30، 85، 86، 87، 123، 153، 154، 157، 158، 182، 184، 188، 190، 192، 199، 201، 232، 300.
- صالح رايس: ص 85.

- (ع) -

- عباس ابن عبد العزيز: ص 67.
- عبد العزيز بن قانة: ص 64.
- عبد الله باي : ص 89، 90.
- عبد الله باي: ص 27.
- عبد الله بن بورنان: ص 140.
- عبد المؤمن: ص 23، 24، 93.
- عصمان باي: ص 27.
- علي باشا: ص 271.
- علي باشا: ص 278، 279.
- علي باي: ص 27.
- علي خوجة غسول: ص 93.

- (ق) -

- قارة مصطفى: ص 27، 102.
- القبطان بيرون: ص 155.

- (ك) -

- كارلين ديديه: ص 297.

- (م) -

- مباركة بنت سليمان بن قانة: ص 27، 64.
- محسن بن حنك: ص 27، 30، 182.
- محمد باي: ص 277.
- محمد بن السخري بوعكاز: ص 91.
- محمد بن جلاب: ص 87، 273.
- محمد بن سيدي الناصر: ص 71.
- محمد بن عبد القوي: ص 59.
- محمد بن عبد الله بن الأحرش: ص 88، 89، 90.
- محمد بن يحيى: ص 79.
- مراد باي: ص 91، 92، 84.
- المسعود بن سلطان: ص 58.
- مصطفى باي: ص 102.
- مصطفى باي: ص 27.
- المولود بن الموهوب: ص 137.

- (ن) -

- نابليون بونابرت: ص 78.
- الناصر بن أحمد مقران: ص 70.

- (ه) -

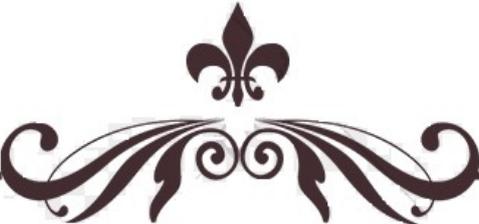
- هابنسترايت: ص 130، 154، 202، 210.

- (و) -

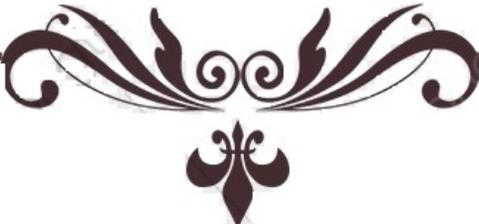
- الوزناجي مصطفى بك: ص 302.

- (ي) -

- يوسف بن مهنا: ص 108.



فهرس الأماكن و البلدان



- (أ) -

- أزمير: ص 28.
- إسبانيا: ص 272، 71، 30، 274.
- أشمول: ص 220.
- الأغواط: ص 29، 58، 67، 305، 306.
- آفلو: ص 29.
- إمارة كوكو: ص 54، 64، 67، 68، 69، 70، 71، 54.
- الأناضول: ص 28، 45.
- انجلترا: ص 248.
- أولاد جلال: ص 58، 134، 253، 304.
- آيت مليكش: ص 128، 129، 304.
- إيدوغ: ص 52، 144.

- (ب) -

- باب الواد: ص 25.
- بابلك الشرق: ص 18، 20، 22، 24، 25، 26، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 37، 40، 44، 45، 47، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 58، 65، 88، 96، 123، 126، 129، 135، 148، 150، 151، 161، 181، 184، 185، 187، 188، 189، 192، 193، 206، 223، 224، 225، 226، 230، 232، 235، 256، 257، 265، 274، 275، 276، 282، 283، 285، 293، 294، 296، 297.

298، 300، 302، 305، 307، 308، 310، 311، 298، 312، 300، 302،
305، 307، 308، 310، 311، 312.

- باتنة: ص 43، 47، 49، 167، 246، 260.

- الباستيون: ص 92، 154، 155، 202، 297، 298، 299، 300، 301، 302.

- بايلك التيطري: ص 18، 302.

- بجاية: ص 18، 20، 31، 42، 43، 45، 49، 60، 64، 67، 90، 108، 140،

143، 148، 162، 166، 172، 173، 196، 207، 208، 210، 215، 219،

221، 229، 244، 245، 246، 247، 249، 258، 265، 267، 303.

- بحيرة تونغا: ص 177.

- برج حمزة: ص 17.

- بسكرة: ص 17، 29، 37، 43، 45، 53، 58، 59، 72، 81، 83، 105، 111،

133، 138، 148، 149، 151، 152، 167، 178، 198، 199، 206، 207،

212، 215، 216، 251، 264، 265، 268، 292، 293، 294، 296، 305،

306.

- بوسعادة: ص 252، 264، 267، 294، 306.

- بوشقرون: ص 21.

- (ت) -

- تاجموت: ص 29، 175.

- تافيلالت: ص 293، 306.

- تبسة: ص 17، 18، 36، 37، 43، 45، 74، 76، 161، 167، 173، 209،
215، 228، 246، 263، 265، 267، 286.

- تقرت: ص 17، 29، 58، 63، 64، 65، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 85،
86، 87، 88، 119، 145، 147، 174، 178، 211، 212، 214، 215، 216،
238، 253، 256، 264، 267، 273، 281، 290، 292، 293.

- تلمسان: ص 42، 77، 268، 293، 305.

- تمبكتو: ص 294، 295، 304.

- توات: ص 198، 273، 295، 304.

- تونس: ص 17، 18، 23، 28، 29، 30، 34، 45، 57، 58، 59، 61، 67،
74، 75، 76، 77، 81، 84، 93، 102، 133، 135، 139، 149، 150، 155،
164، 166، 167، 173، 174، 177، 201، 202، 207، 209، 216، 217،
240، 244، 258، 260، 266، 267، 269، 272، 273، 275، 276، 277،
278، 279، 280، 283، 284، 286، 287، 289، 290، 291، 292، 293،
294، 295، 297، 302، 303، 305، 306، 307.

- تيبسبت، ص 145.

- تيفش: ص 73، 173.

- (ج) -

- جبال الأطلس: ص 41، 96، 98، 161، 166، 169، 174.

- جبال الأوراس: ص 17، 25، 44، 161، 163، 167، 199، 207، 219.

- جبال البابور: ص 17، 66، 166.

- جبال البيبان: ص 17، 18، 31، 54، 254.

- جبال الحضنة: ص 17، 166.

- جبال الزاب: ص 17.

- جبال بني بوطالب: ص 220.

- جبال جرجرة: ص 17، 42، 54، 55، 62، 64، 71، 97، 99، 109، 120،
124، 126، 141، 146، 153، 166، 172، 188، 189، 206، 208، 209،
210، 211، 215، 216، 218، 221، 223، 229، 236، 237، 238، 239،
240، 241، 244، 245، 247، 248، 251، 253، 258، 257، 254، 268.

- جبل المحمل: ص ص 167.

- جبل الوزنة: ص 246.

- جبل ششار: ص 167.

- جبل عياض: ص 66، 67.

- جبل قريون: ص 44.

- الجنوبيين: ص 23، 297.

- جيجل: ص 20، 22، 23، 26، 71، 72، 88، 106، 121، 139، 144، 147،
148، 149، 162، 166، 179، 193، 195، 206، 207، 209، 215، 217،
219، 222، 245، 246، 247، 254، 259، 260، 262، 265.

- (ح) -

- الحامة: ص 29، 91، 164، 192، 199.

- (خ) -

- خليج ستورة: ص 297.

- خنشلة: ص 46، 261.

- خنقة سيدي ناجي: ص 43، 206، 213، 216، 252.

- (د) -

- الدوسن: ص 252.

- الدولة الحفصية: ص 23، 58، 63.

- (ذ) -

- الذراع الأحمر: ص 56.

- (ز) -

- الزاب: ص 17، 58، 59، 60، 61، 62، 66، 133، 134، 153، 166، 173،
212.

- الزعاطشة: ص 151.

- الزمالة: ص 27، 34، 35، 48، 201.

- زمورة: ص 36، 163، 180، 228، 237، 238، 259، 265 .

- زينة: ص 29.

- الزواغة: ص 31، 38، 185.

- زواوة: ص 28، 42، 56، 66، 67، 68، 97، 98، 101، 104، 132، 134،
139، 143، 147، 153، 166، 195، 197، 204، 207، 241، 249، 260،
290.

- الزيبان: ص 17، 21، 53، 54، 65، 75، 149، 150، 168، 189، 201،
205، 207، 215، 237، 252، 264، 281.

- (س) -

- سطيف: ص 31، 52، 88، 91، 156، 163، 171، 172، 184، 200، 215،
263، 265، 267، 293، 305، 306.

- السقنية: ص 44، 52، 187، 192.

- سكيكة: ص 36، 52، 161، 162، 164، 228، 262.

- السهول العليا: ص 17، 67، 161، 206.

- السودان: ص 132، 246، 265، 294، 295، 196، 303، 305.

- سوق اهراس: ص 17، 74، 163، 164، 216، 260، 286، 290، 291.

- سيياو: ص 30، 48، 207.

- سيدي عقبة: ص 133.

- (ش) -

- الشيلية: ص 53، 167، 220.

- (ط) -

- طبرقة: ص 18، 289، 297.

- طرابلس: ص 46، 71، 72، 290، 92، 294، 295.

- طرارة: ص 55.

- طولقة: ص 21، 54، 58، 151، 237.

- (ع) -

- عريب: ص 295.

- العلمة: ص 44، 52، 164، 185، 263.

- عنابة: ص 17، 47، 52، 62، 73، 84، 106، 130، 132، 144، 153،
155، 161، 162، 164، 166، 172، 173، 176، 183، 184، 185، 192،
193، 202، 207، 210، 215، 216، 217، 221، 224، 229، 247، 248،
257، 258، 260، 265، 282، 289، 297، 298، 299، 301، 302، 303.

- عين البيضاء: ص 246.

- عين بسام: ص 52.

- عين مليلة: ص 48، 49، 52.

- (غ) -

- غدامس: ص 81، 292، 294، 295، 306.

- (ف) -

- فاس: ص 70، 79، 293، 305.

- فتزارة: ص 162، 176.

- فرجيوة: ص 29، 31، 38، 48، 50، 54، 229، 261، 267.

- فكيك: ص 293، 305.

- فليسة: ص 28.

- (ق) -

- قابس: ص 295.

- قالمة: ص 74، 164، 184، 200، 215، 260.

- القرارة: ص 293.

- قرقور: ص 172، 228، 263.

- قسنطينة: ص 17، 22، 23، 24، 25، 27، 28، 29، 34، 36، 42، 43، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 54، 55، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 65، 66، 69، 75، 78، 86، 88، 91، 93، 102، 114، 116، 118، 122، 123، 125، 126، 130، 131، 135، 136، 138، 143، 148، 149، 150، 156، 157، 162، 164، 166، 171، 173، 180، 181، 182، 184، 185، 187، 190، 193، 199، 200، 202، 203، 204، 207، 209، 210، 213، 215، 219، 221، 223، 225، 226، 229، 231، 235، 239، 244، 246، 252، 256، 258، 261، 264، 265، 267، 268، 269، 271، 272، 273، 278، 279، 280، 281، 285، 286، 287، 288، 289، 291، 293، 297، 300، 302، 303، 305، 306.

- قصر الطير: ص 38، 263.

- قفصة: ص 292، 305.

- القل: ص 26، 20، 27، 150، 193، 217، 221، 247، 257، 262، 265، 297، 298.

- قلعة بني حماد: ص 156.

- قونية: ص 149.

- القيروان: ص 58، 275، 288.

- القيروان: ص 58، 275.

- (ك) -

- الكاف: ص 27، 277، 278، 286، 290، 291، 305، 306.

- كتامة: ص 136، 137.

- كوينين: ص 81.

- (ل) -

- ليشانة: ص 151.

- (م) -

- متليلي: ص 293، 295.

- متيجة: ص 162.

- مجانة: ص 31، 38، 54، 62، 67، 70، 71، 90، 105، 133، 140، 163،

178، 179، 239، 243، 247، 264، 268.

- المدرسة الكتانية: ص 30.

- مرسى الخرز: ص 297.

- المرسى الكبير: ص 72.

- مسكيانة: ص 135، 246.

- المسيلة: ص 52، 58، 59، 60، 147، 175، 178، 201، 210، 215، 252،
264، 267.

- مشونش: ص 43، 53، 220.

- معسكر: ص 30، 49، 204.

- المقارين: ص 145.

- مقرة: ص 60، 59.

- منعة: ص 43، 53.

- المهدية: ص 297.

- مهونة: ص 74.

- ميزاب: ص 17، 67، 207، 266، 273، 281، 303، 306.

- ميلة: ص 52، 64، 90، 138، 184، 201، 209، 215، 224، 229، 261،
267.

- (ن) -

- الناظور: ص 104، 74.

- النبايل، ص 74.

- النزلة: ص 145.

- نفطة: ص 75، 81، 290، 282، 295، 306.

- نقاوس: ص 59، 202، 209، 215، 260.

- النمامشة: ص 17، 43، 44، 52، 57، 83، 133، 139، 154، 167، 189،
207، 222، 228، 264، 294.
- نوميديا: ص 17، 132، 258.
- نيف النسر: ص 44.

- (ه) -

- الهضاب العليا: 43، 69، 161، 164، 166، 228.

- (و) -

- واحات ميزاب: 17.
- واد اجدي: ص 175، 177، 252.
- واد الزناتي: ص 48، 50، 52، 200، 215، 267.
- واد السيبوس: ص 173، 184.
- واد امزي: ص 175.
- واد بجاية: ص 172.
- واد بوصالح: ص 48، 50.
- واد ريغ: ص 17، 67، 78، 149، 168، 174، 180.
- واد سوف: ص 17، 18، 77، 168، 216، 265، 286، 295.
- واد مجردة: ص 173.
- وادي الجرف: ص 252.

- وادي الذهب: ص 267.
- وادي الرمال: ص 171، 180.
- وادي الزهور: ص 89، 157.
- وادي الساحل: ص 49، 178، 207.
- وادي السمار: 17.
- وادي الصومام: ص 17، 161.
- وادي الصومام: ص 17، 18، 161.
- وادي العثمانية: ص 47، 256، 264، 265.
- وادي العرب: ص 43.
- وادي بني منصور: 17.
- وادي بوسلام: ص 171.
- وادي سراط: ص 74.
- وجدة: 293.
- ورقلة: ص 17، 18، 59، 62، 65، 81، 85، 86، 87، 88، 105، 132،
179، 207، 237، 239، 240، 246، 253، 254، 256، 273، 281، 282،
286، 292، 293، 295، 296، 303، 306.
- ونوغة: ص 17، 31، 64، 67، 163، 179، 264.
- وهران: ص 74، 158، 293، 305.

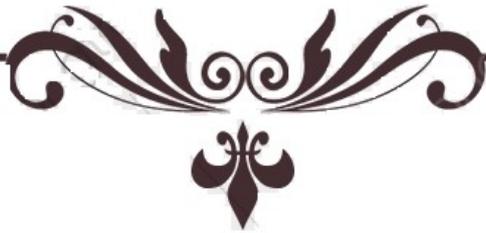
- (ي) -

- يسر: ص 54.

-



فهرس القبائل و الجماعات



- (أ) -

- الأترك: ص 22، 28، 35، 42، 45، 48، 49، 51، 56، 57، 60، 61، 62،
64، 69، 70، 71، 72، 75، 80، 84، 94، 96، 127، 131، 150، 224، 226،
230، 248، 271، 308.

- الأرباع: ص 58، 105، 303.

- الانكشارية: ص 47، 89، 158.

- أولاد ابراهم: ص 36.

- أولاد أسباع: ص 58.

- أولاد الأخضر: ص 44.

- أولاد الناصر: ص 21.

- أولاد بن عاشور: ص 29، 31، 54، 57.

- أولاد بن عز الدين: ص 31.

- أولاد بن قانة: ص 27، 54، 60، 64، 65، 82، 188.

- أولاد بن قانة: ص 31.

- أولاد بوغانم: ص 74، 285.

- أولاد دراج: ص 36، 202.

- أولاد رشاش: ص 83.

- أولاد رضوان: ص 291.

- أولاد سلامة: ص 44، 75، 228.

- أولاد سلطان: ص 25، 44، 176.
- أولاد صولة: ص 23، 133.
- أولاد عبد النور: ص 36، 44، 164، 185، 186، 222، 256، 261، 264، 265، 266.
- أولاد عزيز: ص 44، 291.
- أولاد علي: ص 291.
- أولاد عمور: ص 29، 201.
- أولاد قاضي: ص 54.
- أولاد مسعود: ص 58.
- أولاد معوش: ص 44.
- أولاد مقران: ص 27، 29، 31، 38، 54، 56، 62، 66، 69، 70، 71، 90، 91، 104، 140، 156، 188، 189، 217، 247.
- أولاد مقران: ص 31، 38، 54، 56، 71، 90، 104.
- أولاد منصر: ص 75.
- أولاد ناجي: ص 291.
- أولاد نائل: ص 29، 207، 252، 267، 294.
- أولاد نصر: ص 55، 133.
- أولاد يحي بن طالب: ص 37، 157، 222.
- آيت مليكش: ص 99، 128، 197.

- (ب) -

- بنو جلاب: ص 29، 57، 77، 78، 80، 81، 82، 86، 87، 273.
- بنو عساكر: ص 58.
- بني زروال: ص 41.
- بني سنوس: ص 41.
- بني سيار: ص 258، 262.
- بني صالح: ص 76، 139، 248، 254.
- بني عافر: ص 139.
- بني عباس: ص 28، 31، 55، 66، 67، 68، 70، 207، 236، 243، 250، 254، 268.
- بني عمران: ص 139، 258، 259، 263.
- بني معمر: ص 139، 291.
- بني منصور: ص 17، 18، 31.
- بني يدر: ص 139، 258، 259.

- (ج) -

- الجواد: ص 40، 63، 188.

- (ح) -

- الحراكتة: ص 31، 34، 36، 44، 50، 157، 256، 264.
- حرشاوة: ص 47.

- الحنانشة: ص 29، 31، 37، 36، 54، 57، 72، 73، 74، 75، 76، 83، 91،
189، 228، 260، 267، 278، 280، 288، 291، 298، 300، 307.

- (د) -

- الدولة العثمانية: ص 22، 231، 224، 278.

- (ذ) -

- نواودة: ص 29، 59، 54، 60، 61، 62، 63، 77، 80، 91، 223.

- (ز) -

- الزمول: ص 34، 36، 43، 44، 48، 49، 228، 261.

- الزواتنة: ص 47.

- (ش) -

- الشرفة: ص 40، 122، 133، 252.

- الشعانية: ص 290، 294، 295.

- (ع) -

- عامر الشراقة: ص 31، 36.

- عامر الغرابة: ص 36، 263.

- العبيد: ص 46، 48، 258، 265، 278، 294، 296، 303.

- عرب الصحراء: ص 46، 109.

- عمراوة: ص 48.

- العواسي: ص 28، 31، 34، 36.

- (ق) -

- قبائل التوارق: ص 273، 295.

- قبائل الخنافسة: ص 294، 295.

- قبائل الدواير: ص 49، 187، 280، 288.

- قبائل الرعية: ص 46، 47، 50، 52، 228، 232.

- القبائل الشرقية: ص 115، 122، 138.

- قبائل العمامرة: ص 83، 228.

- القبائل المتحالفة: ص 46.

- قبائل المخزن: ص 46، 47، 48، 51، 54، 55، 57، 75.

- القبائل المخزنية: ص 47.

- القبائل الممتنعة: ص 43، 46.

- قبائل عجيسة: ص 66.

- قبائل عياض: ص 60، 66، 67، 264.

- قبيلة السخارة: ص 63.

- قبيلة الفراشيش: ص 74، 286، 291.

- قبيلة الناظور: ص 74، 104.

- قبيلة بن عاشور: ص 31، 54.

- قبيلة دغوسة: ص 130.

- قبيلة شارن: ص 74، 285.

- قبيلة فناية، ص 241-242.

- قبيلة مرداس: ص 83، 202، 221، 291، 298، 300.

- (ك) -

- الكراغلة: ص 35، 46، 51.

- (م) -

- المرابطين: ص 40، 43، 53، 54، 89، 92، 108، 120، 124، 136، 138، 140، 186، 188، 227، 228.

- المرينيين: ص 77، 78.

- مشيخة أولاد بلقاسم: ص 53.

- مشيخة أولاد بوضياف: ص 53.

- مشيخة أولاد بوعزيز: ص 53.

- مشيخة زواغة: ص 54.

- مشيخة فرجيوة: ص 29، 54.

- مشيخة فرجيوة: ص 29، 54، 267.

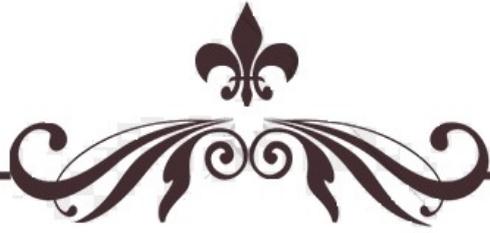
- (ن) -

- النمامشة: ص 17، 43، 44، 52، 57، 83، 133، 139، 157، 167، 189، 207، 222، 228، 264، 291.

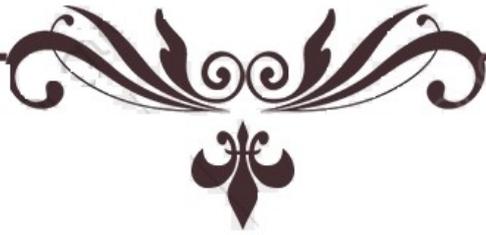
- (و) -

- ورعة: ص 74، 285، 291.

-



فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

الإهداء

شكر وعران

قائمة المختصرات

مقدمة:.....أ-ن

مدخل: بايلك الشرق الموقع والتنظيم الإداري.

أولاً: الموقع الجغرافي.....17-18

1- الريف لغة واصطلاحاً.....18-21

1-1: لغة.....18-19

2-1: اصطلاحاً:.....19-21

ثانياً: دخول العثمانيين وتأسيس بايلك الشرق:.....21-24

1-مراحل الحكم العثماني للبايلك ومميزاتها.....24

2- بايات بايلك الشرق.....24-26

3- التعريف بأهم بايات بايلك الشرق(الباي احمد القلي وصالح باي -أنموذجاً-)......26-30

3-1: الباي أحمد القلي27-28

3-2: صالح باي.....28-30

ثالثاً: التنظيم الإداري في بايلك الشرق:30-35

1- الوظائف السامية في الإدارة الإقليمية.....30-34

2- الموظفون المساعدون.....34-35

ثالثاً: التنظيم الإداري في الريف.....35-38

- 1- الموظفون في الأرياف:.....35-38
- 1-1: القيادة.....35-36
- 1-2: الحكام:36-37
- 1-3: الشيوخ:.....37-38

الفصل الأول: المجتمع والسلطة في ريف بايك الشرق

- أولاً: بنية المجتمع الريفي في البايك:.....40-45
- ثانياً: تقسيم القبائل في أرياف البايك:.....47-57
- 1- قبائل المخزن.....47-50
- 2- قبائل الرعية50-52
- 3- قبائل الأحلاف.....52-54
- 4-: القبائل المتمردة54-57
- ثالثاً: أهم الأسر الحاكمة في بايك الشرق.....57-80
- 1- أسرة بوعكاز57-62
- 2- أسرة بن قانة.....63-64
- 3- أسرة أولاد مقران.....64-71
- 4- أسرة الحنانشة.....71-75
- 5- أسرة بنو جلاب.....75-80
- رابعاً: الصراع بين القبائل والسلطة في ريف البايك:.....80-91
- 1- أسباب الصراع.....80-83
- 2- مظاهر الصراع بين الطرفين.....83-90
- 3- الصراع على السلطة في البايك وأثره على الريف.....90-91

الفصل الثاني: الواقع الاجتماعي في ريف البايك

أولاً: اللباس في الريف.....	103-96
1- اللباس في الريف.....	96
1-1: اللباس في المناطق الجبلية.....	100-96
2-1: اللباس في المناطق الداخلية والصحراوية.....	103-100
ثانياً: الأظعمة في الريف.....	110-103
ثالثاً: المناسبات الدينية والاجتماعية.....	122-111
1- المناسبات الدينية.....	111
1-1: الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى.....	113-111
2- المناسبات الاجتماعية.....	121-113
1-2: الزواج.....	116-113
2-2: الصداق.....	120-116
3- الختان.....	121-120
4- الجنائز ودفن الموتى.....	122-121
رابعاً: الفساد والنزاعات الأسرية في ريف البايك.....	127-122
1- هروب النسوة ونشورهن.....	126-122
2- مشاكل النفقة بين الأزواج.....	127-126
3- تعدد الزوجات في الأرياف.....	128-127
خامساً- المرأة في الريف.....	130-128
سادساً- بعض المظاهر المنتشرة في الأرياف.....	142-130
1- الكرم.....	132-131

133-132.....	2- تدخين التبغ و الكيف.....
137-133.....	3- السرقة واللصوصية.....
140-137.....	4- الاعتقاد بالخرافة والكرامات في ريف البايك.....
142-141.....	5- ظاهرة الثأر.....
146-142.....	خامسا: العمران في ريف البايك.....
159-146.....	سادسا: الأمراض والأوبئة والمجاعات في ريف البايك.....
149-147.....	1- الأمراض.....
153-149.....	2- الأوبئة.....
157-153.....	3- طرق التداوي والوقاية.....
159-157.....	4- المجاعات.....

الفصل الثالث: الزراعة ومقوماتها في ريف بايك الشرق.

180-161.....	أولا: المميزات الطبيعية والتضاريسية لأرياف البايك وتأثيرها على النشاط الزراعي:.....
169-162.....	1- مظاهر السطح.....
171-169.....	2- التربة.....
180-171.....	3- مصادر المياه.....
199-181.....	ثالثا: ملكية الأرض ببايك الشرق.....
191-181.....	1- أصناف الأراضي الزراعية في البايك.....
186-181.....	1-1: ملكيات البايك.....
188-187.....	2-1: الملكيات الخاصة.....
189-188.....	3-1: أراضي القبائل(العرش).....
190-189.....	4-1: أراضي الأوقاف(الأحباس).....

191.....	5-1: أراضي الموات.....
192-191.....	2- الإصلاحات الزراعية لصالح باي ببايلك الشرق.....
199-192.....	3- أساليب ووسائل الزراعة في ريف بايلك الشرق.....
217-199.....	رابعاً: الإنتاج الزراعي:
205-200.....	1- الحبوب.....
206-205.....	2- الخضر.....
214-206.....	2- الأشجار المثمرة.....
208-206.....	3-1: أشجار الزيتون.....
211-208.....	3-2: أشجار الفاكهة.....
214-211.....	3-3: أشجار النخيل.....
217-214.....	4- المحاصيل التجارية.....
219-218.....	5- الصعوبات التي واجهت النشاط الفلاحي في أرياف البايك.....
224-220.....	خامساً: الرعي و الثروة الحيوانية.....
233-224.....	سادساً: الجباية والضرائب في المناطق الريفية.....

الفصل الرابع: الصناعة والتجارة في ريف بايلك الشرق.

257-235.....	أولاً: الصناعة والحرف في ريف البايك.....
237-235.....	أ- مقومات الإنتاج الصناعي والحرفي في ريف البايك.....
257-237.....	ثانياً: الإنتاج الصناعي والحرفي في ريف البايك.....
245-237.....	1- الصناعة التحويلية.....
239-237.....	أ- الصناعة النسيجية والصوفية.....
241-240.....	ب- الصناعة الجلدية.....

ج- صناعة الحلبي.....	242-241
د- صناعة الصابون.....	243-242
هـ- صناعة الفخار:	245-243
2- الصناعة المعدنية.....	247-245
3- الصناعة الخشبية.....	251-248
4- صناعة الأسلحة والبارود.....	254-251
5- صناعة الملح:.....	255-254
6- صناعات أخرى.....	256-255
7- تقليد العملة	257-256
ج- معيقات ومشاكل النشاط الصناعي والحرفي في أرياف البايك.....	259-257
ثانيا: التجارة في ريف البايك:.....	282-259
أ- الأسواق.....	270-259
1- الأسواق الأسبوعية.....	266-259
2- الأسواق الموسمية والمركزية.....	270-266
ب- العملة:.....	275-270
1- العملة مع بداية التواجد العثماني.....	272-270
2- القيمة النقدية للعملة.....	273-272
3- العملة في عهد أحمد باي.....	275-273
4- العملات الأجنبية الرائجة في الجزائر.....	282-275
أ- العملات الإسبانية وأسباب انتشارها.....	277-276
ب- العملات التونسية.....	278-277

282-278.....	1- أسباب انتشار العملة التونسية في الجزائر
279-278.....	أ- التجارة:
281-279.....	ب- الاضطرابات بين البلدين
282-281.....	ج: الإحسانات والودائع:
287-283.....	رابعاً: المكاييل والموازين والمقاييس في الريف:
285-283.....	1- المكاييل:
286-285.....	2- الأوزان:
286.....	3- وحدة قياس الأطوال:
287.....	4- مقياس المساحة:
298-287.....	رابعاً: الريف ودوره في التعاملات الخارجية للبايلك:
294-287.....	1- التجارة مع تونس:
295.....	2- التجارة مع المغرب:
286-295.....	3- التجارة مع ليبيا:
298-296.....	4- التجارة مع السودان:
301-299.....	خامساً: طبيعة العلاقة بين القوافل التجارية وأهالي الأرياف:
302-301.....	سادساً: الطرق والمسالك العابرة لبايلك الشرق
308-302.....	سابعاً: علاقة أهالي الأرياف بالمؤسسات التجارية الفرنسية:
311-308.....	ثامناً: - نماذج من التعاملات التجارية السائدة في ريف البايك
315-312.....	تاسعاً: معيقات ومشاكل التجارة في ريف البايك
322-316.....	خاتمة
352-323.....	الملاحق

378-353.....	قائمة المصادر والمراجع
419-374.....	الفهارس
388-380.....	فهرس الأعلام
402-389.....	فهرس الأماكن والبلدان:
410-403.....	فهرس القبائل والجماعات:
419-412.....	فهرس المحتويات:

1- ملخص الدراسة بالعربية:

تعالج هذه الدراسة الريف في بايلك الشرق خلال العهد العثماني (1519-1830م)، لا سيما الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، باعتبار البايك من أكبر البايكات خلال هذه الفترة، إضافة إلى كونه يمثل الممول الرئيسي لخزينة الدولة، لذلك عملنا في هذه الدراسة على التطرق إلى أوضاع الشرق الجزائري قبل التواجد العثماني، ومن ثم إلى بدايات التواجد العثماني والاختلاف الحاصل في ما يخص تاريخ التواجد الفعلي للعثمانيين، إضافة إلى أهم التنظيمات الإدارية المنتهجة لتسيير البايك، خاصة المناطق الريفية منها.

فبالنسبة للجانب الاجتماعي، عرف ريف البايك تنوعا كبيرا في العناصر البشرية لشساعة مساحة البايك، حيث قطنت مناطق الريف العديد من القبائل التي صنفت على حسب علاقتها بالسلطة الحاكمة، وهو الأمر إلى تجسد في ظهور العديد من الأسر والمشيوخ الحاكمة في الريف، التي تأرجحت علاقتها مع السلطة بين الوفاق والحرب تبعا لمصالح كل طرف، أما فيما يخص الحياة الاجتماعية في ريف بايلك الشرق فقد تميزت بتنوع العادات والتقاليد، وانتشار العديد من المظاهر التي تنوعت بين الذميمة والمحمودة، إضافة إلى الجانب العمراني والذي تحكمت فيه عموما طبيعة عيش السكان الذين اختلفت أنماط معيشتهم بين الاستقرار والترحال، كما كان للأوبئة والأمراض والكوارث الطبيعية الأثر البالغ على حياة السكان واستقرارهم.

أما على المستوى الاقتصادي، فقد تميز الريف بالتنوع في الإنتاج الزراعي على الرغم من بساطة الوسائل المستعملة في استغلال الأرض، كما تحكمت العديد من الظروف في وفرة الإنتاج والتي تعلقت أساسا بالمظاهر الطبيعية بالريف، إضافة إلى مصادر المياه، كما تنوعت ملكية الأرض في ريف البايك، أما فيما يخص الإنتاج الحيواني في الريف، فقد امتلكت القبائل الريفية ثروة حيوانية ضخمة لامتهان أغلبهم للرعي خاصة في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، أما من الناحية الصناعية فتنوعت الصناعات الحرفية وذلك تبعا لحاجيات السكان، كما اعتمد سكان ريف البايك على النشاط التجاري كأحد أهم مصادر الدخل، الأمر الذي يظهر جليا في تنوع الأسواق، وتعدد القوافل المارة في ريف البايك، إضافة إلى تعاملهم مع المؤسسات التجارية الفرنسية في البايك، واستفادتهم من المبادلات الخارجية للبايك، باعتباره مركزا مهما للتجارة بالمنطقة.

الكلمات المفتاحية : الريف، الاقتصاد، المجتمع، بايلك الشرق.

Abstract:

This study deals with the countryside in the eastern bailiks during the Ottoman era (1519-1830), especially the social and economic aspects, as the bailiks are one of the largest bailiks during this period, in addition to being the main financier of the state treasury, so we worked in this study to address the conditions of the Algerian East before the Ottoman presence, then the beginnings of the Ottoman presence and the difference in the date of the actual presence of the Ottomans, in addition to the most important administrative organizations adopted to manage the bailiks, especially rural areas of them. .

With regard to the social aspect, the Baylak countryside was characterized by a great diversity of human elements due to the vastness of the Baylak area, as the rural areas were inhabited by many tribes that were categorized according to their relationship with the ruling authority, which was reflected in the emergence of many ruling families and sheikhdoms in the countryside, whose relationship with the authority fluctuated between concord and war depending on the interests of each party, as for Social life in the eastern countryside was characterized by the diversity of customs and traditions, and the spread of many manifestations that varied between disreputable and praiseworthy, in addition to the urban aspect, which was generally controlled by the nature of living of the population, whose living patterns varied between stability and nomadism, as epidemics, diseases and natural disasters had a great impact on the lives of the population and their stability

At the economic level, the countryside was characterized by diversity in agricultural production despite the simplicity of the means used to exploit the land, and many circumstances controlled the abundance of production, which was mainly related to the natural features of the countryside, in addition to water sources, and the ownership of land varied in the countryside of Baylak, as for animal production in the countryside, the rural tribes possessed a huge animal wealth because most of them practiced herding, especially in the last period of Ottoman rule, and in terms of industry, the craft industries varied according to the needs of the population, and the residents of the Baylak countryside relied on commercial activity as one of the most important sources of income.

Keywords: countryside, economy, society, baylek East.